JOJO MOYES

جوجو مويز

واحد زائد واحد

ONE PLUS ONE

مكتبة



الكاتبة الأكثر مبيعًا على قائمة نيويورك تايمز



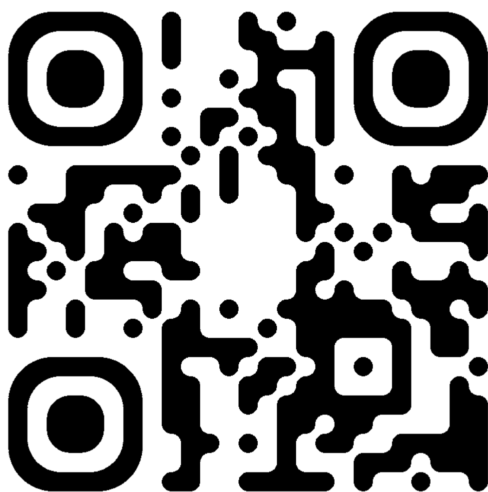
رواية | ترجمة: ميار مهدي

واحد زائد واحد

ONE PLUS ONE

انضم لـ مكتبة .. امسح الكود

انقر هنا .. اتبع الرابط



telegram @soramnqraa



إدارة التوزيع

00201150636428

لمراسلة الدار:

email:P.bookjuice@yohoo.com

Web-site: www.oseeralkotb.com

- العنوان الأصلي: One plus one
- العنوان العربي: واحد زائد واحد

- الطبعة الأولى: يناير/ 2024م

- ترجمة: ميار مهدي
- تحرير: مصطفى رزق
- تدقيق لغوي: أسماء أبو المجد
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- رقم الإيداع: 2023/13038م
- الترقيم الدولي: 978-977-992-272-0

JOJO MOYES

جوجو مويز

واحد زائد واحد

ONE PLUS ONE



الكاتبة الأكثر مبيعًا على قائمة نيويورك تايمز

رواية | ترجمة: ميار مهدي





مكتبة
t.me/soramnqraa

جيس

من المثير للسخرية أن جيسيكا توماس خسرت أفضل وظيفة عملت بها بسبب ماسة. ولم تغب عنها حقيقة أنها لم تخسر الوظيفة لأنها سرقت الماسة، بل لأنها لم تسرقها.

جيسيكا وناتالي كانتا المسؤولتين عن تنظيف منزل العطلة لمستر ومسز ريتر منذ قرابة ثلاثة أعوام، منذ كان منتجع بيتشفرونت للعطلات نصف موقع بناء ونصف قطعة من النعيم على الأرض. كان هذا عندما وعد مطورو الموقع السكان المحليين بأنه سيسمح لهم باستخدام المسبح، وأكدوا أن التطويرات والبناء سيحسنان الأوضاع الاقتصادية لمدينتهم الساحلية الصغيرة بدلًا من نهب آخر ما فيها من موارد. آل ريتر هم تمامًا ما تتوقعه من عائلة تملك منزلًا صيفيًّا للعطلة. أتوا من لندن معظم نهايات الأسبوع بصحبة أولادهم، وفي معظم الوقت كانت مسز ريتر تقضي العطلات بكاملها في منزلهم الصيفي بينما يبقى مستر ريتر في المدينة. خلال وجودهم هنا، يمضون معظم وقتهم على الشاطئ المثالي ويزورون المدينة فقط عندما يحتاجون إلى ملء سيارتهم بالوقود أو إلى شراء البقالة من المنطقة التجارية. جيس وناتالي كانتا تنظفان المنزل ذا الغرف الأربع، والمطلي بدهانات فارو وبول، مرتين كل أسبوع في وجود آل ريتر، ومرة في غيابهم.

في شهر أبريل كان آل ريتر في منزلهم الصيفي كما هو واضح من علب العصير والمناشف المبللة. كانت ناتالي تنظف الحمام المتصل بإحدى الغرف بينما جيس تغير ملاءات السرير، وكلتاهما تغني مع الراديو الذي تحملانه معهما من مهمة لأخرى داخل المنزل، وعندما رفعت جيس ملاءة السرير سمعت صوتًا يشبه صوت إطلاق النار من بندقية سريعة الطلقات. بحكم إقامتها في مدينتها، كانت تعرف تمام المعرفة أنه لا بندقيات كهذه في

بيتشفرونت. لفت شيء لامع على الأرض انتباهها، وعندما التقطت هذا الشيء من تحت النافذة وجدت أنه قرطٌ ماسيٌّ. حملته بين سبابتها وإبهامها ورفعته ليعكس الضوء ثم ذهبت إلى حيث كانت ناتالي جاثية على ركبتيها تنظف حوض الاستحمام وخطوط من العرق تشف حمالة صدرها على ملابسها. كان ذلك اليوم طويلًا مرهقًا.

- انظري.

سألتها ناتالي وهي تدقق النظر ناهضة من على الأرض: «ما الأمر؟».

- ماسة سقطت من على ملاءة السرير.

- بالتأكيد ليست حقيقية. أرأيت حجمها؟

نظرتا إلى القرط الماسي بينما أدارته جيس بين سبابتها وإبهامها.

- ليزا ريتر ليست من النساء اللاتي يشترين أقراطًا مزيفة. آل ريتر يملكون الكثير من المال.

مررت جيس الماسة على حافة النافذة.

- ألا يمكن للماس قطع الزجاج؟

- فكرة رائعة يا جيس. مرِّريها مجددًا إلى أن يسقط الزجاج من النافذة.

وقفت ناتالي وبدأت بتنظيف ملابسها بالماء.

- الأهم من هذا كله.. أين القرط الآخر؟

نفضتا الملاءة ونظرتا تحت السرير وفتشتا بحرص في السجادة البيج -على أربع كما لو كانتا شُرطيتين تفتشان مسرح جريمة- بحثًا عن القرط الآخر. في النهاية نظرت جيس إلى ساعتها ثم تبادلت النظرات مع ناتالي وتنهدتا.

البحث عن قرط واحد لهو كابوس.

لائحة بالأشياء التي وجدتاها بينما كانتا تنظفان منازل أناس آخرين:

- أسنان مزيفة.
- قارض منزلي هارب.
- خاتم زواج مفقود منذ الأزل (حصلتا على علبة شوكولاتة مقابل إيجاده).

- صورة موقَّعة لكليف ريتشارد (لا شوكولاتة مقابلها وأنكر مالكها أي علم بها).
- نقود. لم تكن كمية قليلة من النقود، بل محفظة تركوازية اللون ملأى بالنقود على آخرها كانت واقعة خلف وحدة أدراج. عندما أعطتها جيس للعميلة -مسز ليندر التي استأجرت الوحدة رقم أربعة في بيتشفرونت مدة ثلاثة شهور في الصيف- نظرت العميلة إليها بدهشة: «كنت أتساءل أين ذهبت هذه المحفظة». ووضعتها في جيبها وكأنها وجدت بنسة شعر أو الريموت كنترول.

بغض النظر عن القوارض، لم يكن إيجاد مفقودات قيمة أمرًا جيدًا كما تتخيل. إذا وجدت قرطًا ضائعًا أو نقودًا منسية سيعطيك العملاء تلك النظرة الجانبية التي تُلمح بأنك ربما قد احتفظت بالباقي لنفسك. بالتأكيد سيفترض مستر ريتر أنهما أخذتا القرط الآخر لأنه كان من ذلك النوع من الرجال الذين يمكنهم أن يشعروك بالذنب لمجرد أنك في منزلهم. وهذا فقط في الأيام التي تفضل عليهما بالاعتراف أنهما في المنزل.

سألت جيس: «وإذًا.. ماذا نفعل؟».

كانت ناتالي تجمع الملاءات استعدادًا لغسيلها بينما أجابت: «اتركيه هنا، سنكتب ملاحظة نخبرهما فيها أننا لم نتمكن من إيجاد القرط الآخر».

كانت عادتهما ترك ملاحظة أو اثنتين بينما تنظفان المنزل لتُعلما آل ريتر بما فعلتاه خلال اليوم أو لتذكيرهما بشكل متحفظ أنهما مدينان لهما بالمال.

- هذه هي الحقيقة.
- ألن نخبرهما أننا بحثنا في الملاءات؟
- لا يهم. كل ما نريده هو ألا تظن مسز ريتر أننا أخذنا القرط الآخر.

قالت جيس بينما كتبت الكلمات الأخيرة في الملاحظة ووضعت القرط فوقها بحذر.

- كما أنه من الممكن أن يكون القرط الآخر بحوزة مسز ريتر. ربما تكون سعيدة أننا وجدناه.

كان وجه ناتالي يقول إن جيس ستجد الجانب الإيجابي حتى لحادث نووي يتسبب في نهاية العالم.

- لو كنت مكانها لعرفت أن هناك قرطًا بحجم مقلة العين في سريري.

ألقت بالأشياء المتسخة أمام باب الغرفة.

- اكنسي أنتِ الرواق وأنا سأغير ملاءات أسِرة الأطفال. إن أسرعنا، يمكننا الذهاب إلى منزل آل جوردون في الحادية عشرة والنصف.

قامت ناتالي بينسون وجيسيكا توماس بأعمال التنظيف معًا كل يوم عمل مدة أربعة أعوام، كان اسمهما غير الإبداعي «بينسون وتوماس لخدمات التنظيف» مكتوبًا على شاحنتهما البيضاء. لقرابة شهرين كان شعارهما الذي كتبته ناتالي تحت الاسم «وسخ قليلًا؟ يمكننا المساعدة في ذلك!» حتى أوضحت لها جيسيكا أن نصف المكالمات التي كانت تأتيهما لم يكن لها أي علاقة بخدمات التنظيف.

كل عملهما تقريبًا يقع في بيتشفرونت، فلا أحد في المدينة يملك المال الكافي لتوظيفهما، فيما عدا الأطباء والمحامين وعملاء قليلين بين الحين والآخر مثل مسز همفري التي يعيقها التهاب المفاصل عن تنظيف منزلها بنفسها. كانت مسز همفري مؤمنة جدًّا أن النظافة من الإيمان لدرجة أنها كانت تقيس أهمية حياتها بالستائر المكوية والسلالم اللامعة التي تقود إلى مدخل بيتها. كانت ناتالي وجيس تشكان في أنها تدخر أحاديث تكفي يومين للساعة التي تعملان فيها في منزلها. كانتا تنظفان منزلها كل أربعاء بعد أن تنهيا عملهما في بيتشفرونت لدى آل ريتر وآل جوردون وأي عميل إضافي قاده إليهما الحظ وغياب شركة التنظيف التي طلبها.

فُتح الباب بينما كانت جيس تكنس الرواق ونادت مسز ريتر: «أأنتما هنا يا فتيات؟».

بالنسبة إلى مسز ريتر، أي امرأة، حتى النساء اللاتي يحصلن على معاش كل شهر، يندرجن تحت مسمى «فتيات». كانت دائمًا تستخدم الكلمة: «قضيت وقتًا رائعًا في ليلة الفتيات يوم السبت»، تقولها وعيناها تلمعان بشقاوة، أو «وذهبت بعدها إلى غرفة الفتيات الصغيرات...»، لكنهما كانتا تحبان مسز ريتر رغم ذلك، لأنها كانت دائمًا مبتهجة ومتواضعة فيما يتعلق بثروتها، ولم تعاملهما قط كما لو أنهما عاملتا نظافة.

تبادلت ناتالي النظرات مع جيس. كان اليوم طويلًا ومرهقًا وقد نظفتا فُرنين إلى الآن (حقًّا، أي نوع من الناس يشوي خنزيرًا في العطلة!) وشاي

مسز همفري الذي ينتظرهما كان بلون الطلاء اللامع الذي تلمعان به السلالم، وفي ثقله.

بعد عشر دقائق جلسن ثلاثتهن حول طاولة المطبخ، ومررت ليزا ريتر طبقًا من البسكويت للفتاتين: «هيا، تذوقاه، إذا أكلتما البسكويت لن يستطيع إغرائي». قالتها بينما تقرص دهونًا خيالية في معدتها فوق حزامها.

ناتالي وجيس لم تتمكنا قط من الاتفاق بشأن عمل مسز ريتر، فقد كانت من النساء اللاتي يطفن في الفترة المنمقة المسطحة التي تقع بين الأربعين والستين، شعرها الكستنائي الدافئ مصفف لتظهر تموجاته الناعمة، وكانت تلعب التنس ثلاث مرات أسبوعيًّا، والبيلاتيس مع مدربها الخاص، كما أن النميمة في الصالون أعلمت ناتالي أنها كانت تحصل على كل جلسات إزالة الشعر المتاحة في العالم مرة كل أربعة أسابيع.

- ما أخبار مارتن؟

أجابتها ناتالي: «على حد علمي، ما زال حيًّا».

عقبت مسز ريتر متذكرة: «لقد أخبرتني بذلك من قبل، هو الذي يبحث عن نفسه، صحيح؟».

- هو بعينه.

- غريب أنه لم يجد نفسه حتى الآن بالنظر إلى حجمه.

توقفت مسز ريتر لحظة ومنحت جيس ابتسامة مؤازرة.

- هل ما تزال ابنتك الصغيرة مستغرقة في كتاب رياضيات؟

- دائمًا.

- ابناك جيدان حقًّا، أقسم إن بعض الأمهات هنا لا يعرفن ماذا يفعل أطفالهن من طلوع الشمس لغروبها. جيسون فيشر ذاك وأصدقاؤه كانوا يلقون البيض على منزل أرملة دينيس جروفر منذ بضعة أيام. بيض!

كان من الصعب تحديد إذا ما كانت مصدومة بسبب الفعل نفسه أم بسبب هدر الطعام بسبب نبرة صوتها.

كانت مسز ريتر تحاول أن تحكي قصة عن اختصاصي تجميل الأظافر الخاص بها وكلب صغير يعاني سلس البول بينما يغلبها الضحك بين الحين

والآخر، حينما رفعت ناتالي هاتفها ودفعت كرسيها للوراء قائلة: «حاولت مسز همفري الاتصال بنا».

- علينا الذهاب.

نهضتْ من على الكرسي وذهبت إلى الرواق لتحضر صندوق أدوات التنظيف.

- حسنًا. المنزل يبدو رائعًا، شكرًا جزيلًا لكما.

ربتت مسز ريتر شعرها لتعيده إلى حالته الأصلية، وانقطع حبل أفكارها لثانية ثم قالت: «آه، قبل أن تذهبا، هل يمكن أن تساعديني في شيء ما يا جيس؟».

معظم العملاء يعلمون أن جيس بارعة في الأمور العملية؛ بالكاد يمر يوم دون أن يحتاج أحدهم إلى مساعدة في تنظيف المصيص أو تعليق الصور أو مهام أخرى، يقسمون إنها لن تستغرق أكثر من خمس دقائق لتنفيذها. جيس لم تمانع هذا وقالت: «إذا كانت مهمة كبيرة قد أحتاج إلى أن أعود مجددًا لأكمل الوظيفة». وفي داخلها فكرت: «*وأطلب منك مقابلًا لها*».

تحركت ليزا ريتر ناحية الباب الخلفي وقالت: «لا لا. أحتاج فقط إلى أحد ليساعدني في حمل حقيبتي، آذيت ظهري على الطائرة وأحتاج إلى شخص ليصعد بها السلالم».

- الطائرة؟

- ذهبت لزيارة شقيقتي في مايوركا، الآن بينما أبنائي في الجامعة، لدي الوقت كله لنفسي، أليس كذلك؟ فكرت أنه سيكون من اللطيف أن أذهب في عطلة مصغرة بضعة أيام، وتركت سايمون ليتولى أمورنا، بورك له.

- ومتى عدتِ؟

نظرت إلى جيس بوجهٍ خالٍ من أي تعبير: «لقد رأيتني! عدت للتو!».

استغرق الأمر عدة ثوانٍ قبل أن تدرك جيس معنى هذا. كان من حسن حظها أنها متجهة للخارج في الشمس، لأنها شعرت بوجهها يبهت حقًّا.

هذه هي المشكلة في العمل بمجال التنظيف. إنها وظيفة جيدة إذا لم تمانع البقع التي يتركها أشخاص آخرون، وإخراج الشعر من بالوعاتهم (وجيس لم تمانع، وهو الأمر مثير للضحك). جيس لم تمانع حتى إن معظم مستأجري

المنازل الصيفية شعروا أنه من الواجب عليهم أن يعيشوا كالخنازير مدة أسبوع تاركين وراءهم فوضى لن يسمحوا بها في منازلهم العادية، لأنهم يعلمون أن أحدًا سيأتي لينظفها. يمكنك العمل بشكل مستقل، وتنظيم ساعات عملك، وحتى اختيار عملائك حينما تكون الأوقات جيدة.

للغرابة، لم يكن الجانب السيئ هو العملاء السيئون -وكان هناك دائمًا عميل سيئ واحد على الأقل- ولا الأتربة، ولا كيف يُشعرك تنظيف مرحاض شخص آخر أنك أدنى بدرجة أو اثنتين مما تمنيت لنفسك. لم يكن حتى إن الشركات الأخرى تهددك دائمًا بإرسال منشوراتها لأبواب عملائك واعديهم بخدمات أرخص. الجانب السيئ حقًّا هو أنك دائمًا ما تكتشف أكثر بكثير مما أردت أن تعرف عن حيوات أشخاص آخرين.

يمكن لجيس أن تخبرك عن عادة التسوق السرية لمسز إلدريدج: فواتير الأحذية من مصممين عالميين تضعها في سلة قمامة حمامها، والحقائب المعبأة بملابس جديدة لم ترتدِها في خزانتها. يمكنها أن تخبرك أن لينا تومبسون تحاول الحمل منذ أربعة أعوام وتستخدم اختبارَي حمل كل شهر (وتقول الشائعات إنها ظلت مرتدية جواربها الطويلة). يمكن لناتالي أيضًا أن تخبرك أن السيد ميتشل في المنزل الكبير خلف الكنيسة يحصل على راتب مكون من ستة أرقام (ترك كشف راتبه على طاولة الرواق وناتالي تقسم إنه فعلها عمدًا) وأن ابنته تدخن سرًّا في حمامهم وتصف أعقاب سجائرها في صفوف متساوية على حافة النافذة.

لو أنها أرادت ذلك، يمكنها أيضًا أن تشير إلى أولئك النساء اللاتي يخرجن مثاليات، بشعر مثالي وأظافر مطلية ورائحة خفيفة من عطر باهظ الثمن لا يجدن مشكلة في ترك ملابس داخلية متسخة على الأرض واضحة لأي كان، أو حتى فوط أولادهن التي جفت فأصبحت صلبة ولم يُردنَ حملها حتى بمساكات. كان هناك أيضًا الأزواج الذين ينامون في أسِرة مختلفة كل ليلة، رغم أن الزوجات -بإشراقة مزيفة- يطلبن منها أن تغير ملاءات غرفة الضيوف لأنهن استقبلن «عددًا هائلًا من الضيوف مؤخرًا». هذا ناهيك بالحمامات التي تحتاج إلى قناع واقٍ من الغاز، وعلامات تحذيرية من المواد السامة.

بين الحين والآخر تحصل على عميلة لطيفة مثل ليزا ريتر، فتذهب وتكنس أرضيات منزلها وتعود محملة بعبء من المعلومات لم ترد أن تعرفها مطلقًا.

شاهدت جيس ناتالي وهي تخطو للخارج متأبطة صندوق المنظفات، وتراءى لها بوضوح مؤلم ما سيحدث تاليًا. رأت السرير في الدور العلوي مرتبًا بشكل لا تشوبه شائبة، وعليه ملاءات نظيفة، والسطحَ الملمع لتسريحة مسز ريتر، والوسائد منفوشة بشكل مرتب على الكنبة الصغيرة في الفراندا، ورأت الماسة على التسريحة مكان تركتها ومعها الملحوظة التي كتبتها هناك كقنبلة يدوية لامعة صغيرة.

قالت جيس وهي تأخذ الحقائب عابرةً بها ناتالي: «في الواقع، هل يمكنني أن أتحدث معكِ لوهلة يا نات؟».

حاولت لفت انتباه ناتالي، ولكن الأخيرة كانت مشغولة بتأمل حذاء مسز ريتر.

أخبرتها بلهفة: «أحب حذاءك».

- حقًّا يا ناتالي؟ اشتريته وأنا مسافرة، كان صيدًا عظيمًا.

عقبت جيس بشكل ذي معنى وخطت لتقف بجوار ناتالي: «مسز ريتر كانت في إسبانيا يا نات. في إجازة صغيرة».

نظرت إليها ناتالي وابتسمت. لم تفهم شيئًا.

- عادت هذا الصباح؟

أجابتها ناتالي مبتسمة: «عظيم».

شعرت جيس بالهلع يعلو بداخلها كموجة لن تقف.

قالت بينما تعبر متخطية مسز ريتر: «إليكِ هذا: سأحمل هذه الحقائب للأعلى بدلًا منكِ».

- لا داعي لأن تفعلي هذا!

- لا بأس.

تساءلت إذا ما انتبهت ليزا ريتر للجمود الغريب في وجهها. فكرت أنه يمكنها أن تصعد للأعلى وتركض للغرفة وتأخذ القرط وتخبئه في جيبها وتدفع ناتالي للسيارة قبل أن تتفوه بالمزيد، وهكذا لن تعرف مسز ريتر الأمر أبدًا، وستقرران لاحقًا ماذا ستفعلان. ولكن حتى وهي تهرع إلى الباب كانت تعرف بداخلها ما سيحدث.

كانت في منتصف الدرجات عندما سمعت -من خلال النافذة- صوت ناتالي واضحًا كرنة جرس.

- هل أخبرتكِ جيس؟ وجدنا فردة من أحد أقراطك. ظننا أنكَ تحتفظين بالأخرى في مكان ما.

سألتها مسز ريتر: «أقراط؟».

- ماسية. أعتقد أنه ماس في بلاتين. وقعت من ملاءة السرير. أنت محظوظة أن المكنسة لم تبتلعها وأنا أكنس.

ساد صمت قصير.

أغمضت جيس عينيها ووقفت ثابتة تمامًا على الدرجات وانتظرت إلى أن أتت الكلمات الحتمية إلى مسامعها.

***

- كيف كان لي أن أعرف أن مسز ريتر ليس لديها ثقبان للأقراط في أذنيها؟

جلستا في سيارة التنظيف محنيتين فوق مقعديهما. كانت ناتالي تدخن. أقلعت -للمرة الرابعة- عن التدخين منذ ستة أسابيع.

***

- أعتقد أنكِ مخطئة.

قالت ليزا ريتر بصوت ارتعش من الجهد الذي بذلته لتتكلم.

- على الأغلب هو قرط ابنتي ونسيته في آخر مرة كانت فيها هنا، لديها واحد مثله تمامًا.

أجابتها جيس: «بالطبع. في الغالب دفعه أحد هنا بقدمه أو علق بحذاء أحدهم، كنا متأكدتين أنه شيء كهذا».

عندما أدارت مسز ريتر ظهرها إليها، عرفت أنها النهاية؛ لا أحد يشكرك لأنك جلبت الأخبار السيئة إلى عتبة بابه.

لا أحد يريد لعاملة التنظيف أن تعرف أسراره المخزية.

- ثمانون جنيهًا أسبوعيًّا كانت مضمونة. وأجر إضافي للعطلات.

صرخت ناتالي فجأة: «اللعنة! الآن أريد أن أجد صاحبة القرط اللعين وأضربها لأنها أضاعت علينا أفضل وظائفنا».

- ربما لم تكن تعرف أنه متزوج.

- أوه، كانت تعرف.

قبل أن تقابل دين، أمضت ناتالي عامين في علاقة مع رجل اتضح أنه لم يكن لديه عائلة واحدة، بل اثنتان -بخلافها- في الجانب الآخر من ساوثهامبتون.

- لا ينثر رجل أعزب وسائد متناسقة الألوان على أريكته.

أجابتها جيس: «نيل بروستر يفعل ذلك».

- يملك نيل بروستر مجموعة أسطوانات موسيقية 67% منها لجودي جارلاند و33% منها لبيت شوب بويز.

في نهاية الطريق تدحرج رضيع يرتدي ملابس مبطنة على الأرض كجذع شجرة مقطوع، وبعد صمت قصير، أطلق صرخة حادة. أمه المحملة بعدد من حقائب التسوق يملأ ذراعيها، وقفت تحدق إليه موازنةً الحقائب بصمت حائر.

- انظري، لقد سمعتِ ما قالته الأسبوع الماضي: ستستغني عن مصففة شعرها قبل أن تستغني عنا.

هزت ناتالي رأسها وأجابت: «قبل أن تتخلص من «عاملي التنظيف». الأمر مختلف، لن تهتم إذا ما كانت شركة التنظيف نحن أو سبيد كلينرز أو مايدز ويذ موبس. لا. بالنسبة إليها، نحن من الآن عاملتا التنظيف اللتان تعرفان الحقيقة بخصوص زوجها. هذا مهم للنساء مثل مسز ريتر. كل ما يهتممن به هو المظاهر، أليس كذلك؟».

وضعت الأم حقائبها أرضًا وانحنت لتحمل الرضيع. على بعد بضعة منازل، خرج تيري بلاكستون من تحت غطاء محرك سيارته الفورد فوكَس التي لم تتحرك منذ ثمانية عشر شهرًا، والتفت حوله ليتحرى مصدر الضوضاء.

وضعت جيس قدميها على لوحة قيادة السيارة ووضعت وجهها بين كفيها وقالت: «اللعنة. كيف سنعوض هذا المال يا نات؟ كانت تلك أفضل وظيفة لنا».

- كان منزلًا لا تشوبه شائبة. كانت وظيفة للتلميع مرتين أسبوعيًّا.

حدقت ناتالي عبر النافذة.

- وكانت دائمًا تدفع أجرنا في موعده.

- وتعطينا أشياء.

ظلت جيس ترى ذلك القرط الماسي. لماذا لم تتجاهلاه؟ كان من الأفضل لو أن واحدة منهما سرقته.

- حسنًا، ستستغني عن خدماتنا. لنغير الموضوع يا نات. لا يمكنني البكاء قبل مناوبتي في الحانة.

- إذًا، هل اتصل مارتي هذا الأسبوع؟

- لم أعنِ أن تغيريه لهذا الموضوع.

- إذًا، هل اتصل؟

تنهدت جيس وأجابت: «نعم».

- هل أخبرك لمَ لم يتصل الأسبوع الماضي؟

دفعت ناتالي قدمَي جيس من على لوحة قيادة السيارة.

- لا.

شعرت جيس بناتالي تحدق إليها وأكملت: «وأيضًا. لم يرسل أي أموال».

- بربك، عليك أن تبلغي هيئة دعم الأطفال عنه؛ لا يمكنك الاستمرار هكذا، عليه أن يرسل المال لدعم طفليه.

كان جدالًا قديمًا بينهما. أجابتها جيس: «إنه.. ما يزال على غير طبيعته، لا يمكنني الضغط عليه، فوق هذا ليست لديه وظيفة بعد».

- حسنًا، ستحتاجين إلى هذا المال الآن إلى أن نحصل على عميلة أخرى مثل ليزا ريتر. كيف حال نيكي؟

- أوه، ذهبتُ إلى منزل جيسون فيشر لأتحدث إلى والدته.

- أنتِ تمزحين، هذه المرأة تُخيفني لدرجة لا تُصدَّق، هل قالت إنها ستجعل جيسون يترك نيكي لحاله؟

- شيئًا كهذا.

أبقت ناتالي عينيها على جيس وأخفضت ذقنها مسافة إنشين.

- قالت لي إنني إذا اقتربت من عتبة منزلها فسوف تستمر في ضربي حتى منتصف الأربعاء التالي، أنا و.. ماذا قالت! أنا وابني «غريب الأطوار».

أنزلت جيس المرآة أمام مقعد الراكب ونظرت إلى شعرها ثم ربطته في ذيل حصان وتابعت: «آه، وقالت بعدها إن ابنها جيسون لن يؤذي ذبابة».

- متوقَّع.

- لا يهم، كان نورمان معي وللطفه تغوَّط بجوار سيارتهم التويوتا. لسبب ما، نسيت أنني أحمل حقيبة بلاستيكية في جيبي.

رفعت جيس قدميها مجددًا.

أنزلت ناتالي قدميها من جديد ومسحت لوحة القيادة بمناديل مبللة وقالت ممتعضة: «بجدية يا جيس، كم عامًا مر منذ رحل مارتي؟ عامان؟ عليكِ ركوب الحصان من جديد، أنتِ شابة، لا يمكنكِ الانتظار إلى أن يتحكم بأوضاعه».

- ركوب الحصان؟ لطيف.

- ليام ستابز معجب بكِ، يمكنكِ تمامًا ركوبه كما تعلمين.

- أي زوج قانوني من الكروموسوم إكس يمكنه ركوب ليام ستابز.

أغلقت جيس النافذة وتابعت: «من الأفضل لي قراءة كتاب بدلًا من هذا. وأعتقد أن الأطفال لديهم ما يكفيهم من التوتر في حياتهم دون أن نلعب «قابلوا العم الجديد» حسنًا»، نظرت إلى الأعلى وتجعد أنفها وهي تنظر إلى السماء: «عليَّ أن أبدأ بإعداد الغداء ثم الاستعداد لمناوبتي في الحانة. سأتصل بمجموعة من العملاء قبل أن أذهب ل إن كانوا يحتاجون إلى المزيد من خدماتنا. وربما لا تستغني ليزا ريتر عن خدماتنا، لا تعرفين ما سيحدث».

فتحت ناتالي نافذة السيارة ونفثت خطًّا طويلًا من الدخان ثم قالت: «طبعًا يا دوروثي، ووظيفتنا التالية ستكون تنظيف مدينة الزمرد في نهاية طريق الطوب الأصفر».

كان المنزل رقم أربعة عشر في جادة سي كوف مملوءًا بأصوات انفجارات آتية من بعيد. وفقًا لحسابات تانزي التي أجرتها حديثًا فإن نيكي يقضي 88% من وقت فراغه في غرفته منذ أصبح في السادسة عشرة من عمره، وجيس لا تلومه على هذا.

تركت علبة أدوات تنظيفها في ردهة المنزل وعلقت الجاكيت الذي كانت ترتديه ثم صعدت السلالم، شعرت بالحالة المزرية التي اعتادتها عندما

أحست بملمس سجادتهم النحيلة الرثة وفتحت باب غرفته. كان نيكي يرتدي سماعات ويطلق النار على أحد ما. رائحة الحشيش كانت كافية لإفقادها توازنها.

- نيكي؟

نادته بينما ينفجر شخص وسط شلال من الرصاص.

- نيكي.

ذهبت إليه ورفعت السماعات من على أذنيه ليلتفت إليها بتعبير متحير لوهلة كما لو أنه استيقظ لتوه.

- تعمل بجدٍّ، ها؟

- استراحة مراجعة.

التقطت مطفأة سجائر وأمسكت بها أمامه وقالت: «أظن أني أخبرتك».

- هذا من الأمس، لم أستطع النوم.

- ليس في هذا البيت يا نيكي.

لا جدوى من إخباره بهذا، الكل يفعلها في هذا البيت. قالت في نفسها إنها محظوظة لأنه بدأ في الخامسة عشرة.

انحنت لتلتقط الجوارب والأكواب التائهة من على الأرض وسألته: «هل عادت تانزي؟».

- لا. أوه، اتصلت المدرسة بعد الغداء.

- ماذا؟

كتب شيئًا على الكمبيوتر ثم التفت ليواجهها وأجاب: «لا أعرف، شيئًا عن المدرسة».

في تلك اللحظة رأته. رفعت خصلة من شعره المصبوغ بالأسود وكانت هناك علامة حديثة على وجنته. أخفض رأسه وابتعد فسألت: «هل أنت بخير؟».

هز كتفيه وأشاح بنظره عنها.

- هل لاحقوك مجددًا؟

- أنا بخير.

- لماذا لم تتصل؟

- لا رصيد.

انحنى للوراء وألقى قنبلة افتراضية فانفجرت الشاشة إلى كرة نار.

- الرقم على الطاولة. إذا كان عني، فأنا كنت هناك يوم الجمعة، لا بد أنهم لم يروني فقط.

ارتدى سماعته مجددًا وعاد انتباهه للشاشة.

أتى نيكي للعيش مع جيس بصفة دائمة قبل ثمانية أعوام. كان ابن مارتي من ديلا، امرأة واعدها فترة قصيرة أيام مراهقته. وُلد صامتًا ومتعبًا بأطراف رفيعة طويلة وشهية وعنيفة. تلاشت أمه في علاقة جديدة واختفت في النهاية في مكان بالميدلاندز مع رجل اسمه بيج آل، كان لا ينظر إلى أحد في عينيه مباشرة، ودائمًا ما كان يحمل في يده علبة من تينينتس إكسترا تبدو كقنبلة يدوية في قبضته الضخمة. عُثر على نيكي نائمًا في الخزانات في المدرسة، وعندما اتصلت موظفة الخدمة الاجتماعية أخبرتها جيس أن بإمكانه المجيء إليهم. قالت ناتالي حينها: «هذا ما تحتاجينه، فم آخر لتطعميه».

- إنه ابن زوجي.

- لقد قابلته مرتين في أربعة أعوام، وأنتِ لستِ في العشرين حتى.

- حسنًا، هكذا هي العائلات هذه الأيام. ليست كلها اثنين وأربعة من عشرة.

تساءلت بعدها إذا ما كانت تلك هي القشة الأخيرة التي جعلت مارتي يتنصل من مسؤولية عائلته بالكامل. لكن نيكي كان ولدًا جيدًا تحت الشعر الداكن ومحدَّد العينين. كان لطيفًا مع تانزي وفي أيامه الجيدة كان يتحدث ويضحك ويسمح لجيس بعناق محرج من آن لآخر، وكانت هي سعيدة به حتى وإن شعرت في بعض الأحيان أنها حصلت على شخص إضافي لتشعر بالقلق حياله.

خرجتْ إلى الحديقة ومعها الهاتف وأخذت نفسًا عميقًا ومعدتها معقودة بالقلق.

- إممم.. مرحبًا.. جيسيكا توماس هنا.. وصلتني رسالة لأتصل.

وقفة.

- إذا كان الأمر يتعلق بنيكي، فلقد تفقدت جدول مذاكرته، قال إنه من المسموح تأدية المراجعة في المنزل، وظننت أن هذه هي الطريقة التي يقومون بـــ...

- مسز توماس، كنت أتصل بخصوص تانزي.

قبضة من الذعر، نظرتْ إلى الرقمِ ولاحظته ثم قالت: «تانزي؟ هل... هل كل شيء بخير؟».

- آسف. كان عليَّ أن أوضح، أنا السيد تشانجاراي، معلم الرياضيات الخاص بتانزي.

- أوه.

تصورَته «رجلًا طويلًا في بذلة رمادية بوجه كوجه مدير جنائز».

- أردت التحدث إليكِ لأنه منذ بضعة أسابيع خضت نقاشًا مثيرًا جدًّا للاهتمام مع زميل سابق لي يعمل في سانت آن.

عبست جيس وسألته: «سانت آن؟ المدرسة الخاصة؟».

- نعم، لديهم برنامج يقدم المنح للأطفال شديدي التميز في الرياضيات، وكما تعرفين، فنحن بالفعل قد ميزنا تانزي بوصفها واحدة من الموهوبين والفائقين.

- لأنها جيدة في الرياضيات؟

- أكثر من جيدة، حسنًا، أعطيناها ورقة أسئلة الأسبوع الماضي، لا أدري إن كانت ذكَرَتها؟ وأرسلتُ رسالة للمنزل لكن لم أدرِ إذا رأيتِها.

دققت جيس النظر في السماء.. طارت النوارس في دوائر وخطوط في السماء الرمادية، على بعد بضع حدائق بدأ تيري بلاكستون بالغناء مع الراديو. كان من المعروف عنه أنه يقلد رود ستيوارت تمامًا إذا ظن أنه لا أحد يراه.

- وصلتنا النتائج هذا الصباح وأدت جيدًا. جيدًا جدًّا. يريدون أن يقوموا بإجراء مقابلة معها من أجل منحة مدفوعة إذا كنتِ موافقة يا مسز توماس.

وجدت نفسها تقلده كالببغاء قائلة: «منحة مدفوعة؟».

- تلغي مدرسة سانت آن جزءًا كبيرًا من مصاريف المدرسة لبعض الأطفال ذوي القدرات الاستثنائية. هذا يعني أن تانزي ستحصل على

تعليم بجودة فائقة. لديها قدرات استثنائية فيما يتعلق بالأرقام يا مسز توماس، وأنا أعتقد حقًّا أنها ستكون فرصة رائعة لها.

- سانت آن؟ لكن.. ستحتاج إلى ركوب باص وتعبر به البلدة كلها. ستحتاج الزي المدرسي والأدوات. لـــ... لن تعرف أي أحد هناك.

- ستكون صداقات جديدة. لكن كل هذه تفاصيل يا مسز توماس، لننتظر ونرى ما ستعده المدرسة. تانزي فتاة موهوبة بشكل استثنائي.

توقف عن الحديث. عندما لم تقل أي شيء، أخفض صوته وتابع: «أنا أعلم الرياضيات منذ قرابة اثنين وعشرين عامًا يا مسز توماس، ولم أقابل قط طفلًا يفهم المفاهيم الرياضية كما تفعل تانزي. أعتقد أنها تخطت النقطة التي كان بإمكاني عندها أن أعلمها شيئًا. الخوارزميات والاحتمالات والأرقام الأولية و...».

- حسنًا، هنا أضعتني يا أستاذ تشانجاري. سأكتفي بموهوبة وذكية.

ضحك وقال: «سأكون على اتصال».

وضعت سماعة الهاتف في مكانها وجلست مثقلة على كرسي الحديقة البلاستيكي الأبيض الذي كان موجودًا عندما انتقلوا إلى هذا المنزل، ونمت عليه الآن طبقة رفيعة من العشب الأخضر. حدقت إلى اللاشيء عبر النافذة، وإلى الستائر التي قال مارتي دائمًا إنها لامعة جدًّا، وإلى الدراجة الثلاثية الحمراء التي لم تتخلص منها حتى الآن وأعقاب سجائر الجيران التي تتناثر كالزينة على طريقها، وألواح السياج المتعفنة التي أصر الكلب على تمرير رأسه عبرها. رغم ما أطلقت عليه ناتالي صراحة «تفاؤلها غير المبرر»، وجدت جيس عينيها تفيضان بالدموع فجأة.

هناك الكثير من الأشياء الفظيعة المتعلقة برحيل أب أطفالك، كالمشكلات المادية، والغضب المكبوت على حال أطفالك، والطريقة التي يعاملكِ بها معظم أصدقائك المرتبطين كما لو أنك سارقة أزواج محتملة. لكن الأسوأ من هذا كله، الأسوأ من الصراعات المادية والبدنية التي لا تتوقف ولا ترهق ولا تنتهي. أكثر الأماكن وحدةً على الأرض هو أن تكوني والدة وحدكِ وأنتِ خارج دائرة ما تعرفينه بالكامل.

تانزي

كانت هناك ست وعشرون سيارة في موقف سيارات مدرسة سانت آن، صفان من ثلاث عشرة سيارة لامعة تواجه بعضها بعضًا على كل جانب من الممر الأسفلتي، تدخل وتخرج من مساحاتها بزاوية تعادل الإحدى والأربعين درجة قبل أن تدخل السيارة التالية.

تشاهدها تانزي بينما تعبر أمها الطريق من محطة الحافلة. السائقون يتحدثون على الهواتف مخالفين للقانون أو يتكلمون مع أطفالٍ شقرٍ ذوي عيون واسعة في المقاعد الخلفية. رفعت ماما ذقنها ولعبت بالمفاتيح في يديها كما لو أنها مفاتيح سيارة، وهي وتانزي فقط ركنتا السيارة في مكان ما بالقرب من هنا. ظلت تنظر خلفها وخمنت تانزي أنها قلقة من أن تصادفا أحد عملاء خدمة التنظيف، ويسألهما ماذا تفعلان هنا.

لم تدخل مدرسة سانت آن قط، ولكنها مرت بجانبها في الحافلة عشر مرات على الأقل، لأن طبيب الأسنان الحكومي كان على الطريق نفسه. من الخارج كان هناك شجيرات تمتد إلا ما لا نهاية مقصوصات بزاوية تسعين درجة (تساءلت إذا ما كان البستاني يستخدم منقلة لهذا) وأشجار كبيرة تتدلى أغصانها للأسفل بشكل يوحي بالود، وتغطي مساحات اللعب كما لو أنها مأوى للأطفال تحتها.

لم يقذف التلاميذ في مدرسة سانت آن حقائبهم ناحية رؤوس بعضهم ولم يتجمعوا في زاوية ساحة المدرسة محاصرين أحدًا يدفعونه للحائط ليأخذوا ضريبة من مصروفه. لم يكن هناك مدرسون في أصواتهم التعب يحاولون إدخال الطلبة المراهقين الفصول. الفتيات لم يثنين تنانيرهن ست مرات، ولا سرحن شعورهن من الخلف للأمام. لم يكن هناك شخص واحد

يدخن، والكثير منهم كانوا يرتدون نظارات. ضغطت أمها على يدها برفق. أرادت تانزي ألا تبدو أمها متوترة وسألتها: «المكان لطيف، صحيح يا ماما؟».

أومأت أمها وأجابت بصوت ضعيف: «نعم».

- أستاذ تشانجاري أخبرني أن كل طالب بالصف السادس حصل على امتياز أو امتياز مرتفع بامتحان الرياضيات. هذا جيد، أليس كذلك؟

- مذهل.

سحبت تانزي يد أمها قليلًا لتصلا إلى مكتب المدير أسرع وسألت: «أتعتقدين أن نورمان سيفتقدني وأنا في الأيام الطويلة؟».

- الأيام الطويلة.

- اليوم لا ينتهي حتى السادسة في سانت آن، وهناك نادٍ للرياضيات يومَي الثلاثاء والخميس، وأنا حتمًا سأرغب في الاشتراك.

- تانزي.

قالت هذا ثم توقفت.

- ماما، انظري.

كانت هناك فتاة تمشي وتقرأ كتابًا. حقًّا تقرأ كتابًا. نيكي أخبرها أنه إذا مشيت وأنت تقرئين كتابًا في مدرسة ماك آرثر ستُضربين. كان عليك إخفاؤه كالسجائر.

نظرت أمها إليها. بدت متعبة جدًّا.

كانت دائمًا متعبة هذه الأيام. ابتسمت واحدة من تلك الابتسامات التي لم تكن ابتسامة على الإطلاق ودخلتا مكتب المدير.

- مرحبًا مسز توماس. مرحبًا كونستانزا. سعدت بلقائكما. من فضلكما، تفضلا بالجلوس.

مكتب المدير كان أبيض اللون وذا سقفٍ عالٍ ومزينًا تمامًا مثل كعكة زفاف بزهور بيضاء صغيرة من الجبس كل عشرين سنتيمترًا ووردات صغيرة في المنتصف تمامًا بينها. كانت الغرفة ملأى حتى عينها بالأثاث الكلاسيكي، ومن الفراندا يمكنك رؤية رجل بفرشاة مدورة يتحرك ذهابًا وإيابًا على أرضية ملعب الكريكيت. وضع شخص ما صينية عليها قهوة

وبسكويت منزلي الصنع على طاولة صغيرة. استغرق الأمر بضع دقائق حتى أدركت تانزي أنهم وضعوها لهما. سألت: «هل يمكنني أخذ واحدة؟».

فقربها المدير إليها وقال: «بالطبع».

تمتمت أمها: «وفمك مغلق».

كان لذيذًا للغاية، ومن الواضح أنه خُبز في المنزل. كانت ماما تخبز لهم البسكويت قبل أن يرحل بابا، وكان طعمه مثل طعم هذا البسكويت تمامًا. جلست على حافة الكنبة ونظرت إلى الرجلين اللذين يجلسان مقابلها. الرجل ذو الشارب ابتسم لها كما تبتسم لها ممرضة قبل أن تعطيها حقنة. وضعت ماما حقيبتها في حجرها وكان بإمكان تانزي أن تراها تمسكها بيدها في الزاوية التي عضها ومضغها نورمان. قدماها كانتا تهتزان.

- هذا الأستاذ كروكشانك، رئيس قسم الرياضيات، وأنا الأستاذ دالي. أنا مدير المدرسة منذ عامين وحتى الآن.

صافحتهما وابتسمت هي الأخرى. كان على تانزي مصافحتهما أيضًا، لكن كل ما سمعته كان «رئيس قسم الرياضيات». رفعت عينيها عن البسكويت وسألته: «هل تدرسان الأوتار في الدائرة؟».

- نعم.
- والاحتمالات؟
- ندرسها أيضًا.

مال الأستاذ كروكشانك إلى الأمام وقال: «تفحصنا نتائج اختباراتك يا كونستانزا، ونعتقد أن عليكِ أخذ امتحان شهادة التعليم الثانوي العام لتنتهي منه الآن، لأنني أعتقد أنكِ ستستمتعين بحل مسائل المستوى المتقدم».

نظرت إليه وسألته: «هل لديك أوراق حقًّا؟».

- لدي البعض في المكتب المقابل. هل تريدين رؤيتها؟

لم تصدق أنه يسأل حتى. فكرت لوهلة أن تجيبه بـ «طبعًا. داه» بشكل ساخر كما يفعل نيكي، لكنها اكتفت بأن أومأت.

أعطى الأستاذ دالي كوبًا من القهوة لماما وقال: «سأدخل في الموضوع يا مسز توماس. أنتِ تعرفين بلا شك أن ابنتك تتمتع بقدرات استثنائية. لم نرَ

نتائج اختبارات كهذه من قبل إلا في حالة واحدة لطالبة هنا أصبحت فيما بعد زميل ماجستير في جامعة ترينيتي».

أومأت تانزي رغم أنها كانت شبه متأكدة أنها لا تريد أن تكون فتى[1]. الجميع يعرف أن الفتيات أفضل في الرياضيات على أي حال.

استمر الأستاذ دالي في حديثه طويلًا. تجاهلت ما قاله فترةً لأنها كانت مركزة على عدد البسكويت الذي يمكنها تناوله، لذلك فإن ما سمعته كان فقط: «صممنا منحة مفتوحة للجميع بشكل متساوٍ لمجموعة ضئيلة من الطلبة الذين أظهروا قدرات استثنائية» بلا بلا بلا... «ستوفر هذه المنحة مميزات الالتحاق بمدرسة كهذه لطالب لم تتوفر له فرصة حقيقية لإظهار قدراته» بلا بلا بلا... «بينما نحن متحمسون جدًّا لنرى كم ستتقدم كونستانزا في علم الرياضيات، ما زلنا نريد أن نتأكد من أنها طالبة متكاملة في كل شؤون الحياة الطلابية. لدينا منهج كامل للرياضة والموسيقى» بلا بلا بلا... «الطلبة المتفوقون في الرياضيات يتفوقون أيضًا في اللغات» بلا بلا بلا... و«المسرح أيضًا شعبي جدًّا لدى الفتيات في عمرها».

أخبرته تانزي: «أحب فقط الرياضيات والكلاب».

- حسنًا، ليس لدينا الكثير من الخيارات فيما يتعلق بالكلاب، لكننا بالتأكيد سنوفر لكِ الفرص لتتوسعي في الرياضيات، لكنني أعتقد أنك ستفاجئين بالأشياء الأخرى التي يمكن أن تستمتعي بها. هل تعزفين أي آلات موسيقية؟

هزت رأسها نافية.

- هل تتعلمين أي لغات؟

ساد الصمت في الغرفة قليلًا.

- هل لديكِ أي اهتمامات أخرى؟

قالت ماما: «نذهب للسباحة أيام الجمعة».

- لم نذهب للسباحة منذ رحل بابا.

ابتسمت ماما، لكن ابتسامتها كانت غريبة.

- ذهبنا يا تانزي.

---

(1) Fellow هنا تأتي بمعنى طالب دراسات عليا أو فتى زميل.

- مرة واحدة في الثالث عشر من مايو، لكنكِ الآن تعملين أيام الجمعة.

تبدلت بابتسامتها ابتسامة غريبة عندها، كأنها لا تستطيع إبقاء أطراف فمها مرفوعة كما يفترض بها.

خرج الأستاذ كروكشانك من الغرفة وعاد بعدها بلحظات مع أوراقه. وضعت آخر قطعة من البسكويتة في فمها وذهبت وجلست بجانبه. كان معها الكثير من الأوراق. مواضيع لم تبدأها هي بعد!

شرعت في تفحص الأوراق معه تخبره بما فعلته وفي الخلفية تسمع صوتَي ماما والمدير يتحاوران: «نحن واعون جدًّا بالمخاطر السيكولوجية وغيرها التي يمكن أن تحدث إذا شجعنا الأطفال على التطور في اتجاه واحد» بلا بلا بلا... «إذا أتت كونستانزا إلينا، فنحن بينما سنعتبر قدراتها في الرياضيات إضافة، فإن رعايتها ستكون...».

بدا لها أن المحادثة تجري على خير. تركت تانزي انتباهها يتركز على ما هو أمامها على الصفحة، لربما كانت نظرية التجديد.

- نعم.

قالها الأستاذ كروكشانك بهدوء وإصبعه على الصفحة.

- لكن الشيء الغريب في عملية التجديد هو أننا إذا انتظرنا وقتًا محددًا ثم تفحصنا فترات التجديد فيه، فمن المتوقع أنها ستكون أكبر من فترات التجديد في حجم عادي.

كانت تعرف عن هذا! سألته: «إذًا ستستغرق القردة وقتًا أطول لكتابة ماكبث؟».

ابتسم.

- هذا هو. لم أكن متأكدًا إن درستِ نظرية التجديد.

- لم أدرسها حقًّا، لكن الأستاذ تشانجاري أخبرني عنها مرة وقرأت عنها على الإنترنت. أعجبتني فكرة القردة تلك.

قلبت في الصفحات أمامها. كان هناك الكثير والكثير منها. الأرقام غنت لها، كان بإمكانها أن تسمع همهمة دماغها تحثها بقوة على قراءتها جميعًا. عرفت أن عليها الالتحاق بهذه المدرسة.

- ماما، هل بإمكاننا أن نأخذ بعضًا من هذه الأوراق؟

لم يكن من عادتها قطع حديث أحد، لكنها كانت متحمسة جدًّا لدرجة أنها نسيت آدابها.

نظر الأستاذ دالي ناحيتها، ولم يبدُ أنه مانع الآداب المنسية.

- أستاذ كروكشانك، هل لدينا أي نسخ من هذه الأوراق؟

- يمكنكِ أخذها.

أعطاها إليها! بهذه السهولة! بدأت تانزي تتصفحها. في الخارج رن جرس وسمعت أصوات أطفال يمشون عند نافذة المكتب وأقدامهم تصدر أصواتًا على الأسفلت. أخرجت رأسها لتنظر إليهم. أرادت أن تعرف إذا ما كان هناك آخرون يقرؤون كتبًا.

- إذًا، ماذا يحدث تاليًا؟

- نريد أن نعرض على كونستانزا.. تانزي.. منحة.

أخذ ملفًّا لامعًا من على الطاولة وقال: «إليكِ منشورنا والوثائق التي تخصنا، تغطي المنحة 90% من مصاريف المدرسة، وهذه أقيَم منحة عرضتها المدرسة في تاريخها. في العادة نعرض تغطية 50% من المصروفات كحد أقصى نظرًا إلى قائمة الانتظار الطويلة للطلبة الذين يرغبون في الالتحاق بهذه المدرسة. هذه المنحة الجديدة مصممة لتحتفي بالأطفال ذوي القدرات الاستثنائية».

قالت تانزي: «مثلي».

- مثلك.

أمسك الطبق وقدمه إليها. استبدلوا بالبسكويت في الطبق آخر جديدًا بطريقة ما. هذه حقًّا المدرسة الأفضل.

وضعت أمها البسكويت على طبق فنجانها وقالت: «تسعون في المئة».

- أنا مقدر للالتزامات المادية الأخرى الموجودة، وكذلك الزي المدرسي ومصاريف التنقلات وأي أشياء إضافية سترغب بها مثل الموسيقى والرحلات المدرسية، لكنني أريد التوكيد على أن هذه فرصة مذهلة.

مال ناحيتها.

- نريدكِ أن تلتحقي بهذه المدرسة يا تانزي، أخبرنا معلم الرياضيات الخاص بكِ أن العمل معكِ متعة.

قالت وهي تمد يدها لأخذ بسكويتة أخرى: «أحب المدرسة. أعرف أن كثيرًا من أصدقائي يعتقدون أنها مملة، لكنني أفضِّل المدرسة عن المنزل».

ضحكوا مُحرجين.

- ليس بسببكِ يا ماما.

أخذت بسكويتة أخرى وتابعت: «لكن أمي تعمل كثيرًا».

صمت الجميع.

قال الأستاذ كروكشانك: «كلنا نعمل كثيرًا هذه الأيام».

- حسنًا، أعطيناكما الكثير لتتدبراه، وأنا متأكد أن لديكما أسئلة أخرى تريدان أن تطرحاها علينا، لكن لمَ لا تشربان قهوتيكما بينما نتحدث، وبعدها سأحضر أحد الطلبة ليريكما باقي المدرسة؟ وبعدها يمكنكما مناقشة الأمر فيما بينكما.

في ذلك المساء ذهبت ماما إلى غرفة نيكي في الدور العلوي وجعلته يشغل سكايب على جهازه. كل أحد كانت ترسل رسالة لبابا، وتشغل الكمبيوتر عند جدتها لتتحدث تانزي إليه. تجلس على مكتب نيكي وتحاول ألا يتشتت انتباهها بالصورة الصغيرة لها في زاوية الشاشة. دائمًا ما تجعلها تلك الصورة تشعر بأن لها رأسًا غريب الشكل.

لكن اليوم لم يكن الأحد.

كانت تانزي في الأسفل تقذف الكرات لنورمان في الحديقة. كانت مصرة أنه في يوم ما سيجلب الكرة ويعيدها إليها. قرأت في مكان ما أن التكرار يزيد من احتمالية تعلم حيوان أن يفعل شيئًا أربعة أضعاف، لكنها لم تكن متأكدة أن نورمان يستطيع العد.

تبنوا نورمان من ملجأ للحيوانات عندما رحل بابا وظلت ماما مستيقظة لإحدى عشرة ليلة لأنها كانت قلقة أنهم سيُقتلون في أَسِرتهم عندما يدرك الجميع أن بابا قد رحل. أخبرهم مركز الإنقاذ أنه رائع مع الأطفال وكلب حراسة مذهل، وظلت ماما تقول: «لكنه كبير جدًّا».

أجابوها بابتسامات مبهجة: «هذا يجعله رادعًا أفضل. وهل أخبرناكِ أنه رائع مع الأطفال؟».

عامان بعدها، قالت ماما إن نورمان آلة ضخمة تخصُّصها الأكل والتغوط. يمشي حول المنزل تاركًا خلفه شعره وروائحه الكريهة. يترك لعابه على الوسائد ويعوي في الليل وأقدامه الضخمة تتحرك كما لو أنه يسبح. قالت ماما إن مركز الإنقاذ كان محقًّا، لن يقتحم أحد منزلهم خوفًا من أن يقتلهم نورمان بغازاته.

استسلمت وأوقفت محاولاتها لمنعه من دخول غرفة تانزي. عندما تستيقظ تانزي في الصباح يكون دائمًا ممددًا على ثلاثة أرباع السرير وأقدامه المشعرة على الغطاء تاركًا إياها ترتجف تحت زاوية صغيرة من الغطاء. كانت ماما تتمتم حول شعر الكلاب والنظافة لكن تانزي لم تمانع. كان بينهما وبين نورمان رابطة مميزة، وكانت تعرف أنه سيظهر هذا يومًا ما.

أتى نيكي وهي في الثانية من عمرها. ذهبت تانزي إلى الفراش ذات ليلة واستيقظت لتجده في الغرفة الإضافية، ماما قالت إنه سيبقى معهم وإنه شقيقها. لم تكن متيقنة من وجود رابطة خاصة بينهما رغم أنهما يتشاركان 50% من حمضهما النووي. سألته تانزي في مرة عما يعتقد أنهما يتشاركان في حمضهما النووي فأجابها بأن لهما «الجين الغريب للفاشلين» نفسه. ظنت أنه يمزح وقتها، لكنها لم تعرف ما يكفي عن الجينات وعلم الوراثة لتتأكد.

كانت تغسل الأطباق تحت صنبور المياه خارج المنزل عندما سمعتهما يتحدثان. نافذة نيكي كانت مفتوحة ووصلت أصواتهما إلى الحديقة.

سأل نيكي: «هل دفعتِ فاتورة المياه؟».

- لا. لم تتوافر فرصة لأذهب إلى مكتب البريد.

- مكتوب عليها إنذار أخير.

- أعلم أنه إنذار أخير.

كانت ماما غاضبة كما هي عادتها عندما يتحدثان عن النقود. ساد صمت قصير، أحضر نورمان الكرة وتركها بالقرب من قدميها. سكنت الكرة في مكانها مغطاة باللعاب ومقرفة.

- آسفة يا نيكي، عليَّ.. عليَّ أن أنهي هذه المحادثة أولًا. سأحل مشكلة الفاتورة صباح الغد، أعدك. هل تريد التحدث مع والدك؟

عرفت تانزي الإجابة قبل أن تسمعها، نيكي لا يرغب في التحدث مع بابا أبدًا.

- هاي.

تحركتُ إلى أن أصبحتُ أسفل النافذة مباشرة ووقفت هادئة تمامًا. تمكنت من سماع صوت بابا.

- هل كل شيء بخير؟

بدا بابا متوترًا. تساءلتْ إذا ما كان يعتقد أن شيئًا سيئًا قد حدث. ربما يعود إليهم إذا ظن أن تانزي مصابة باللوكيميا. شاهدتْ فيلمًا على التلفزيون ذات مرة وكان والدا البطلة مطلقَين ثم عادا لبعضهما بعضًا لأنها كانت مصابة باللوكيميا. لم ترد تانزي أن تصاب باللوكيميا لأن الإبر تسبب إغماءها ولأن لديها شعرًا رائعًا.

- كل شيء على ما يرام.

أجابته ماما ولم تخبره عن تعرُّض نيكي للضرب.

- ما الأمر؟

وقفة.

سألته ماما: «هل غيرت أمك الديكور؟».

- ماذا؟

- ورق حائط جديد.

- آه، هذا.

غيروا ورق الحائط في منزل الجدة؟ أحست تانزي بشعور غريب. يعيش بابا والجدة في بيت قد لا يمكنها التعرف عليه الآن، مر 348 يومًا منذ آخر مرة رأت فيها بابا، و433 يومًا منذ آخر مرة رأت فيها الجدة.

- أريد التحدث إليك بخصوص تعليم تانزي.

- لماذا؟ هل تلعب ولا تدرس؟

- لا شيء كهذا يا مارتي، عرضوا عليها منحة للالتحاق بسانت آن.

- سانت آن؟

- يعتقدون أن مستواها في الرياضيات استثنائي.

- سانت آن...

قالها بنبرة محملة بعدم التصديق.

- أعرف أنها ذكية، لكن...

بدا لها من نبرته أنه سعيد. أسندت ظهرها إلى الحائط ووقفت على أطراف أصابعها لتسمعه بشكل أفضل، لعله يعلن عودته إليهم بعدما عرف أنها ستذهب إلى سانت آن.

- فتاتنا الصغيرة في مدرسة الأغنياء تلك، ها؟

ملأ صوته الفخر، تخيلته تانزي يجهز ما سيقوله لرفاقه في الحانة، لكنه لا يمكنه الذهاب إلى الحانة لأنه دائمًا ما يقول لماما إنه لا يملك أي مال ليرفه عن نفسه.

- ما المشكلة إذًا؟

- حسنًا، إنها منحة كبيرة، لكنها لا تغطي التكاليف كلها.

- ما يعني...؟

- ما يعني أننا سنحتاج إلى العثور على خمسمئة جنيهٍ كل ترم، والزي المدرسي، وخمسمئة أخرى مصاريف التسجيل.

امتد الصمت طويلًا حتى تساءلت تانزي إذا ما كان الكمبيوتر تعطل.

- أخبروني أنه يمكننا طلب منحة احتياج بعد مرور عام. معونة أو شيء كهذا تحصل به على مزيد من الدعم إذا كانت حالتك تستحق، لكن علينا أن نجمع قرابة ألفَي جنيه لنتمكن من تكفل عامها الأول.

بعدها ضحك بابا، حقًّا ضحك.

- أنتِ تمزحين معي، صحيح؟

- لا، أنا لا أمزح.

- كيف لي أن أجد ألفَي جنيه يا جيس؟

- ظننت أنني ســـ...

- ليس لدي وظيفة جدية بعد، لا شيء متاح هنا، وأنا... أنا أحاول أن أقف على رجلي من جديد، آسف يا حبيبتي، لكن الأمر غير ممكن.

- ألا يمكن لأمك أن تساعدنا؟ قد يكون لديها بعض المدخرات، هل يمكنني التحدث إليها؟

- لا، إنها... في الخارج، ولا أريد منكِ أن تطلبي منها المال، لديها ما يكفيها من الهموم.

- أنا لن أطلب منها المال يا مارتي. ظننت فقط أنها ستريد مساعدة أحفادها الوحيدين.

- ليسوا أحفادها الوحيدين بعد الآن، ولدت إلينا صبيًّا.

وقفت تانزي ساكنة تمامًا.

- لم أكن أعرف أنها حامل حتى.

- آه، كنت سأخبرك.

تانزي لديها ابن عمة رضيع ولم تكن تعرف حتى. نام نورمان على ظهره عند قدميها ونظر إليها بعينيه البُنيتين الواسعتين ثم دار للناحية الأخرى ببطء متأوهًا كأنه فعل أصعب شيء في الكون عندما قرر النوم على الأرض. ظل ينظر إليها منتظرًا أن تفرك معدته، لكنها كانت مركزة تمامًا على محاولة الاستماع.

- حسنًا... ماذا لو بعنا الرولز؟

- لا يمكنني بيع الرولز، سأبدأ العمل في حفلات الزفاف من جديد.

- السيارة في جراجنا تجمع الصدأ منذ قرابة عامين.

- أعرف، وسآتي لآخذها. ليس لدي مكان آمن لأضعها فيه هنا.

اكتسبت الأصوات تلك الحدة الآن، غالبًا ما تنتهي محادثاتهما هكذا، يبدآن وماما تتكلم بلطف ثم يحدث شيء ليجعلهما مقتضبَين ومتوترَين تجاه أحدهما الآخر.

سمعت ماما تتنفس نفسًا عميقًا وتقول: «هل يمكنك على الأقل أن تفكر في الأمر يا مارتي؟ تانزي حقًّا حقًّا تريد الالتحاق بتلك المدرسة بشدة، حقًّا تريد ذلك. عندما تحدَّث معلم الرياضيات إليها أشرق وجهها كما لم أره منذ...».

- منذ رحلت.

- لم أعنِها هكذا.

- إذًا كل شيء غلطتي.

- لا، كل شيء ليس غلطتك يا مارتي، لكنني لن أتظاهر بأن غيابك كان سهلًا عليهما. تانزي لا تفهم لماذا لا تأتي لزيارتها، لا تفهم لمَ بالكاد يمكنها أن تراك الآن.

- لا يمكنني تحمل تكاليف التنقلات يا جيس، وأنتِ تعرفين هذا. لا جدوى من فتح الموضوع كل مرة نتحدث. كنت مريضًا.

- أعرف أنك كنت مريضًا.

- أخبرتكِ أن بإمكانها أن تأتي لزيارتي متى شاءت. أرسليهما كليهما في عطلة منتصف الفصل الدراسي.

- لا أستطيع، إنهما صغيران على السفر هذه المسافة بمفردهما، ولا أستطيع تحمل تكاليف سفر ثلاثتنا.

- وهذه أيضًا غلطتي.

- آه يا ربي.

غرزت تانزي أظافرها في كف يدها وظل نورمان يتطلع إليها منتظرًا.

- لا أريد أن أتجادل معك يا مارتي.

أخبرته ماما هذا بصوت خفيض حذِر كصوت معلم يحاول أن يشرح لك شيئًا من المفترض أنك تعرفه بالفعل.

- أريدك فقط أن تفكر في ما إذا كانت هناك وسيلة يمكنك أن تساهم بها في مصاريفها. سيغير هذا حياة تانزي، سيعني أنها لن تكافح بالطريقة التي... نكافح بها.

- لا يمكنكِ قول هذا.

- ماذا تعني؟

- ألا تشاهدين الأخبار يا جيس؟ الخريجون عاطلون جميعهم، لا يهم أي نوع من التعليم تحظى به، سيظل عليها أن تقاتل وسيظل عليها أن تكافح.

توقف للحظة.

- لا، لا يوجد سبب لنعقرب حالنا أكثر بالدين لأجل هذا، بالتأكيد ستخبرك مدارس كهذه بأنها مدارس مميزة، وأنها مميزة، وأن فرصها في الحياة ستكون مذهلة إذا التحقت بتلك المدرسة إلخ إلخ. هذا ما يفعلونه.

لم تقل ماما أي شيء.

- لا، إذا كانت بالذكاء الذي تصفينه فستتمكن من شق طريقها بنفسها، سيتحتم عليها الذهاب إلى ماك آرثر مثلما يفعل الجميع.

- مثل أبناء الحرام الذين يستثمرون وقتهم في تحطيم وجه نيكي، والفتيات اللاتي يضعن أربعة إنشات من المكياج ولا يشاركن في حصص التربية الرياضية خوفًا من كسر ظفر. لن تندمج معهم هناك يا مارتي، لن يمكنها.

- الآن تتحدثين كشخص متغطرس.

- لا، أنا أتحدث كشخص يتقبل أن ابنته مختلفة قليلًا، وأنها قد تحتاج إلى مدرسة ترحب بهذا الاختلاف.

- آسف يا جيس، لا يمكنني المساعدة.

بدا منشغلًا الآن كما لو أنه سمع صوتًا في الخارج.

- عليَّ الذهاب، اجعليها تحدثني على سكايب يوم الأحد.

امتد صمت طويل عدت فيه تانزي إلى الرقم أربعة عشر. سمعت الباب يُفتح وصوت نيكي يقول: «جرت المحادثة بشكل جيد إذًا».

انحنت وفركت معدة نورمان وأغمضت عينيها حتى لا يرى الدمعة التي سقطت عليها.

- هل اشترينا تذاكر يانصيب مؤخرًا؟

- لا.

امتد الصمت تسع ثوانٍ ثم تعالى صوت ماما في الهواء الساكن معلنًا: «حسنًا، أعتقد أن علينا البدء».

إد

كان إد يشرب القهوة مع رونان في غرفة المبدعين عندما دخل سيدني وخلفه رجل بدا مألوفًا لإد. واحد آخر من البذلات الرمادية الكئيبة وتعبير الوجه الذي يوحي بأن العالم انتهى. كانا يشبهان بمظهريهما هذا زوجين من شهود يهوه.

- كنا نبحث عنك.

- حسنًا، لقد وجدتماني.

- ليس رونان، بل أنت.

تفحصهما لوهلة منتظرًا ثم قذف كرة إسفنجية حمراء ناحية السقف وأمسكها. نظر ناحية رونان بجانبه. اشترت شركة إنفيستكورب نصف حصص الشركة منذ ثمانية عشر شهرًا لكنه ما زال إلى الآن يتذكرهم كـ «البذلات»، وهي واحد من الألقاب الألطف التي يطلقها عليهم في سره.

- أتعرف امرأة تُدعى دِيانا لويس؟

- لماذا؟

- هل أعطيتها أي معلومات عن إطلاق السوفت وير الجديد؟

- ماذا؟

- إنه سؤال بسيط.

تنقَّل إد بنظره بينهما. الجو كان مشحونًا بشكل غريب ومعدته التي شعر بأنها كالمصعد المزدحم هبطت ببطء ناحية قدميه.

- ربما تحدثنا بشكل ودي عن العمل، لا أتذكر أي شيء محدد.

سأل رونان: «دِيانا لويس؟».

- عليك أن تكون أكثر دقة بهذا الشأن يا إد. هل أعطيتها أي معلومات عن إطلاق SFAX؟

- لا. ربما. ما هذا؟

- الشرطة بالأسفل الآن يفتشون مكتبك ومعهم شخصان يبدوان كالمجرمين المأجورين من هيئة الرقابة المالية. اعتقلوا شقيقها بتهمة التداول الداخلي بناءً على المعلومات التي أعطيتها لها عن إطلاق السوفت وير.

- ديانا لويس؟ ديانا لويس خاصتنا؟

- ها ها ها! هذا مضحك.

بدأ رونان يمسح عدستَي نظارته كما هي عادته عندما يشعر بالقلق.

- ديانا لويس خاصتكما؟

- نعرفها منذ الجامعة.

- تعرفانها منذ الجامعة؟ حسنًا، صندوق التحوط الذي يديره شقيقها ربح 2.6 مليون دولار في يومه الأول في التداول، هي فقط أضافت مئة وتسعة وتسعين ألفًا إلى حسابها الشخصي.

لم يضحكا على هذا.

- صندوق تحوط شقيقها؟

- نعم، صندوق تحوطه.

سألهما رونان: «لا أفهم، ما هذا؟».

- سأشرح لك بالتفصيل. لدينا تسجيل لديانا لويس وهي تخبر شقيقها أن إد أخبرها عن إطلاق SFAX، قالت إن إد أخبرها أنه سيكون ضخمًا. خمن ماذا حدث تاليًا؟ بعد يومين نجد أن صندوق شقيقها أحد أكبر مشتري الحصص. ماذا أخبرتها تحديدًا؟

حدق رونان إلى إد بينما صارع الأخير لاستجماع شتات أفكاره، عندما ازدرد ريقه كان صوته عاليًا بشكلٍ مخزٍ. أتته النظرات الفضولية من فوق الحوائط التي تقسم مساحات العمل من كل جهة في المكتب.

- لم أخبرها أي شيء.

رمش.

- لا أدري، ربما أخبرتها بشيء، ليس كأنني أفصحت بأسرارٍ حكومية.

- إنه سر حكومي لعين يا إد. ما فعلته يسمى بالتداول الداخلي. أخبرت أخاها بأنك أطلعتها على تواريخ وأوقات وأخبرته أن الشركة ستربح ثروة.

- إذًا فهي تكذب! تقول أي شيء. كانت بيننا... علاقة.

- أردت أن تنام مع الفتاة فأخبرتها بأسرار الشركة؟

- لم يحدث الأمر هكذا.

- هل مارست الجنس مع ديانا لويس؟

شعر إد بعينَي رونان قصيرتَي النظر تحدقان إليه بشدة. رفع سيدني يديه والتفت للرجلين وراءه.

- عليك التواصل مع محاميك.

- لكن لمَ أنا واقع في مشكلة؟ لم أتربح مما حدث بأي شكل.

- صندوق تحوط مايكل لويس كان أكبر مستثمر في شركة ماي فلاي في الأسبوع الذي سبق إطلاق SFAX.

- لم يكن لدي أي فكرة أن شقيقها يدير صندوق تحوط.

نظر سيدني خلفه ووجدْ كل الوجوه المتابعة شيئًا مثيرًا للاهتمام لينظروا إليه على مكاتبهم وتابع هو حديثه مخفضًا صوته.

- عليك الذهاب الآن، يريدون استجوابك في قسم الشرطة.

- ماذا؟ هذا جنوني، لدي اجتماع خلال عشرين دقيقة. لن أذهب إلى قسم الشرطة.

- وبديهيًّا سنوقفك عن العمل حتى نصل إلى الإجابات التي نبحث عنها بهذا الشأن.

ضحك إد في وجهه.

- أتمزح معي؟ لا يمكنك إيقافي عن العمل، هذه شركتي.

قذف الكرة الإسفنجية ناحية الحائط والتقطها مديرًا ظهره إليهما. لم يتحرك أحد.

- هذه شركتنا. أخبرهم يا رونان.

نظر إلى رونان لكن رونان أشاح بنظره عنه، نظر إد إلى سيدني لكن سيدني اكتفى بهز رأسه، ثم نظر إلى الرجلين في الزي الرسمي اللذين ظهرا خلفه. نظر إلى سكرتيرته التي غطت فمها بيدها والطريق الممهد بسجاده الممتد من مكانه وحتى باب المكتب والكرة الإسفنجية التي سقطت بلا دوي على الأرض بين قدميه.

ديانا لويس. لم تكن الأجمل ولكنها بالتأكيد كانت واحدة من اللاتي حصلن على تقييم عالٍ في نظام «فتيات يمكنك أن تكون معهن دون الحاجة إلى أن تشرب أربعة أكواب من الجعة أولًا» الذي ابتدعه إد ورونان. كأنها كانت لتنظر إلى أيٍّ منهما. توقع أنهما بدوا ككلبين يشاهدان همبرجر متجولًا عندما دخلت مركز علوم الحاسب.

يمكنه أن يراهن أنها لم تلحظه مرة واحدة طوال ثلاثة أعوام، ما عدا تلك المرة التي كان الجو فيها يمطر بغزارة بينما هي في محطة الباص وطلبت منه أن يوصلها بسيارته الميني إلى سكن الطلبة. انعقد لسانه طوال الطريق وهي جالسة في كرسي الراكب الأمامي فلم يقل حتى كلمة اللهم إلا «عفوًا» عندما أوصلها إلى وجهتها. هذه الكلمة تمكنت من أن تقال بعلو ثلاثة أوكتاف. نظرت إليه كأنها تخبره أن يشاهد الكثير من المسلسلات الأسترالية الرخيصة ثم انحنت لتزيل أكياس البطاطس المقلية من نعل البوت الذي كانت ترتديه وترميها بنعومة تحت مقعد الراكب الأمامي.

لو كان إد مفتونًا بها بشدة في الماضي، فإن رونان كان ولهًا حينها. أثقله حبها كأنه في كارتون وعليه وزن لرفع الأثقال، وكل آماله لأن تبادله المشاعر مبنية على أدلة أتفه من ذرة تراب. نظم لها الشعر، وأرسل لها زهورًا دون بطاقة في عيد الحب، وابتسم لها ابتسامات آملة وهما في طابور العشاء، وحاول ألا يبدو محطمًا عندما لم تلحظه. في النهاية اتخذت مشاعره منحى فلسفيًّا، استغرق الأمر ثلاثة أعوام فقط. فهم هو وإد أن فتاة بجمالها وموقعها الذي يفوقهما في هيكلية الحرم الجامعي لن تلتفت لأيٍّ منهما، وبعدما تخرجا وأنشآ شركتهما وتبدلت بأفكارهما المرتبطة بالنساء أفكار مرتبطة بالسوفت وير حتى أصبح السوفت وير الأمر الذي يفضلان التفكير فيه، تلاشت ديانا لويس إلى ذلك الركن في ذاكرتهما الذي تستحضره بعدما تشرب أكثر مما

يجب وأردت أن تُري زملاءك في العمل أنه كان لك حياة اجتماعية في الجامعة وأنك لم تمضِ ثلاث سنوات كاملة عالقًا وراء شاشة. سيقولون فيما بينهم بأعين غير مركزة كما لو أنهم يرونها تطفو فوق رؤوسهم بالتصوير البطيء: «آه.. ديانا لويس». أو عندما تكون امرأة ما واقفة أمام الباب سيقولون: «إنها جميلة، ولكنها ليست لويس».

وبعد ذلك، منذ ثلاثة أشهر مضت، بعدما مرَّ ستةُ أشهر على رحيل لارا ومعها شقة روما ونصف محتوى حافظة أسهم إد وما بقي من رغبته في العلاقات، تواصلت معه ديانا لويس عبر فيسبوك. كانت مستقرة في نيويورك لعامين، لكنها عائدة الآن وتريد أن تقابل بعض أصدقائها القدامى من الجامعة. أيتذكر رينا؟ وسام؟ أهو متاح ليشربا معًا في أي وقت؟

وبعد ذلك كان يشعر بالخزي لأنه لم يخبر رونان. واسى نفسه بأن قال إن رونان مشغول بالتحديث الجديد للسوفت وير، استغرقه الأمر سنوات ليتخطى ديانا وكان في بداية علاقته بتلك الفتاة من مطبخ الحساء غير الربحي، فلِمَ يعيد التقليب في الدفاتر القديمة؟ حقيقة الأمر أن إد كان عالقًا في مستنقع ما بعد الطلاق، ولم يكن في موعد غرامي منذ زمن، وجزء منه أراد أن ترى ما أصبح عليه منذ بيعت الشركة.

لأنه كما اتضح فإن النقود يمكنها أن تشتري شخصًا يهندم ملابسك ويعتني ببشرتك وشعرك، وتشتري مدربًا شخصيًّا. لم يعد مظهر إد نيكولز مظهر المهووس معقود اللسان في سيارته الميني، لم يبدُ عليه الثراء الفاحش، لكنه يعرف أنه في عمر الثالثة والثلاثين كان متعطرًا بثرائه بشكل محسوس وغير مرئي.

تقابلا في حانة في سوهو، واعتذرت له لأن رينا -أيتذكر رينا؟- تخلفت عن موعدهم في اللحظة الأخيرة؛ لديها مولود. رفعت حاجبها بسخرية عابرة وهي تخبره. أدرك بعدها بفترة طويلة أن سام لم يأتِ مطلقًا، ولم تسأله هي ولو مرة عن رونان. لم يستطع التوقف عن التحديق إليها، بدت كما كانت في الجامعة، ولكن أفضل. لديها شعر داكن مقصوص بشكل جميل، متجمع بحيوية على كتفيها كأنها موديل في إعلان شامبو، كما فقدت آثار الدهون الطفولية في خديها. كانت ألطف مما تذكرها، أكثر آدمية. ضحكت على نكاته، وبين الحين والآخر -عندما نظر إليها بطرفَي عينيه- رآها ترمش

لرؤياه، ولاحظ لمحات من المفاجأة فيهما لأنه ليس الشخص الذي تتذكره. أشعره هذا بإحساس جيد.

افترقا بعد ساعتين، وتفاجأ جزء منه عندما اتصلت به لتقترح أن يتقابلا مجددًا. ذهبا إلى نادٍ ليلي في تلك الليلة، ورقص معها، وعندما رفعت يديها فوق رأسها، تخيلها مثبتة إلى سرير. أخبرته وهي تشرب شرابها الثالث أو الرابع أنها خرجت لتوها من علاقة. قال المعتاد كله. أخبرها عن زوجته السابقة لارا، وكيف أعلمته أن عملها سيكون دائمًا حبها الأول وأن عليها تركه لتُبقي على سلامتها العقلية.

- ميلودرامية قليلًا.

- إنها إيطالية وممثلة. إن كل شيء ميلودرامي معها.

- كان.

صححتها له وأبقت عينيها على عينيه وهي تقولها. سألته عن العمل وكانت واضحة في إعجابها بما صنعه بالشركة.

- أنا فظيعة تمامًا فيما يتعلق بالتكنولوجيا، لكن هذا مذهل.

بدأ خطابها يكتسب ملامح لكنة أمريكية. مالت ساقها على ساقه.

حاول أن يشرح لها، وراقبت هي فمه بينما تحدث، الأمر الذي كان مشتتًا بشكل غريب. أخبرها كل شيء: النماذج الأولية للاختبار التي صنعها مع رونان في غرفة نومه، أعطال السوفت وير، الاجتماع الذي عقداه مع رجل أعمال كبير وفر لهما رحلة طيران إلى تكساس في طائرته الخاصة، وسبهما عندما رفضا عرضه لشراء حصتيهما من الشركة.

أخبرها عن اليوم الذي طرحا فيه أسهمهما في السوق، وكيف جلس على حافة حوض استحمامه وراقب أسعار الأسهم ترتفع وترتفع على هاتفه وبدأ يرتعش عندما أدرك كيف أن حياته كلها ستتغير.

- أأنت بهذا الثراء؟

- أموري بخير.

- عرِّف بخير.

كان مدركًا لأن كلامه يظهره بمظهر سخيف.

- حسنًا، كانت أموري أفضل حتى الطلاق، من الواضح أنني.. أعيش بشكل جيد. تعرفين، أنا لست مهتمًّا بالمال.

هز كتفيه وتابع: «أنا فقط أحب ما أفعله، أحب الشركة وأحب أن أترجم أفكاري إلى أشياء تعمل ويستخدمها الناس».

- لكنك بعتها؟

- أصبحت أكبر من اللازم، وأخبروني أننا إذا بعناها فإن الرجال في البذلات سيتولون أمور الماديات. لم أكن قط مهتمًّا بهذا الجانب من الأمور، كل ما في الأمر أنني أملك الكثير من الحصص.

حدق إليها وقال: «شعركِ جميل حقًّا».

لم تكن لديه أدنى فكرة لمَ قال هذا.

قبَّلته في التاكسي. أدارت ديانا لويس وجهه ليواجهها ببطء بيدها ذات المانيكير المثالي وقبَّلته. رغم مرور اثني عشر عامًا -اثني عشر عامًا تزوج فيها إد نيكولز بعارضة/ممثلة/أيٍّ كان فترة قصيرة- صوت صغير في رأسه ظل يردد: «ديانا لويس تُقبلني». ولم تكن فقط تقبله، التصقت به وقبلت وجهه وعنقه وأدخلت يديها أسفل قميصه حتى فقد قدرته على الكلام والتفكير، وعندما ذهب لدفع أجرة التاكسي خرجت الكلمات من فمه ثقيلة وغبية ولم يكتفِ بأنه لم ينتظر للحصول على باقي نقوده بل لم ينظر حتى إلى رزمة النقود التي أعطاها للسائق.

الجنس كان رائعًا. آه، كان حقًّا رائعًا. كانت تعرف حركات كأنها من أفلام إباحية. في شهوره الأخيرة مع لارا شعر أن الجنس بينهما كمعروف تعطيه له معتمدًا على قواعد هي وحدها تفهمها، كأن أعطاها ما يكفي من اهتمامه أو إن خرج معها على العشاء أو أدرك كيف أنه جرح مشاعرها. أحيانًا بعدها كانت توليه ظهرها كأنه أهانها بفعل فظيع.

عندما نظرت إليه ديانا لويس عاريًا لمعت عيناها بشيء من الجوع. آه يا إلهي، ديانا لويس.

بعدها استلقت على السرير وأشعلت سيجارة وأخبرته: «نادرًا ما أدخن الآن، لكن بعد ما حدث...».

وضحكت ضحكة مبحوحة.

- لعل عليَّ أنا الآخر أن أبدأ التدخين.

بعدها أرضته بفمها بمهارة استثنائية لدرجة جعلته يشك أن الجيران في الأسفل سيبدؤون هم أيضًا بالتدخين.

بقيتْ مع إد في الليلة التالية، وذهبتْ إلى منزلها على مضض. كان تعيش مع شقيقها في فولهام في أسبوع العمل، ومع والديها في بريستول في عطلة نهاية الأسبوع. في أول أسبوع لهما أرسلت له الإيميلات يوميًّا واتصلت به ثلاث مرات. لم يخبر رونان. راسلها من فراشه وحاسوبه يضيء كمحيط مشع وسط غطائه الكبير، وحاول ألا يفكر فيها. أخبر نفسه أنهما يمرحان معًا وأن ما بينهما ليس جديًّا، كما أنه لم يكن من المحتمل أن يقابلها رونان على أي حال.

كما أنه هو وديانا كليهما مرًّا لتوهما بانفصالات صعبة. تناقشا فيما بينهما عن سلبيتهما فيما يتعلق بالعلاقات الآن وكيف أنه من الجيد أن تجد نفسك بنفسك. في ليلة ما، بعد ما شرب بضع كؤوس، وأحس بالحزن، توقف قرابة ثلاثين ثانية ثم راسلها.

- تعالي معي في نهاية الأسبوع.

- لا يمكنني.

أتته الإجابة.

- لمَ؟

- مفلسة.

تذكر إد كيف أحس وشعرها ملتف حول أصابعه، وكيف كان لطيفًا أن يحتل أحد غير لارا مساحة في رأسه وكتب: «سأدفع، تعالي».

وصلت ليلة جمعة. تجولا في حانات محلية، وذهبا في رحلة نهرية، وتناولا غداءهما في بار. تخللت يدها بيده ووجد نفسه ينظر إلى يديهما المرتبطتين ويصيح بداخله: «ديانا لويس! أنا أضاجع دانا لويس!».

كانت مرحة وباهرة، ولديها ابتسامة تجعلك تردها بابتسامة، وكان من الرائع أن تمارس الجنس دون إحساس بالذنب مع شخص لم تكن خائفًا من أن يسرق محفظتك وأنت نائم.

في ليلة الأحد تناولا وجبة لذيذة وشربا الكثير من الشامبانيا ثم اتجها إلى منزله وكانت ترتدي ملابس داخلية حريرية سوداء غريبة لها شرائط على الجانبين تشدهما فتتفكك وتنسدل على فخذيها كالماء. لفت سيجارة حشيش

بعدها، وهو لم يدخن في العادة لكنه شعر برأسه يلف ويدور بشكل لذيذ، ووضع أصابعه في شعرها الحريري الداكن وأحس أن الحياة جيدة جدًّا.

قالت له: «لقد أخبرت والديَّ عنا».

كان يواجه صعوبة في التركيز.

- والديك؟

- أنت لا تمانع، صحيح؟ إنه فقط عظيم.. الشعور بأنني.. أنتمي إلى شيء ما مجددًا، أتدري؟

وجد إد نفسه يحدق إلى نقطة على الحائط. أخبر نفسه أنه لا بأس، الكثير من الناس يخبرون والديهم بأشياء، حتى بعد أسبوعين.

ابتسمت له ابتسامة واسعة وقالت: «كنت مكتئبة جدًّا، والآن أشعر أنني.. سعيدة، يعني سعيدة بجنون، يعني أستيقظ وأنا أفكر فيك، يعني كل شيء سيكون على ما يرام».

أحس بجفاف غريب في فمه ولم يكن متأكدًا إذا ما كان هذا تأثير سيجارة الحشيش.

- مكتئبة؟

- أنا بخير الآن. أهلي أشخاص طيبون، وبعد نوبتي الأخيرة أخذوني لطبيب وأحضروا لي حبوبًا، والحبوب بالتأكيد ساعدتني. من المفترض أنها تقلل مستوى ضبط النفس، لكن يمكنني أن أقول إن أحدًا اشتكى من ذلك! هاهاهاها!

أعطاها سيجارة الحشيش.

- أنا فقط أشعر بالأشياء بعنف، أتدري؟ يقول طبيبي إنني حساسة بشكل استثنائي. بعض الأشخاص يتقافزون في محطات الحياة، أنا لست منهم. أحيانًا أقرأ عن حيوان يحتضر أو طفل يُقتل في مكان ما في بلد آخر، وحرفيًّا أبكي طيلة اليوم. كنت على هذه الشاكلة في الجامعة أيضًا، ألا تتذكر؟

- لا.

نظرت إليه، كان شعرها يغطي نصف وجهها فنفخته.

- من المحبط أن تخسر وظيفتك ومنزلك، ليس لديك أدنى فكرة عن أن تكون مفلسًا تمامًا.

نظرت إليه كأنها تقرر ماذا تخبره.

- أعني مفلسًا كليًّا.

- ماذا.. ماذا تقصدين؟

- حسنًا، أنا مدينة لحبيبي السابق بالكثير من المال، لكنني أخبرته أنني لا أستطيع رده، لدي الكثير من الديون على بطاقة ائتماني في الوقت الحالي. ومع ذلك يتصل بي ويتحدث مطولًا عن الأمر. يوترني هذا جدًّا، لا يفهم كيف أتوتر.

- كم المبلغ الذي نتحدث عنه؟

أخبرته فاتسعت عيناه من الذهول.

- ولا تعرض عليَّ أن تقرضني إياه. لن آخذ نقودًا من حبيبي، هذا يعقد الأمور. لكن الأمر كله بشع مثل كابوس.

حاول إد ألا يفكر في المعنى وراء استخدامها كلمة «حبيبي».

أخفض عينيه إليها ولمح شفتها السفلى ترتعش. ازدرد ريقه وسألها: «أأنت بخير؟».

أتت ابتسامتها أسرع من اللازم وأوسع من اللازم عندما أجابته: «أنا بخير! بفضلك، أنا حقًّا بخير الآن».

مررت إصبعها على صدره وتابعت: «على أي حال، من اللطيف ألا أفكر في الأمر. الخروج لتناول وجبات فخمة دون التساؤل عن كيف سأتحمل تكلفتها يشبه النعيم».

في تلك الليلة نامت وإحدى ساقيها فوقه، بينما استلقى إد صاحيًا متمنيًا أن يكون بإمكانه الاتصال برونان.

عادت مجددًا الجمعة التالية والجمعة التي تليها. لم تلاحظ تلميحاته عن الأمور التي يتوجب عليه فعلها في نهاية الأسبوع. أعطاها والدها نقودًا ليتناولا وجبة.

- يقول إنها راحة له أن يراني سعيدة من جديد.

أخبرها أن لديه نزلة برد عندما أتته تتقافز عابرةً الطريق من اتجاه محطة المترو، ومن الأفضل ألا تقبله.

- لا أمانع، كل ما لديك لي.

قالتها وربطت نفسها بوجهه ثلاثين ثانية كاملة.

أكلا في مطعم بيتزا محلي. بدأ يشعر بهلع مبهم كرد فعل لرؤيتها. كانت لديها «مشاعر» عن أشياء معينة طوال الوقت، رؤية حافلة حمراء يشعرها بالسعادة، ومنظر أصيص ذابل في نافذة مقهى يجعلها تدر دموعًا بسيطة. كانت مبالغًا فيها من كل ناحية. ابتسمت لعدد مبالغ فيه من الناس، وأحيانًا كانت تنشغل بالكلام لدرجة أنها تنسى أن تغلق فمها في أثناء مضغ الطعام. كانت تتبول في شقته وباب الحمام مفتوح والصوت المنبعث كان كأن هناك حصانًا زائرًا يقضي حاجته.

لم يكن مستعدًّا لهذا. كانت تحتاج إليه أكثر من اللازم، وكانت انفعالية أكثر من اللازم، وكانت كل شيء أكثر من اللازم. أراد إد أن ينعزل في شقته، أراد صمتًا ونظام روتينه اليومي، لم يصدق أنه كان يومًا وحيدًا.

في تلك الليلة أخبرها أنه لا يريد أن يمارس الجنس.

- انا متعب حقًّا.

- أنا متأكدة من أنه بإمكاني تنشيطك...

بدأت تتحرك للأسفل تحت الغطاء وتوجب عليه أن يشدها للأعلى. تبع هذا عراك صغير كان ليكون مضحكًا في ظروف أخرى، وهو يحاول بيأس أن يرفعها عنه من إبطيها.

- حقًّا يا ديانا. ليس.. ليس الآن.

- يمكننا أن نحضن بعضنا بعضًا ونجلس معًا إذًا. الآن تأكدت أنك لا تريدني لأجل جسمي!

لفت ذراعه حولها وأصدرت صوتًا ضئيلًا مسرورًا يشبه الأنين كأنها حيوان صغير.

استلقى إد نيكولز هناك في الظلام بعينين مفتوحتين على اتساعهما. لقد نسي خلال أعوام زواجه الأربعة من لارا كيف يمكن أن يتحول أحد 180°

بسرعة في خيالك فيصبح شخصًا ستمزق أعضاءك بأسنانك لتهرب منه بعد أن كان أكثر شخص تشتهيه في حياتك. أخذ نفسًا.

- إذًا.. يا ديانا.. أمم.. عليَّ السفر في رحلة عمل الأسبوع المقبل.

- أستذهب إلى مكان لطيف؟

حركت إصبعها بطول فخذه.

- أممم.. جنيف.

- أووه، لطيف! أأختبئ في حقيبتك؟

- ماذا؟

- يمكنني أن أنتظرك في غرفتك في الفندق. عندما تعود من اجتماعاتك، يمكنني حل انعقاد حاجبيك.

ملست على جبهته بإصبعها وأخذ الأمر كل قوته ألا يتراجع.

- حقًّا؟ هذا لطيف، لكنها ليست هذا النوع من الرحلات.

- أنت محظوظ جدًّا. أحب السفر، إذا لم أكن مفلسة بهذه الدرجة لكنت على متن طائرة في لحظتها.

- حقًّا؟

- إنه شغفي. أحببت كوني روحًا غير مقيدة تذهب حيث ترسلها أهواؤها.

مالت على جانبها وأخذت سيجارة من العلبة التي على الكومودينو.

- إذًا أترغبين في السفر مجددًا؟

- سأذهب سريعًا كأنني طلقة.

ظل مستلقيًا هناك لوهلة، يفكر.

- ألديكِ أي أسهم أو حصص؟

نهضت من فوقه وأسندت ظهرها على وسادتها.

- لدي القليل، أعتقد أن جدتي تركتها لي. مئة حصة في اتحاد بناء، ومائتان في وولورثز. هاه.

ضحكت قليلًا وتابعت: «ولا تقترح عليَّ أن أضارب في البورصة يا إد، ليس لدي ما يكفي لأراهن به».

خرجت الكلمات من فمه قبل أن يفكر فيما يقول.

- ليس رهانًا.
- ما هو الذي ليس رهانًا؟
- سنطلق شيئًا خلال بضعة أسابيع. سيغير الساحة.
- شيء؟
- لا يمكنني أن أخبركِ بالكثير بشأنه، لكننا نعمل عليه منذ مدة. سيزيد من قيمة أسهمنا بشكل هائل، فريق الأعمال لدينا متحمس بشأنه.

كانت صامتة بجواره.

- أعني، أنا أعرف أننا لم نتحدث كثيرًا عن عملي، لكن هذا سيربحك كميات كبيرة من المال.

لم تبد مقتنعة.

- أتطلب مني أن أراهن بآخر جنيهات أملكها على شيء لا أعرف حتى اسمه؟
- لا تحتاجين إلى أن تعرفي اسمه. كل ما تحتاجين إليه هو أن تشتري بعض الحصص في شركتي.

مال على جانبه وتابع: «هاكِ، اجمعي بضعة آلاف الجنيهات وأضمن لكِ أنه في خلال أسبوعين سيكون معكِ المال الكافي لتردي ديونك لحبيبك السابق، وبعدها ستكونين حرة! سيمكنكِ فعل ما تشائين! الذهاب حيثما تشائين!».

امتد بينهما صمت طويل.

- أهكذا تتربح يا إد نيكولز؟ تسحر النساء إلى الفراش وتجعلهن يشترين حصصًا في شركتك بآلاف الجنيهات؟
- لا، إنه...

التفت إليها وأدرك أنها تمازحه. تتبعت جانب وجهه وقالت: «أنت تعاملني بلطف، وهذه لفتة لطيفة منك، لكنني لا أملك آلافًا من الجنيهات في مكان ما الآن».

خرجت الكلمات من فمه قبل أن يدرك ما سيقوله حتى.

- سأقرضك إياها. إذا ربحتِ أموالًا، ردي إليَّ الدين، وإذا لم تربحي، فستكون غلطتي لأنني أعطيتكِ نصيحة سيئة.

بدأت تضحك ثم توقفت عندما أدركت أنه لا يمزح.

- أستفعل هذا من أجلي؟

هز إد كتفيه.

- بصراحة؟ خمسة آلاف لن تشكل فارقًا بالنسبة إليَّ الآن. و«*سأدفع خمسة أضعاف هذا المبلغ إن كان هذا يعني أنكِ سترحلين*».

اتسعت عيناها وقالت: «واو. هذا ألطف شيء فعله أحد لأجلي».

- أوه، أشك في ذلك.

حرر لها شيكًا قبل أن ترحل في الصباح التالي، كانت هي تسرح شعرها وتضعه في مشبك شعر وتلعب بتعابير وجهها أمام المرآة. انبعثت منها رائحة تفاح خافتة.

- لا تكتب اسمًا فيه. سأجعل أخي يشتري الحصص لي، يبرع في الأمور المتعلقة بالأسهم والحصص وما إلى ذلك.

أخبرته هذا عندما أدركت ماذا يفعل ثم سألت: «مجددًا، ماذا سأشتري؟».

- أأنتِ جادة؟

- لا يمكنني التحكم بهذا، لا أستطيع التفكير بقربك.

- سأرد لك الدين في أقرب فرصة. أعدك.

تراجع إد خطوة للوراء وأخذ إحدى بطاقات شركته.

- تفضلي، هذا هو اسم الشركة. وافعلي ما ناقشناه، أعدكِ أنه سيساعد. لا نريدك أن تشعري بأنكِ مقيدة!

قتل الصوت المنذر في رأسه وتنقلت بهجته المزيفة بين حوائط الشقة.

رد إد على إيميلاتها كلها تقريبًا، كان مبتهجًا ولم يلتزم بأي شيء. قال إنه من اللطيف أنه أمضى وقتًا مع شخص يتفهم غرابة الخروج من علاقة جدية وأهمية أن تقضي وقتًا مع نفسك. لم ترد على ذلك الإيميل. لم تقل شيئًا محددًا عن إطلاق منتجهم الجديد، أو أن سعر أسهمهم ارتفع بشكل جنوني، وهو أمر غريب. يفترض أنها ربحت أكثر من مئة ألف جنيه. لعلها كانت مشغولة بخرق صورة له بالدبابيس، أو لعلها أضاعت الشيك، أو لعلها الآن في جوادالوبي. كلما فكر فيما فعل تنقلب معدته. حاول ألا يفكر فيه.

غيَّر رقم هاتفه وقال لنفسه إنه نسي أن يخبرها بهذا عَرَضًا، وأخذ عدد إيميلاتها يقل في النهاية. مضى شهران، أخذ رونان وخرجا مرتين، تذمر فيهما من البذلات واستمع لرونان وهو يستعرض مميزات فتاة مطبخ الحساء الخيري وعيوبها، وشعر أنه تعلم درسًا قيمًا. أو تفادى كارثة، لم يكن متأكدًا أيهما الأصح. وبعد أسبوعين من إطلاق SFAX كان مسترخيًا في غرفة المبدعين يلعب بكرته الإسفنجية فيلقيها ناحية الحائط ويستمع إلى رونان يناقش الطريقة الأمثل لحل عطل في سوفت وير الدفع عندما دخل مديرهم المالي سيدني، وأدرك إد أن هناك مشكلات أسوأ بكثير من حبيبة شديدة التعلق.

- إد.

- نعم؟

وقفة قصيرة.

- أهكذا ترد على مكالمات الهاتف؟ جديًّا؟ متى تحديدًا ستكتسب بعض المهارات الاجتماعية؟

- أهلًا يا جيما.

تنهد إد وتحرك إلى أن جلس على السرير.

- أخبرتني أنك ستتصل. منذ أسبوع. فظننت أنك عالق تحت قطعة أثاث كبيرة أو شيء من هذا القبيل.

نظر إلى غرفته، إلى جاكيت البذلة المعلق على الكرسي والساعة التي تؤشر على السابعة والربع وفرك قفاه.

- آه، حسنًا، طرأت أمور.

- اتصلت بمكان عملك وقالوا إنك هنا. أأنت مريض؟

- لا، لست مريضًا، فقط.. أعمل على شيء.

- هل يعني هذا أنك ستأتي لزيارة بابا؟

أغمض عينيه.

- أنا مشغول نوعًا ما في هذه الفترة.

التف الصمت حولهما ثقيلًا وتخيل أخته على الخط بفك منقبض وعينين موجهتين نحو السماء.

- يسأل عنك. يسأل عنك منذ فترة طويلة.

- سآتي يا جيم. فقط.. أنا.. أنا لست في المدينة، لدي بعض الأمور التي عليَّ الاهتمام بها.

- كلنا لدينا أمور علينا الاهتمام بها. اتصل به فحسب، حسنًا؟ حتى إذا لم يكن بإمكانك المجيء لزيارته بواحدة من سياراتك الفارهة الثماني عشرة، اتصل به. نقلوه إلى جناح فيكتوريا، سيمررون له الهاتف إذا اتصلت به.

- أوكي.

ظن أنها ستنهي المكالمة، لكنها لم تفعل.

سمع تنهيدة صغيرة.

- أنا حقًّا متعبة يا إد، مديريَّ ليسوا متفهمين ولا يساعدونني في أخذ إجازات، لذلك عليَّ الذهاب كل نهاية أسبوع. ماما بالكاد يمكنها تحمل هذا. أنا حقًّا حقًّا في حاجة إلى دعمك هنا.

شعر بشيء من الذنب، لم يكن من عادة شقيقته الشكوى.

- أخبرتكِ أنني سأحاول المجيء.

- قلت هذا الأسبوع الماضي. انظر، يمكنك القيادة إلى هنا في أربع ساعات.

- لست في لندن.

- أين أنت؟

- في الساحل الجنوبي.

- أنت في إجازة؟

- ليست إجازة. الوضع معقد.

- لا يمكنه أن يكون بهذا التعقيد، ليس لديك أي التزامات.

- نعم، شكرًا لتذكيري.

- أوه، إنها شركتك. أنت من تضع القواعد، صحيح؟ اعطِ نفسك أسبوعين إضافيين من الإجازة.

صمت طويل آخر قطعته شقيقته أخيرًا.

- أنت تتصرف بغرابة.

تنفس إد عميقًا قبل أن يرد.

- سأحلها، أعدكِ.

- حسنًا، واتصِل بماما.

- سأفعل.

سمع صوتًا وانقطع الخط.

حدق إلى هاتفه للحظة ثم اتصل بمكتب محاميه. حولوه إلى الآنسر ماشين في لحظتها.

فتح مكتب التحقيقات كل درج في شقته. لم ينتزعوها من أماكنها ويلقوها أرضًا كما يفعلون في الأفلام، بل فتشوا بشكل ممنهج مرتدين قفازات ومفتشين بين كل تيشيرتاته وملفاته. أخذوا كلا لابتوبَّيه وكذلك فلاشته وهاتفيه. كان عليه التوقيع على أخذ هذا كله كأنهم يفعلونها لمصلحته. قال له محاميه: «غادر المدينة يا إد، فقط ارحل وحاول ألا تفكر في الموضوع كثيرًا. سأتصل بك إذا احتجتك هنا».

فتشوا هذا المكان أيضًا على ما يبدو. كانت ممتلكاته شحيحة لدرجة أنهم استغرقوا أقل من ساعة.

نظر إد حوله في غرفة منزله الصيفي والملاءات والغطاء الجديدين من بلجيكا مرتبين من قِبل عمال التنظيف هذا الصباح، وإلى أدراجه التي احتوت الجينز وبنطلونًا وجوارب وتيشيرتات للطوارئ.

أخبره سيدني: «غادر المدينة، إذا اكتشف أحد ما حدث سيدمر هذا سعر حصصنا».

لم يتحدث معه رونان منذ ذلك اليوم الذي أتت فيه الشرطة إلى مكتبهم.

حدق إلى هاتفه. لم يكن هناك شخص واحد يمكنه أن يكلمه دون الحاجة إلى شرح ما حدث باستثناء جيما. كل من يعرفهم هم في مجال التكنولوجيا، وعدا رونان، لم يكن متأكدًا في هذه اللحظة مَن مِن هؤلاء يمكن اعتباره

صديقًا حقيقيًا. حدق إلى الحائط وفكر في أنه في الأسبوع الماضي ذهب بسيارته إلى لندن أربع مرات بلا سبب ولا دواعي عمل، فقط لم يكن يدري ماذا يفعل بنفسه. استدعى أحداث المساء الماضي في ذهنه وتذكر عندما كان غاضبًا، من ديانا لويس ومن سيدني ومن اللعنة التي حلت على حياته، ثم قذف زجاجة من النبيذ الأبيض ناحية الحائط بعنف وكسرها. تساءل عن احتمالية تكراره لهذا إذا تُرك مع نفسه.

لم يكن هناك مفر. ارتدى جاكيته وأخذ مفاتيحه من الخزانة المغلقة بجوار الباب ثم اتجه ناحية سيارته.

جيس

دائمًا ما كان هناك شيء مختلف في تانزي، في عمر العام كانت ترتب مكعباتها حسب الشكل، ثم تأخذ واحدًا أو اثنين لتصنع أشكالًا جديدة. في عمر العامين كانت مهووسة بالأرقام، قبل أن تدخل المدرسة كانت تتفحص الكتب الملأى بالمسائل الحسابية وتطرح أسئلة مثل لماذا يكتب الرقم واحد 1 وليس 2؟ أو تخبر جيس أن الضرب ما هو إلا وسيلة مختلفة للجمع. في عمر السادسة كان يمكنها شرح الأنماط والمضلعات.

لم يرُق هذا لمارتي، أشعره بعدم الراحة، لكن كل شيء لا يتفق مع «الطبيعي» يشعره بعدم الراحة. كان هذا مصدر سعادة تانزي، الجلوس هكذا وحل مسائل رياضية لم يفهماها. في المناسبات النادرة التي شرفتهم فيها أُم مارتي، كانت تناديها ساخرة «دودة الكتب»، كما لو أنها هوية منفرة.

- إذًا، ماذا ستفعلين؟

- لا يوجد ما يمكنني فعله حاليًّا.

- ألن يكون غريبًا أن تختلط بطلبة المدارس الخاصة هؤلاء؟

- لا أدري. سيكون، لكن هذه ستكون مشكلتنا لا مشكلتها؟

- ماذا لو شعرت بغربة عنك؟ ماذا لو اعتادت حياة الطبقة الراقية وشعرت بالخزي من أصلها؟

- ماذا؟

- أنا فقط أخبرك، أعتقد أن هذا يمكن أن يؤذيها. أعتقد أنه قد ينسيها جذورها.

نظرت جيس إلى ناتالي التي كانت تقود حينها وقالت: «أصلها أسوأ مكان في العالم يا نات. إذا كان سيجعلها تنسى أصلها، فأنا سأكون سعيدة إن أصيبت بالزهايمر المبكر».

حدث تغيير غريب منذ أخبرت جيس ناتالي بموضوع المقابلة، كأنها أخذتها بشكل شخصي. ظلت تتحدث وتتحدث طيلة الصباح عن كيف أن أطفالها سعداء في مدرستهم الحكومية، وكيف أنها ممتنة لكونهم «طبيعيين» وكيف أنه لا يخدم الأطفال كونهم «مختلفين».

حقيقة الأمر كما تراه جيس هو أن تانزي خرجت من تلك المقابلة في حالتها الأكثر حماسًا منذ شهور. نجحت بنتيجة 100% في الرياضيات و99% في مسائل المنطق غير اللفظي (كانت متضايقة من الـ 1% الذي خسرته). الأستاذ تشانجاري اتصل بها وأخبرها أن هنالك طرقًا أخرى للحصول على التمويل. سماها بـ «التفاصيل» مرارًا وتكرارًا، ولم تستطع جيس إلا أن تفكر في أن الأشخاص الذين يعتقدون أن النقود مجرد تفصيلة هم الناس الذين لم يقلقوا بسبب أمور مادية في حياتهم.

- تدرين، سيتوجب عليها ارتداء ذلك الزي المدرسي السخيف.

قالت ناتالي هذا عندما وصلتا إلى بيتشفرونت.

أجابتها جيس منزعجة: «لن ترتدي الزي المدرسي السخيف».

- إذًا ستتعرض للتنمر لأنها لن تشبههم.

- لن ترتدي الزي السخيف لأنها لن تذهب. ليس لدي أي أمل في إلحاقها يا ناتالي، أوكي؟

خرجت جيس من السيارة وأغلقت الباب بعنف ثم مشت أسرع من ناتالي لتتجنب سماع المزيد منها.

وحدهم السكان المحليون من يسمون بيتشفرونت بـ «بارك الإجازات»، مطوروا المكان سموه «وجهة لمريدي المنتجعات»، لأنه لم يكن مجرد بارك للعطلات مثل كرافان سي برايت في أعلى التل المملوء بعربات السكن الـ RV التي أنهكتها الرياح والخيم الموسمية. بيتشفرونت فرونت كان تجمعًا من مساحات سكن مصممة بإعجاز معماري في وسط مساحات خضراء منمقة محددة وسط غابات. كان به نادٍ وسبا وملاعب تنس ومجمع حمامات سباحة لم يسمحوا للسكان المحليين باستخدامها في نهاية الأمر، وكذلك محلات

مميزة وأكثر من سوبر ماركت صغير ليقوا المقيمين شر الخروج للأماكن الخطيرة -دون المستوى- خارج المنتجع.

كل ثلاثاء وخميس وجمعة تنظف شركة بنسون وتوماس وحدتين مكونتين من ثلاث غرف مُطلتين على الكلوب هاوس، ثم الوحدات الأحدث: ستة منازل معاصرة بواجهات زجاجية على منحدر طباشيري تواجه البحر مباشرة.

ترك مستر نيكولز سيارته الأودي اللامعة أمام وحدته ولم ترياها تتحرك من مكانها ولو مرة. أتت امرأة مرة أو اثنتين ومعها طفلان صغيران ورجل بدا عليه الإنهاك قالت إنها شقيقته (تركوا المنزل نظيفًا تمامًا). مستر نيكولز نفسه نادرًا ما يأتي لزيارة المكان، وفي الأعوام كلها التي عملتا فيها لحسابه لم يستخدم المطبخ أو غرفة الغسيل ولو مرة. كسبت جيس أموالًا إضافية من تحضير فوطه وملاءاته عبر غسلها وكيِّها أسبوعيًّا استعدادًا لضيوف لا يأتون أبدًا.

كان منزلًا ضخمًا تتردد الأصداء عبر أرضياته اللامعة، وغرف المعيشة فيه مغطاة بسجاجيد بلون أعشاب البحر، وفي جدرانه نظام صوتي حديث. بوابات المنزل الزجاجية مطلة على الأفق الأزرق الواسع، لكن لم تكن هناك صور على الحوائط، ولا أي شيء يوحي بوجود حياة في المنزل. دائمًا ما تقول ناتالي إنه حتى عندما يأتي مستر نيكولز إلى المنزل، يعيش كما لو أنه يخيم فيه. بالتأكيد مر على المنزل نساء -في مرة وجدت ناتالي أحمر شفاه في الحمام، والعام الماضي وجدتا ملابس داخلية مُخرمة (ماركة لا بيرلا) تحت السرير مع القطعة العلوية من بيكيني- لكن البيت لم يتوفر فيه ما يعطي تلميحات عن حقيقة مستر نيكولز.

فكرت جيس في منزلها بسلالمه الضيقة التي تصدر صريرًا، وورق الحائط المتقشر، وعلى غير عادتها (من النادر لها أن تقارن منازل عملائها بمنزلها؛ هذا سيقود للجنون) شعرت برغبة في هذا المكان. هذا رجل لم يعلق أحبال غسيل على سلم الدور العلوي أو لم يعد لديه مكان ليضع كتبه. هذا رجل لم يقلق قط ألا يجد مالًا لمصاريف المدرسة.

تمتمت ناتالي: «إنه هنا».

سمعتا صوتًا يتردد من آخر الرواق وهما تغلقان الباب، صوتًا عاليًا بنبرة جدالية كما لو أنه يتحدث في الهاتف. غيرت ناتالي تعابير وجهها لوجه ساخر ونظرت إلى جيس ثم مشت ببطء في الرواق.

نادت لتعلمه بوجودهما «عاملات التنظيف». لم يرد، لكنه سمع.

استمر الجدال طيلة فترة تنظيفهما للمطبخ (استخدم كوبًا واحدًا، وكانت في القمامة علبتا طعام جاهز). كان هناك زجاج مكسور في الزاوية عند الثلاجة، شظايا صغيرة خضراء، كأن أحدًا جمع القطع الكبيرة وتجاهل الباقي، وكان هناك نبيذ على الحائط، نظفته جيس بحذر. كانت رائحة المكان كخمارة، وكان مستر نيكولز مستمرًّا في صياحه. لم تسمع ما يقوله، لأن بابه كان مواربًا وبعيدًا عنها، لكن مع هذا كان إحباطه واضحًا، وإن كان مكممًا ومخففًا بالمسافة. عملت هي وناتالي في صمت، تتحدثان همسًا إذا تحدثتا محاولتين التظاهر أنهما لا تسمعانه.

عندما انتهتا من تنظيف المطبخ اتجهت ناتالي لغرفة المعيشة وتحركت جيس متجهة إلى الرواق. نظفت الحمام بالدور الأسفل ثم غرفة الطعام بطاولتها المصنوعة من خشب البلوط الفاتح والمتلائمة مع الكراسي. لمَّعت أُطر الصور بقماشة ناعمة وحركتها سنتيمترًا او اثنين لتُظهر أنها نظفتها. في الفناء الخارجي هناك زجاجة فارغة من جاك دانيالز مع كأس واحدة. التقطتهما وأخذتهما للداخل.

فكرت في نيكي وهي تغسل. عاد من المدرسة البارحة بجرح في أذنه وتراب على ركبتَي الجينز الذي كان يرتديه. تجنب محاولاتها للحديث عن الأمر. حياته الأفضل الآن هي حياته وهو محاط بأناس على الجانب الآخر من الشاشة، أولاد لم تقابلهم جيس قط ولن تفعل، أولاد أسماؤهم Sk8RBOI وTERM-N-ATOR يطلقون الرصاص على بعضهم بعضًا ويستمتعون بنزع أحشاء بعضهم بعضًا في اللعبة، لكن من يلومه؟ حياته الحقيقية أقرب لمنطقة الحرب منها إلى الألعاب.

فكرتْ في تانزي وفي كيف بدت وهي تتحدث إلى معلم الرياضيات ذاك. من بعد المقابلة ظلت جيس تستلقي صاحية في سريرها تجمع وتطرح بطريقة كانت لتجعل تانزي تضحك لو رأتها. لم تفارق المنحة ذهنها قط، اقتحمت عقلها واستقرت كألم مزمن في الأسنان، وظلت جيس مشغولة البال تحاول أن تفكر في أي حل لتصنع من نقودها الشحيحة جبالًا من المال. في خيالها، باعت أملاكها وسجلت لائحة بكل شخص يمكنها اقتراض المال

منه وبمن لن يمانع إن تأخرت في تسديد الدين. فكرت في الأشخاص الذين سيوافقون في الغالب أو سيرفضون في الغالب -أمها وعمتها نيل في دورست والمعلم المتقاعد الذي كانت تنظف شقته، والذي قال دائمًا إن تانزي فتاة لامعة- لكن بينما تستطيع تسوُّل خمسين جنيهًا هنا وهناك، لم تعتقد أن أحدًا يمكنه إقراضها عشرة أضعاف المبلغ. لم تعرف أحدًا يملك هذا المبلغ حتى.

الوحيدون الذين يمكنهم توفير المال لجيس هم أسماك القرش الذين يحومون حول منزلها ويطلبون فوائد مكونة من أربعة أرقام. رأت جيرانها يقترضون من مفوضيهم الودودين الذين تحولوا فيما بعد إلى طيور جارحة تحوم حولهم. عادت بأفكارها مرة بعد مرة إلى ما قاله مارتي. هل ارتضاؤهم بمدرسة ماك آرثر بهذا السوء؟ هناك أطفال يؤدون جيدًا هناك، ولا يوجد ما يمنع تانزي من أن تكون واحدة منهم إذا ابتعدت عن المشاغبين.

اصطدمت بالحقيقة كأنها حائط صلب. على جيس أن تخبر ابنتها أنها لم تتمكن من إيجاد سبيل. جيس توماس، المرأة التي قضت حياتها تخبرهما أن «لكل شيء حلًّا» لم تجد حلًّا لهذا.

أنهت تنظيف غرفة الطعام حيث لا يتناول أحد الطعام، ولاحظت نوعًا ما أن الصياح توقف. لا بد أن مستر نيكولز أنهى مكالمته أخيرًا. أخذت المكنسة الكهربائية ومشت بها في الرواق مغمضةً عينيها في ألم عندما ارتطمت بساقها، ثم طرقت الباب لتسأله إذا رغب في أن تنظف غرفة مكتبه. طرقت الباب مجددًا عندما أجابها الصمت وسمعته يصيح فجأة: «نعم يا سيدني، أدرك هذا. أخبرتني بهذا خمس عشرة مرة، لكن هذا لا يعني...».

فات الأوان، كانت بالفعل قد فتحت الباب قليلًا. وهي على وشك الاعتذار رفع الرجل يده بكف مفتوحة بعد أن نظر إليها بالكاد، كأنها كلبة يأمرها بأن تبقى في مكانها، ثم مال إلى الأمام وأغلق الباب في وجهها. ترددت أصداء صوت الباب في المنزل.

وقفت جيس هناك ممسمرة في مكانها من الصدمة وغارقة في الإحراج.

- أخبرتكِ. تلك المدارس الخاصة لا تُعلِّم الطلبة الأدب.

قالت ناتالي هذا وهي تنظف غرفة الضيوف بقوة بعدها ببضع دقائق.

انتهى العمل بعد أربعين دقيقة. جمعت جيس ملاءات مستر نيكولز وفوطه البيضاء النظيفة في حقيبتها بعنف أكثر من اللازم. نزلت الدرجات ووضعت الحقيبة بجانب عربة التنظيف في الرواق. كانت ناتالي تُلمع مقابض الأبواب. كانت عادة غريبة لديها، لم تتحمل منظر بصمات الأصابع على الحنفيات أو المقابض، أحيانًا استغرقهما هذا عشر دقائق قبل الرحيل.

- سنذهب الآن يا مستر نيكولز.

كان واقفًا في المطبخ ونظره متعلق بشيء خارج النافذة المطلة على البحر، وإحدى يديه على رأسه كأنه نسي أنها هناك. له شعر أسود ويرتدي نظارة يفترض أنها على الموضة، لكنها تجعله تشبه شخصًا يقلد وودي آلان. يشبه في طريقة ارتدائه لبذلته ولدًا في الثانية عشرة أجبره أهله على الذهاب إلى تعميد.

- مستر نيكولز.

هز رأسه ثم تنهد وأتى ناحيتهما عبر الرواق.

- حسنًا.

قال بعدم اهتمام. ظل يسترق النظرات إلى شاشة هاتفه.

- شكرًا.

انتظرتاه.

- أممم، نريد أجرنا من فضلك.

أنهت ناتالي تلميعها وطوت قطعة قماشها ثم فردتها ثم طوتها وكررت العملية. تكره الحديث في أمور المال.

- ظننت أن الإدارة تدفع أجركما.

- لم يدفعوا لنا منذ ثلاثة أسابيع ولا يوجد أحد في المكتب أبدًا. إذا أردت أن نتابع التنظيف علينا أن نحصل على مستحقاتنا.

فتش في جيوبه ثم أخرج محفظته.

- حسنًا، بماذا أدين لكما؟

- ثلاثون جنيهًا لثلاثة أسابيع، وثلاثة أسابيع من الغسيل.

نظر إليها بحاجب مرفوع.

تركنا لك رسالة على هاتفك الأسبوع الماضي.

هز رأسه كأنه من الغريب أن تتوقع منه تذكُّر توافه كهذه.

- كم المجموع؟

- مئة وخمسة وثلاثون.

عد أوراقه وقال: «ليس لدي ما يكفي نقدًا. انظري، سأعطيكِ ستين الآن وأجعلهم يرسلون لكِ شيئًا بالباقي، اتفقنا؟».

في مناسبة أخرى كانت جيس لتوافق. في مناسبة أخرى كانت ستتخطى الموضوع، لم يكن يحاول سرقتهما أو خداعهما في نهاية الأمر. لكنها فجأة فاض بها الكيل من الأثرياء الذين لا يدفعون في الوقت المتفق عليه أبدًا، الذين يفترضون أنه بما أن خمسة وسبعين جنيهًا لا تعني شيئًا لهم فهي لا تعني شيئًا لها أيضًا. تعبت من العملاء الذين رأوا أنها ضئيلة لدرجة أن بإمكانهم صرع الباب في وجهها دون أن يكلفوا نفسهم اعتذارًا.

- لا.

أجابته بصوت واضح بشكل غير متوقع.

- أحتاج إلى الحساب الآن من فضلك.

نظر في عينيها للمرة الأولى. خلفها كانت ناتالي تُلمع المقابض بعنف جنوني.

- لدي إيصالات عليَّ دفعها، والناس الذين ينتظرون أموالهم لن يمنحوني أسبوعًا بعد أسبوع لأسدد.

لم تستطع التوقف عن استدعاء ما حدث في ذهنها «يده المرفوعة تهشها باستهتار، وكيف أغلق الباب في وجهها هكذا».

عبس في وجهها كأنها كانت تصعب حياته عمدًا، ما جعلها تكرهه أكثر. تساءلت لحظة إذا ما كان بإمكانها أن تخبره أين يضع وظيفته الغبية. لكن هنالك بعض المبادئ نكون أفقر من أن نملكها.

- سأبحث في الدور العلوي.

قالها واختفى. وقفتا في صمت غير مريح بينما سمعتا صوت أدراج تُفتح وتُغلق كأنها تحاول أن تثبت لهما شيئًا ومعها أصوات علاقات الملابس تصطدم ببعضها بعضًا. في النهاية عاد لهما بحفنة من النقود.

أخذ بعضًا منها دون النظر إلى جيس وأعطاها إليها. كانت على وشك أن تقول شيئًا، أن تخبره بأنه لا يحتاج إلى التصرف كوغد وأن الحياة تتحسن كثيرًا عندما نتعامل مع بعضنا بعضًا بآدمية، كانت على وشك أن تقول شيئًا سيجعل ناتالي تُلمع المقبض إلى أن تأكل نصفه بالتأكيد. لم تهتم. حتى طريقته في إعطائها النقود لمحت إلى أنه يعتقد أنها تأخذ ما لا تستحق، لكن في اللحظة التي فتحت فمها لتتكلم رن هاتفه. بلا حتى كلمة أدار مستر نيكولز ظهره لها ومشى ناحية الرواق ليرد عليه.

- ما هذا الذي في سلة نورمان؟

- لا شيء.

كانت جيس تضع بقالتها في أماكنها مفرغة الحقائب وعيناها على الساعة. لديها مناوبة مدتها ثلاث ساعات في ذا فيذرز، ومعها ساعة لتعد الغداء وتغير ملابسها. دفعت علبتين إلى داخل الرف مخبئةً إياهما وراء علب حبوب الفطور. سئمت من ملصقات «قيمة» المبهجة التي يضعها السوبر ماركت، بدت لو أن أحدهم صاح في وجهها: «هاي! أنتِ فقيرة» كلما فتحت الخزانة.

انحنى نيكي وشد قطعة القماش حتى وقف الكلب على قدميه.

- إنها فوطة بيضاء يا جيس. فوطة غالية. نورمان غطاها بالشعر واللعاب.

أمسكها بين إصبعين.

- سأغسلها فيما بعد.

لم تنظر إليه.

- أهيَ لبابا؟

- لا، ليست ملك والدك.

- لا أفهم.

- وجودها يحسن مزاجي، حسنًا؟ هل يمكنك وضع هذه الأشياء في الفريزر؟

استند على خزانات المطبخ ونظر إلى الحديقة الأمامية. النسيم لف مجفف الملابس، والملابس المثبتة على حبل الغسيل طارت كأنها رايات فوق

النباتات في أصصها، والدراجة التي دهنتها جيس باللون الوردي اللامع الذي تقشر كأنه طلاء أظافر.

- سخرت شونا براينت من تانزي عند محطة الباص بسبب ملابسها.

- ما مشكلة ملابسها؟

التفتت جيس لتواجه نيكي وفي يدها علبة طماطم معلبة.

- لأنكِ تخيطينها لها.

- كيف تعرف أنني أخيطها لها؟

- سألت تانزي من أين حصلت عليها، وأخبرتها. تعرفين كيف هي تانزي.

- لكنها تحب ما أخيطه. أعني.. هي سعيدة بها.

- شونا براينت هي من قالت إن منزلنا غريب لأن لدينا كتبًا أكثر من اللازم.

- شونا براينت حمقاء.

انحنى ليملس على فراء نورمان.

- آه، وصلنا تنبيه من شركة الكهرباء.

تنهدت جيس تنهيدة صغيرة.

- كم؟

ذهب إلى كومة الأوراق على الرخامة وفتش فيها.

- المجموع يزيد على المئتين؟

أخرجت علبة حبوب الفطور وقالت: «سأحلها».

فتح نيكي باب الثلاجة وقال: «عليكِ بيع السيارة».

- لا يمكنني بيع السيارة. إنها الشيء الوحيد الذي يملكه أبوكما.

- لكن بإمكانه استخدامها لكسب المال، وبعدها يمكنه أن يعطيكِ بعضًا منه.

أحيانًا تساءلت جيس لماذا تستمر في الدفاع عنه.

- ليس لديه مكان آمن ليركنها فيه عند أمه. على أي حال، سيحل الأمور عندما يقف على رجليه من جديد. اذهب إلى الأعلى الآن فأنا أنتظر أحدًا.

كانت تراها في المدخل الخلفي.

- سنشتري أشياء من آيلين ترينت؟

راقبها نيكي وهي تفتح البوابة وتغلقها بحذر وراءها.

لم تتمكن جيس من إخفاء احمرار وجنتيها محرجة.

- فقط هذه المرة.

حدق إليها.

- قلتِ إننا مفلسون.

- إن هذا ليواسي تانزي حينما أخبرها بقراري بشأن المدرسة.

عقدت جيس العزم واتخذت قرارًا في طريقها للمنزل. الأمر برمته كان سخيفًا. بالكاد يمكنهم النجاة بحالتهم هذه، لا فائدة من التفكير في الأمر حتى.

ظل يحدق إليها.

- لكن آيلين ترينت. أنتِ قلتِ...

- أنت من أخبرتني أن تانزي تتعرض للتنمر بسبب ملابسها للتو. أحيانًا يا نيكي...

رفعت يديها مستسلمة.

- أحيانًا، الغاية تبرر الوسيلة.

تخطت نظرات نيكي حد الراحة. بعدها، صعد إلى الدور العلوي.

- أحضرتُ تشكيلة متنوعة لشابتنا الذكية. تعرفين كيف يحببن شراء ماركات المصممين المشاهير، لذا قررت أن أحضر بعض القطع الإضافية مع أنكِ قلت إنك لست مهتمة بها.

كانت نبرة «البائعة» رسمية بمخارج حروف واضحة. كان وقعها غريبًا على أذنَي جيس من امرأة رأتها مطرودة من حانة ذا كينجز أرمز بالقوة عدة مرات. جلست على الأرض متربعة ومدت يدها إلى حقيبتها السوداء تسحب مجموعة من الملابس وتعرضها بحذر على السجادة، واضعةً القطع من النوع نفسه في طبقات منفصلة.

- هذا التيشيرت من هوليستر. الفتيات كلهن ميالات إلى هوليستر هذه الأيام. سعره عالٍ بشكل صادم في المحلات. لدي المزيد من الماركات

في حقيبتي الأخرى، رغم أنكِ قلت إنك لا تحتاجين إلى أي ماركات. آه، وملعقتين من السكر في شايي إذا كنت تحضرين شايًا.

تتجول آيلين أسبوعيًّا في نهاية المنطقة ببشرتها الشاحبة الدهنية، ومن خلفها حقيبتها السوداء الكبيرة ذات العجلات. كانت جزءًا من المجتمع المحلي تمامًا كساعي البريد، وكانت تأتي بمعدل منتظم. تقول بحكمة وعيناها الفاتحتان ترمشان ببطء في وجهها الشاحب: «عليكِ أن تكوني احترافية لتنجحي في سوق العمل».

دائمًا ما رفضتها جيس بحزم بـ «شكرًا لعرضك». لم يتحدث أحد في المنطقة عن مصدر بضائع آيلين وصفقاتها بأسعارها القليلة وبطاقات الأسعار عليها تؤكد أنها جديدة، لكن الجميع كان يعرف. دائمًا ما أخبرت جيس مارتي أنها تعتقد أن الشراء منها سيجعلها قدوة سيئة للأطفال.

هذا كان في السابق.

أمسكت بلوزتين، واحدة مخططة والأخرى بلون وردي رقيق، تخيلت تانزي فيهما بالفعل.

- بكم؟

- البلوزة بعشرة والتيشيرت بخمسة والحذاء بعشرين. على بطاقات الأسعار مجموع سعرها خمسة وثمانون. هذا خصم هائل.

- لا يمكنني دفع هذا كله.

- حسنًا، بما أنكِ عميلة جديدة، يمكنني أن أعطيكِ هدية بمناسبة تعاملنا الأول.

أمسكت دفترها تتفحص الأرقام وقالت: «خذي القطع الثلاث وسأعطيكِ معها هذا الجينز أيضًا، عربون حسن نية».

ابتسمت مبتهجة وظهر مكان سنتها المفقودة.

- خمسة وثلاثون جنيهًا لزي كامل متضمنًا الحذاء. ولهذا الشهر فقط سأعطيكِ أيضًا أسورة صغيرة. لن تجدي أسعارًا كهذه في تي كي ماكس.

حدقت جيس إلى الملابس المثالية المرتبة على الأرض. أرادت أن ترى تانزي تبتسم، أن تشعر أن في حياتها متسعًا للمفاجآت السعيدة، وأن

مستقبلها سيكون فيه أكثر من أم منهكة تعمل أكثر من اللازم ولا تجد وقتًا لتمضيه مع ابنتها، وأب غائب يتواصل معها مرة أسبوعيًّا عبر شاشة كمبيوتر.

أرادت أن يكون معها ما يخفف ألم الأخبار السيئة وقتما تخبرها بها.

- لحظة.

ذهبت إلى المطبخ وأخذت علبة الكاكاو التي تدخر فيها مصاريف الكهرباء من الخزانة. عدت العملات ووضعتها في كف آيلين المتعرقة قبل أن تفكر مليًّا فيما تفعله.

- سعدت بالعمل معكِ، سأعود بعد أسبوعين، لكن إذا احتجتِ أي شيء خلال تلك الفترة فأنت تعرفين أين تجدينني.

طوت آيلين باقي الملابس بحذر ووضعتها في حقيبتها.

- أعتقد أنني اكتفيت بما أخذته. شكرًا.

نظرت إلى جيس نظرة محملة بالمعاني كأنها تقول: «كلهم يقولون هذا يا عزيزتي».

لم يرفع نيكي عينيه من على الكمبيوتر عندما دخلت جيس غرفته.

- ستحضر ناتالي تانزي إلى المنزل بعد انتهاء نادي الرياضيات. هل ستكون بخير لوحدك في المنزل؟

- أكيد.

- التدخين ممنوع.

- ممم.

- هل ستراجع قليلًا؟

- أكيد.

أحيانًا تتخيل جيس الأم التي ستكونها لو لم تكن تعمل طوال الوقت. كانت لتخبز الكعك مع أطفالها، وتتركهم يلعقون العجين، وكانت لتبتسم أكثر وتجلس معهم على الكنبة وتتحدث معهم. كانت لتراقبهم يحلون واجباتهم على الطاولة في المطبخ وتنبههم لأخطائهم وتساعدهم في الحصول على أعلى الدرجات. كانت لتفعل ما يريدونه بدلًا من أن تقول دائمًا: «آسفة يا عزيزي عليَّ تحضير العشاء».

- س هذا بعد أن أنهي الغسيل.

- عليَّ الذهاب يا عزيزتي، أخبريني عندما أعود من مناوبتي.

نظرت إلى نيكي وتعبير وجهه صعب التمييز وشعرت بقلق غريب.

- لا تنسَ أن تأخذ نورمان ليتمشى، لكن لا تذهبا ناحية محل الخمور.

- كأنني سأفعل هذا.

- ولا تقضِ المساء كله على الكمبيوتر.

كان قد أعاد تركيزه إلى الشاشة أساسًا. شدت وسط بنطلونه إلى الأعلى وقالت: «وضع بنطلوناتك في أماكنها. لعلي لا أقاوم رفع بنطلونك إلى أعلى علو في العالم».

التفت لها ورأت ابتسامة صغيرة على وجهه. وهي خارجة من غرفته أدركت أنها لا تتذكر آخر مرة رأت نيكي فيها مبتسمًا.

نيكي

أبي حقًّا وغد حقير.

جيس

تقع حانة ذا فيذرز بين المكتبة (المغلقة منذ يناير) وسمكة الموسى السعيدة (مفتوح من 11 صباحًا وحتى 11 مساءً طوال العام)، وعندما تتوفر إضاءة جيدة يمكن أن تصدق أنك ما زلت في عام 1989. ديس، وهو المالك، لم يُرَ قط مرتديًا شيئًا لم يكن تيشيرتًا دعائيًّا لجولة فرقة بهت ما عليه مع بنطلون جينز، وإذا استدعى الطقس يضيف جاكيتًّا من الجلد يضيق عند نهاية جذعه. في الليالي الهادئة، وإذا كان حظك قليلًا، سيحدثك مفاضلًا بين ماركات الجيتارات الكهربائية، أو يغني لك كلمات أغنية Money for Nothing بمهابة كأنه شاعر.

لم تكن ذا فيذرز مكانًا راقيًا مثلما كانت بيتشفرونت، ولم تعرض مأكولات بحرية طازجة ونبيذًا فاخرًا وقوائم طعام مناسبة للأعمار كلها من أجل الصغار النواحين. تقدم بدلًا من ذلك تشكيلة متنوعة من الحيوانات الميتة والبطاطس المقلية، وتتعالى عن مجرد الاختلاط بالسلطات (ما تحبه حقًّا هو البطاطس المقلية. لديهم قرابة ثمانية وعشرون نوعًا مختلفًا في المخزن). لا يمكنك التفوق في المغامرة على توم بيتي مغردًا من صندوق الموسيقى ولوح السهام معلق على الحائط وسجادة تنبعث منها كل صباح روائح البيرة والسجائر بشدة جعلت السكان المحليين يدخلون أماكن عملهم سكارى لأنهم مشوا بجانب ذا فيذرز ببطء.

لكن خلطتهم السرية نجحت. ذا فيذرز كانت مشهدًا نادرًا في مدينة ساحلية «مكانًا مشغولًا طول العام».

- هل روكسان هنا؟

قلتْ جيس قطعة أخرى من اللحم المقدد مع الجلد[1] عندما خرج ديس من القبو حيث كان يبحث عن برميل حديث من الجعة.

- لا. لديها ما تفعله مع أمها.

فكر للحظة.

- علاج روحاني؟ لا، توقع المستقبل مع طبيب نفسي أو معالج نفسي.

- منجم؟

- تعرفين، الأشخاص الذين يخبرونك بأشياء كنتِ تعرفينها أصلًا وعليكِ أن تنبهري بهم.

- عرَّاف.

- يدفعون ثلاثين جنيهًا ليجلسوا هناك ويشربوا كأس نبيذ أبيض رخيص ويصيحوا «نعم!» ليجيبوا عندما يسأل أحدهم عما إن كان أحد الحضور لديه قريب يبدأ اسمه بحرف الجيم.

انحنى وأغلق باب القبو بقوة مُصدرًا صوتًا متعبًا.

- يمكنني أن أتنبأ ببعض الأشياء يا جيس، ولن آخذ منكِ ثلاثين جنيهًا مقابل توقعاتي حتى. أتنبأ أن ذلك الرجل يجلس في منزله ويفرك يديه ببعضهما بعضًا مفكرًا «يا لهم من مجموعة حمقى».

أخرجت جيس رفًّا من الكؤوس النظيفة من غسالة الأطباق وبدأت تضعها في مكانها فوق البار.

- أتؤمنين بهذا الهراء؟

- لا

- بالطبع لا تفعلين، أنتِ فتاة عاقلة. لا أعرف ماذا أقول لها أحيانًا. أمها أسوأ ما يكون. تعتقد أنها تملك ملاكًا حارسًا. ملاك.

نظر أعلى كتفه مقلدًا إياها ونقره بيده.

- تعتقد أنه يحميها. لم يحمِها من إنفاق مالها كله على قناة التسوق، ها؟ تعتقدين أن أحدًا سيخبرها ويقول: «مورين، أنتِ لا ترغبين حقًّا بشراء

---

(1) وجبة خفيفة شائعة في إنجلترا مصنوعة من جلد الخنزير ومطبوخة قبل القلي.

غطاء فاخر عليه صورة كلب لطاولة الكي. حقًّا يا عزيزتي، ادخري ثمنه لتقاعدكِ، فهذا أفضل لكِ».

رغم البؤس الذي كانت جيس تشعر به فإنها لم تستطع إلا أن تضحك على ما قاله. كان من الصعب ألا تضحك في الحانة. الرجال محترمون ونبلاء (بقدر ما يمكن لرجال يتجشؤون الألف باءً أن يكونوا) والتسامر ممتع، ووجودها هنا يعني أنها حظيت بغداءَين لم تقضهما في المنزل تطوي كومة غسيل أحد وتقلق على ما لا يمكنها التحكم به.

- أتيتِ باكرًا.

نظر ديس إلى ساعته مُلمحًا.

وضعت تشيلسي حقيبة يدها تحت البار وعدلت شعرها ثم حدثت جيس كأن ديس ليس موجودًا: «حالة طارئة تحتاج إلى حذاء. كنت أتحدث مع رجل أواعده على الإنترنت، غاية في الوسامة».

كل من واعدتهم تشيلسي على الإنترنت كانوا غاية في الوسامة إلى أن قابلتهم.

- اسمه دايفيد ويبحث عن فتاة تحب الطبخ والتنظيف والكي. والخروج من حين لآخر.

سألها ديس: «الخروج إلى السوبر ماركت؟».

تجاهلته تشيلسي وأخذت قطعة قماش لتجفيف الكؤوس.

- عليكِ أن تخرجي لعالم المواعدة يا جيس. اخرجي وتمتعي قليلًا بدلًا من الاضمحلال هنا مع العجائز المترهلين.

- توقفي عن هذا يا أنتِ.

كانت المباراة على الشاشات، ما يعني أن ديس يعرض أكياس بطاطس مقلية ومكعبات جبنة مجانية، ومعجنات بالسجق إذا كان كريمًا. كانت جيس تأخذ مكعبات الجبنة المتبقية -بموافقة ديس- لتستخدمها في إعداد المعكرونة بالجبنة، إلى أن أخبرتها ناتالي بالمعدل الإحصائي للرجال الذين يغسلون أيديهم بعد استخدام الحمام.

امتلأت الحانة وبدأت المباراة، ومر اليوم كأي يوم آخر، ملأت الأكواب في فترة التعليق بين الشوطين، وهي صامتة من خلفها التلفزيون يصدر صوته

العالي من على الحائط المقابل، وفكرت مرة أخرى في النقود. أخبرتها المدرسة أن أمامها لنهاية الشهر، إذا لم تلتحق في تلك المدة لن تلتحق. يمكن أن تدخر جيس النقود عامًا وتحاول العام المقبل، وتانزي في الثانية عشرة، لكن لا يوجد ما يضمن لها أن المنحة ستظل متاحة عامًا.

كانت مستغرقة في أفكارها لدرجة أنها كادت لا تسمع ديس وهو يضع طبق الكويفرز[1] على البار بجانبها.

- أردت أن أخبرك أننا سنحضر ماكينة كاشير جديدة. واحدة من تلك الماكينات التي نجد كل شيء مكتوبًا فيها، وكل ما عليكِ فعله هو لمس الشاشة.

أشاحت بنظرها عن إحصائيات المباراة وسألته: «ماكينة كاشير جديدة؟ لمَ؟».

- التي لدينا أقدم مني، وليس كلٌّ من يعمل في الحانة جيدًا في الحساب مثلك يا جيس. الأسبوع الماضي عملت تشيلسي وحدها، وعندما حسبت النقود اكتشفت أحد عشر جنيهًا ناقصة. اطلبي منها جمع ثمن كأس جِن دوبل وكوبًا من ويبسترز وكيسًا من البطاطس المشوية المجففة وسترين كل عين من عينيها تذهب في اتجاه من الحيرة. علينا أن نواكب العصر.

حرك إصبعه كأنه يتصفح شاشة خيالية.

- ستحبين الدقة الرقمية، ولن تحتاجي إلى أن تستخدمي دماغكِ أبدًا، تمامًا مثل تشيلسي.

- ألا يمكنني العمل كما نحن؟ لست جيدة مع التكنولوجيا.

- ستكونين بخير، سنحصل على تدريب.

- تدريب.

- نصف يوم. غير مدفوع مع الأسف. سيأتي رجل إلى هنا.

- غير مدفوع؟

- فقط سنضغط على الشاشة ونحركها، تاب تاب سوايب. كأننا في فيلم «Minority Report» لكن دون الأشخاص الصلع، اللهم إلا بيت بيت!

(1) بطاطس مقلية ملفوفة في شكل دائري.

أتاهم ليام ستابز في التاسعة والربع. كانت جيس مولية ظهرها إلى الحائط فانحنى ليهمس في أذنها: «مرحبًا يا جميلة».

لم تعطه وجهها عندما أجابته: «آه، أنت مجددًا».

- يا له من ترحيب. كوب من الستلا من فضلك يا جيس.

تفحص الحانة ثم تابع: «وأي شيء تعرضينه».

- لدينا مكسرات محمصة لذيذة.

- أريد شيئًا.. أكثر طراوة.

- سأعطيك الكوب الذي طلبته إذًا.

- ما زلت تتظاهرين بأنكِ صعبة المنال، ها؟

تعرف ليام من أيام المدرسة. كان واحدًا من هؤلاء الفتيان بعينيه الزرقاوين ولسانه الطليق الذين يمكنهم كسر قلبك إذا أعطيتهم الفرصة. النوع الذي يتجاهلك من الصف السابع وحتى الصف الحادي عشر ثم يشق طريقه لفراشك عن طريق جعلك تضحكين بعد أن نزعت تقويم أسنانك وأطلقت شعرك، وبعد هذا يحييك بابتسامة بهيجة وغمزة لا أكثر. شعره كستنائي مموج، وعظام وجنته بارزة مظللة بالسمرة. يعمل في كشك زهور في السوق، وكلما مرت يهمس لها: «أنا، أنتِ، خلف ورود الأضاليا، الآن». بقدر من الجدية يكفي ليجعلها تتعثر في قدميها. تركته زوجته في الوقت نفسه الذي رحل فيه مارتي (سلسلة قصيرة من الخيانات. بعض النساء غير متفهمات تمامًا) وبعدها بستة أشهر، في إحدى المرات بعد أن أغلق ديس الحانة انتهى بهما المطاف في حمام السيدات، ويدا ليام تحت تيشيرتها، وجيس مرتدية ابتسامة مائلة على وجهها لأيام.

عاشت مع مارتي كأنهما أخ وأخت إلى أن رحل. أحيانًا أخبرها أنه متعب، غالبًا ما قال إنه غير منجذب إليها لأنها تلح عليه. أحيانًا ما تحن جيس إلى الجنس بينهما، لكنها أبدًا لا تفتقده.

كانت تُخرِج علب كرتون البطاطس المقلية لتلقيها في حاويات القمامة عندما ظهر ليام عند الباب الخلفي. توجه ناحيتها بصمت مغرور إلى أن احتاجت لتتقهقر للخلف حتى واجه ظهرها حائط حديقة الحانة. على وجهه ابتسامة توحي بأنهما يتشاركان مزحة خاصة بينهما. وقف ليكون بين جسميهما إنشات قليلة وهمس: «لا يمكنني التوقف عن التفكير فيكِ».

وجَّه يده التي كانت تحمل السيجارة بعيدًا عنها. كان جنتلمانًا بهذه الطريقة.

- أراهن أنك تقول هذا للفتيات كلهن.

- أحب رؤيتك تتحركين عند البار. أقضي نصف الوقت أشاهد المباراة والنصف الآخر متخيلًا أنني أضعكِ فوقه.

- ويقولون إن الرومانسية تنتمي إلى زمن فات.

رائحته لذيذة. حاولت جيس أن تبتعد من سجن ذراعيه قبل أن تفعل ما تندم عليه. القرب من ليام ستابز يشعل بداخلها شرارات نسيت وجودها، كتلك الشموع التي تظل مشتعلة حتى بعد أن تنفخ فيها.

- إذًا دعيني أكون رومانسيًّا معكِ، دعيني أواعدك، أنا وأنت في موعد غرامي حقيقي يا جيس. لنعطِ الأمر محاولة.

ابتعدت جيس عنه.

- ماذا؟

- سمعتِني.

حدقت إليه.

- أتريد أن *نتواعد*؟

- تقولينها كلفظ بذيء.

انزلقت إلى الأسفل حذاء الحائط لتخرج من بين ذراعيه وألقت نظرة خاطفة إلى الباب الخلفي.

- عليَّ العودة إلى الحانة يا ليام.

- لمَ ترفضين الخروج معي في موعد؟

اقترب منها وهمس.

- تعرفين أنه سيكون مذهلًا...

- وأعرف أيضًا أن لدي طفلين ووظيفتين وأنك تعيش حياتك كلها في سيارتك، وأننا سنقضي ثلاثة أسابيع معًا إلى أن نجد نفسنا نتشاجر على الأريكة حول من عليه أن يُخرج القمامة، وعندها سنكون خسرنا تسامرنا الرومانسي الذي نملكه الآن.

قالت الجزء الأخير بابتسامة عذبة.

أمسك خصلة من شعرها وتركها تتسربل بين أصابعه وقال بزمجرة ضئيلة: «متشائمة جدًّا، ستكسرين قلبي يا جيس توماس».

- وأنت ستتسبب في طردي.

كان رجلًا لا تجرؤ على أن تأخذه على محمل الجد، تعتقد أنه في الغالب معجب بها لأنها المرأة الوحيدة التي لا تفعل.

- أأفهم من هذا أنه لا فرصة لعلاقة سريعة الآن؟

انتشلت نفسها منه وعادت أدراجها إلى الباب الخلفي محاولةً إخفاء حمرة وجنتيها ثم توقفت فجأة وقالت: «ليام».

رفع عينيه من السيجارة التي يضغط عليها بحذائه ونظر إليها.

- أتريد أن تقرضني خمسمئة جنيه؟

- لو كنت أملكها لأعطيتكِ إياها يا عزيزتي.

أرسل لها قبلة في الهواء، واختفت هي داخل الحانة.

كانت تتجول في الحانة ملتقطةً الكؤوس الفارغة ووجنتاها محمرتان حتى عندما وقعت عيناها عليه. نظرت مرة أخرى لتتأكد. كان جالسًا بمفرده في الزاوية وأمامه ثلاثة أكواب فارغة. غيَّر ملابسه إلى حذاء كونفرس مع جينز وتيشيرت، وكان جالسًا يحدق إلى هاتفه ويمرر إصبعه على الشاشة ويرفع عينيه من آن لآخر عندما يهلل الناس فرحًا بهدف. بينما تراقبه جيس أمسك هو كأس بيرة وشربها دفعة واحدة. في الغالب يظن أن الجينز يجعله يبدو كواحد من رواد المكان، لكنه في الواقع لا ينقصه إلا أن يختم أحد جبهته بكلمة «دخيل». عندما وجَّه نظره ناحية البار أدارت ظهرها سريعًا وشعرت بمزاجها الجيد يتعكر.

- سأنزل للأسفل وأحضر المزيد من الوجبات الخفيفة.

أخبرت تشيلسي بهذا ونزلت ناحية القبو.

- أععهه.

تمتمت: «آآآه، آآه، آآهه». عندما عادت للدور العلوي كان أمامه كوب شبه ملآن ولم ترتفع عيناه عن الهاتف اللهم إلا نادرًا.

طال المساء، ناقشت تشيلسي خياراتها عبر الإنترنت، وتجرع مستر نيكولز ثلاثة أكواب، واختفت جيس كلما اتجه ناحية البار، وفكرت في الديون والفوز في اللوتري الخيالية، وحاولت ألا تقع عيناها على عينَي ليام. في الحادية عشرة وعشر دقائق كان في البار بضعة زوار منهكين، سماهم ديس بالعصابة المعتادة. ارتدت تشيلسي معطفها.

- أين أنتِ ذاهبة؟

انحنت لتضع أحمر شفاهها في المرآة خلف جهاز توزيع الجرعات وأجابت: «أخبرني ديس أنه بإمكاني الرحيل مبكرًا».

ضغطت شفتيها ببعضهما بعضًا.

- لدي موعد.

- موعد؟ من يذهب في موعد في وقت متأخر كهذا؟

- إنه موعد في منزل ديفيد، لا تقلقي، ستأتي أختي أيضًا. قال ديفيد إنه سيكون لطيفًا بوجود ثلاثتنا معًا.

قالت بينما حدقت جيس إليها.

- تشيلس، أتعرفين ماذا تعني عبارة «علاقة عابرة مسائية»؟

- ماذا.

نظرت جيس إليها لوهلة وقالت: «لا عليكِ. فقط.. استمتعي».

كانت تعبئ غسالة الأطباق عندما ظهر أمام البار بعينين نصف مغلقتين ووقفة مهتزة كأنه على وشك بدء روتين رقص تعبيري.

- كوبًا من فضلك.

وضعت كأسين أخريين في مؤخرة رف الكؤوس وقالت: «ممنوع. الساعة تخطت الحادية عشرة».

نظر إلى الساعة وقال بصوت مهتز: «تخطتها بدقيقة».

- شربتَ ما يكفي.

رمش ببطء وحدق إليها. تبعثر شعره الأسود القصير من ناحية واحدة كأنه في وقت ما في الساعة الماضية انزلق من على مقعده.

- من أنت لتخبريني أنني شربت ما يكفي؟

- الشخص الذي يصب لك الشراب. هكذا يجري الأمر في العادة.

نظرت في عينيه وسألت: «أنت لا تعرفني حتى، صحيح؟».

- أعليَّ أن أعرفك؟

حدقت إليه لوهلة بعد.

- انتظر لحظة.

خرجت من وراء البار وذهبت إلى بابه ووقف هو هناك حائرًا. فتحت الباب وتركته ينغلق في وجهه رافعةً يدها وفاتحةً فاها كأنها على وشك قول شيء.

فتحت الباب من جديد ووقفت أمامه.

- أتتعرف عليَّ الآن.

رمش وكان بإمكان جيس أن تتخيل التروس تدور في دماغه.

- هل أنتِ.. هل رأيتكِ البارحة؟

- عاملة التنظيف. نعم.

مرر يديه في شعره.

- آه، حادث الباب. كنت فقط.. أُجري محادثة معقدة.

- «ليس الآن، شكرًا» تؤدي الغرض وفقًا لتجربتي.

- حسنًا، وضحت الرؤية.

مال على البار وحاولت جيس أن تُبقي وجهها جامدًا عندما انزلق كوعه.

- هذا اعتذارك إذًا؟

نظر إليها بعينين مشوشتين.

- أنا آسف. أنا حقًّا حقًّا حقًّا آسف. في غاية الأسف يا سيدتي صاحبة البار. هل يمكنني الحصول على شراب آخر الآن؟

- لا، الساعة تخطت الحادية عشرة.

- لأنكِ ظللتِ تتحدثين إليَّ.

- ليس لدي الوقت لأجلس هنا وأنت ترتشف كوبًا آخر.

- أعطيني كأسًا صغيرة إذًا. هيا، أحتاج إلى شراب آخر. أعطيني كأسًا صغيرة من الفودكا. خذي، يمكنكِ الاحتفاظ بالباقي.

وضع ورقة بعشرين على البار بعنف لدرجة أن قوة الضربة سرت في جسده وارتد رأسه للخلف قليلًا.

- واحدة فقط. أو اجعليها جرعة مضاعفة، سأستغرق ثانيتين في شربها. ثانية.

- لا، لقد شربت كفايتك.

أتاهما صوت ديس من المطبخ: «بربك يا جيس، اعطيه شرابًا».

وقفت جيس ثانية بفك منقبض ثم التفت واستخدمت جهاز توزيع الجرعات مرتين في كأس. أخذت حسابه ووضعت الباقي على البار. تجرع الفودكا دفعة واحدة، ثم وضع الكأس على البار ودار للجهة الأخرى بخطى مهزوزة.

- نسيت الباقي.

- احتفظي به.

- لا أريده.

- ضعيه في صندوق تبرعاتكم إذًا.

جمعت النقود ودفعتها في يده.

- صندوق تبرعات جيس يعود ريعه إلى «صندوق عطلة ديس هاريس في ممفيس. فقط خذ نقودك».

رمش بعينيه ناظرًا إليها وتحرك خطوتين غير مستقرتين بينما فتحت له الباب. حينها لاحظت ما أخرجه من جيبه والسيارة الأودي اللامعة في جراج الحانة.

- لن تقود إلى منزلك.

- أنا بخير.

تجاهل اعتراضاتها.

- لا توجد سيارات هنا في الليل على أي حال.

- لا يمكنك أن تقود.

- في حال لم تلاحظي، نحن في منتصف اللامكان.

أشار إلى السماء وتابع: «أنا على بُعد أميال من كل شيء، عالق هنا في منتصف اللامكان اللعين».

انحنى للأمام وفاح من نفَسه رائحة الكحول: «سأقود بأشد درجات البطء».

كان في غاية السكر لدرجة جعلت انتزاع المفاتيح من يده محرجًا في سهولته.

- لا.

أخبرته وأدارت ظهرها إلى الحانة.

- لن أكون مسؤولة عن أي حوادث ستتسببها فوق كل مسؤولياتي. عد إلى الداخل وسأطلب لك سيارة أجرة.

- أعطيني مفاتيحي.

- لا.

- أنت تسرقين مفاتيحي.

- أنا أنقذك من القيادة.

أبعدتها عنه واتجهت إلى الحانة.

- آه بربك.

قالها كأن جيس آخر إضافة لسلسلة من المزعجين. جعلتها نبرته ترغب في ركله.

- سأطلب لك سيارة أجرة، فقط اجلس هنا، سأعيد مفاتيحك لك عندما تكون بأمان داخل سيارة الأجرة.

أرسلت رسالة نصية إلى ليام من الهاتف في الرواق الخلي.

رد عليها: «أيعني ذلك أن الحظ حالفني؟».

- فقط إن كنت تفضل المُشعرين.

عادت إلى الخارج فوجدت أن مستر نيكولز اختفى، سيارته ظلت في الجراج. نادت عليه مرتين متسائلة إن كان قد ذهب ناحية الشجيرات ليقضي

حاجته، ثم نظرت إلى الأسفل وها هو ذا نائم على المقعد في الخارج. وضعية أطرافه لمحت إلى كونه نام وهو جالس.

فكرت وهلةً في تركه هناك، لكن الجو كان باردًا وهواء البحر غير متوقع، وفي الغالب سيستيقظ ليجد نفسه دون محفظته.

- لن آخذه معي.

قالها ليام عبر نافذة كرسي السائق عندما وصلت سيارة أجرته إلى جراج الحانة.

- إنه بخير، نائم فقط. يمكنني أن أخبرك إلى أين كان متجهًا.

- لا يعني لا. آخر راكب نائم حصلت عليه استيقظ وتقيأ على أغطية كراسي سيارتي الجديدة ثم عاد إلى وعيه بما يكفي ليهرب من دفع الحساب.

- يعيش في بيتشفرونت، لن يتهرب من الحساب.

نظرت إلى ساعتها.

- من فضلك يا ليام. تأخر الوقت وأريد فقط أن أعود للمنزل.

- إذًا اتركيه. أنا آسف يا جيس.

- حسنًا، ماذا لو بقيتُ في السيارة حتى توصله؟ لو تقيأ سأنظف مكانه، وبعدها يمكنك توصيلي إلى المنزل. هو سيدفع.

التقطتْ باقي أموال مستر نيكولز من حيث أسقطها على الأرض بجوار المقعد وفتشت فيها.

- ثلاثة عشر جنيهًا ستكفي، صحيح؟

امتعض وجهه.

- آه. هيا يا جيس، لا تصعبي الأمر عليَّ.

- من فضلك يا ليام.

ابتسمت ووضعت يدها على ذراعه وكررت: «أرجوك».

نظر إلى الطريق.

- حسنًا، لكن لو تقيأ سآخذ ثلاثين جنيهًا للتعويض وبعدها عليك تنظيف السيارة.

أخفضت رأسها لوجه مستر نيكولز النائم ثم اعتدلت وقالت: «يقول لك إنه موافق».

هز ليام رأسه. تبخر الجو الرومانسي الذي كان بينهما في السابق.

- هيا يا ليام. ساعِدني في وضعه في السيارة، أحتاج إلى العودة لمنزلي.

استلقى ورأسه على ساقيها كطفل مريض، لم تعرف أين تضع يديها. وضعتهما على ظهر الكرسي الخلفي ودعت طول الطريق ألا يتقيأ. كل مرة تأوه أو تحرك فتحت النافذة أو انحنت لتتفقد وجهه. *إياك*. قالتها في سرها. *إياك أن تجرؤ على فعل ذلك*. تحركا مسافة دقيقتين من بارك العطلات عندما رن هاتفها. كانت جارتها بيليندا. دققت النظر في الشاشة المضيئة: «*لاحق الأولاد صبيكِ نيكي مرة أخرى. أمسكوا به خارج محل البطاطس والسمك، أخذه نايجل إلى المستشفى*».

شعرت بثقل بارد يهبط فوق صدرها. أرسلت ردها: «*أنا في طريقي*».

- *قال نايجل إنه سيبقى معه إلى أن تأتي، سأبقى هنا مع تانزي.*

- *شكرًا بيليندا، سآتي في أسرع وقت.*

اعتصرت صدرها قبضة من القلق والتوتر، تحرك مستر نيكولز وخرج منه شخير مطول. حدقت إليه، في قصة شعره باهظة الثمن والجينز الأكثر زرقة من اللازم الذي ارتداه وشعرت فجأة بالغضب. كان يمكن أن تكون في منزلها لولا وجوده، كانت هي لتُمشّي الكلب بدلًا من نيكي.

- ها نحن أولاء قد وصلنا.

أرشدته جيس إلى منزل مستر نيكولز وأخذاه بينهما وذراعاه فوق كتفيهما ورُكبتا جيس تشعران بثقل وزنه غير المتوقع. تحرك قليلًا عندما وصلا إلى بابه وبحثت هي في مفاتيحه بحثًا عن المفتاح الملائم قبل أن تقرر أنه من الأسهل استخدام نسختها.

- أين تريدينه؟

سألها ليام وهو يلهث.

- على الكنبة، لن آخذه إلى الأعلى.

- إنه محظوظ أنكِ أخذتِه إلى أي مكان أساسًا.

وضعته سريعًا في وضع مريح وخلعت نظارته وألقت بجاكيت فوقه وألقت مفاتيحه على الطاولة الجانبية التي لمعتها سابقًا اليوم.

بعدها شعرت أن بإمكانها أن تتفوه بالكلمات لتسأل: «ليام، هل يمكنك أن توصلني إلى المستشفى؟ تعرض نيكي لحادث».

طارت السيارة في الحارات الفارغة في صمت. كانت أفكارها تتسارع، خافت مما ستجده. ماذا حدث؟ ما مدى سوء إصابته؟ هل رأت تانزي أي شيء؟ وتحت طبقات الخوف قبعت الأسئلة الروتينية مثل هل سأقضي ساعات في المستشفى؟ تاكسي من هناك سيتكلف خمسة عشر جنيهًا على الأقل. اللعنة على مستر نيكولز وكأس الفودكا؟

- أتريدينني أن أنتظر هنا؟

وقف ليام أمام قسم الطوارئ.

- أيمكنك؟ سأكون في الداخل لدقيقتين، عليَّ فقط أن أعرف مدى سوء الأمر.

خرجت من السيارة قبل أن يركن حتى.

كان في حجيرة جانبية. عندما فتحت الممرضة الستارة وجدت نايجل يطل عليها بوجهه الممتلئ الطيب يسوده التوتر. كان ظهر نيكي إليهم ووجنته مغطاة بالضمادات وعينه سوداء متورمة تبهت على ما فوقها. غطت مقدمة رأسه ضمادة مؤقتة.

بالكاد منعت جيس نفسها من النواح.

- سيخيطون جروحه، لكنهم يرغبون في إبقائه هنا للتيقن من عدم وجود كسور أو ما شابه.

بدا على نايجل الإحراج.

- لم يرغب في أن أبلغ الشرطة. إذا كنتِ بخير هنا فعليَّ العودة إلى بيليندا. تأخر الوقت...

أومأ في اتجاه المخرج.

همست جيس شكرًا ثم تحركت في اتجاه نيكي. وضعت يدها على البطانية حيث كتفه.

نظر إليها وهمس: «تانزي بخير».

- أعرف يا حبيبي، ماذا حدث؟

جلست على الكرسي البلاستيكي بجواره.

هز كتفيه بخفة. لا يرغب نيكي أبدًا بمناقشة الأمر، ما الجدوى في النهاية؟ الجميع يعرف كيف تجري الأمور؛ تبدو غريبًا، تتعرض للضرب. ما تزال غريب المظهر وما يزالون يضربونك. هذا منطق مدينتهم الساحلية الصغيرة.

ولمرة لم تدرِ جيس ماذا تقول. لا يمكنها أن تخبره أن كل شيء سيكون على ما يرام لأنه من الواضح أن هذا لن يحدث، لا يمكنها أن تخبره أن الشرطة ستلقي القبض على آل فيشر لأنهم لا يفعلون أبدًا، ولا يمكنها أن تخبره أن الوضع سيتغير قريبًا لأنه عندما تكون مراهقًا فإن حياتك تمتد في ذهنك أسبوعين على الأكثر، وكلاهما يدرك أن الأوضاع لن تتغير في مدة كهذه. على الأغلب، لن تتغير الأوضاع في أي وقت بعدها.

أمسكت يده المكدومة ووضعتها بين كفيها ثم خاطبته بهدوء.

- تعرف، سيكون كل شيء على ما يرام. على الأوضاع أن تتحسن، تحتاج إلى أن تصدق هذا، الأوضاع حقًا ستتحسن.

تحرك بعينيه ليقابل عينيها لثانية ثم أشاح بنظره.

- أهو بخير؟

سألها ليام وهي تمشي ببطء ناحية السيارة. تسرب الأدرينالين من جسدها وانحنت كتفاها من الإرهاق. فتحت باب السيارة الخلفي لتحضر جاكيتها وحقيبتها وتأملت عينيه عبر المرآة الأمامية.

- سيعيش.

- الأنذال الصغار. كنت أُحدِّث جارك عنهم. على أحد فعل شيء بشأنهم.

عدَّل مرآته.

- كنت لألقنهم درسًا بنفسي ما لم لم يكن عليَّ الحذر بسبب رخصتي. الملل، هذا هو السبب، ليس لديهم ما يفعلونه فيتنمرون على أحد. تأكدي من أنكِ أخذتِ أغراضك كلها يا جيس.

كان عليها التسلق إلى السيارة لتصل إلى معطفها، وعندما فعلت ذلك أحست بشيء تحت قدمها، شيء أسطواني شبه صلب. حركت قدمها وفتشت بيدها تحت الكرسي في الظلام الجزئي إلى أن عثرت على رزمة من النقود. حدقت إليها في الظلام ثم نظرت إلى ما وقع بجوارها، بطاقة شخصية محفوظة في غطاء بلاستيكي من النوع الذي تستخدمه في المكاتب. بالتأكيد كلتاهما سقطت من جيب مستر نيكولز وهو نائم في المقعد الخلفي.

قبل أن تفكر في ما تفعله حشرتهما في حقيبتها.

- تفضل.

أخرجت محفظتها وتحركت لتخرج المال عندما رفع ليام يده.

- هذه عليَّ، لديكِ ما يكفيكِ من المشكلات.

غمز لها.

- عندما تريدين توصيلة اتصلي بأحد منا ليُقلك، على حسابنا. دان موافق.

- لكن...

- لا لكن. اخرجي الآن يا جيس وتأكدي أن صبيك بخير، سأراك في الحانة.

سمعته يصيح من نافذة السيارة: «وأخبريه أنه إذا حاول أن يبدو تقليديًّا قليلًا لعله يتعرض لضرب أقل».

جيس

غفت جيس في ساعات الصباح الأولى على الكرسي البلاستيكي مستيقظة بين الآن والآخر بسبب قلة الراحة وصوت المآسي في الجناح الذي وراء الستارة. راقبت نيكي ذا الخياطات الطبية الجديدة وهو يستسلم أخيرًا للنوم، وتساءلت كيف لها أن تحميه. تساءلت أيضًا عما يدور في ذهنه، وتساءلت كذلك ومعدتها معقودة بالقلق الذي استقر فيها عما سيحدث تاليًا. ظهر رأس ممرضة من الستارة في السابعة وأخبرتها أنها ستحضر لها شايًا مع التوست. جعلها هذا التصرف اللطيف البسيط تكافح دموعها المحرجة. أتى الاستشاري بعد الثامنة بقليل وقال إن نيكي سيحتاج إلى أن يمضي ليلة أخرى في المستشفى على الأغلب ليتأكدوا من عدم وجود نزيف داخلي، كان هناك ظل غير محدد في الأشعة وأرادوا التأكد من ماهيته. أفضل ما يمكن لجيس فعله هو أن تعود للمنزل وترتاح قليلًا. اتصلت ناتالي لتخبرها أنها أوصلت تانزي للمدرسة مع أولادها وأن كل شيء بخير.

كل شيء بخير.

خرجت من الباص قبل منزلها بمحطتين وذهبت إلى منزل ليان فيشر وطرقت بابها وأخبرتها بكل الأدب الذي تمكنت من استحضاره أنه إذا اقترب جيسون من نيكي مرة أخرى ستبلغ الشرطة، وردًا على ذلك بصقت عليها ليان فيشر وقالت إنه إذا لم تغرب جيس عن وجهها ستلقي بحجر لتكسر نافذتها اللعينة. سمعت جيس صوت ضحكات من منزلهم وهي ترحل.

كان هذا الرد تقريبًا تمامًا ما توقعته.

دخلت إلى منزلها الفارغ ودفعت فاتورة الماء بنقود ضريبة الأملاك العقارية، ودفعت فاتورة الكهرباء بنقود أجر تنظيفها. استحمت وغيرت ملابسها وعملت مناوبتها في الحانة شاردة الذهن لدرجة أن ستيوارت برينجل

وضع يده على مؤخرتها ثلاثين ثانية قبل أن تلاحظ. سكبت نصف كوب من الجعة الغامقة على حذائه.

- لمَ فعلتِ هذا؟

صاح ديس بعدما اشتكى ستيوارت برينجل.

- إذا كنت مرحبًا بالأمر فدعه يضع يده على مؤخرتك أنت.

قالتها وعادت لتنظيف الكؤوس.

- كلامها منطقي.

كنست منزلها كله قبل أن تعود تانزي. كانت متعبة جدًّا لدرجة أنها توقعت أن تدخل في غيبوبة، لكن في الحقيقة كانت غاضبة جدًّا لدرجة أنها قد تكون أدت مهامها كلها بضعف السرعة. لم تستطع التوقف، نظفت وطوت ورتبت لأنها إذا لم تفعل فستأخذ مطرقة مارتي القديمة من على المسمارين المعلقة عليهما في الجراج غير النظيف وتذهب إلى منزل آل فيشر وتفعل شيئًا يقضي عليهم كليًّا. نظفت لأنها إذا لم تفعل فستقف في حديقتها الخلفية الصغيرة التي نمت أكثر من اللازم وترفع وجهها للسماء وتصرخ وتصرخ، ولم تكن متأكدة أنها ستتمكن من التوقف عن الصراخ.

عندما سمعت خطى على الطريق كان المنزل مختفيًا في سحابة سامة من ملمع الأثاث ومنظف المطابخ. أخذت نفسَين عميقَين وسعلت لوهلة ثم أرغمت نفسها على أخذ نفس آخر قبل أن تفتح الباب بابتسامة مطمئنة على وجهها. وقفت ناتالي في مدخل المنزل ويداها على كتفَي تانزي. ذهبت تانزي إليها ولفت ذراعيها حول وسطها واحتضنتها بشدة وعيناها مغلقتان.

- إنه بخير يا حبيبتي. كل شيء بخير. كان فقط عراك شباب تافهًا.

ملست جيس على شعرها.

لمست ناتالي ذراع جيس وهزت رأسها هزة صغيرة ثم رحلت.

قالت لها: «اعتني بنفسكِ».

حضرت جيس شطيرة لتانزي وراقبتها وهي تذهب إلى الجزء الظليل من الحديقة الصغيرة مع الكلب لتحل الخوارزميات، وقالت لنفسها إنها ستبلغها بخصوص سانت آن غدًا. بالتأكيد ستخبرها غدًا.

وبعدها اختفت في الحمام وفردت رزمة النقود التي وجدتها في سيارة الأجرة التي ركبها مستر نيكولز. أربعمئة وثمانون جنيهًا. وضعتها في أكوام مرتبة على الأرض والباب موصد.

تعرف جيس ما ينبغي لها فعله، بالطبع تعرف، لم يكن المال ملكها. كان درسًا لقنته للأولاد كل يوم: «لا تسرق، لا تأخذ مالًا ليس لك، كن *أمينًا تُكافَأ*».

كن أمينًا.

إذًا لمَ لَم تُعد النقود؟ بدأ صوت شرير جديد يهمس في أذنها: «*ولمَ تعيدينها؟ لن يفتقدها. كان مغمى عليه في الجراج وفي سيارة الأجرة وفي منزله. لعلها وقعت في أي مكان منها. من حسن حظكِ أنكِ وجدتِها، الأمر كله نصيب في النهاية. وماذا لو وجدها أحد غيرك؟ أتعتقدين أنهم كانوا ليفكروا حتى في إعادتها؟* بجدية؟».

بطاقة تعريفه كان مكتوبًا عليها اسم شركته وهو ماي فلاي. اسمه الأول إد.

ستعيد المال إلى مستر نيكولز. تحرك ذهنها في دوائر متزامنة مع المجفف.

ولم تعد إليه المال.

لم تكن جيس مشغولة بالمال في الماضي؛ تعامل مارتي مع الماديات، وفي معظم الأوقات كان معهم ما يكفي ليخرج إلى الحانة مرتين في الأسبوع ولتخرج هي مع ناتالي مرة بين الحين والآخر. ذهبوا في عطلات بين الحين والآخر. كانت حياتهم في بعض الأعوام أفضل من أعوام أخرى، لكنهم عاشوا.

ولكن بعدها تعب مارتي من العيش، في عطلة تخييم في ويلز أمطرت ثمانية أيام متتالية وازداد سخط مارتي أكثر فأكثر كأنه يستطيع اعتبار الطقس إهانة شخصية. تمتم وهو ينظر من فتحة الخيمة الرطبة: «لمَ لا يمكننا الذهاب إلى إسبانيا أو أي مكان حار؟ هذا المكان مقرف، هذه ليست إجازة لعينة». تعب من القيادة، ووجد المزيد ليشكو منه. السائقون الآخرون يتآمرون عليه، المنسقون يغشونه، الركاب بخلاء. بعدها بدأت خطط مشروع تسويق هرمي انضما إليه متأخرَين عن الأرباح بأسبوعين، وماركة التيشيرتات التي اختفت لحظة ظهرت. أخبر جيس بثقة عندما عادت من الحانة ذات ليلة أن الاستيراد والتصدير هو أفضل مشروع الآن. قابل رجلًا يمكنه الحصول على بضائع كهربية من الهند، يمكنهم فيما بعد بيعها لشخص يعرفه.

وبعدها -مفاجأة!- اتضح أن الشخص الذي كانوا سيبيعون له البضائع لم يكن الزبون المؤكد الذي وعدوا به مارتي. في ذلك العام كان الصيف الأكثر مطرًا في التاريخ، ومن اشتروا منهم اشتكوا أنهم عطلوا كهرباءهم، وصدأ الباقي حتى في الجراج، وعليه فإن النقود القليلة التي وفروها تحولت إلى كومة بضائع بيضاء كان عليهم تحميلها في سيارة مارتي بمعدل أربع عشرة قطعة أسبوعيًّا ليلقوها في مكب القمامة. ما زالت تحتفظ بفتحات الكهرباء تحت السلالم.

بعدها كان دور الرولز رويس. على الأقل فهمت جيس المنطق من وراء شراء الرولز رويس، سيدهنها مارتي بالرمادي اللامع ويؤجرها كونه سائقًا في حفلات الزفاف والجنائز. اشتراها من على إيباي من رجل في الميدلاندز وسار بها نصف طريق M6 قبل أن تتعطل. أخبروه أنها مشكلة في محركها عندما تفحصوها. لكن كلما تفحصوا اكتشفوا مشكلات أخرى فيها. قضت أول شتاء في ملكيتهم أمام المنزل، وقرضت الفئران قماش الكراسي، فاحتاجوا إلى المال لتبديله قبل أن يتمكن من تأجيرها لأنه من سيؤجر رولز رويس بمقاعد يمسكها شريط لاصق؟ واتضح أن قماش تنجيد سيارة رولز رويس تقريبًا الشيء الوحيد الذي لا يمكنك شراؤه من على إيباي. بقيت السيارة في الجراج كدليل يومي على أنهم لم ينجحوا قط في تغيير وضعهم المادي، وكذلك السبب الذي تحتم بناءً عليه أن يبقى مبردها في رواق المنزل في الدور السفلي.

تولت هي الماديات عندما مرض مارتي وبدأ بقضاء غالبية أيامه في الفراش. الجميع قال إن الاكتئاب مرض، لكن مما قاله أصدقاؤه فلم يبدُ أنه عاناه في الليلتين اللتين تمكن فيهما من جر نفسه إلى الحانة. أخرجت إيصالات البنك من أظرفها وأخذت دفتر التوفير من مستقره في مكتب الرواق وواجهت أخيرًا واقع المشكلات التي غرقوا فيها. حاولت أن تتحدث إليه بضع مرات لكنه رفع الغطاء فوق رأسه وأخبرها أنه لا يستطيع التعامل مع هذا. في ذلك الوقت اقترح أن يعود إلى منزل أمه فترةً، وإن كانت جيس صريحة فقد أحست براحة عندما ذهب. كان من الصعب التعامل مع نيكي الذي كان وقتها ما يزال شبحًا نحيلًا صامتًا وتانزي ووظيفتين.

- اذهب.

ملست على شعره. تتذكر أنها فكرت وقتها في أنه مر وقت طويل منذ لمسته آخر مرة.

- اذهب أسبوعين. ستشعر بالتحسن بعد إجازة قصيرة.

نظر إليها صامتًا بعينيه الحمراوين وضغط على يدها.

حدث هذا منذ عامين. لم يناقش أيٌّ منهما عودته بشكل جدي بعدها.

حاولت أن تُبقي الأمور كالمعتاد إلى أن ذهبت تانزي إلى الفراش، سألتها ماذا أكلت في بيت ناتالي، وأخبرتها ماذا فعل نورمان في غيابها. سرحت شعر تانزي وجلست على السرير ومدت يدها لتحضر قصة كما اعتادت وتانزي طفلة صغيرة، ولمرة لم تخبرها تانزي أنها تفضل حل بعض المسائل الحسابية.

عندما تأكدت جيس أخيرًا أن تانزي نامت، اتصلت بالمستشفى، أخبروها أن نيكي مرتاح وأن الاستشاري سيعود في الصباح الباكر، وبعدها أخبروها أنهم يعتقدون أنه سيمكن لنيكي الخروج من المستشفى. لم تُشِر الأشعة لوجود أي ثقب في الرئة والكسر في وجهه سيتعافى دون تدخل.

اتصلت بمارتي الذي استمع إليها في صمت ثم سأل: «هل ما زال يضع تلك الأشياء كلها على وجهه؟».

- أجل. قليل من الماسكارا.

ساد صمت طويل.

- لا تقلها يا مارتي، إياك أن تقولها.

أغلقت الخط في وجهه قبل أن يتمكن من قول شيء.

اتصلت الشرطة في العاشرة والربع وقالوا إن فيشر أنكر معرفته بما حدث.

أجابتهم بصوت يحاول بشدة عدم الصياح: «كان هناك أربعة عشر شاهدًا من ضمنهم صاحب محل البطاطس والسمك. تهجموا على ابني وكانوا أربعة».

- صحيح، لكن الشهود مفيدون فقط إذا أمكنهم التعرف على المجرمين يا سيدتي، ومستر برينت قال إنه لم يكن واضحًا مَن يهاجم مَن.

تنهد كأن المكالمات من هذا النوع مهمات لا تنتهي وكأنه عليها أن تدرك كيف هم الصبية المراهقون.

- عليَّ أن أخبركِ يا سيدتي أن آل فيشر يزعمون أن ابنك هو من بدأ الشجار.

- احتمالية أن يبدأ ابني شجارًا كاحتمالية أن يبدأ الدالاي لاما اللعين شجارًا. نتكلم عن صبي لا يمكنه ترتيب فراشه دون أن يقلق أنه قد يؤذي أحدًا.

- لا يمكننا فعل شيء بلا أدلة يا سيدتي.

نبرته الميتة أخبرتها أنه يسمع هذا دائمًا.

فكرت في آل فيشر ووضعت السماعة بعنف. بسبب سمعتهم، ستكون معجزة لو «تذكر» شخص واحد حتى ما رأوه.

لوهلة خبأت رأسها بين كفيها. لن يتوقفوا أبدًا، وستكون تانزي ضحيتهم المقبلة عندما تبدأ المدرسة الثانوية. ستكون فريسة سهلة بحبها للرياضيات وغرابة تصرفاتها وبراءتها. ذهبت أفكارها إلى مطرقة مارتي في الجراج، وتخيلت كيف سيكون إحساسها لو أخذتها إلى منزل آل فيشر و...

رن الهاتف ورفعت السماعة بسرعة.

- ماذا الآن؟ هل ستخبرونني أنه ضرب نفسه أيضًا؟ أهذا ما حدث؟

- مسز توماس؟

رمشت متفاجئة.

- مسز توماس؟ معكِ الأستاذ تشانجاري.

- أوه، أستاذ تشانجاري، آسفة. الآن... الآن ليس وقتًا مناسبًا لـــ...

وضعت يدها أمامها. كانت ترتجف.

- اعذري اتصالي في وقت متأخر كهذا، لكنها مسألة تحتاج إلى التصرف على وجه السرعة. اكتشفت شيئًا قد يهمكِ، اسمه أولمبياد الرياضيات.

قال كلماته بحذر.

- ماذا؟

- إنها مسابقة جديدة في اسكتلندا للطلبة المتميزين، وما زالت لدينا فرصة للتقديم لتانزي فيها.

- مسابقة رياضيات؟

أغمضت جيس عينيها.

- هذا لطيف حقًّا يا أستاذ تشانجاري، لكن لدينا الكثير ليشغلنا الآن ولا أعتقد أنني...

- استمعي إليَّ يا مسز توماس، الجوائز خمسمئة جنيه وألف جنيه وخمسة آلاف جنيه. إن ربحت تانزي فيسكون معكِ على الأقل مصاريف عامها الأول في سانت آن.

- كرِّر ما قلت.

كرر كلماته. جلست جيس على الكرسي بينما شرح لها بتفصيل أكثر.

- هذه مسابقة حقيقية؟

- مسابقة حقيقية.

- وتعتقد حقًّا أنه بإمكانها الفوز؟

- هناك قسم فيها مخصص لفئتها العمرية، لا يمكنني أن أتخيل سببًا يمنعها من الفوز.

هلَّل صوت في ذهنها «خمسة آلاف». *مبلغ يكفي على الأقل لمصاريف عامها الأول.*

- ما الحيلة هنا؟

- لا حيل. حسنًا، عليها حل مسائل رياضيات متقدمة، هذا بديهي، لكنها لن تكون مشكلة بالنسبة إلى تانزي.

وقفت ثم جلست مجددًا.

- التفاصيل يا مستر تشانجاري. أخبرني بالتفاصيل.

لفت بدماغها الاحتمالات.

- ما تقوله حقيقي، صحيح؟ هذه ليست مزحة؟

- أنا لست رجلًا خفيف الظل يا مسز توماس.

- اللعنة. اللعنة. أستاذ تشانجاري، أنت قمر.

سمعت ضحكته الخجولة وفكرت أنه محرج من استخدامها ألفاظًا غير لائقة أقل من إحراجه لأنها أول امرأة تدلِّله بالقمر.

- إذًا، ماذا نفعل الآن؟

- حسنًا، لقد قرروا التنازل عن اختبار التأهل عندما أرسلت إليهم عينات من إجابات تانزي. ما فهمته هو أنهم متحمسون جدًّا لإدخال أطفال من مدارس محدودة الموارد، وبيني وبينك، فكونها فتاة في مصلحتها جدًّا هنا. لكن علينا اتخاذ القرار سريعًا، فأولمبياد هذا العام تبدأ بعد خمسة أيام من الآن.

خمسة أيام، والتسجيل في سانت آن مفتوح فقط حتى الغد.

وقفت في منتصف الغرفة تفكر ثم جرت للأعلى وأخذت نقود مستر نيكولز من وسط ملابسها وقبل أن تفكر فيما تفعله حتى وضعتها في ظرف وكتبت معه ملحوظة سريعة، ثم دونت عليه العنوان على الأمام بخط واضح منمق.

سترد له النقود. كل قرش أخذته.

لكن في هذه اللحظة، ليس لديها أي خيار آخر.

في تلك الليلة جلست جيس عند طاولة المطبخ ودرست الأرقام وحضرت خطة مبدئية. دفعت الحد الأدنى في بطاقة ائتمانها، وأرسلت رسالة اعتراض لشركة الغاز تطعن في الفاتورة (ستكسب بهذا شهرًا إلى أن تدفع) وحررت شيكات للدائنين الذين تعرف أنهم لن يمهلوها مثل اتحاد المُلاك. بحثت عن سعر ثلاث تذاكر قطار إلى إدنبرة وضحكت بهستيرية عليه، ثم بحثت عن سعر تذكرة الباص (مئة وسبعة وثمانون متضمنة ثلاثة عشر جنيهًا تكلفة الرحلة إلى محطة الباص) ثم تكلفة إبقاء نورمان في مبيت الكلاب مدة أسبوع (أربعة وتسعون). ضغطت على عينيها بيدها بقوة وتركتها لفترة. بعدها والطفلان نائمان وجدت مفاتيح الرولز رويس وخرجت ونظفت براز الفئران من على مقعد السائق وجربت تشغيل المحرك.

دار في المحاولة الثالثة.

جلست جيس في الجراج الذي تفوح منه دائمًا رائحة العطن، حتى في حرارة الصيف، وهي محاطة بأثاث حديقة قديمة وقطع غيار السيارة ودلاء بلاستيكية ومجارف وصناديق فارغة للمكيف، وتركت المحرك دائرًا بينما تفكر. انحنت للأمام ونزعت ملصق الضرائب. فات عليه عام ولم تكن مؤمنة.

حدقت إليه ثم أغلقت المحرك، وجلست في الظلام بينما هدأ صوت المحرك، وتلاشت رائحة البنزين من الهواء تدريجيًّا، وفكرت في رأسها للمرة المئة: كوني أمينة.

إد

Ed.Nicholls@mayfly.com: لا تنسي ما أخبرتكِ به. يمكنني أن أذكركِ بالتفاصيل إذا أضعتِ البطاقة.

Deanna1@yahoo.com: لـــن أنســـى، ليلتنـــا كلها محفورة في ذهني :).

Ed.Nicholls@mayfly.com: هـــل فعلـــتِ ما أخبرتكِ به؟

Deanna1@yahoo.com: فعلت. شكرًا.

Ed.Nicholls@mayfly.com: أخبريني بالنتائج الجيدة عندما ترينها.

Deanna1@yahoo.com: حسنًا، بناءً على أدائك في السابق فأنا أتوقع نتائج لن تكون أقل من المذهلة ;)

Deanna1@yahoo.com: لم يفعل أحد شيئًا كالذي فعلته من أجلي قط.

Ed.Nicholls@mayfly.com: حقًّا، بالكاد فعلت شيئًا.

Deanna1@yahoo.com: أتريـــد أن نتقابـــل الأسبوع المقبل؟

Ed.Nicholls@mayfly.com: مشـــغول قليـــلًا الآن. سوف أؤكد عليكِ.

Deanna1@yahoo.com: أعتـــقـــد أن الأمـــور بخير لكيلنا ;).

تركه المحامي ينتهي من قراءة ورقتَي الإيميلات ثم مررهما إلى بول ويلكس.

- ألديكَ أي تعليق على ما قرأت يا مستر نيكولز؟

كان هناك شي محرج لدرجة العذاب فيما يتعلق برؤية إيميلاتك الخاصة معروضة في أوراق رسمية. وضح للعيان كل شيء من لهفته في ردوده السريعة وتلميحاته الجنسية التي هي بالكاد تلميحات، والإيموجيز المبتسمة (أهو فتى في الرابعة عشرة؟) وعرض كل هذا في غرفة اجتماعات جعل روحه تذبل.

أخبره بول: «ليس عليك قول أي شيء».

دفع إد الأوراق بعيدًا عنه

- يمكن لهذه المحادثة أن تكون بخصوص أي شيء. من الممكن أنني كنت أطلب منها أمرًا جنسيًّا. هذا كله يمكنه أن يكون جنسًا عبر الإيميل.
- في الحادية عشرة والربع صباحًا؟
- وماذا يمنع؟
- في مكتب مفتوح؟
- أنا بلا حياء.

خلع المحقق نظارته ونظر إليه بجدية.

- جنس عبر الإيميلات؟ حقًّا؟ هذا ما كنت تفعله هنا؟
- لا، ليس في هذه الحالة، لكن هذا ليس موضوعنا.
- أعتقد أن هذا تحديدًا هو موضوعنا يا مستر نيكولز. هناك أكوام من هذا، ولدينا أدلة ورقية تثبت أنكما تقابلتما مرتين. تذكر أنكما ستبقيان على تواصل...

قلب في أوراقه ليبحث عن بقية العبارة وتابع: «ل إذا ما كان بإمكاني مساعدتكِ أكثر».

- لكن هذا لم يكن ما أعنيه. كانت مكتئبة وتعاني محاولة التخلص من حبيبها السابق. أردت فقط أن.. أسهل الأمور عليها. أظل أكرر لك هذا.

- إد...

كان صوت بول كجرس إنذار.

- لدينا بضعة أسئلة فقط.

وكان لديهما أسئلة. أرادا أن يعرفا كم مرة بالتقريب اعتاد أن يقابل ديانا وأين ذهبا وما هي طبيعة علاقتهما تحديدًا. لم يصدقاه عندما قال إنه بالكاد يعرف عن حياتها شيئًا ولم يصدقاه عندما قال إنه لا يعرف أي شيء عن شقيقها.

- بربك! ألم تكن قط في علاقة فقط للجنس؟

- تقول مس لويس إن علاقتكما لم تكن جنسًا فقط. تقول إنكما كنتما في «علاقة حميمية وثيقة» وإنكما تعرفان بعضكما بعضًا من الجامعة، وإنك أصررت أن توافق على اتفاقكما، وضغطت عليها لتقبل، وتقول إنها لم تعرف أن بقبولها نصيحتك أقدمت على فعل غير قانوني.

- لكن... لكنها تجعل الأمر يبدو كما لو أن علاقتنا أكثر بكثير مما هي عليه في الواقع. لم أجبرها على فعل أي شيء.

- إذًا أنت تعترف أنك أعطيتها المعلومات؟

- لم أقل هذا! كل ما قلته...

قاطع بول المحادثة.

- أعتقد أن ما يحاول موكلي قوله هو أنه لا يمكن تحميل مسؤولية أي أوهام كوَّنتها مس لويس بخصوص علاقتهما، أو أي معلومات أعطتها لشقيقها.

- ولم نكن على علاقة. ليس هذا النوع من العلاقات.

هز المحقق كتفيه في عدم اهتمام وقال: «أتعرف؟ أنا حقًّا لا أهتم بطبيعة علاقتكما، ولا أهتم إذا كان الجنس بينكما عظيمًا. كل ما أهتم به يا مستر نيكولز هو أنك تعترف بأنك أعطيت هذه الشابة معلومات، كما أخبرت صديقة

لها في الثامن والعشرين من فبراير «ستكسبها أرباحًا هائلة»، وكما توضح لنا كشوف حساباتها هي وشقيقها، فإن تلك المعلومات أكسبتهما «أرباحًا هائلة» بالفعل».

بعد ساعة خرج فيها إد بكفالة لأسبوعين، جلس في مكتب بول ويلكس. صب لهما بول الويسكي وجلسا في صمت بينما تجرع إد كأسه. بدأ يكوِّن عادة غريبة في اعتياد مذاق المشروبات القوية وشعورها في الصباح.

- لا يمكنهم تحميلي مسؤولية ما قالته هي لشقيقها. لا يمكنني أن أتأكد من أن كل حبيبة محتملة لديها شقيق يعمل في مجال متعلق بالموارد المالية. من يفعل هذا؟ بالتأكيد سيتفهمون موقفي.

رجع بول للوراء في كرسيه وتنهد كشخص معتاد على تكرار شرحه للأمور الواضحة.

- الأدلة كلها تقود إليك. هي وشقيقها كسبا أطنانًا من المال بشكل غير قانوني، ونجحا في ذلك بفضل معلومات أعطيتها إياها.

- كنت أحاول مساعدتها.

- ونجحت في ذلك بكل تأكيد، لكن SFA وSOCA(1) لا تهتمان بدوافعك يا إد.

- أيمكنك التوقف عن استخدام الاختصارات في كلامك؟ ليس لدي أدنى فكرة عما تقوله.

- دعني أبسط، حاول تخيل هيئة مكافحة جرائم متعلقة ولو قليلًا بالقطاع المالي أو الجريمة، هؤلاء جميعًا يحققون في قضيتك الآن.

- تقولها كأنه سيتم تجريمي.

وضع إد الويسكي بجانبه على الطاولة.

- نعم، أعتقد أن هذا ما سيحدث في الغالب، وأعتقد أننا سنواجه المحاكم بسرعة. يحاولون تعجيل الإجراءات القانونية لقضايا كهذه.

حدق إد إليه ووقع رأسه بين كفيه من الصدمة.

---

(1) هيئة السندات المالية والعقود الآجلة Securities and Futures Authority ووكالة مكافحة الجرائم المنظمة الخطيرة Serious Organised Crime Agency.

- أنا في كابوس، أريدها... أريدها أن تختفي من حياتي يا بول. أريد أن يختفي هذا كله.

- حسنًا، أفضل ما يمكننا أن نأمل بحدوثه هو أننا سنتمكن من إقناع القاضي بأنك نيرد. وجد نفسه في وضع لا يعرف كيف يتصرف فيه.

- عظيم.

- ألديك فكرة أفضل؟

هز إد رأسه نافيًا.

- إذًا ابقَ حيث أنت.

- عليَّ فعل شيء يا بول، عليَّ العودة إلى العمل، لا أعرف ماذا أفعل عندما لا يكون لدي عمل. مدينة اللامكان التي أنا فيها تقودني للجنون.

- كما أخبرتك فإن المدعين يريدون إغلاق القضية بسرعة، لكن إذا كنت مكانك فسأبقى حيث أنا. قد تسرب SFA التفاصيل، وحينها ستخرب الأمور حقًّا. حضَّرت تصريحًا يقر بأنك بريء تمامًا، وبأننا واثقون تمام الثقة بأنه سيُبرَّأ اسمك في المحكمة. لكن عندما يتسرب الخبر ستكون وسائل الإعلام لصيقة بكَ كأنها جلدك الثاني. أفضل ما نفعله الآن هو أن تختبئ في مدينة اللامكان أسبوعًا أو أكثر.

كتب بول ملاحظة على أجندته.

نظر إد إلى المكتوب بالمقلوب من حيث جلس وسأل: «أتعتقد أن الأخبار ستصل إلى الصحف؟».

- لا أدري. على الأغلب ستصل. من الأفضل أن تُعلم عائلتك بما يحدث على أي حال ليكونوا مستعدين لأي تغطية سلبية تمسهم.

وضع إد يديه على ركبتيه.

- لا أستطيع.

- لا تستطيع فعل ماذا؟

- لا أستطيع إخبار والدي بهذا كله، إنه مريض وهذا سوف يـ...

هز إد رأسه.

عندما رفع عينيه في النهاية وجد بول ينظر إليه.

- حسنًا، هذا قرارك في نهاية الأمر، لكن كما قلت فأنا أعتقد أن الخيار الأكثر حكمة هو أن تظل في مكان هادئ لا يمكن لوسائل الإعلام الوصول إليك فيه عندما تنفجر القضية. واضح أن ماي فلاي لا يريدونك بالقرب من مكاتبهم إلى أن تغلق القضية. يراهنون على أموال ضخمة في إطلاق منتجهم الجديد، لذا عليك أن تبتعد تمامًا عن أي شخص مرتبط بالشركة. لا مكالمات ولا إيميلات، وإذا تمكن أحد من الوصول إليك فبربك لا تقل أي شيء. لأي شخص.

أغلق قلمه بضغطة معلنًا بهذا نهاية الحوار بينهما.

- إذًا عليَّ الاختباء في وسط اللاشيء وتضييع الوقت حتى يسجنوني؟

وقف المحامي وأغلق ملفه الذي كان على المكتب.

- حسنًا، كلفنا أفضل فريق لدينا بتولي القضية، وسنبذل كل جهد في محاولة منع هذا من الحدوث.

وقف إد مستعدًّا للمغادرة، واستوعب ببطء أن المحامي لم ينفِ أي شيء قاله له. فتح بول الباب له: «والمرة القادمة يا إد، أخبرها أنك لست مهتمًّا بعلاقة معها، سيغنيك هذا عن أي مشكلات».

وقف إد على السلالم أمام مكتب بول يرمش متفاجئًا وهو محاط بموظفين ومكاتب بلون الحبر، وموصلي ملفات وطرود يخلعون خوذاتهم من على رؤوسهم المتعرقة، وسكرتيرات بسيقان عارية يضحكن مع بعضهن بعضًا ذاهبات ليأكلن السندويتشات في المتنزه، وشعر بحنين مفاجئ لحياته القديمة. تلك الحياة التي كان يملك فيها ماكينة إسبريسو في مكتبه، وسكرتيرته تقضم قضمات صغيرة من السوشي جالسة في مكتبها، وشقته مطلة على المدينة، وأسوأ ما في نهاره أنه سيستلقي على كنبة في مكتبه ويسمع للبذلات وهم يتكلمون عن المكاسب والخسارات. لم يقارن حياته قط بحياة غيره، لكنه الآن شعر بحسد مؤلم لكل الأشخاص حوله بمشاغلهم اليومية التقليدية وقدرتهم على ركوب المترو عائدين لمنازلهم وعائلتهم، والمتعة البسيطة التي يحظون بها بمجرد تناول الطعام مع أصدقائهم، أو الاسترخاء أمام التلفزيون وهم يحتضنون أحدهم. ماذا يملك هو؟ أسابيع من الحبسة في منزل فارغ بلا أحد يكلمه ولا شيء يشغله إلا اعتقاله الذي يقترب؟

عاد بذهنه إلى الأسبوع الماضي، واستيقاظه على كنبته في بيتشفرونت بلا أدنى فكرة عن كيفية وصوله إليها. فمه جاف كأن أحدًا ملأه بالقطن، ونظارته مطوية وموضوعة على الطاولة. كانت ثالث مرة في ثلاثة أسابيع يسكر فيها لدرجة أنه لا يتذكر كيف عاد إلى المنزل، والمرة الأولى التي يعود فيها بجيوب فارغة.

لم يكن شرهًا في شرابه. طالما أكدت لارا أن الكحول تزيد دهون منطقة المعدة وأنه يشخر إذا شرب أكثر من كأسين. شعر برغبة في شراب الآن تفوق رغبته بأي شيء في حياته، وإليك هذا «يفتقد عمله أكثر بكثير مما افتقد زوجته في حياته كلها». افتقده كافتقاده لعشيقة دائمة، افتقد وجود روتين تسير عليه حياته. لقرابة خمسة أعوام كانت حياته تسير بدقة أدق ساعة في العالم:

- السابعة صباحًا يستيقظ ويشرب القهوة.
- السابعة والنصف صباحًا موعد مع مدربه الخاص، ثم استحمام، وبعدها يذهب إلى عمله مشيًا، ويشرب قهوته الثانية مع رونان.
- التاسعة صباحًا عمل.
- الثامنة والنصف مساءً ينهي عمله، ربما يشرب كأسًا مع رونان في الحانة أسفل الشركة، ويعود للمنزل، وربما يبقى فترة أطول ويعمل.

كانت حياته منظمة ومطمئنة ومُرضية، والآن على إد نيكولز أن يستدعي لذهنه سببًا ليرتدي ملابسه كل صباح. كان عليه إقناع نفسه أن حياته لم تنتهِ بعد.

تمالك نفسك يا نيكولز. خذ نفسًا عميقًا. فكر بمنطقية، لكل مشكلة حل. دائمًا لها حل.

تفقَّد هاتفه (هاتف جديد بثلاثة أرقام محفوظة عليه). لديه رسالتان صوتيتان من جيما. لا أحد غيرها يتصل به. تنهد إد ومسح الرسالتين ثم خرج ليمشي على رصيف حمصته الشمس متجهًا للجراج.

جلس إد مدة في شقته الفارغة وذهب إلى مطعم بيتزا ليأكل ثم عاد لشقته مجددًا، وبعدها، لأنه لم يجد سببًا ليبقى في المدينة، ركب سيارته وقادها متوجهًا إلى الساحل. تراءت إليه ديانا لويس طوال الطريق من لندن، تدور

وتدور أمامه كأنها درويش على زجاجه الأمامي. فكر في عينيها البنيتين الكبيرتين نصف المغلقتين من الضحك على إحدى مزحاته وطرفاهما يتجعدان من الضحك في بهجة، رآهما تنظران مباشرة إلى عينيه كأنهما تسمحان له برؤية روحها. تحركت أفكاره بسرعة كالسمك الصغير. كيف له أن يكون بهذا الغباء؟ أم إنه لم يدرك واقعًا خبيثًا؟ هل خططت لهذا كله مع شقيقها؟ هل هذا انتقام مجنون لأنه تركها؟

قاد سيارته والأسئلة ترن في دماغه، اقشعر بدنه غضبًا ومع كل ميل قطعه زاد غضبه، لمَ لم يعطها مفاتيح شقته ومعلومات حسابه البنكي مثلما فعل مع زوجته السابقة لتتمكن هي الأخرى من مص دمه؟ كان هذا ليكون أخف عليه مما حدث، على الأقل كان ليتمكن من الإبقاء على وظيفته حينها. الإبقاء على صديقه.

ركن سيارته على الطريق قبل مخرج جودالمينج مدفوعًا بغضبه واتصل بها. كان عليه محاولة تذكُّر رقمها لأن السلطات صادرت هاتفه القديم وعليه أرقامه كلها باعتباره من الأدلة. أراد أن يصرخ فيها: «*ماذا ظننتِ أنكِ تفعلين؟ لم فعلتِ شيئًا كهذا لأحد؟ ماذا فعلتُ لكِ يبرر تدمير حياتي كلها وتركي وسط هذا الحطام؟*».

لكن الرقم لم يرن.

جلس إد في حارة الطوارئ وهاتفه في يده وشعر بغضبه يتقلص. تردد ثم اتصل برقم رونان. كان واحدًا من أرقام قليلة يحفظها عن ظهر قلب.

رن عدة مرات قبل أن يرد أحد.

- رونان...

- ممنوع عليَّ التحدث إليك يا إد.

صوته بدا متعبًا.

- أعرف ذلك. فقد أردت... أردت أن أقول...

- ماذا؟ ماذا أردت أن تقول يا إد؟

أخرسه الغضب في صوته.

- أتعرف؟ لا أهتم حقًّا بموضوع التداول الداخلي، رغم أنه كارثة بيِّنة حلت على الشركة. لكنك صديقي، أقدم أصدقائي. لم أكن لأفعل لك ما فعلته لي قط لو تبدلت أدوارنا.

سمع صوتًا ثم انقطع الخط.

جلس إد وترك رأسه يهوي على عجلة القيادة بضع دقائق. انتظر حتى تلاشى الطنين في رأسه تمامًا ثم خرج ببطء من ركن الطوارئ وقاد سيارته إلى بيتشفرونت.

رن الهاتف وهو ينزل من تفريعة في الطريق. نظر إلى الشاشة المضيئة وتنهد ثم ضغط زرًّا على عجلة القيادة ليرد.

- ماذا تريدين يا لارا؟

لم توحِ نبرته بأنه يسأل سؤالًا.

- هاي حبيبي، ما أخبارك؟

- آه.. ليست بأحسن حال.

- أوه لا! ما الأمر؟

لا يدري إذا ما كانت عادة إيطالية، لكن كانت لدى طليقته قدرة على جعلك تشعر بتحسن في مزاجك. ستحتضن رأسك في حجرها وتمرر أصابعها في شعرك وتعتني بك وتتكلم بأمومية. في نهاية علاقتهما كان سلوكها هذا يزعجه، لكن الآن على الطريق الفارغ في الظلام الدامس، أحس بالحنين إليه.

- إنها.. إنها مشكلة في العمل.

- آه، مشكلة في العمل.

امتعاض أوتوماتيكي في صوتها. تساءل إد إذا ما ظنت أنه سيخبرها أنه افتقدها.

كان يعرف أن الزواج بلارا فكرة سيئة، تمامًا كما يقول الناس: «حتى وأنا واقف على المذبح كنت أعرف في داخلي أن ما أفعله ليس موفقًا»، وتقول في داخلك: «يا أحمق! لم تزوجت رغم ذلك؟»، حسنًا، كان هو ذلك الأحمق. تزوجا لأنه كان يعرف أن لارا أرادت بشدة أن يتزوجا، ولأنه ظن أن هذا سيسعدها.

استغرقه الأمر أسبوعين ليدرك أن الزواج لن يجعلها سعيدة على الإطلاق. أو على الأقل، الزواج به هو لن يجعلها سعيدة.

- بخير يا لارا، كيف حالك؟

- ماما تدفعني للجنون، ولدينا مشكلة في سطح المنزل.

- ألديكِ أي أدوار جديدة؟

أصدرت صوتًا بأسنانها عند شفتيها.

- اتصلوا بي بشأن عرض في الويست إند، وبعدها قالوا إنني أبدو أكبر مما يجب للدور. أكبر مما يجب!

- لا تبدين كبيرة.

- أعرف! يمكنني أن ألعب دور فتاة في السادسة عشرة! حبيبي، عليَّ التحدث معك بخصوص السطح.

- إنها شقتك يا لارا، حصلتِ على تسوية.

- لكنهم يقولون إنها ستكلف الكثير. الكثير. ليس معي شيء.

حافظ على اعتدال صوته.

- ماذا حدث للتسوية؟

- انتهت، احتاج أخي إلى بعض المال لعمله، وتعرف أن صحة بابي متدهورة، وكان لدي بعض بطاقات الائتمان...

- كلها؟

- لا أملك ما يكفي للسطح، وقالوا لي إنه سيسرب في الشتاء. إدواردو...

- حسنًا، يمكنكِ بيع اللوحة التي أخذتها من شقتي في ديسمبر.

ألمح محاموه إلى أنها كانت غلطته لأنه لم يغير أقفال الشقة. الجميع ظن هذا على ما يبدو.

- كنت حزينة يا إدوارد، أفتقدك، أردت فقط شيئًا لأتذكرك به.

- أكيد، لتتذكري الرجل الذي قلتِ إنك لا تتحملين مجرد النظر إليه حتى.

- كنت غاضبة عندما قلت هذا.

نطقتها «*غادبة*». كانت دائمًا «*غادبة*» في نهاية علاقتهما. فرك عينيه وحرك مؤشره ليتحرك نحو المخرج المؤدي للطريق الساحلي.

- أردت تذكارات من الوقت الذي كنا فيه سعيدَين.

- ربما المرة المقبلة التي تفتقدينني فيها يمكنك أخذ صورة مؤطرة لنا أو ما شابه، لا لوحة نادرة قيمتها أربعة عشر ألفًا لماو تسي تنج.

أخفضت صوتها حتى قارب الهمس ليملأ سيارته بشكل حميمي أكثر من اللازم.

- ألا تهتم أنني لا أجد من ينقذني سواك؟

كان صوتها ناعمًا كقطة. زمجرة صغيرة حزينة أشعلت في جسده الرغبة. كان رد فعل معتاد، وكانت تعرف هذا.

نظر إد سريعًا في مرآته الخلفية.

- حسنًا، لمَ لا تطلبين المال من جيم ليوناردز؟

- ماذا؟

- زوجته كلمتني، غريب، لكنها ليست سعيدة للدرجة.

- حدث هذا مرة واحدة! خرجت معه مرة واحدة، وليس لأحد أن يحكم على من أواعد.

سمع صياحها الغاضب. كان بإمكانه تخيلها بيد منمقة مرفوعة وأصابع متباعدة في انفعال، لأن عليها التعامل مع «أكثر رجل مزعج على الأرض».

- تركتني! أم من المفترض أن أقضي بقية حياتي كراهبة؟

- أنتِ من تركتني يا لارا، في السابع والعشرين من مايو في طريق العودة من باريس، أتتذكرين؟

- دعك من التفاصيل! دائمًا ما تحوِّر كلامي بالتفاصيل! لهذا اضطررت إلى أن أتركك!

- ظننت أنكِ تركتني لأنني أحب عملي فقط ولأنني لا أملك القدرة على استيعاب المشاعر الإنسانية.

- تركتك لأن عضوك صغير! صغير، شديد الصغر! كأنه عسكري.

- تعنين جمبريًّا.

- جمبري، سمك، أيًّا كان الشيء الأصغر! صغير!

- في هذه الحالة إذًا أعتقد أنكِ تعنين الروبيان. تعرفين، باعتبار أنكِ أخذت لوحة نادرة قيمة، أعتقد أنه كان عليكِ وصفه بالكركند على الأقل، لكن لا يهم. أيًّا كان.

سمع سبة بالإيطالية وسماعة تليفون تُغلق بعنف. قاد عدة أميال سينسى أنه قادها فيما بعد، ثم تنهد وشغل الراديو وعلق نظره بالطريق الأسود الذي بدا ممتدًّا إلى ما لا نهاية أمامه.

اتصلت جيما وهو متجه لطريق الساحل، أضاء اسمها على شاشة سيارته، ورد إد قبل أن يفكر في أسباب تمنعه من الرد. شعر أن هاتفه يرن فقط حتى يتمكن أحد من الصياح فيه.

- لا تقلها، أنت مشغول جدًّا.

- أنا أقود السيارة.

- ولديك ذلك الشيء الذي ترد به دون استخدام يديك، ماما تريد أن تعرف إذا كنت آتيًا لغداء ذكراهم السنوية.

- أي غداء ذكرى سنوية؟

- بربك يا إد، أخبرتك بالأمر قبل شهور.

- أعتذر، لا يمكنني الوصول إلى مفكرة مواعيدي الآن.

سمعها تسحب نفسًا.

- سيدعون بابا يخرج الثلاثاء المقبل، وماما تحضر غداءً مميزًا في المنزل لهما. قلت إنه بوسعك الحضور.

- آه، صحيح.

- صحيح ماذا؟ صحيح تتذكر؟ أم صحيح لستَ قادمًا؟

نقر عجلة القيادة بأصابعه؟

- لا أدري.

- انظر، بابا كان يسأل عنك بالأمس، أخبرته أنك مشغول في مشروع في العمل، لكنه ضعيف جدًّا يا إد. هذا الغداء مهم جدًّا له. لكليهما.

- جيما، أخبرتكِ...

علا صوتها داخل السيارة.

- آه، أعرف. أنت مشغول جدًّا، أخبرتني أنه هناك الكثير من الأشياء تدور في حياتك الآن، أخبرتني أن هنالك ما يجري في حياتك.
- هنالك ما يجري في حياتي! ليس لديكِ أدنى فكرة!
- أوه بالطبع لا، لا يمكنني أن أفهم شيئًا كهذا، صحيح؟ أنا فقط موظفة خدمة اجتماعية غبية لا تكسب راتبًا لعينًا من ستة أرقام. هذا والدنا يا إد، هذا الرجل الذي ضحى بكل شيء ليتمكن من تعليمك. يظن أن الشمس تشرق من مؤخرتك من فخره بك. لن يبقى معنا فترة أطول، عليك أن تأتي إلى هنا وترينا وجهك وتقول ما ينبغي للأبناء قوله لآبائهم المحتضرين، اتفقنا؟
- لا يحتضر.
- وكيف تعرف؟ لم تأتِ لرؤيته منذ شهرين!
- انظري، سآتي، كل ما في الأمر أن عليَّ...
- لماذا تتحجج مرارًا وتكرارًا؟
- لا أتحجج يا جيم...
- هراء. أنت رجل أعمال، أنت رجل أفعال. افعل هذا أو أقسم لك إنني...
- لا أسمعكِ يا جيم. آسف، الشبكة غير جيدة هنا. أنا...

بدأ يصنع أصوات ششششش ثم مد يده وضغط زر إنهاء المكالمة. أُغلق الخط ولكنه سمعها تصيح قائلة: «وغد!» قبل أن يغلق.

شغل الراديو، برنامج ممل عن معدل إنتاج الحليب. غيَّر القناة ولكن الموسيقى كانت حادة ومزعجة وذكرته بأخته أكثر من اللازم. حاول أن يسمع موسيقى كلاسيكية (كئيبة جدًّا) أو الراديو المحلي التجاري (الدي جي مزعج جدًّا) قبل أن يستسلم في النهاية ويطفئ الراديو.

رن الهاتف، رأى الرقم وتجاهله. رن مجددًا. تجاهله. في المرة الثالثة تنهد وضغط زر الرد.

- غداء واحد، غداء واحد بسيط، هذا كل ما أطلبه منك يا إد.

استخدمت صوت عاملة الخدمة الاجتماعية، مفعم بالهدوء والتفاهم.

رأى سيارة شرطة أمامه وتفقد عداد سرعته متوقعًا حطام سيارات معدنيًّا. وجد سيارة رولز رويس قذرة بنور واحد ضعيف مائلة على حافة الطريق تحت الضوء الأصفر للطريق، وقفت بجانبها فتاة صغيرة تحمل في يدها طوق كلب عملاق. تابعته برأسها وهو يمر بجانبهم.

- أتفهم أن لديك التزامات كثيرة وأن وظيفتك مهمة جدًّا. كلنا نتفهم هذا يا عملاق التكنولوجيا، لكن هل نطلب الكثير بطلبنا غداءً عائليًّا محرجًا واحدًا مع والدك المريض وشقيقتك الخيِّرة كثيرة العمل قليلة الأجر؟

- لحظة يا جيم، هناك حادث على الطريق.

بجانب الفتاة وقف مراهق شاحب -صبي؟ صبية؟- بشعر داكن ويداه في جيبيه وكتفاه محنيتان ويولي جانبه للشرطي الذي يكتب شيئًا. معهم طفل آخر، لا، امرأة صغيرة الحجم وشعرها مربوط في ذيل حصان غير مهندم. كانت ترفع يديها حانقة بطريقة ذكَّرته بلارا. *أنت مزعج جدًّا!*

كان قد قاد بضع مئات ياردات إلى أن فهم الصدمة التي ألمَّت به. يعرف تلك المرأة. فتش في ذهنه محاولًا التذكر... الحانة؟ بارك الإجازات؟ تراءت إليه فجأة وهي تأخذ مفاتيح سيارته، ذكرى لها وهي تنزع عنه نظارته في منزله. ماذا تفعل مع طفليها في الخارج في هذا الوقت المتأخر؟ ركن سيارته ونظر من مرآته الأمامية يراقبهم. كانت الفتاة قد جلست على حافة الطريق الداكنة والكلب بجانبها كأنه كتلة سوداء هائلة.

- إد؟ هل أنت بخير؟

اقتحم صوت جيما الصمت.

بعدها، لم يكن متأكدًا تمامًا مما جعله يفعل ما فعل، لعلها كانت محاولة لتأجيل عودته إلى منزله الفارغ ومشاهدة التلفزيون حتى الساعات الأولى من الصباح. لعلها كانت غرابة الأمر، إقحام نفسه في المشهد الذي يحدث أمامه لم يعد تصرفًا غريبًا في حياة بعيدة جدًّا عن حياته الطبيعية.

لعله فقط أراد أن يثبت لنفسه أنه ليس وغدًا، رغم الأدلة التي تثبت العكس.

ركن سيارته وأدارها ليقود ببطء عائدًا إلى المكان شحيح الإضاءة في الطريق حتى وصل إلى سيارة الشرطة. ركن في الجانب المقابل لهم من الطريق.

أنزل زجاج سيارته وقال: «مرحبًا، هل يمكنني المساعدة؟».

تانزي

سمحوا لنيكي بالخروج في الخامسة إلا الربع. أعطته تانزي النينتيندو الذي أحضرته من المنزل وأخذته في الباص وراقبته بصمت وهو يلعب بأصابع مجروحة. تبخر مزاجها الجيد قليلًا عندما رأت وجه نيكي المتورم للمرة الأولى، لم يشبه نفسه، وكان عليها أن تحاول جاهدة ألا تبعد عينيها عن عينيه مهما شعرت بالحاجة لتتجول بنظرها إلى مكان آخر، حتى لو كانت تلك الصورة الغبية على الحائط لحصان يجري، وكان الحصان لا يبدو كالأحصنة حتى. أرادت أن تخبر نيكي بأنهم ألحقوها بسانت آن، لكن كان من الصعب التفكير في الأمر كثيرًا وهم في تلك الغرفة الصغيرة ورائحة المستشفيات تداعب أنفها وعينا نيكي لهما شكل غريب.

أصدر أصواتًا غريبة وهو يمشي وحاول أن يحبسها في فمه، كأنه لم يرغب في أن يبين كم يؤلمه المشي. وجدت تانزي نفسها تفكر في أن آل فيشر فعلوا هذا. آل فيشر فعلوا هذا. وشعرت بالخوف قليلًا لأنها لم تتخيل أن شخصًا يعرفونه يمكنه أن يفعل شيئًا كهذا بلا أدنى سبب. كان على ماما أن تمر بكل الجدالات مع موظفي المستشفى عن أنها، نعم، ليست حقًّا أم نيكي، لكنها بمنزلة أمه، ولا، ليس لديه اختصاصية اجتماعية. دائمًا ما ولَّد ذلك إحساسًا غريبًا لدى تانزي، كأن نيكي لم يكن حقًّا جزءًا من العائلة، رغم أنه كان.

عندما نهض نيكي ليمشي في الرواق وضعت يدها بلطف في يده، ورغم أنه في العادة كان ليبعدها قائلًا: «تحركي يا كتكوتة» أو شيئًا من تلك الأشياء الغريبة التي يقولها، لكنه هذه المرة ضغط على أصابعها قليلًا وابتسم ابتسامة صغيرة بفمه المتورم كأنه سمح لها بإمساك يده مرةً (على الأقل حتى أخبرها: «تانزي، رفيقتي، أنا حقًّا أحتاج إلى استخدام الحمام الآن»).

وجه ماما كان شاحبًا وظلت تعض شفتيها كأنها أرادت قول أكثر بكثير مما قالته. لم ينظر نيكي إليها ولو مرة.

بعدها، عندما حضر الكثير من الأطباء والعاملين إلى الغرفة طلبت ماما من تانزي أن تنتظرها في الخارج، ومشت إيابًا وذهابًا في الرواق المعقم الطويل وهي تقرأ أبحاثها وتحل مسائل الجبر التي معها. دائمًا ما عدلت الأرقام مزاجها. لو عاملت الأرقام بالشكل الصحيح فدائمًا ما سيفعلون ما ينبغي لهم فعله، كأنهم محاطون بنظام سحري يمكنك فك رموزه لو كان معك المفتاح المناسب.

كان نيكي قد ارتدى ملابسه عندما عادت إلى الغرفة. خرج من الغرفة ببطء شديد، وتذكر أن يشكر الممرضة.

قالت لماما: «ولد لطيف، أليس كذلك؟ مؤدب».

كانت ماما تجمع أغراض نيكي.

- هذا أسوأ ما في الأمر، كل ما يريده هو أن يتركوه لحاله.

- لا يتركون أحدًا لحاله هنا، صحيح؟

ابتسمت الممرضة لتانزي وقالت لها: «اعتني بأخيكِ، اتفقنا؟».

تساءلت تانزي وهي خارجة ناحية المدخل الرئيسي خلف نيكي ماذا يعني لعائلتهم أن كل محادثة يجرونها الآن تنتهي بنظرة غريبة والكلمات «اعتني بنفسك».

حضَّرت ماما العشاء وأعطت نيكي ثلاث حبات دواء مختلفة الألوان ليبتلعها، وجلسوا يشاهدون التلفزيون معًا على الكنبة. كانوا يعرضون Total Wipeout الذي كان في العادة يجعل نيكي على وشك أن يبول على نفسه من الضحك، لكنه بالكاد قال شيئًا منذ عادوا إلى المنزل، ولم تعتقد تانزي أنه سكت لأن فكه يؤلمه. بدا غريبًا. فكرت تانزي في كيف هجم عليه هؤلاء الأولاد، وفي السيدة التي أخذتها لمتجرها حتى ترى ما يحدث، وحاولت أن تتجاهل تلك الأفكار لأنها تشعر بغصة في معدتها عندما تتذكر أصواتهم وهم يضربونه، رغم أن ماما قالت إنها لن تسمح لهذا بالحدوث مجددًا أبدًا أبدًا، وإنها يجب ألا تفكر في الأمر، اتفقنا؟

كانت ماما مشغولة في الأعلى. سمعتها تانزي تجر وحدات التخزين وتتحرك ذهابًا وإيابًا أمام السلالم. كانت مشغولة جدًّا لدرجة أنها لم تلاحظ أن موعد نومها مر منذ وقت طويل.

وكزت نيكي برقة شديدة بإصبعها وسألته: «هل يؤلم؟».

- هل ماذا يؤلم؟

- وجهك.

- ماذا تعنين؟

نظر إليها كأنه ليس لديه أدنى فكرة عما تتحدث عنه.

- حسنًا.. شكله غريب.

- وجهكِ أيضًا شكله غريب. هل يؤلمك؟

- ها ها.

- أنا بخير يا تيتش. انسي الموضوع.

وبعد أن حدقت إليه قال: «حقًّا. فقط.. انسي الموضوع، أنا بخير».

دخلت ماما ووضعت الطوق على نورمان. كان مستلقيًا على الكنبة ولم يرغب في النهوض، وتطلَّب الأمر قرابة أربع محاولات لتجره إلى الباب. كانت تانزي ستسألها إذا ما كانت ستُمشِّيه، لكن في تلك اللحظة وصل البرنامج إلى جزء مضحك، حيث أسقطت العجلة المتسابقين من المنصة الصغيرة التي يقفون عليها فوق الماء، ونسيت أن تسأل. بعدها عادت ماما.

- حسنًا يا شابان، أحضِرا جاكيتيكما.

- جاكيتينا؟ لمَ؟

- لأننا سنذهب إلى اسكتلندا.

قالتها بطريقة جعلت الأمر يبدو منطقيًّا تمامًا.

لم يُشِح نيكي بنظره عن التلفزيون حتى.

- سنذهب إلى اسكتلندا.

أشار بالريموت إلى الشاشة ليتأكد.

- نعم. سنقود.

- لكننا لا نملك سيارة.

- سنأخذ الرولز.

نظر نيكي إلى تانزي وبعدها نظر إلى ماما.

- لكنكِ لا تملكين تصريحًا.

- أنا أقود منذ كنت في الثانية عشرة، ولم أقع قط في حادث. انظر، سنقود على الطرق الخلفية، ومعظم الوقت في المساء. سنكون بخير ما لم يوقفنا أحد.

حدقا إليها.

- لكنكِ قلتِ...

- أعرف ما قلت، لكن أحيانًا الغاية تبرر الوسيلة.

- ماذا يعني هذا؟

رفعت ماما يديها في الهواء.

- هناك مسابقة رياضيات جديدة من شأنها تغيير حياتنا، وتلك المسابقة في اسكتلندا. في الحال الذي نحن فيه الآن، لا نملك ثمن الرحلة، هذه حقيقة الأمر. أعرف أن القيادة ليست الحل الأمثل، ولا أقول إنه حل جيد حتى، لكن إن لم يكن لدى أيٍّ منكما اقتراح أفضل فلنذهب إلى السيارة ونشق طريقنا.

- أمم، ألن نجمع أمتعتنا؟

- كل شيء في السيارة.

عرفت تانزي أن نيكي كان يفكر فيما تفكر، أن ماما أخيرًا فقدت عقلها، لكنها قرأت في مكان ما أن المجانين مثلهم مثل السائرين نيامًا، من الأفضل ألا تقلقهم. لذا أومأت ببطء كأن ما تقوله ماما منطقي، وأحضرت الجاكيت ومشت من الباب الخلفي إلى الجراج حيث كان نورمان جالسًا في الكنبة الخلفية معطيًا إياها نظرة تقول: «نعم، أتفق معك». ركبت السيارة. كانت رائحتها عطنة ولم ترغب في أن تضع يديها على القماش لأنها قرأت في مكان ما أن الفئران تتبول طوال الوقت بلا توقف، وأن بولها يمكنه أن يصيبك بقرابة ثمانمئة مرض.

- أيمكنني العودة إلى المنزل سريعًا وإحضار قفازيَّ؟

نظرت إليها ماما كأنها هي المجنونة، لكنها أومأت موافقة، فجرت تانزي وارتدتهما وفكرت أنها تشعر بحال أفضل قليلًا.

جلس نيكي في المقعد الأمامي بحذر ومسح التراب على لوحة القيادة بأصابعه. أرادت تانزي أن تخبره بأمر بول الفئران لكنها لم ترد أن تُعلِم ماما بأنها تعرف بشأنه.

فتحت ماما باب الجراج وشغلت المحرك وأخرجت السيارة بحذر من الجراج إلى طريق مدخل المنزل، ثم خرجت من السيارة وأغلقت الجراج بإحكام، ثم جلست وفكرت دقيقة.

- تانز، هل معك ورقة وقلم؟

بحثت في حقيبتها وأعطتها ما طلبته. لم ترد ماما أن ترى ما تكتب لكن تانزي اختلست النظر من بين الكراسي.

«فيشريا مضيعة الجلد البشري لقد أخبرت الشرطة أنه لو اقتحم أحد المنزل فسيكون أنت، وهم يراقبون».

خرجت من السيارة وثبتت الورقة في الجزء السفلي من الباب حيث لن تكون ظاهرة من الشارع، ثم ركبت السيارة مجددًا، وجلت في كرسيها المقروض، وبصوت خافت تحركت الرولز في الظلام تاركةً المنزل المضيء الصغير وراءهم.

احتاجا عشر دقائق ليدركا أن ماما نسيت كيف تقود. كانت تخطئ حتى في الأمور التي تعرف تانزي كيف تفعلها -المرآة والإشارات والنقل- فكانت تفعلها بترتيب خاطئ، وتقود محنية على عجلة القيادة ومحتضنة إياها كالجدات اللاتي يقدن بسرعة خمسة عشر ميلًا في الساعة حول مركز المدينة، ويحككن أبواب سياراتهن في الأعمدة في الجراج العمومي.

مروا بجانب ذا روز أند ذا كراون والمنطقة الصناعية ذات مركز غسيل السيارات الذي يعمل به خمسة أشخاص، ومستودع السجاد. ألصقت تانزي أنفها بالزجاج، كانوا رسميًّا على وشك الخروج من البلدة. آخر مرة تركت فيها البلدة كانت في رحلة مدرسية إلى دردل دور يوم تقيأت ميلاني أبوت على

نفسها في الباص وبدأت بذلك سلسلة تقيؤات شارك فيها الصف الخامس، فصل C كله.

ظلت ماما تتمتم لنفسها: «ابقي هادئة، هادئة وساكنة».

- لا تبدين هادئة.

قالها نيكي وهو يلعب بالنينتيندو وإبهاماه يتحركان بسرعة هائلة على جانبَي شاشته.

- نيكي، أحتاج إلى أن تتابع الخريطة، لا تلعب بالنينتيندو الآن.

- أكيد علينا فقط الاتجاه شمالًا.

- لكن أين الشمال؟ لم أقُد هنا منذ سنوات، أحتاج منك أن تخبرني بأين أتجه.

نظر إلى اللافتة على العمود وسألها: «أيفترض أن نسير على طريق 3M؟».

- لا أعرف، أنا من أسألك!

- دعيني أرى.

مدت تانزي يدها من الخلف وأخذت الخريطة من نيكي.

- كيف أحملها بالشكل الصحيح للقراءة؟

مشوا بسيارتهم في الميدان مرتين بينما تشابكت هي مع الخريطة، وبعدها كانوا على الطريق الدائري. تذكرت تانزي الطريق ذكرى مبهمة، أتوا هنا مرة عندما كان ماما وبابا يحاولان بيع المكيفات.

- أيمكنك إضاءة النور في الخلف يا ماما؟ لا أستطيع قراءة أي شيء.

التفت ماما في كرسيها وقالت: «ستجدين الزر لتشغيله فوق رأسك».

وصلت إليه تانزي وضغطت عليه بإبهامها. فكرت أنه كان بإمكانها خلع قفازيها. لا يمكن للفئران الحركة بالمقلوب، عكس العناكب.

- إنه لا يعمل.

- نيكي، سيكون عليك أن تقرأ الخريطة.

نظرت إليه منزعجة.

- نيكي.

- أكيد، سأفعل، عليَّ فقط الحصول على تلك النجوم الذهبية، قيمتها خمسة آلاف نقطة.

طوت تانزي الخريطة بقدر ما استطاعت ومررتها لهما في المقاعد الأمامية. كان رأس نيكي محنيًّا ناحية اللعبة غارقًا في تركيزه فيها. للإنصاف، تلك النجوم الذهبية حقًّا صعبة الإيجاد.

- ضع هذه اللعبة جانبًا.

تنهد وأغلق لعبته. كانوا يمرون بجانب حانة لم تتعرف عليها، والآن بجانب فندق جديد، أخبرتهما ماما أنهم يبحثون عن طريق M3، لكن تانزي لم تر أي لافتات لـ M3 منذ مدة. بجانبها بدأ نورمان يئن بصوت منخفض. تتوقع أن لديهم قرابة ثماني وثلاثين ثانية قبل أن تقول ماما إنه يزيد من عصبيتها.

صمدت لسبع وعشرين ثانية.

- تانزي، من فضلك أوقفي الكلب، صوته يجعل التركيز مستحيلًا. نيكي، أحتاجك أن تقرأ الخريطة لي.

- لعابه يسيل في كل مكان، أعتقد أنه يحتاج إلى الخروج من السيارة.

تحركت تانزي للجانب الآخر.

دقق نيكي النظر في اللافتة أمامهم وقال: «إذا ظللتِ على هذا الطريق أعتقد أننا سنصل إلى ساوثهامبتون».

- لكن هذا ليس الطريق الصحيح.

- هذا ما قلته.

كانت رائحة البنزين نفاذة. تساءلت تانزي إذا ما كان شيء يسرب وغطت أنفها بقفازها.

- أعتقد أن علينا العودة إلى حيث كنا والبدء من جديد.

قادت ماما السيارة وعبرت بها إلى أول مخرج قابلوه وقادت في الميدان، لف السيارة جعل الأوتار في رقبتها بارزة كما لو أنها كابلات حديدية.

حاولوا تجاهل صوت الصرير الذي يسمعونه وهي تدير العجلة يمينًا وعادوا إلى الجزء المقابل من الطريق.

- تانزي، من فضلك افعلي شيئًا بخصوص الكلب. أرجوكِ.

نظرت إلى الأعلى وأشارت إلى مخرج المدينة.

- ماذا أفعل يا نيكي؟ أأخرج من هنا؟
- أوف، لقد ضرط. ماما، أنا أختنق.
- نيكي، من فضلك اقرأ الخريطة.

تذكرت تانزي الآن أن ماما كانت تكره القيادة، لم تكن بارعة في استيعاب المعلومات بالسرعة الكافية. دائمًا ما قالت إنها لا تملك الوصلات العصبية المعنية بهذا. وإحقاقًا للحق، الرائحة التي تتغلغل في السيارة الآن كانت بقدرٍ كافٍ من السوء لأن يكون التفكير أمرًا صعبًا.

بدأت تختنق.

- أنا أموت!

وجَّه نورمان رأسه الكبير إليها بعينين حزينتين كأنها تعامله بقسوة.

- لكن هناك مخرجان. أأخرج من هذا المخرج أم من المخرج الذي يليه؟
- بالتأكيد الذي يليه. أوه، لا، آسف، هذا المخرج.
- بالله عليك، أيمكنك فقط أن...
- عنيت المخرج التالي، هذا المخرج يبعدنا أميالًا عن طريقنا.
- نحن على الطريق منذ نصف ساعة ونحن أبعد عن وجهتنا مما كنا عندما بدأنا، بربك يا نيكي، أنا...

رأت تانزي الأضواء الزرقاء في تلك اللحظة. حدقت إلى المرآة الأمامية ثم التفت لتراها من الزجاج الخلفي. تمنت بشدة أن تمر السيارة بجانبهم وتذهب في طريقهم، لأن تكون مسرعة لحادث ما، لكن ما حدث هو أنها اقتربت منهم أكثر فأكثر حتى ملأت تلك الأضواء الزرقاء سيارتهم.

التفت نيكي في كرسيه متألمًا وقال: «أمم، جيس، أعتقد أنهم يريدون منكِ إيقاف السيارة».

- اللعنة. اللعنة اللعنة اللعنة! تانزي، لم تسمعيني أقول هذا.

أخذت نفسًا عميقًا وعدلت وضع يديها على عجلة القيادة بينا أخذت السيارة تبطئ سرعتها.

- سنكون على ما يرام. سيكون كل شيء على ما يرام.

انخفض نيكي قليلًا في كرسيه.

- أمم.. جيس؟

- ليس الآن يا نيكي.

كانت السيارة ذات الضوء الأزرق تركن أيضًا. بدأت يداها تتعرقان. سيكون *كل شيء على ما يرام.*

- أظن أنه ليس الوقت المناسب لإخبارك أنني أحضرت مخدراتي معي.

جيس

كانت هناك، واقفة على الحافة العشبية للطريق في الحادية عشرة وأربعين دقيقة مساءً مع شرطيين لم يعاملاها كأنها مجرمة خطيرة كما توقعت، بل فعلا ما هو أسوأ، عاملاها كأنها جد غبية. كل ما قالاه كان منطوقًا بتعالٍ: «*أهي عادتكِ أن تأخذي عائلتكِ في رحلة مسائية بالسيارة يا مدام؟ وفانوس سيارة واحد فقط يعمل؟ أحقًّا لم تعلمي أن علامة الحماية الضريبية لسيارتك انتهت صلاحيتها قبل عامين يا مدام؟*»، لم يعرفا أنها غير مؤمَّنة بعد. لديها هذا لتتطلع إليه.

كان نيكي يتعرق على حافة الطريق منتظرًا أن يكتشفا مخزون مخدراته، تانزي بدت كشبح شاحب على بعد بضعة أقدام منه محتضنةً نورمان لتستمد منه شعورًا بالأمان.

لم تلُم جيس أحدًا إلا نفسها. لم يكن بإمكان الوضع أن يصبح أسوأ.

إلى أن ظهر مستر نيكولز.

كادت جيس تضحك حينها، الوضع كان بشعًا بشكل سخيف. شعرت بالدم الباقي يتسرب من وجهها عندما أخفض زجاج سيارته ورأته، ثم توقعت تمامًا ما سيحدث تاليًا. سيخبر الشرطيين: «أتدريان؟ هذه المرأة لم تكتفِ بقيادة سيارة غير مؤمَّنة بعلامة حماية ضريبية منتهية الصلاحية وربع ظربان في مكان ما داخل الكراسي الملأى بالفئران، بل إنها أيضًا لصة!».

فكرت في مليون شيء، مثل من سيعتني بالطفلين وهي في السجن، وإن كان مارتي من سيفعل هذا، فهل سيتذكر تفاصيل كأن قدمَي تانزي تكبران أحيانًا ويشتري لها أحذية جديدة بدلًا من الانتظار إلى أن تلف أظافرها على أصابعها؟ ومن سيعتني بنورمان؟ ولمَ لم تفعل ما وجب عليها فعله من البداية وردت إلى إد نيكولز رزمة نقوده الغبية؟

لكنه لم يقل أيًّا مما فكرت فيه، فقط تأمل المشهد أمامه وسأل: «أتحتاجين إلى المساعدة؟».

التفت الشرطي رقم واحد إليه ببطء وتأمله. كان رجلًا كبيرًا عريض الصدر، من النوع الذي يأخذ نفسه على محمل الجد حتى وإن لم يأخذه أي أحد آخر بجدية.

- وأنت...

- إدوارد نيكولز. أعرف هذه المرأة. ما المشكلة؟ عطل في السيارة؟

نظر إلى الرولز رويس كأنه لا يصدق أنها حقًّا على الطريق.

أجابه الشرطي رقم اثنين: «شيء كهذا».

- وعلامة ضرائب منتهية الصلاحية.

تمتمت جيس بهذا محاولةً تجاهل صوت ضربات قلبها المتعالي.

- كنت أحاول أن أذهب بالطفلين إلى مكان ما، والآن أعتقد أنني سأعود بهما إلى المنزل.

رد عليها الشرطي رقم واحد: «لن تذهبي إلى أي مكان بهذه السيارة، سنقطر سيارتك. القاطرة في طريقها الآن. القيادة دون علامة ضرائب سارية على طريق عمومي جريمة تحت البند الثالث والثلاثين من قانون الضرائب وتسجيل المركبات، وهذا يعني أننا سنلغي تأمينك أيضًا».

- ليس لدي أي تأمين.

التفت كلاهما إليها.

- السيارة ليست مؤمنة. أنا لست مؤمنة.

رأت مستر نيكولز يحدق. ما مشكلته؟ في اللحظة التي سيدخلون فيها معلومات السيارة سيكتشفون هذا على أي حال.

- كان لدينا مشكلة ما وكنت يائسة، هذه الطريقة الوحيدة التي كانت أمامي لنقل الولدين من نقطة أ إلى نقطة ب.

- أنتِ تدركين أن قيادة سيارتك دون ضريبة وتأمين يعد جريمة.

حدقت إلى قدميها.

- وعقوبته قد تصل إلى السجن.

- وهذه ليست سيارتي.

ركلت صخرة على العشب.

- هذا الشيء التالي الذي ستكتشفانه عندما تبحثان عنها في قاعدة بياناتكما.

- هل سرقتِ هذه السيارة يا مدام؟

- لا، لم أسرق هذه السيارة، تقبع في جراجي منذ عامين.

- لم تجيبي عن سؤالي.

- إنها سيارة زوجي السابق.

- أيعلم أنكِ أخذتها؟

- يمكنني تغيير جنسي وتسمية نفسي سيد ولن يعلم، إنه في شمال يوركشير منذ...

مرر مستر نيكولز يدًا على أعلى رأسه وقال: «لربما عليكِ التوقف عن الحديث الآن».

- من أنت؟ محاميها؟

- هل تحتاج محاميًا؟

- القيادة دون ضرائب وتأمين تعد جريمة تحت القسم ثلاثة وثلاثين من...

- آه نعم، قلتَ هذا، أعتقد أنه عليك أن تطلب النصح قبل أن تقول المزيد...

- جيس.

- جيس.

نظر إلى الشرطيين وقال: «يا حضرات، هل تحتاج هذه السيدة حقًّا إلى الذهاب إلى قسم الشرطة؟ لأنها تبدو جد نادمة، وبأخذ الوقت في عين الاعتبار فأعتقد أن الطفلين يحتاجان إلى العودة إلى المنزل».

- ستوجه إليها تهمة القيادة بلا ضرائب وتأمين. اسمك وعنوانك يا مدام؟

أعطت جيس اسمها وعنوانها للشرطي رقم واحد. لم تستطع أن تُظهِر الأسف على وجهها. كانت شديدة الغضب من نفسها لدرجة أنها بالكاد تمكنت من التكلم لتجيب. رأته يوليها ظهره ويتكلم في اللاسلكي، وأيًّا كان ما سمعه

عبر الموجات الصوتية فإنه أرضاه لأنه عندما التفت إليها مجددًا نظر إلى الطفلين وأومأ.

- السيارة تابعة لذلك العنوان بالفعل، لكنها مسجلة باعتبارها موقوفة، ما يعني...

- أنه لا يمكن قيادتها على الطرق العامة، أعلم هذا.

- تعلمين، من المؤسف أنكِ لم تفكري في هذا قبل أن تقوديها إذًا، أليس كذلك؟

أعطاها نظرة كتلك التي يستخدمها المعلمون لجعل الأطفال في الثامنة يشعرون بالدونية، وشيء في تلك النظرة كان كالقشة التي قصمت ظهر البعير لجيس.

- أتعرف؟ أحقًّا تظن أنني كنت سأقود بطفليَّ في الحادية عشرة مساءً إذا لم أكن يائسة؟ أحقًّا تعتقد أنني جلست في منزلي الصغير هذا المساء وفكرت: أعرف ما عليَّ فعله. سآخذ طفليَّ وكلبي اللعين وأذهب وأورطنا في مشكلات لا عد لها و...

- لا أهتم بما كنت تفكرين فيه يا مدام، ما أهتم به هو أنكِ قدت سيارة غير مؤمنة وربما غير آمنة على طريق عمومي.

- لم يكن لدي أي خيار آخر، حسنًا؟ ولن تجدني على قاعدة بياناتكما اللعينة لأنني لم أرتكب أي فعل مخالف للقانون...

- أو ربما لم يمسك بكِ أحد من قبل.

وجدت يد مستر نيكولز على كتفها.

- أمم، جيس؟ أعتقد أن عليكِ التوقف عن الكلام الآن.

راقبها الشرطيان بلا كلل. على حافة الطريق استلقى نورمان وتنهد تنهيدة عظيمة، شاهدت تانزي ما يحدث بصمت، عيناها فارغتان. في ذهنها فكرت جيس أنه *يا ربي، كل ما تراه حولها الآن هو الفوضى*. حبست كلماتها وتمتمت اعتذارًا.

- ستدانين بتهمة القيادة دون الوثائق اللازمة يا مسز توماس.

أعطاها الشرطي رقم واحد ورقة وهو يقول: «هذا رقم تابع، عليَّ تحذيرك بأنه سيصلك استدعاء من المحكمة وأنكِ معرضة لدفع غرامة قد تصل قيمتها إلى خمسة آلاف جنيه».

- خمسة آلاف؟

بدأت جيس بالضحك.

- لكن يمكنكِ الذهاب الآن.

- خمسة آلاف؟

- وستحتاجين إلى أن تدفعي لتخرجي هذه...

لم يقدر الشرطي على أن يصف ما يراه بالسيارة.

- ... من حجز الشرطة. اسمحي لي أن أخبرك أنكِ تغرمين خمسة عشر جنيهًا لكل يوم تبقى فيه هناك.

- عظيم، وكيف يفترض بي أن أخرجها من الحجز وأنا ممنوع عليَّ القيادة؟

كانت ترى أنها تختبر صبره، لكنها لم تستطع منع نفسها. خمسة آلاف.

- تسجلينها وتؤمِّنين عليها كما يفعل أي شخص آخر وبعدها يمكنكِ أخذها، أو الدفع إلى جراج ليأخذها. أنصحكِ أن تأخذي متعلقاتك الشخصية منها قبل أن تأتي القاطرة. اللحظة التي تغادر فيها السيارة هذا الموقع تنتهي مسؤوليتنا عن محتواها.

تمتمت: «بالطبع، لأنه لا يمكنك أن تأمل أن السيارة ستكون آمنة في حجز الشرطة».

- جيس...

- لكن كيف سنعود إلى المنزل يا ماما؟

ساد صمت قصير. أولاهم الضابطان ظهريهما.

قال مستر نيكولز: «سأوصلكم».

ابتعدت جيس عنه.

- أوه. لا، لا شكرًا. نحن بخير، سنعود مشيًا، المسافة ليست كبيرة.

- إنها ثلاثة أميال.

دققت تانزي النظر فيها محاولةً أن تتأكد ما إذا كانت جدية، ثم تحركت لتقف. تذكرت جيس أن تانزي ترتدي بيجاماتها تحت المعطف الذي ترتديه.

نظر مستر نيكولز إلى الطفلين.

- أنا سأعود على هذا الطريق.

أشار إلى المدينة.

- تعرفين أين أعيش.

تانزي ونيكي لم يتكلما، لكن جيس شاهدت نيكي يعرج إلى السيارة ويخرج حقائبهم. لا يمكنها أن تدعه يحمل هذا كله إلى المنزل، لم تكن متأكدة أن بإمكانه السير هذه المسافة بحالته الحالية حتى.

- شكرًا، هذه لفتة لطيفة جدًّا من طرفك.

قالتها برسمية. لم تتمكن من النظر في عينيه.

سأل الشرطي رقم اثنين بينما ألقى نيكي حقيبته أمام قدميها: «ماذا حدث لابنك؟».

أجابته بحدة: «ابحث في قاعدة بياناتك».

وذهبت إلى كومة الحقائب.

قادوا بعيدًا عن الشرطة في صمت. جلست جيس في الكرسي الأمامي في سيارة مستر نيكولز المثالية وعيناها مركزتان على الطريق أمامه. لم تعتقد أنها في حياتها شعرت بإحراج أكثر مما شعرت به تلك اللحظة. أحست ولم ترَ الصمت المصعوق للطفلين ردًّا على أحداث المساء. لقد خذلتهما. شاهدت الشجيرات تتغير إلى أسوجة وحوائط من الطوب والحارات السوداء على الطريق تتحول إلى أضواء الشوارع. لم تصدق أنهم ذهبوا ساعة ونصفًا فقط، شعرت بأنه مرت عليها حياة كاملة. غرامة بخمسة آلاف جنيه، ومنع شبه أكيد من القيادة، وجلسة محكمة. سيجن جنون مارتي، وعلاوة على ذلك فإنها ضيعت فرصة تانزي الأخيرة في الالتحاق بمدرسة سانت آن.

- هل أنتِ بخير؟

- بخير.

أبقت وجهها متجنبًا وجه مستر نيكولز. لا يعرف، بالطبع لا يعرف، للحظة قصيرة مرعبة بعدما وافقت أن تركب سيارته، تساءلت إذا ما كانت هذه خدعة، سينتظر حتى ترحل الشرطة ويفعل لها شيئًا مريعًا عقابًا لها على سرقتها إياه.

لكن الحقيقة أسوأ، كان فقط يحاول مساعدتها.

- أمم، أيمكنك الدوران لليسار هنا، نحن في آخر ذلك الشارع، قُد حتى النهاية ودُر يسارًا ثم خذ الدوران الثاني على اليمين.

اختفى الجزء الجميل من البلدة قبل نصف ميل من هنا، في دينهال كانت الأشجار مجرد هياكل عارية حتى في الصيف، والسيارات المعطلة تقف فوق كومات من الأحجار كأنها منحوتات هوندا سيفيك على منصات صغيرة. للمنازل ثلاثة موديلات: ذات الشرف، ذات الواجهات المغطاة بالحصى، الصغيرة ذات الطوب الأحمر ونوافذ الـ uPVC. تحرك بالسيارة يسارًا ودخل شارع سيكول مطبئًا عندما أشارت إلى منزلها. نظرت إلى المقاعد الخلفية ورأت أنه في رحلتهم القصيرة غفت تانزي وفمها مفتوح قليلًا ورأسها نائم على نورمان الذي مال بنصف ثقله على نيكي. نيكي كان ينظر من النافذة بوجه خالٍ من التعابير. كانوا يعبرون قرب ذا هير أند تيرير، وتجمعات من الرجال وقفوا يدخنون في الزاوية، بعضهم يستعدون للعودة إلى المنزل والبعض الآخر يبحث عن عذر كي لا يعود.

- يستحسن ألا تبقى هنا طويلًا، سيارتك نفس سيارة تاجر المخدرات المحلي.

أومأت مشيرة إلى تجمعات الرجال.

- أين كنت تحاولين الذهاب؟

- اسكتلندا. إنها قصة طويلة.

فركت أنفها.

انتظر.

بدأت ساقها تهتز لا إراديًا.

- عليَّ أن أصل بابنتي إلى أولمبياد الرياضيات والتذاكر كانت باهظة الثمن. لكن اتضح أنها ليست بغلاء أن توقفك الشرطة.

- أولمبياد الرياضيات.

- أعرف. أنا أيضًا لم أسمع عن شيء كهذا قبل الأسبوع الماضي. كما قلت، إنها قصة طويلة.

- وماذا ستفعلين؟

نظرت جيس إلى المقعد الخلفي حيث كانت تانزي تشخر بنعومة. هزت كتفيها. لم تقدر على أن تتفوه بالكلمات للإجابة.

وقع نظر مستر نيكولز على وجه نيكي. حدق إليه كأنه يراه للمرة الأولى.

- آه، هذه قصة أخرى.

- لديكِ قصص كثيرة.

عدل وضعه في كرسيه ونظر مباشرة إلى الرجال في الزاوية. لم تدرِ جيس إذا ما كان مستغرقًا في أفكاره أم ينتظر أن تترجل من السيارة.

- شكرًا لتوصيلنا. لطف منك أن تفعل هذا.

- آه، حسنًا، أنا مدين لكِ بخدمة. أنا شبه متأكد أنكِ أنتِ من أوصلتني إلى المنزل من الحانة في تلك الليلة. استيقظت على كنبتي وسيارتي آمنة في جراج الحانة وشعرت بأعنف دوار سكر في العالم.

توقف.

- لدي ذكرى مبهمة لتصرفي كوغد معكِ، يحتمل أنها المرة الثانية التي فعلت فيها هذا.

شعرتْ بالدم يندفع في أذنيها.

- لا بأس، حقًّا.

فتح نيكي باب السيارة وجعل الهواء البارد تانزي تفيق. فركت عينيها ونظرت إلى جيس، ثم نظرت ببطء حول السيارة وآثار الساعة الماضية ظاهرة على وجهها.

- أيعني هذا أننا لن نذهب إلى اسكتلندا؟

جمعت جيس الحقائب عند قدميها. لم تكن هذه محادثة تُخاض أمام الناس.

- لنعد إلى الداخل يا تانزي، تأخر الوقت.

- أيعني هذا أننا لسنا ذاهبين إلى اسكتلندا؟

ابتسمت لمستر نيكولز في إحراج وقالت: «شكرًا مجددًا».

حملت حقائبها إلى الرصيف، كان الهواء باردًا بشكل مفاجئ. وقف نيكي عند البوابة ينتظرهم.

انكسر صوت تانزي بالإدراك المفاجئ وهي تقول: «أيعني هذا أنه لا يمكنني الالتحاق بسانت آن؟».

حاولت أن تبتسم.

- دعينا لا نتحدث عن هذا الآن يا عزيزتي.

سأل نيكي: «لكن ماذا سنفعل؟».

- ليس الآن يا نيكي، لنذهب إلى الداخل.

- تدينين للشرطة بخمسة آلاف، كيف سنذهب إلى اسكتلندا؟

- يا طفلان، من فضلكما هل يمكننا فقط الدخول إلى المنزل؟

نهض نورمان من على كنبة السيارة الخلفية متأوهًا وخرج من السيارة.

بصوت هلوع قالت تانزي: «لم تقولي إننا سنحل الأمر، دائمًا تقولين إننا سنحل الأمر».

- سنحل الأمر.

جرَّت جيس الأغطية من السيارة.

- هذا ليس الصوت الذي تستخدمينه عندما تنتوين حقًّا أن تحلي الأمر.

بدأت تانزي بالبكاء.

كان هذا غير متوقعٍ تمامًا لدرجة أنه لم يسع جيس في البداية إلا أن تقف مكانها مصدومة.

- خذ هذه.

أعطت الأغطية لنيكي سريعًا ومالت لتدخل بأعلى جسدها إلى السيارة محاولةً أن تُخرج تانزي منها.

- تانزي.. حبيبتي. تعالي إلى الخارج الآن، تأخر الوقت، سنتحدث عن هذا.

- نتحدث عن عدم التحاقي بسانت آن؟

كان مستر نيكولز يحدق إلى عجلة القيادة كأن ما يحدث زائد عن اللزوم في نظره. بدأت جيس تعتذر بصوت منخفض.

- إنها متعبة.

حاولت أن تلف تانزي بذراعيها فابتعدت تانزي.

- أنا في غاية الأسف.

في تلك اللحظة رن هاتف مستر نيكولز.

- جيما.

أجاب بصوت منهك كأنه كان يتوقع المكالمة. سمعت صوت طنين غاضبًا كأنه حبس دبورًا داخل سماعة الهاتف.

أجاب بهدوء: «أعرف».

- أريد فقط أن أذهب إلى سانت آن.

بكت تانزي، وقعت نظارتها -لم تسنح لجيس الفرصة أن تأخذها لاختصاصي النظارات ليصلحها- وخبأت عينيها وراء يديها.

- أرجوكِ دعيني أذهب إلى سانت آن، أرجوكِ يا ماما، سأكون طفلة جيدة جدًّا، فقط دعيني أذهب إلى هناك.

- ششششششش.

شعرت جيس بغصة في حلقها، لم تتوسل تانزي طلبًا لأي شيء، لم يكن هذا طبعها.

- تانزي...

على الرصيف كان نيكي قاد أشاح بنظره عنهم كأنه لم يتحمل رؤية ما يحدث.

قال مستر نيكولز شيئًا في هاتفه صعب عليها سماعه. بدأت تانزي بالنواح، كانت شديدة الثقل كما لو أنها نائمة، كأنها ترفض بهذا الخروج من السيارة.

- من فضلك يا حبيبتي.

توسلت جيس وهي تشد يدها.

تمسكت تانزي بالباب.

- من فضلك يا ماما، أرجوكِ، سأكون مطيعة جدًّا.

- تانزي، لا يمكنكِ البقاء في السيارة.

- من فضلك...

- هيا إلى الخارج، تعالي يا حبيبتي.

قال مستر نيكولز: «سأوصلكم».

ارتطمت جيس بإطار الباب.

- ماذا؟

- سأوصلكم إلى اسكتلندا.

وضع هاتفه جانبًا وكان يحدق إلى عجلة القيادة.

- تبين أنه عليَّ الذهاب إلى نورثامبرلاند، واسكتلندا أبعد منها بقليل فقط، سأوصلكم إلى هناك.

خيَّم الصمت على الجميع، في نهاية الشارع سمعوا صوت ضحك وباب سيارة يُغلق. عدلت جيس ذيل حصانها الذي تبعثر وقالت: «لطف منك أن تعرض هذا، لكن لا يمكننا قبول توصيلة منك».

- يمكننا.

قال نيكي وهو منحنٍ إلى الأمام.

- أجل، يمكننا يا جيس.

نظر إلى تانزي وراءه.

- حقًّا يمكننا.

- لكننا لا نعرفك حتى، لا يمكنني أن أطلب منك أن...

لم ينظر مستر نيكولز إليها.

- إنها مجرد توصيلة، حقًّا ليست بالأمر الجلل.

تنفست تانزي وفركت أنفها.

- أرجوك يا ماما، أيمكننا؟

نظرت جيس إليها وإلى وجه نيكي المتورم ثم نظرت إلى مستر نيكولز. لم تشعر بالرغبة في أن تجري هربًا من سيارة في حياتها كما شعرت لحظتها.

- لا يمكنني تعويضك بأي شيء.

انكسر صوتها بشكل غريب في منتصف الكلام.

- لا يمكنني أن أعرض أي شيء على الإطلاق.

رفع حاجبًا وأدار رأسه في اتجاه الكلب.

- ولا حتى أن تكنسي الكنبة الخلفية بعدها.

النفس الذي ترك صدرها كان مرتاحًا أكثر منه دبلوماسيًّا.

- حسنًا.. اتفقنا، يمكنني أن أفعل هذا.

- حسنًا. أقترح إذًا أن ننام كلنا بضع ساعات، وسآتي لأقلكم غدًا في الصباح الباكر.

إد

استغرق إدوارد نيكولز خمس عشرة دقيقة بعدما غادر منطقة دينهال ليتساءل ماذا فعل لتوه. لقد وافق على أن يوصل عاملة تنظيفه المشاغبة وطفليها الغريبَين وكلبها الضخم كريه الرائحة إلى اسكتلندا، فيمَ كان يفكر بحق الجحيم؟ كان بإمكانه سماع صوت جيما المتشكك في رأسه وهو يسترجع كلماتها: «أنت تقود فتاة صغيرة لا تعرفها هي وعائلتها إلى الطرف الآخر من البلاد لـ «ظرف طارئ». أكيد».

سمع علامتَي التنصيص غير المصدقتين في نبرة صوتها.

وقفة.

- أهي جميلة؟

- ماذا؟

- الأم، صدر كبير؟ رموش طويلة؟ امرأة في ورطة؟

- هذا ليس ما في الأمر، أممم...

لم يكن بإمكانه الرد وهم معه في السيارة.

- سأعتبر صمتك «نعم» للسؤالين إذًا.

تنهدت طويلًا.

- بربك يا إد.

سيذهب إليها غدًا في الصباح الباكر ويعتذر ويشرح لها أن أمرًا طرأ، ستتفهم الأمر، في الغالب هي الأخرى لم تكن مرتاحة لتشارك السيارة مع شخص يعتبر غريبًا عنها، لم تكن متحمسة لعرضه عندما عرضه.

سيتبرع ببعض المال ليدفع تذكرة قطار الطفلة، في نهاية الأمر لم تكن غلطته أن تلك المرأة -جيس؟- قررت أن تقود سيارة بلا ضرائب وغير مؤمنة. إذا نظرت إلى الوقائع أمامك -الشرطة، الأطفال الغريبون، قيادة السيارة بتهور في وقت متأخر- فيمكنك أن ترى أنها جلابة للمشكلات، وإد نيكولز لا يحتاج إلى مزيد من المشكلات في حياته. اغتسل وفرَّش أسنانه بهذه الأفكار في رأسه، ونام بعمق للمرة الأولى منذ أسابيع.

وصل أمام بوابة منزلهم بعد التاسعة بقليل، كان قد قرر الوصول في وقت أبكر لكنه لم يتمكن من تذكر مكان البيت بالتحديد، ولأن المنطقة كلها عبارة عن كتلة من الشوارع المتشابهة فقد قاد سيارته ذهابًا وإيابًا عشوائيًّا حتى تعرف على شارع سيكول. كانت الحانة هي ما قاده في نهاية المطاف.

كان صباحًا رطبًا جامدًا والهواء محمل بالرطوبة، كان الشارع فارغًا اللهم إلا من قطة حمراء الفراء تتمشى على الرصيف، ذيلها يشبه علامة استفهام. دينهال بدت أقل عدوانية في ضوء النهار، لكنه وجد نفسه يتأكد أنه أقفل السيارة بعد أن خرج منها.

نظر إلى النوافذ آملًا أنه عثر على المنزل الصحيح، كانت هناك زينة بيضاء ووردية تطير على الشرفة، في مدخل المنزل المجاور كانت هناك سيارة مغطاة. لكن الدليل القاطع كان يمشي ببطء في الحديقة الأمامية متوقفًا فقط ليفرع ساقه عند دراجة طفل. يا إلهي، ذلك الكلب، حجمه هائل. تخيله إد نائمًا على كنبة سيارته الخلفية في الليلة الماضية. علقت رائحته في السيارة وبقيت هذا الصباح.

فتح الباب بحذر مستعدًّا لأن يقترب منه الكلب، لكنه اكتفى بأن أدار رأسه الكبير بعدم اهتمام طفيف ومشى إلى ظل شجرة في الحشائش ونام على جانبه رافعًا قدمه قليلًا أملًا في أن يفرك أحد بطنه.

- شكرًا، لا أريد.

مشى في الطريق إلى المنزل وتوقف عند الباب، كان قد حضَّر خطابًا صغيرًا.

مرحبًا. أنا في غاية الأسف، ولكن أمرًا طارئًا حدث في العمل، وللأسف لا يمكنني أن آخذ عطلة في اليومين المقبلَين، لكنني أرغب في المساهمة في نقود ابنتك المخصصة للأولمبياد. أعتقد أنه من الرائع أنها تعمل بجد على دراستها. لذا أريد أن أعطيك ثمن تذاكر القطار لها.

لو بدا الكلام أقل إقناعًا هذا الصباح مما كان عليه في المساء فلم يكن بإمكانه فعل شيء حياله. كان على وشك أن يطرق الباب عندما رأى ورقة معلقة على الباب نوعًا ما بدبوس تتحرك مع نسمات الهواء:

«فيشر يا مضيعة الجلد البشري، لقد أخبرت الشرطة أنه لو اقتحم أحد المنزل فسيكون أنت، وهم يراقبون».

فُتح الباب وهو يعتدل، وقفت الفتاة الصغيرة أمامه وقالت: «نحن جاهزون».

دققت النظر ورأسها مائل إلى الجانب.

- ماما قالت إنك لن تأتي لكنني كنت أعرف أنك ستفعل، فقلت إنني لن أسمح لها بإفراغ حقائبنا قبل العاشرة، وأنت أتيت قبل العاشرة بثلاث وخمسين دقيقة، وهو فارق أكبر مما توقعت بقرابة ثلاث وخمسين دقيقة.

رمش.

- ماما!

دفعت الباب لتفتحه، كانت جيس واقفة في الرواق كأنها توقفت في منتصف عبورها له، كانت ترتدي بنطلونًا جينزًا ممزقًا وقميصًا بكُمَّين مشمرَين وشعرها مرفوع بمشابك شعر. لم تبدُ كشخص مستعد للسفر عبر البلاد.

- أهلًا.

ابتسم إد محرجًا.

- أوه، حسنًا.

هزت رأسها وأدرك إد أن الطفلة كانت تقول الحقيقة، لم تتوقع جيس منه المجيء.

- كنت لأعرض عليك كوب قهوة، لكنني تخلصت من آخر علبة حليب لدينا قبل أن نخرج ليلة أمس.

قبل أن يرد عليها مر الصبي بجانبه يفرك عينيه، ما زال وجهه متورمًا، لكنه الآن ملون بألوان بنفسجية وصفراء كأنه لوحة لفنان انطباعي. نظر إلى كومة الحقائب والأكياس في الرواق وسأل: «أيًّا منها سنأخذ؟».

أجابته الفتاة الصغيرة: «كلها، وأحضرت معنا بطانية نورمان كذلك».

نظرت جيس إلى إد منهكة. حاول أن يتكلم لكن فمه انفتح والكلمات لم تخرج منه. بطول الرواق اصطفت أكوام من الكتب بدا عليها الاستخدام، لم يدر لمَ استغرب هذا.

- أيمكنك أن تحمل هذه الحقيبة يا مستر نيكولز؟

شدت الفتاة الحقيبة تجاهه.

- حاولت حملها لأن نيكي لا يمكنه حمل الأشياء الآن، لكنها ثقيلة عليَّ.

- بالتأكيد.

انحنى ليرفعها وتوقف قبل أن يفعلها. كيف سيقول لهم ما أتى لقوله؟

- مستر نيكولز، بخصوص هذه الرحلة...

كانت جيس واقفة أمامه وبدا عليها عدم الارتياح نفسه الذي يشعر به.

فجأة فتح الباب وأتت امرأة ببنطلون رياضي وتيشيرت وفي يدها مضرب بيسبول.

صاحت فيه: «ألقِها».

تسمر في مكانه.

- ارفع يديك!

صاحت جيس: «نات، لا تضربيه».

رفع يديه ببطء والتف ليواجهها.

- ما الذي...

تجاهلته المرأة ونظرت إلى جيس.

- جيس؟ يا إلهي، ظننت أن أحدًا كان في منزلك.

- أحد كان في منزلي، *أنا*...

ألقت المرأة مضربها أرضًا ونظرت إليه في هلع.

- أوه، يا ربي، إنه... أوه يا إلهي، يا إلهي، أنا حقًّا آسفة. رأيت الباب الأمامي وظننت أنك لص، ظننت أنك... تعلم من.

ضحكت متوترة ثم غيرت تعابير وجهها وهي تواجه جيس لتبدو متوترة، كأنه لا يراها.

تنفس إد، ووضعت المرأة المضرب خلفها وحاولت أن تبتسم.

- أن تعلم كيف تجري الأمور هنا...

رجع للوراء خطوة وأومأ لها إيماءة بسيطة.

- حسنًا، لا بأس... عليَّ أن أذهب لإحضار هاتفي، تركته في السيارة.

مر من جانبها وكفاه مرفوعتان ومشى ناحية الطريق. فتح باب السيارة وأغلقه، ثم أقفله ثانيةً ليشغل نفسه بفعل شيء وهو يحاول التفكير مع الطنين في أذنيه. قال له صوت في ذهنه: «*فقط قُد بعيدًا عن هنا، لا داعي لأن تراها ثانيةً بعد اليوم، لا تحتاج إلى هذا في حياتك*».

إد يحب النظام، يحب أن يعرف ما سيحدث تاليًا، وكل شيء متعلق بهذه المرأة يقترح شيئًا من... اللاحدودية التي توتره.

مشى منتصف الطريق إلى بيتها محاولًا تجميع الكلمات المناسبة. عندما اقترب من المنزل سمعهم يتحدثون وراء الباب الموارب وأصواتهم تصل إلى الحديقة الصغيرة.

- سأقول له لا.

- لا يمكنكِ فعل ذلك يا جيس، لماذا؟

كان هذا صوت الصبي.

- لأن الوضع معقد أكثر من اللازم، أنا أعمل لديه.

- أنتِ تنظفين منزله، ليس هذا الشيء نفسه كالعمل لديه.

- لأننا لا نعرفه إذًا، كيف لي أن أنصح تانزي ألا تركب سيارات رجال غرباء عنها وأنا أفعل الشيء الذي أخبرها بتجنبه؟

- إنه يرتدي نظارات، لن يكون قاتلًا متسلسلًا.

- ضحايا دينيس نيلسن وهارولد شيبمان يختلفان معك.

- أنت تعرفين الكثير من القتلة المتسلسلين، أكثر من اللازم.

سمع صوت الصبي مجددًا يقول: «سنجعل نورمان يهاجمه إذا حاول فعل شيء سيئ».

- آه، لأن نورمان برع جدًّا في حماية عائلتنا في السابق.

- مستر نيكولز لا يعرف هذا.

- اسمعني، إنه مجرد رجل عشوائي وجد نفسه وسط دراماتنا البارحة، وواضح أنه لا يريد فعل هذا. سنخبر تانزي... سنخبر تانزي بالأمر بلطف.

تانزي... شاهدها إد وهي تجري في الحديقة الخلفية وشعرها يتطاير وراءها. شاهد الكلب يمشي ببطء إلى الباب، نصف كلب ونصف ثور بري يخلف وراءه لعابًا يشبه إفرازات الحلزونات.

- أنا أتعبه حتى ينام معظم الطريق.

ظهرت تانزي أمامه تلهث.

- آه.

- أنا بارعة في الرياضيات، سنذهب إلى الأولمبياد حتى أتمكن من ربح المال لأذهب إلى مدرسة يمكنني فيها حل رياضيات المستوى الرفيع. أتعرف كيف تكتب اسمي بالنظام الثنائي؟

نظر إليها وسأل: «هل تانزي اسمكِ الكامل؟».

- لا، لكنه الاسم الذي أستخدمه.

ملأ خديه بالهواء وقال: «أممم، حسنًا، سيكون 01010100 01100001 01101110 01111010 01101001 01100101».

- هل كانت الأخيرة 0101؟ أم 1010؟

- 0101 بالطبع.

كان دائمًا ما يلعب هذه اللعبة مع رونان.

- واو، لقد تهجيته بشكل صحيح.

تخطته وفتحت الباب.

- لم أذهب قط إلى اسكتلندا، نيكي يخبرني أنه يوجد فيها قطعان من الهاجيز، لكنه يكذب، صحيح؟

- على حد علمي فكلها تربى في المزارع هذه الأيام.

حدقت تانزي إليه، ثم ابتسمت ابتسامة عرضية وأطلقت صوتًا كالزئير في الوقت ذاته.

وأدرك إد نيكولز أنه ذاهب إلى اسكتلندا.

عندما فتح الباب سكتت السيدتان في الداخل، راحت عيناهما للحقائب عندما حمل واحدة في كل يد.

- عليَّ إحضار بعض الأشياء قبل أن أذهب، ونسيتِ ذِكر «جاري ريدجواي» قاتل جرين ريفر، لكنكِ ستكونين بخير. كلهم كانوا قصار النظر، أما أنا فنظاراتي لتصحيح طول النظر.

ترك الباب يغلق خلفه.

تطلب الأمر ثلاثة أرباع الساعة ليغادروا البلدة. انطفأت الأنوار في أعلى التلة، ومع زحام عطلة عيد الفصح كانت حركة السيارات أقرب لزحف غاضب. جلست جيس بجانبه في السيارة صامتة ومحرجة بشكل غريب، ويداها تمسكان بعضهما بعضًا وتضغطهما بين ركبتيها. توقع أنها فهمت أنه سمع محادثتها كلها، وبالكاد قالت له كلمة منذ خرجوا من المنزل.

جلس الصبي -نيكي- بجانب الكلب، وشقيقته على الجانب الآخر. شغل المكيف لكنه لم يطغَ على رائحة الكلب فأطفأه، وجلسوا كلهم بنوافذ السيارة الأربعة المفتوحة. وفي وسط الصمت الغريب استمر كلام تانزي...

- هل ذهبت إلى اسكتلندا من قبل؟ أين ولدت؟ هل لديك منزل في اسكتلندا؟ لمَ تعيش هنا إذًا؟

أخبرها أنه يحل أمرًا ما، كان هذا أسهل من أن يشرح لها وضعه ويقول: «أنا أنتظر حكمًا قضائيًّا بالسجن مدة قد تصل إلى سبعة أعوام».

- هل لديك زوجة؟

- كان لدي، ليس لدي الآن.

- هل خنتها؟

وبختها جيس: «تانزي».

رمش ونظر إليها عبر المرآة الأمامية.

- لا.

- في برنامج جيريمي كايل يكون أحد الطرفين خائنًا، أحيانًا يكون لديهما طفل آخر ويتعين عليهما أن يقوما بتحليل للحمض النووي، وعادة عندما تكون النتيجة صحيحة، تبدو النسوة كأنهن يرغبن في أن يضربن شخصًا، لكن في الغالب يبدأن بالبكاء.

دققت النظر من النافذة.

- أولئك النساء غاضبات قليلًا معظم الوقت، لأن الرجال يكون لديهم ابن غير شرعي من امرأة أخرى. أو حبيبات سريات كثيرات. لهذا فإحصائيًّا سيخونون مجددًا. لكن لا يبدو أن أيًّا من النساء يأخذن الإحصائيات بعين الاعتبار.

- أنا لا أشاهد جيريمي كايل.

نظر إلى نظام تحديد المواقع.

- ولا أنا، أشاهده فقط عندما أذهب إلى منزل ناتالي وماما في العمل، تسجله وهي تنظف لتتمكن من مشاهدته في المساء. لديها سبع وأربعون حلقة على القرص الصلب.

- تانزي، أعتقد أن مستر نيكولز يحاول أن يركز.

- لا بأس.

كانت جيس تلعب بخصلة من شعرها وقدماها على الكرسي. يكره إد أن يضع الناس أقدامهم على الكرسي حتى وإن خلعوا أحذيتهم.

- إذًا لمَ تركتك زوجتك؟

- تانزي.

- أنا أتصرف باجتماعية، قلتِ إنه من الجيد أن أبدأ محادثات اجتماعية.

اعتذرت له جيس: «أنا آسفة».

- حقًا لا بأس.

وجَّه كلامه لتانزي عبر المرآة: «قالت إنني أعمل أكثر مما يجب».

- لا أحد يقول هذا أبدًا على جيريمي كايل.

خف الزحام وتحركوا إلى الطريق السريع. ضغط إد على دواسة الوقود. كان يومًا جميلًا وأحس إد برغبة في أن يمشي على الطريق الساحلي، لكنه لم يرد المخاطرة بالوقوع في الزحام من جديد. أنَّ الكلب ولعب الصبي على النينتيندو في صمت وهدأت تانزي تدريجيًّا. شغل الراديو -قناة أشهر الأغاني- وللحظة خاطفة ظن أن هذه الرحلة يمكنها أن تكون جيدة. كان يومًا واحدًا في حياته، وإذا لم يعلقوا في كثير من الزحام، سيكون هذا أفضل من بقائه وحده في المنزل.

- يخبرنا جهاز تحديد المواقع أننا سنستغرق ثماني ساعات لو لم يزدحم الطريق.

- على الطريق السريع؟

- آه، أجل.

نظر نظرة خاطفة ناحية اليسار وتابع: «حتى أحدث سيارة أودي لا تملك أجنحة».

حاول أن يبتسم ليبين لها أنه يمزح، لكنها ظلت جدية.

- أممم.. لدينا مشكلة صغيرة.

- مشكلة.

- تتعب تانزي وتتقيأ إذا مشينا بسرعة.

- ماذا تعنين بـ «بسرعة»؟ ثمانون ميلًا في الساعة؟ تسعون؟

- أممم، في الواقع... قرابة خمسين، أو أربعين.

نظر في المرآة الأمامية، أكان يتخيل أم هل شحبت الفتاة قليلًا بالفعل؟ كانت تنظر من النافذة ويدها على رأس الكلب.

- أربعون؟

أبطأ السيارة قليلًا وقال: «أنت تمزحين، صحيح؟ أتقولين إنه علينا القيادة إلى اسكتلندا عبر الطرق الفرعية؟».

- لا، حسنًا، ربما. لعلها كبرت وتخطت هذه الحالة، لكنها لا تسافر بالسيارة كثيرًا وكنا نواجه مشكلات كثيرة معها في الماضي.. وأنا لا أريد أن نوسخ سيارتك الرائعة.

نظر إد في مرآته الأمامية مجددًا.

- لا يمكننا السفر عبر الطرق الفرعية، هذا غير معقول. سنستغرق أيامًا حتى نصل، وعلى أي حال ستكون الفتاة بخير. هذه السيارة أحدث موديل ولديها نظام تعليق حاصل على عدة جوائز. لا أحد يتقيأ على متنها.

نظرت أمامها مباشرة وسألته: «ليس لديك أطفال، صحيح؟».

- لمَ تسألين؟

- بلا سبب.

احتاجوا خمسًا وعشرين دقيقة لغسل الكنبة الخلفية وتعقيمها، وحتى بعد هذا شم إد رائحة قيء خفيفة كلما وضع رأسه في السيارة. استعارت جيس دلوًا من محطة بنزين واستخدمت شامبو أحضرته معها في حقيبة أحد الطفلين. جلس نيكي على الرصيف بجانب الجراج مغطيًا وجهه بنظارة شمسية كبيرة وبجانبه تانزي مع الكلب تغطي فمها بمنديل مكوَّر كأنها مريضة بالسل. وأكمامها مشمرة ووجهها مركز على ما حدث، ظلت جيس تردد: «أنا آسفة، أنا آسفة جدًّا».

- لا بأس، أنتِ من تنظفينها.

- سأدفع لك لتغسل سيارتك في جراج فخم فيما بعد.

رفع حاجبًا. كان يضع كيس قمامة بلاستيكيًّا فوق الكنبة الخلفية حتى لا يبتل الطفلان عندما يجلسان عليها.

- أه، حسنًا، سأفعل ذلك، ستكون رائحتها أفضل... أيًّا كان.

عادوا إلى السيارة بعد مرور بعض الوقت. لم يعلق أحد على الرائحة. تأكد إد أنه فتح نافذته بقدر ما يمكن لها أن تنفتح وبدأ يبرمج نظام تحديد المواقع من جديد.

- إذًا نحن ذاهبون إلى اسكتلندا عبر الطرق الفرعية.

ضغط على زر تحديد الوجهة وسأل: «أنحن ذاهبون إلى جلاسكو أم إدنبره؟».

- آبردين.

- آبردين، بالطبع.

نظر خلفه وحاول أن يمنع اليأس الذي يشعر به من أن يظهر في صوته.

- كلنا راضون؟ ماء؟ كيس بلاستيكي على الكنبة؟ كيس للقيء؟ عظيم، لنذهب.

سمع إد صوت شقيقته في أذنه شامتًا وهو يعود إلى الطريق. *هاهاها، العدالة الإلهية!*

بدأت الأمطار بعدما تخطوا بورتسموث بقليل. قاد إد في الطرق الفرعية مُبقيًا على سرعة ثمانية وثلاثين ميلًا طول الوقت، شعر برذاذ مطر بالبصاق من الفتحة الصغيرة في نافذته التي لم يشعر أنه قادر على إغلاقها تمامًا. وجد أنه يحتاج إلى تركيز على عدم الضغط على دواسة البنزين أكثر من اللازم، وشعر بالضيق الدائم نتيجةً لسيره على سرعة هادئة كهذه، كأنه يشعر بالحكة ولا يمكنه أن يحك لسبب ما. في النهاية قرر أن يستخدم مثبت السرعة. غفا نيكي، تمتمت جيس ما معناه أنه خرج من المستشفى منذ يوم فقط. نصفه أراد أن يسألها عما حدث ولكن نصفه الآخر لم يكن متأكدًا من أنه أراد أن يعرف حجم المشكلات التي تعانيها هذه العائلة.

إيقاعهم البطيء سمح له باختلاس النظر إلى جيس. ظلت صامتة ورأسها مبتعد عنه كأنه فعل ما يزعجها. تذكرها وهي واقفة في ردهة منزله تطالبه بالنقود ورأسها مرفوع لأعلى (كانت قصيرة للغاية) وعيناها الجافتان من الود لا ترمشان، وبعدها تذكر تعاملها معه في الحانة وأنها جالسته طوال الطريق لمنزله. قال لنفسه: «*هيا. يومان أو ثلاثة على الأكثر ولن تراهم مجددًا، كن لطيفًا*».

- إذًا.. هل تنظفين العديد من المنازل؟

عبست قليلًا وأجابته: «نعم».

- ألديك أي زبائن معتادين؟

- إنه بارك للإجازات.

- هل كنتِ... هل كانت هذه وظيفة دائمًا ما رغبتِ في فعلها؟

- هل كنت أحلم بأن أعمل عاملة تنظيف وأنا صغيرة؟

رفعت حاجبها وقالت: «أمم، لا، أردت أن أكون غواصة محترفة، لكنني أنجبت تانزي ولم أستطع أن أجد طريقة لجعل عربة الأطفال الرضع تطفو فوق الماء».

- كان هذا سؤالًا غبيًّا مني.

فركت أنفها.

- ليست وظيفة أحلامي، لكنها ليست وظيفة سيئة؛ يمكنني التوفيق بين العمل والأطفال، وأستلطف معظم العملاء الذين أنظف منازلهم.

معظم.

- أتحصلين على مال يكفي للمعيشة منها؟

التف رأسها لتواجهه سريعًا وقالت: «ماذا تقصد؟».

- أقصد ما قلته. أيمكنكِ تكفل مصاريف المعيشة؟ أهي وظيفة مربحة؟

تجهم وجهها.

- نتدبر أمرنا.

اعترضت تانزي من الخلف: «لا، لا نتدبر أمرنا».

- تانز.

- دائمًا تقولين إنه ليس لدينا ما يكفي من المال.

- إنه فقط تعبير مجازي.

احمر وجهها.

سألته تانزي: «ماذا تعمل يا مستر نيكولز؟».

- أعمل في شركة تبتكر أنظمة سوفت وير. أتعرفين ما هو السوفت وير؟

- بالطبع أعرف.

لفت الكلام نظر نيكي، رآه إد يخلع سماعاته في المرآة الأمامية وعندما لاحظه الصبي أشاح بنظره.

- أتصمم الألعاب؟

- ليس الألعاب.
- إذًا ماذا تصمم؟
- حسنًا، في الأعوام الأخيرة كنا نعمل على سوفت وير نأمل أنه سيجعلنا أقرب بكثير لعالم بلا نقود ورقية.
- كيف سيحدث هذا؟
- عندما تشترين شيئًا أو تدفعين فاتورة شيء ستلوحين بهاتفك الذي سيكون عليه شيء قريب للبار كود، وفي كل مرة تستخدمينه يخصم مبلغًا متناهي الصغر، قرابة 0.01 من جنيه.

سألت جيس: «ومن سيدفع نقودًا ليدفع نقودًا؟ لن يرغب أحد في شيء كهذا».

- بالعكس، البنوك تحب الفكرة، والبائعون يحبونها لأنها توحد نظام الدفع بدلًا من أن يكون لديهم الدفع النقدي والدفع بالبطاقة والدفع بالشيكات.. وستدفعين أقل للعملية الواحدة مما تدفعين عندما تستخدمين بطاقة ائتمانك، وبهذا يخدم الطرفين.
- بعض الناس لا يستخدمون بطاقات الائتمان إلا في أضيق الحدود عندما لا يكون هناك مفر من استخدامها.
- في هذه الحالة ستكون متصلة بحسابك البنكي، لن تحتاجي إلى فعل أي شيء أو ما شابه.
- إن فعَّلت البنوك هذه الخاصية لن يكون لدينا خيار آخر.
- لن يحدث هذا في أي وقت قريب.

خيم صمت قصير. رفعت جيس ركبتيها حتى لامستا ذقنها وضمتهما بذراعيها.

- إذًا سيزداد الأثرياء ثراءً -البنوك والبائعون- ويزداد الفقراء فقرًا.
- نظريًّا، ربما يحدث هذا، لكن هذا هو الأمر الرائع بخصوصه. المبلغ المخصوم قليل جدًّا لدرجة أننا لن نلاحظها وسيريحنا السوفت وير جدًّا.

تمتمت شيئًا لم يسمعه بوضوح.

سألته تانزي: «كم قلت إن المبلغ المخصوم سيكون؟».

- 0.01 لكل عملية، قرابة أقل من قرش.
- وكم عملية في اليوم؟
- عشرون؟ خمسون؟ يعتمد هذا على كيفية قضائك ليومك.
- إذًا قرابة خمسين قرشًا في اليوم.
- بالضبط، مبلغ تافه.

أضافت جيس: «ثلاثة جنيهات ونصف أسبوعيًّا».

عقبت تانزي: «مئة واثنان وثمانون جنيهًا سنويًّا، مع الأخذ بعين الاعتبار كل من قرب الخصم إلى القرش وهل السنة كبيسة أم لا».

رفع إد يده من على عجلة القيادة: «من بعيد، حتى أنتِ لا يمكنكِ أن تقولي إن هذا يعد مبلغًا».

التفت جيس في كرسيها وقالت: «ماذا يمكننا أن نشتري بمئة واثنين وثمانين جنيهًا يا تانز؟».

- بنطلونين للمدرسة من المتجر، وزوجَي أحذية وملابس للتربية الرياضية، وعشرة أزواج من الجوارب البيضاء، سيكلف هذا خمسة وثمانين جنيهًا وسبعة وتسعين قرشًا. المئة الباقية تشتري لنا بالضبط بقالة تكفينا لـ 9.2 أيام مع الأخذ بعين الاعتبار احتمالية قدوم ضيوف واحتمالية أن تشتري ماما زجاجة نبيذ.

فكرت للحظة ثم قالت: «أو شهرًا من ضريبة الأملاك العقارية للفئة د. نحن في الفئة د، صحيح يا ماما؟».

- نعم، إلا لو قرروا إعادة تعيين فئتنا.
- أو عطلة لثلاثة أيام في غير الموسم في القرية السياحية في كِنت. ستتكلف مئة وخمسة وسبعين جنيهًا شاملة ضريبة القيمة المضافة.

انحنت للأمام وقالت: «ذهبنا العام الماضي، أعطونا ليلة إضافية لأن ماما أصلحت ستائر المالك، وكانت لديهم زحليقة في الماء».

تبع الكلام صمت قصير، كان إد على وشك أن يقطعه عندما ظهر رأس تانزي بين الكرسيين الأماميين.

- أو شهر كامل تنظف فيه ماما منزلًا من أربع غرف ومعه غسل الملاءات والمناشف بأسعارها الحالية، يزيد أو ينقص جنيهًا.

عادت لتجلس في مكانها والرضا بادٍ عليها.

تحركوا ثلاثة أميال واتجهوا يمينًا في مفترق طرق من ثلاث تفريعات وبعدها اتجهوا يسارًا إلى طريق ضيق.

أراد إد قول شيء لكن صوته فارقه لوهلة. وراءه وضع نيكي سماعته في أذنيه والتفت بعيدًا. اختفت الشمس فترة قصيرة وراء سحابة.

قالت جيس وهي تضع قدميها العاريتين على لوحة القيادة وتنحني للأمام لترفع صوت الموسيقى: «على أي حال، لنأمل أن يحقق سوفت ويرك نجاحًا ساحقًا، ها؟».

جيس

كثيرًا ما قالت جدة جيس إن السر لحياة سعيدة هو التمتع بذاكرة ضعيفة. علينا أن نذكر أنها قالت ذلك قبل أن تصاب بالخرف وتنسى أين تعيش، لكن جيس فهمت مغزى كلامها. عليها أن تنسى أمر المال، لن تقدر على البقاء مع مستر نيكولز في سيارة لو ظلت تفكر فيما فعلته. كان مارتي يقول لها إن وجهها دائمًا يفصح عما بداخلها، مشاعرها تظهر واضحة عليه كأنها منعكسة في مرآة. ستعترف على نفسها في خلال ساعات وتقول كل شيء كأنها تُستجوَب في كوريا الشمالية، أو ستجن من التوتر وتبدأ بتمزيق قطع صغيرة من الكراسي بأظافرها.

جلست في السيارة تستمع إلى تانزي وهي تدردش وقالت لنفسها إنها ستدبر وسيلة ما لترد النقود قبل أن يكتشفها. ستأخذها من جائزة تانزي. ستجد حلًّا ما. قالت لنفسها إنه مجرد رجل عرض عليهم توصيلة وكل ما عليها فعله هو أن تتحدث معه وتكون اجتماعية بضع ساعات كل يوم، وبين الحين والآخر نظرت خلفها إلى طفليها وفكرت: «*ماذا كان بيدي غير هذا لأفعله؟*».

لم يكن من المفترض أن يكون الجلوس والاستمتاع بالرحلة بهذه الصعوبة، الطرقات الفرعية في الريف كانت مصفوفة بالزهور البرية، وعندما هدأ المطر واختفت السحب ظهرت سماء زرقاء كالتي تراها على البطاقات البريدية في الخمسينيات. لم تشعر تانزي بالدوار أو تتقيأ بعد أول مرة، وكلما ابتعدوا ميلًا عن منزلها وجدت كتفيها تنخفضان من مكانهما حيث التصقتا بأذنيها. أدركت الآن أنه مرت شهور على آخر مرة شعرت فيها بالاطمئنان. حياتها هذه الأيام مسلسل من القلق، «ماذا سيفعل آل فيشر هذه المرة؟ ماذا يدور في بال

نيكي؟ ماذا تفعل بخصوص تانزي؟»، وتحت هذه الأسئلة قلق مُلح يتردد في عقلها كإيقاع طبول: «المال. المال، المال».

سألها مستر نيكولز: «هل أنتِ بخير؟».

نزعها سؤالها من أفكارها نزعًا وتمتمت: «بخير. شكرًا لسؤالكِ».

أومآ لبعضهما بعضًا محرجَين، لم يسترخِ، كان هذا واضحًا في فكه المقبض وفي كيف كان شاردًا في أفكاره وراء نظارته الشمسية، وكيف قبضت أصابعه عجلة القيادة حتى ابيضت مفاصله. لم تدرِ جيس لماذا عرض عليهم التوصيلة، لكنها كانت متأكدة أنه ندم على قراره لحظة صاحت تانزي أنها تحتاج إلى كيس لتتقيأ فيه.

- أمم، هل يمكنكِ التوقف عن النقر؟

- النقر؟

- قدماك، إنهما تنقران على لوحة القيادة.

نظرت إلى قدميها.

- تشتتين انتباهي.

- تريدني أن أتوقف عن النقر بقدميَّ.

نظر أمامه مباشرة من خلال الزجاج الأمامي للسيارة وقال: «من فضلك».

تركت قدميها تنزلقان مكانهما لكنها لم تكن مرتاحة وبعد فترة رفعتهما وجلست فوقهما على كرسيها. أسندت رأسها على الزجاج.

- يدك.

- ماذا؟

- يدكِ. أنت تضربين ركبتك بيدكِ الآن.

كانت تضرب يدها على ركبتها بلا وعي.

- تريدني أن أظل ساكنة تمامًا بينما تقود.

- لم أقل هذا، صوت النقر والضرب يصعب عليَّ التركيز.

- لا يمكنك أن تقود وأنا أحرك أي جزء من جسدي؟

- لا، ليس هذا ما أعنيه.

- وإذًا؟ ماذا تعني؟

- النقر، أنا فقط.. أنزعج.. من النقر.

أخذت جيس نفسًا عميقًا وقالت: «يا ولدان، ممنوع علينا الحركة، اتفقنا؟ لا نريد أن نزعج مستر نيكولز».

قال لها بلطف: «الطفلان لا يفعلان شيئًا، فقط أنتِ».

- أنت تتململين كثيرًا بالفعل يا ماما.

- شكرًا يا تانز.

ضمت جيس كفيها أمامها وجلست ضاغطةً أسنانها وصابَّةً كل تركيزها على أن تظل ساكنة، وحاولت أن تفكر في الإيجابيات، مثل أن مستر نيكولز لم يغير رأيه بشأن توصيلهم. قطعوا قرابة ستين ميلًا حتى الآن ولم يغير رأيه. عندما تكون مسؤولًا عن منزل كامل يكون من اللطيف ألا تكون مسؤولًا عن أي شيء لوهلة.

تركت رأسها يستند على الكرسي وأغمضت عينيها وتناست أمر المال وسيارة مارتي اللعينة وقلقها على الطفلين، تركت تلك الأفكار كلها تطفو بعيدًا عنها كأن السيارة تقطع الأميال مخلفةً إياها وراءها، وحاولت أن تترك همهمة محرك السيارة باهظة الثمن تسري في جسدها، والهواء من النافذة المفتوحة يداعب وجهها، والموسيقى تملأ أذنيها، وشعرت للحظة خاطفة أنها امرأة تعيش حياة مختلفة تمامًا عن حياتها الحالية.

توقفوا لتناول الغداء في حانة تقع خارج أكسفورد، خارجين من السيارة متنهدين تنهدات مرتاحة وهم يطقطقون مفاصلهم ويمددون أطرافهم المشدودة. دخل مستر نيكولز الحانة وجلست هي إلى طاولة للنزهات وأخرجت السندويتشات التي جهزتها على عجل هذا الصباح عندما اتضح أنهم سيحصلون على توصيلة في النهاية.

عاد نيكي للطاولة وفتح سندويتشًا ليرى محتواه قائلًا: «مارميت».

- كنت مستعجلة.

- هل معنا أي شطائر أخرى.

- لدينا شطائر مربى.

تنهد ووضع يده في الحقيبة، جلست تانزي على حافة المقعد مستغرقةً في أوراق الرياضيات. لم تتمكن من قراءتها في السيارة لأن القراءة في سيارة

متحركة تصيبها بالدوار، لذا أرادت أن تستغل أي فرصة متاحة لتعمل على حلها. شاهدتها جيس وهي تكتب في كتاب الجبر بتركيز وتساءلت للمرة المئة من أين أتت تانزي بهذه الموهبة.

- تفضلوا.

أتاهم مستر نيكولز بصينية.

- ظننت أننا سنحب أن نشرب شيئًا.

أعطى الطفلين زجاجتَي كولا ثم قال لجيس: «لم أخمن ماذا تحبين أن تشربي لذا اشتريت تشكيلة».

أحضر زجاجة بيرة إيطالية ونصف كوب تفاح بالقرفة وكأس نبيذ أبيض وكولا وعصير ليمون وزجاجة عصير برتقال. كان معه مياه معدنية وتل صغير من أكياس شيبسي بنكهات مختلفة.

- اشتريت هذا كله؟

- كان هناك صف ولم أرد أن أعود وأسأل.

- ليس.. ليس معي نقود كافية لهذا كله.

نظر إليها كأنها هي غريبة الأطوار في هذا الموقف.

- إنه مجرد مشروب، لم أشترِ لكِ بيتًا.

رن هاتفه بعدها فرد عليه ومشى عبر جراج السيارات متحدثًا في أثناء سيره.

سألتها تانزي: «أأذهب وأسأله إن كان يريد سندويتشًا من التي حضرناها؟».

شاهدته جيس يمشي ويده في جيبه حتى اختفى عن ناظريها وقالت: «ربما ليس الآن».

لم يقل نيكي أي شيء، وعندما سألته جيس عن أكثر ما يؤلمه أخبرها متمتمًا أنه بخير.

- ستصبح الأوضاع أسهل. حقًّا، سنأخذ هذه العطلة ونحل أمر تانزي ونفكر فيما سنفعل. أحيانًا كل ما تحتاج إليه هو القليل من البعد لتصفي ذهنك وتحل الأمور في عقلك. يجعل هذا كل شيء أكثر وضوحًا.

وضعت يدها على يده.

- لا أعتقد أن ما في ذهني هو المشكلة.

أعطته مُسكانته وشاهدته وهو يأخذها بالكولا ويمدد أطرافه النحيفة بحذر. حاولت أن تحرك الكلب حتى لا يحشر نيكي بجانب الباب لكن الأمر كان صعبًا. كان نورمان أكبر من المسافة أمام الكراسي. كان بإمكانه أن يجلس في المقعد الأوسط وأجلسوه هناك فترةً بالفعل ووضعوا له حزام الأمان، لكن تدريجيًّا كان يميل إلى أن يصبح نائمًا، رأسه على حجر تانزي وموخرته الهائلة تحشر نيكي في طرف الكرسي الجلدي.

أخذ نيكي الكلب ليُمشِّيه وكتفاه محنيتان وقدماه تحفان الأرض. تساءلت عما إذا كان معه سجائر، كان غير مرتاح لأن بطارية النينتيندو فرغت قبل عشرين ميلًا. ظنت جيس أنه لا يعرف ماذا يفعل عندما لا يكون مرتبطًا بلعبة.

شاهدتاه يمشي في صمت.

فكرت جيس في كيف تناقصت ابتساماته تدريجيًّا، وفي حذره، وفي كيف بدا الآن كسمكة خارج الماء، شاحبًا وضعيفًا في الساعات القليلة التي يقضيها خارج غرفته. فكرت فيه وهو في المستشفى، وجهه مستسلم خالٍ من أي تعبير. من الذي قال إنك سعيد بقدر سعادة أتعس أبنائك؟

انحنت تانزي فوق أوراقها.

- أعتقد أنني سأعيش في مكان آخر عندما أصبح مراهقة.

نظرت جيس إليها وسألت: «ماذا؟».

- أعتقد أنني سأعيش في الجامعة، لا أريد أن أكبر بجوار آل فيشر.

كتبت رقمًا في كتاب المسائل ثم مسحت منه عددًا وكتبت مكانه العدد أربعة.

همست: «يخيفونني».

- آل فيشر؟

- تراودني كوابيس عنهم.

ازدردت جيس وقالت: «لا داعي لأن تخافي منهم، إنهم فقط أولاد أغبياء، فِعلتهم كانت من شيم الجبناء، إنهم غير مؤثرين».

- لا أشعر أنهم غير مؤثرين.

- تانزي، سأفكر في شيء نفعله بهم وسنحل الأمر، اتفقنا؟ لا داعي لأن تحلمي بكوابيس عنهم، سأحل الأمر.

جلسا في صمت، وكان الطريق هادئًا اللهم إلا من صوت بعيد لجرار. تراقصت الطيور في السماء الزرقاء فوقهم، عاد إليهم متسر نيكولز متباطئًا. اعتدلت وقفته كأنه حل مشكلته وكان ممسكًا بهاتفه بخفة في يده. فركت جيس عينيها.

- أعتقد أنني أنهيت حل معادلاتي المركبة، أتريدين رؤية الإجابات؟

رفعت تانزي ورقة ملأى بالأرقام، نظرت جيس إلى وجه ابنتها اللطيف البريء، مالت إلى الأمام وعدلت نظارتها على أنفها وقالت بابتسامة عريضة: «نعم. أرغب في رؤية بعض المعادلات».

استغرق الجزء التالي من الرحلة ساعتين ونصفًا. نقر مستر نيكولز عجلة القيادة كأنهم عالقون في الزحام (لم يكونوا عالقين) وأتته مكالمتان: واحدة من امرأة اسمها جيما، (أهي زوجته السابقة؟) والأخرى بالتأكيد كانت مرتبطة بعمله، أخبرهما أنه سيتصل بهما لاحقًا. ظل صامتًا أربعين دقيقة بعد المكالمة الثانية. اتصلت به امرأة بلكنة إيطالية عندما توقفوا في محطة بنزين، وعندما قالت: «إدواردو، حبيبي» نزع مستر نيكولز الهاتف من حامله وخرج من السيارة ليقف بجانب مضخة البنزين. أدار ظهره لهم وقال: «لا يا لارا، تكلمنا في هذا الموضوع.. حسنًا، محاميك على خطأ.. لا، القول إنني كركند لن يشكل فارقًا».

نام نيكي ساعةً وشعره الأسود المائل للزرقة يهفهف على وجنتيه المتورمتين، ووجهه النائم لمرة لا يبدو مضطربًا. غنت تانزي بصوت خفيض وملست فراء نورمان. نورمان كان نائمًا وضرط بصوت عالٍ عدة مرات حتى تغلغلت الرائحة في السيارة. لم يشتكِ أحد، غطت الرائحة بقايا رائحة القيء.

سأل مستر نيكولز وهم يقودون إلى حي سكني في مدينة كبيرة أخيرًا: «هل يحتاج الطفلان إلى الأكل؟».

لم تعد جيس تحاول تمييز المدن، كل نصف ميل أو ما حوله رأت مباني مكتبية ضخمة وعلى واجهاتها أسماء مرتبطة بالإدارة أو التكنولوجيا لم تسمع

بها من قبل: أكسيس، تكنولوجيكا، ميديا بلس. حُددت الطرقات بمساحات ممتدة لركن السيارات، لم تر أحدًا يمشي.

- يمكننا أن نجد فرع ماكدونالدز، بالتأكيد سيكون هناك الكثير هنا.
- نحن لا نأكل ماكدونالدز.
- لا تأكلون ماكدونالدز.
- لا، يمكنني أن أكررها لو أردتَ، نحن لا نأكل ماكدونالدز.
- لأنكم نباتيون؟
- لا، في الواقع، هل يمكننا فقط أن نذهب إلى السوبر ماركت؟ سأحضر شطائر.
- ماكدونالدز سيكون أرخص من هذا لو كان الأمر متعلقًا بالمال.
- ليس متعلقًا بالمال.

لم يمكن لجيس أن تخبره أنه عندما تكون أمًّا وحيدة فلا يمكنك فعل أشياء معينة، والأشياء التي يتوقع منك الجميع أن تفعلها: الحصول على دعم من الحكومة، والتدخين، والعيش في منطقة مساكن، وإطعام أبنائك من ماكدونالدز. لم يمكنها تجنب بعض هذه الأشياء، لكن بمقدرتها عدم فعل البعض منها.

تنهد تنهيدة صغيرة ونظره مركز على المنطقة أمامه.

- حسنًا، يمكننا أن نجد مكانًا لنقضي الليلة فيه ونرى إن كان لديهم مطعم هناك.
- رتبت نفسي على أننا سننام في السيارة.

أوقف مستر نيكولز السيارة على جانب الطريق والتفت ليواجهها وسأل: «ننام في السيارة؟».

جعلها الإحراج غاضبة.

- نورمان معنا ولا فندق سيقبل بإبقائه فيه، سنكون بخير في السيارة.

أمسك هاتفه وأخذ ينقر على الشاشة.

- سأجد مكانًا يرحب بالحيوانات، بالتأكيد هناك مكان كهذا، حتى لو احتجنا إلى أن نقود أبعد قليلًا لنصل إليه.

احمرت وجنتا جيس.

- في الواقع، أفضل ألا نفعل هذا.

تابع النقر على شاشته.

- حقًا، نحن.. نحن لا نملك المال لغرف في فندق.

توقفت إصبع مستر نيكولز عن النقر وقال: «هذا جنون، لا يمكنكم النوم في سيارتي».

- فقط لليلتين، سنكون بخير، لو أتينا بالرولز كنا سننام فيها، لهذا أحضرت معي أغطية.

راقبتهما تانزي من الكنبة الخلفية.

- لدي ميزانية يومية وإذا لم تمانع فأنا أريد أن ألتزم بها.

اثنا عشر جنيهًا للطعام يوميًّا كحد أقصى.

نظر إليها كأنها مجنونة.

- لن أمنعك من أن تبقى في فندق.

لم ترد أن تخبره أنها تفضل لو بقي هو في فندق.

قال بعد فترة: «هذا جنوني».

خطر في بالها أنه لربما لا يريد لهم أن يبقوا وحدهم في سيارته.

قادوا الأميال التالية في صمت وكان لمستر نيكولز مظهر رجل يغلي في هدوء. لسبب ما، فضلته جيس هكذا. أخبرت نفسها أنه بقي لهم يومان أو ثلاثة على الأكثر. في الواقع، ستخبره أن بإمكانه توصيلهم إلى أولمبياد الرياضيات وأنهم سيعودون وحدهم. لم تدر إذا كان بإمكانها أن تتحمل ثماني وأربعين ساعة عالقة في سيارة معه، ولو أدت تانزي بالشكل الذي يتوقعه الجميع سوف يستخدمون جزءًا من الأرباح في شراء تذاكر للقطار. التفكير في ترك مستر نيكولز جعلها تشعر بحال أفضل بكثير لدرجة أنها لم تقل شيئًا عندما أوقف السيارة أمام فندق ترافل إن.

- سأعود بعد قليل.

خرج من السيارة ومشى عابرًا الجراج ومعه مفاتيح السيارة يلعب بها ويبدو عليه نفاد الصبر.

سألتها تانزي وهي تفرك عينيها وتنظر حولها: «هل سنبيت هنا؟».

- مستر نيكولز سيبقى هنا ونحن سنبقى في السيارة، ستكون مغامرة!

ساد صمت قصير قطعه نيكي قائلًا: «ياي».

تعلم جيس أنه غير مرتاح، لكن ماذا يمكنها أن تفعل؟

- يمكنك أن تمدد ظهرك في الكنبة الخلفية، أنا وتانزي سننام في الأمام. سيكون كل شيء بخير.

خرج مستر نيكولز وغطى عينيه ليحميهما من شمس الغروب. أدركت أنه يرتدي الملابس نفسها التي كان يرتديها في الحانة تلك الليلة.

- لديهم غرفة واحدة بسريرين، يمكنكم أن تأخذوها وس إن كان هناك مكان آخر بالقرب.

- أوه لا، أخبرتك أنه لا يمكنني قبول المزيد من العون منك.

- لا أفعل هذا من أجلك، أفعله من أجل الطفلين.

حاولت أن تكون أكثر دبلوماسية وهي تقول: «لا، إنه عرض في غاية اللطف منك، لكننا سنكون بخير هنا».

مرر يده في شعره وقال: «أتعرفين؟ لا يمكنني أن أنام في غرفة في فندق وأنا أعلم أنه على بعد بضعة أمتار مني هناك صبي خرج لتوه من المستشفى ينام في الكنبة الخلفية لسيارة. يمكن لنيكي أن ينام على السرير الآخر».

- لا.

قالتها بسرعة دون تفكير.

- لماذا؟

لم تستطع أن تخبره بالسبب.

غطى وجهه الغضب.

- لست منحرفًا.

- لم أقل إنك منحرف.

- إذًا لمَ لا تريدين لابنك أن يتشارك معي الغرفة؟ إنه في مثل طولي!

احمرت جيس محرجة.

- لقد مر بظروف صعبة مؤخرًا، أحتاج إلى أن أُبقي عينيَّ عليه لأطمئن.

سألت تانزي: «ماذا تعني منحرف؟».

قال نيكي من الكنبة الخلفية: «سيمكنني أن أشحن بطارية النينتيندو».

- أتعرفين؟ هذا نقاش سخيف. أنا جائع وعليَّ أن أجد ما آكله.

أدخل مستر نيكولز رأسه من باب السيارة وسأل: «نيكي، أتريد النوم في السيارة أم في غرفة فندق؟».

نظر نيكي إلى جيس على استحياء وقال: «في غرفة الفندق، وأنا لست منحرفًا كذلك».

سألت تانزي: «هل أنا منحرفة؟».

قال مستر نيكولز: «حسنًا، إليكِ ما سنفعل، نيكي وتانزي سينامان في غرفة الفندق ويمكنكِ النوم على الأرض معهما في الغرفة».

- لا يمكنني أن أدعك تدفع ثمن غرفة في الفندق لنا وتنام في السيارة، كما أن نورمان سيعوي طوال الليل لأنه لا يعرفك.

ظهر على وجه مستر نيكولز انزعاجه من اعتراضاتها وبدأ يفقد صبره.

- حسنًا، سينام الطفلان في الغرفة وأنا وأنتِ سننام في السيارة مع الكلب وسنكون كلنا سعداء بالوضع.

لم تبد عليه السعادة بالوضع.

- لم أنَم في غرفة فندق في حياتي، هل بقيت في غرفة فندق من قبل يا ماما؟

ساد صمت قصير وشعرت جيس بأنها تفقد السيطرة على الوضع.

- سأعتني بتانزي.

كان نيكي آملًا في أن توافق، وفي الأماكن التي لم يكن وجهه متورمًا فيها كان شاحبًا مثل المعجون.

- سيكون من الرائع أن أستحم.

- هل ستقرأ لي قصة؟

- فقط إن كان فيها زومبيز.

رأته جيس يبتسم وغيرت ابتسامته رأيها.

- حسنًا.

حاولت أن تقاوم الغثيان الذي شعرت به وهي تفكر فيما وافقت عليه للتو.

كان السوبر ماركت مُضاءً ومغطى بظل واجهة شركة لوجيستيات مقابلة له ونوافذه مضيئة وعليها علامات تعجب وعروض وخصومات على أصابع السمك والمشروبات الغازية. اشترت جيس مخبوزات وجبنة ورقائق بطاطس وتفاحًا باهظ الثمن، وحضرت للطفلين عشاءً ليأكلاه في المنطقة المحاطة بالعشب عند حافة الجراج. على الجانب الآخر تحركت السيارات جنوبًا بسرعة في السراب الأرجواني. عرضت على مستر نيكولز مما معهم لكنه نظر في الحقيبة وقال شكرًا عندما رأى محتوياتها، وأخبرها أنه سيأكل في مطعم. تعتقد أنه أراد أن يرتاح منهم قليلًا.

ارتاحت جيس هي الأخرى عندما ابتعد عن أنظارهم. ساعدت الطفلين في الاستقرار في الغرفة، وفي داخلها توق للبقاء معهما. كانت الغرفة في الدور الأرضي مقابل الجراج. كانت قد طلبت من مستر نيكولز أن يركن السيارة أقرب ما يمكن للنافذة، وجعلتها تانزي تخرج من الغرفة ثلاث مرات فقط لتلوح لها من وراء الستائر وتلصق أنفها في زجاج النافذة.

بقي نيكي في الحمام ساعةً والحنفيات مفتوحة، وبعدها خرج وشغل التلفزيون واستلقى على السرير، وبدا عليه الإرهاق والارتياح في آن واحد.

أحضرت له جيس حبوب الدواء وحمَّمت تانزي ووضعت لها بيجامتها وحذرتهما ألا يظلا مستيقظَين حتى وقت متأخر.

- ولا تدخين، أنا جادة.

أجابها نيكي منزعجًا: «كيف سأدخن وأنتِ تحتفظين بمخزوني؟».

استلقت تانزي على جانبها وأخذت تحل المسائل في كتب الرياضيات، وضاعت في عالمها الصامت بأرقامه. أطعمت جيس الكلب ومشّته ثم جلست في الكرسي الأمامي للسيارة وأكلت لفافة بالجبن وانتظرت مستر نيكولز بينما ينهي وجبته.

ظهر في التاسعة والربع بينما كانت تحاول قراءة صحيفة في الضوء المتلاشي، كان يمسك هاتفه كأنه أنهى مكالمة لتوه وكان متحمسًا لرؤيتها من جديد بقدر ما كانت هي. فتح الباب ودخل السيارة ثم أغلقه.

قال وهو يحدق إلى الزجاج الأمامي: «طلبت منهم أن يتصلوا بي إذا ألغى أحد حجزه، وبالطبع لم أخبرهم أنني سأنتظر في جراجهم».

كان نورمان نائمًا على الرصيف ويكأنه سقط من علو. تساءلت إذا ما كان عليها أن تدخله السيارة. دون الطفلين معها في الكنبة الخلفية ومع الظلام الذي يزحف إليهما شعرت بعدم الراحة أكثر لوجودها مع مستر نيكولز في السيارة.

- هل الطفلان بخير؟
- إنهما سعيدان للغاية. شكرًا لك.
- الإصابات على وجه ابنكِ تبدو سيئة.
- سيكون بخير.

خيم صمت طويل. نظر إليها ثم وضع يديه الاثنتين على عجلة القيادة واسترخى على كرسيه، ثم فرك عينيه بيديه من حيث تلتقي اليد بالذراع والتفت ليواجهها.

- حسنًا، هل فعلت أي شيء آخر أغضبك؟
- ماذا؟
- طوال اليوم كنت تتصرفين كما لو أنني أزعجك. اعتذرت عما حدث في الحانة ذلك اليوم وحاولت مساعدتك قدر ما استطعت، ومع ذلك ما زلت أشعر أنني فعلت شيئًا سيئًا.

تلعثمت وهي تجيبه: «لم.. لم تفعل شيئًا سيئًا».

تفحصها لوهلة ثم سأل: «أهذا المعادل لما تفعله النساء عندما يقلن «لا مشكلة» بينما ما يعنينه حقًّا أنني فعلت شيئًا بشعًا وعليَّ أن أخمن ما هو؟ ويغضبن إذا لم أعرف فيمَ أخطأت؟».

- لا.
- الآن أنا حقًّا لا أعرف، لأنه كما ترين فهذه الـ «لا» قد تكون مرتبطة بالـ «لا مشكلة» الخاصة بالنساء.
- أنا لا أحاول التكلم بالألغاز، لا توجد مشكلة.
- إذًا هل يمكننا التصرف بطبيعية؟ أنتِ تجعلينني غير مرتاح.
- *أنا* أجعلك غير مرتاح.

التف رأسه ببطء تجاهها.

- بدوت كأنك نادم على عرضك لتوصلينا منذ اللحظة التي ركبنا فيها سيارتك. في الواقع، من قبل أن نركب حتى.

حذرت نفسها: توقفي *اسكتي، اسكتي، اسكتي يا جيس.*

- لا أعرف لمَ فعلت هذا.

- ماذا.

- لا شيء، انسي الأمر.

أدارت ظهرها إليه.

نظر أمامه عبر الزجاج الأمامي وبدا عليه فجأة تعب عظيم.

- في الواقع، يمكنك فقط أن توصلنا إلى أي محطة صباح الغد، لن نزعجك بعدها.

- أهذا ما تريدينه؟

ضمت ركبتيها إلى صدرها وقالت: «لعله أفضل خيار لنا».

جلسا في صمت، وأظلمت السماء حولهما. فتحت جيس فمها مرتين لتتكلم لكن الكلمات أبت أن تخرج منه. حدق مستر نيكولز عبر الزجاج الأمامي إلى الستائر المغلقة لغرفة الفندق كأنه غارق في التفكير في أمر مهم.

فكرت في نيكي وتانزي النائمَين بأمان على الجانب الآخر، وتمنت لو كانت معهما. أحست باعتلال بسبب ما قالته. لمَ تتظاهر؟ لمَ لم تكن ألطف معه؟ كان الموضوع كله مسألة يومين، يا لها من حمقاء، لقد أفسدت كل شيء مجددًا.

برد الجو فأخذت غطاء نيكي من الكنبة الخلفية وأعطته إياه.

- خذ.

- أوه.

نظر إلى الطبعة العملاقة لسوبر ماريو على الغطاء وقال: «شكرًا».

نادت على الكلب وأرجعت كرسيها للوراء لدرجة فقط تضمن ألا يلمسه الكرسي ثم غطت نفسها بغطاء تانزي وقالت: «تصبح على خير».

حدقت إلى تنجيد السيارة الذي كان على بُعد سنتيمترات من أنفها واستنشقت رائحة السيارة الجدية وعقلها تائه. كم تبعد المحطة؟ كم ستتكلف

التذاكر؟ على الأقل سيحتاجون إلى أن يدفعوا تكاليف يوم إضافي في فندق صغير في مكان ما. وماذا ستفعل بالكلب؟ سمعت شخير نورمان الخفيف خلفها وفكرت بكآبة أنها لن تكنس الكنبة الخلفية الآن.

قطع صوت مستر نيكولز الصمت.

- الساعة التاسعة والنصف.

ظلت جيس ساكنة لا تتحرك.

- التاسعة والنصف.

تنهد وقال: «لم أعتقد أنني سأقول هذا قط، لكن هذا أسوأ من أن تكون متزوجًا».

- ماذا؟ هل صوت تنفسي عالٍ؟

فتح باب السيارة بسرعة وقال: «يا إلهي!».

بعدها خرج من السيارة مشى عبر الجراج.

جلست جيس على الكرسي وراقبته يعبر الطريق بخطى سريعة إلى السوبر ماركت مختفيًا داخل المكان المضاء بالفلورسنت. ظهر بعد بضع دقائق ومعه زجاجة نبيذ وكوبان بلاستيكيان.

قال وهو يجلس في كرسي السائق: «على الأغلب فإن طعمه بشع، لكنني في هذه اللحظة لا أهتم بالمرة».

نظرت إلى الزجاجة.

- هدنة يا جيسيكا توماس؟ اليوم كان طويلًا والأسبوع كان بشعًا، وعلى اتساعها فإن هذه السيارة لا تحتمل شخصين لا يتحدثان إلى بعضهما بعضًا.

نظر إليها. كانت عيناه مرهقتين وبدأت تنمو له لحية قصيرة. جعله هذا يبدو ضعيفًا بشكل غريب.

أخذت منه الكوب.

- آسفة، لست معتادة على أن يساعدنا أحد. يجعلني هذا أشعر...

- بالريبة؟ بالتوتر؟

- كنت سأقول إنه يجعلني أشعر بأن عليَّ الخروج أكثر.

زفر وقال: «أوكي».

نظر إلى الزجاجة.

- دعينا إذًا... آه، اللعنة!

- ما الأمر؟

- ظننت بأن لها غطاء نلفه فيفتح.

حدق إلى الزجاجة كأنها هي الأخرى كانت مصممة فقط لإزعاجه.

- عظيم. لا أفترض أن معكِ فتّاحة؟

- لا.

- أتعتقدين أنهم سيتركونني أستبدلها؟

- هل معك الإيصال؟

تنهد تنهيدة عميقة قاطعتها هي.

- لا داعي لهذا.

أخذت منه الزجاجة وفتحت الباب وخرجت من السيارة. تحرك رأس نورمان للأعلى بسرعة.

- لن تحطمي بها زجاجي الأمامي، صحيح؟

- لا.

أزالت الفويل وقالت له: «اخلع حذاءيك».

- ماذا؟

- اخلع حذاءيك. لن ينجح الأمر مع شبشبي.

- من فضلكِ لا تستخدميهما بدلًا من الأكواب. زوجتي السابقة فعلت هذا مرة بحذائها ذي الكعب العالي وكان من الصعب أن أتظاهر أن الشامبانيا برائحة الأقدام مغرية.

مدت يدها له، وأخيرًا خلع حذاءيه وأعطاهما لها. بينما يراقبها وضعت جيس قاعدة الزجاجة داخل الحذاء وأمسكتهما بحذر ثم وقفت بجانب الفندق وضربتهما بقوة في الحائط.

- أفترض أنه لا داعي لأسألكِ عما تفعلين.

ردت عليه من بين أسنانها: «أعطِني دقيقة».

ضربتهما في الحائط مجددًا وهز مستر نيكولز رأسه ببطء.

اعتدلت ونظرت إليه بغضب.

- يمكنك أن تمص الإسفنجة التي تغلق الزجاجة، تفضل.

رفع يديه وقال: «لا لا، استمري فيما تفعلين، تمنيت أن أنهي اليوم ببعض الزجاج المكسور في جواربي».

تفحصت جيس الإسفنجة وضربت الزجاجة مجددًا. حدث فجأة - تحركت الإسفنجة خارج عنق الزجاجة مسافة سنتيمتر. ضربة أخرى، سنتيمتر آخر. أمسكتها بحذر وضربتها مرة أخيرة وخرجت الإسفنجة بما يكفي. سحبتها جيس من عنق الزجاجة بحذر وأعطتها له.

حدق إلى الزجاجة ثم انتقلت عيناه إليها. ردت إليه حذاءه.

- واو، معرفة امرأة مثلك مفيدة للمرء.

- يمكنني أيضًا تركيب الرفوف وتبديل ألواح الأرضية المتعفنة وصناعة سير لمروحة السيارة من الجوارب الخفيفة.

- حقًّا؟

- ليس سير المروحة.

عادت إلى السيارة وأخذت كوب النبيذ الذي عرضه عليها ثم تابعت: «حاولت ذات مرة لكنه تمزق قبل أن نتحرك ثلاثين ياردة في طريقنا. كان هدرًا لجوارب غير شفافة ماركة M&S».

ارتشفت النبيذ.

- وفاحت من السيارة رائحة جوارب محترقة لأسابيع بعدها.

وراءهما، أنَّ نورمان في نومه.

قال مستر نيكولز وكوبه مرفوع: «هدنة».

- هدنة، لن تقود بعدها، صحيح؟

رفعت كوبها إليه.

- لن أقود إذا لم تقودي.

- ها ها، مضحك جدًّا.

وفجأة لان المساء عليهما.

إد

هذه هي الأشياء التي اكتشفها إد عن جيسيكا توماس بعد أن شرب كوبًا أو اثنين (الأوقع أنها كانت أربعة أو خمسة أكواب) وتوقفت عن كونها حادة ونديه معه. حقائق حياتها التي كانت أكثر من الأشياء القليلة التي لاحظها، وهي أنها تربط شعرها بلا سبب عندما تشعر بالإحراج كأنها تحتاج إلى أن تفعل شيئًا، وأن ضحكتها تشبه صوت الفقمة، عالية ومفاجئة ومحرجة، على عكس حجمها وشخصيتها. جسدها النحيل كشف أنها تعمل عملًا معتمدًا على المجهود البدني، وجذور شعرها بدأت بالنمو قبل بضعة شهور وكانت ترتدي بنطلونًا جينزًا رخيصًا. كره أنه لاحظ هذا، لكن لارا اعتادت أن تنبهه لأمور مثل لون الجينز والخياطة، وكانت إحدى المعلومات الغريبة التي علقت في ذهنه، على عكس عيد ميلاد لارا.

1. الصبي لم يكن ابنها، كان ابن زوجها السابق وحبيبة زوجها السابقة، ولأن كليهما تخليا عنه فهي عائلته الوحيدة الآن. قال لها: «لطف منكِ».

ردت هي أنه: «ليس حقًّا. نيكي بمنزلة ابني فهو معي منذ أن كان في الثامنة، يساعدني في الاعتناء بتانزي، كما أن العائلات مختلفة الآن في تشكيلها عما كانت عليه في السابق، صحيح؟ لا تحتاج إلى أسرة صغيرة من أب وأم وطفلين ونصف بعد الآن».

طريقتها الدفاعية في الكلام جعلته يخمن أنها قالت هذا الكلام كثيرًا في السابق.

2. الفتاة عمرها عشر سنوات. أجرى عمليات حسابية في رأسه وقالت جيس قبل أن يتفوه هو بشيء: «كنت في السابعة عشرة».

- هذه سن صغيرة.

- كنت صبية طائشة تظن أنها تعرف كل شيء، لم أكن أعرف أي شيء، دخل مارتي حياتي وخرجتُ من المدرسة، وبعدها حدث الحمل. لم أنتوِ أن أعمل عاملة تنظيف، أمي كانت معلمة.

نظرت إليه كأنها تعلم أن شيئًا كهذا سوف يصدمه.

- حسنًا.

- متقاعدة الآن وتعيش في كورنوال، علاقتنا ليست جيدة، ليست سعيدة باختياراتي في الحياة، لم أتمكن قط من أن أشرح لها أنه عندما يكون معكِ طفل في السابعة عشرة لا يكون أمامكِ أي خيارات.

- ولا حتى الآن؟

- لا.

لفت خصلة من شعرها في أصابعها.

- لأنه لا يمكنك أبدًا اللحاق بالآخرين، رفاقك في الجامعة وأنت في المنزل مع الرضيع، رفاقك يبدؤون حياتهم العملية وأنت في مكتب الإسكان تبحث عن مكان لتعيش فيه، رفاقك يشترون سيارتهم الأولى ومنزلهم الأول وأنت تحاول البحث عن وظيفة تسمح لك برعاية الطفل، والوظائف التي تسمح بهذا تعطي رواتب ضئيلة، وهذا كان قبل أن ينفجر الاقتصاد. لا تسئ فهمي، لست نادمة على إنجاب تانزي ولا ضم نيكي إلى أسرتي، لكن إذا عدت بالزمن كنت سأنجب بعد أن أكون قد صنعت من حياتي شيئًا. سيكون من اللطيف أن توفر لأطفالك.. ما هو أفضل.

لم تعتدل في كرسيها وهي تقول هذا، استلقت مستندةً على كوعيها تواجهه من تحت بطانيتها وقدماها على لوحة القيادة، وجد إد أنه لم يمانع وجود قدميها هناك لهذه الدرجة.

- ما زال بإمكانك الحصول على وظيفة جيدة، أنتِ شابة، أعني.. يمكنكِ توظيف مربية أطفال بعد المدرسة أو ما شابه؟

خرجت منها ضحكة فقمة عالية دوى صوتها في السيارة: «ها!».

اعتدلت في جلستها سريعًا وشربت كمية كبيرة من النبيذ.

- أكيد يا مستر نيكولز، طبعًا، بالتأكيد يمكنني أن أفعل هذا.

3. تحب إصلاح الأشياء، تقوم بمهمات عشوائية حول منطقتها السكنية من إعادة توصيل مفاتيح الكهرباء إلى تركيب بلاط الحمامات.

- فعلت كل شيء في منزلنا، أنا بارعة في صنع الأشياء، يمكنني حتى عمل ورق حائط عليه نقشة مكعبات.

- تصنعين ورق الحائط لنفسكِ.

- لا تنظر إليَّ هكذا، استخدمناه في غرفة تانزي، حتى وقت قريب كنت أفصِّل وأخيط لها ملابسها بنفسي أيضًا.

- هل تعيشين في زمن الحرب العالمية الثانية؟ أتخزنين برطمانات المربى الفارغة والخيوط أيضًا؟

- ما علينا، ماذا أردت أن تكون؟

- ما كنته.

أدركتْ أنه لا يريد الحديث في هذا الأمر فغيرت الموضوع.

4. لديها قدمان في غاية الصغر، لدرجة أنها تشتري أحذيتها من قسم الأطفال (اتضح أنها أرخص). بعد أن قالت هذا كان عليه أن يجاهد نفسه حتى لا يختلس النظر إلى قدميها كمنحرف مريب.

5. قبل أن يكون لديها أطفال، كان بإمكانها شرب أربع جرعات مضاعفة متتالية من الفودكا والمشي في خط مستقيم.

- نعم، كان بإمكاني أن أشرب دون أن أسكر سريعًا، لكن لم يكن بإمكاني أن أشرب وأتذكر حبوب منع الحمل.

صدقها، شربا معًا زجاجتَي نبيذ ويعتقد أنها شربت ضعف ما شرب، وبينما بدا عليها الاسترخاء أكثر قليلًا، لم يعتقد أنها تصرفت وكأنها سكرانة ولو قليلًا طيلة هذا الوقت.

لا تشرب في المنزل أبدًا.

- عندما يهديني أحد شرابًا في الحانة وأنا أعمل، آخذ ثمنه نقدًا، وفي البيت أقلق أن يحدث شيء للطفلين فلا أشرب لأظل دائمًا في كامل وعيي.

نظرت من النافذة وقالت: «في الواقع، هذه الجلسة هي أقرب ما حظيت به لسهرة منذ.. خمسة أشهر».

- مع رجل أغلق الباب في وجهك وزجاجتَي نبيذ رخيص في جراج سيارات.
- لا أعترض.

لم تشرح السبب الذي جعلها تقلق لهذه الدرجة.

6. لديها ندبة تحت ذقنها تعود لحادث سقطت فيه من على دراجتها وعلقت في وجهها قطعة حصى أسبوعين كاملَين. حاولت أن تُريه إياها لكن ضوء السيارة لم يسعفهما. لديها أيضًا وشم أسفل ظهرها عند نهاية عمودها الفقري.

- كان مارتي يقول إنه وشم مطابق لأي ترامب ستامب، قاطعني أسبوعين بعدما حصلت عليه.

سكتت لثانية ثم قالت: «أعتقد أن هذا كان سبب حصولي عليه».

7. اسمها الأوسط هو راي. يتعين عليها أن تتهجاه كل مرة تقوله.

8. لا تمانع العمل بصفتها عاملة تنظيف، لكنها تكره من كل قلبها أن الناس تعاملها كأنها «مجرد» عاملة تنظيف. (كان لديه من الحياء ما يكفي لأن تحمر وجنتاه عندما قالت هذا).

9. لم تحظَ بموعد غرامي منذ تركها زوجها قبل عامين.

- لم تمارسي الجنس منذ عامين ونصف؟
- قلت إنه رحل قبل عامين.

- هذا توقع أعدُّه منطقيًّا.

اعتدلت في جلستها ونظرت إليه بطرفَي عينيها.

- ثلاثة ونصف إن أردنا الدقة، اللهم إلا.. أمم.. لقاء واحد العام الماضي. وليس عليك أن تبدو مصدومًا لهذا الحد.

- لست مصدومًا.

حاول أن يخفي الصدمة في تعابير وجهه وهز كتفيه في عدم اهتمام قائلًا: «ثلاثة أعوام ونصف العام. يعني قرابة ربع حياتك كبالغة؟ كلام فارغ؟».

- آه. شكرًا جزيلًا على قول هذا.

لم يدرِ ماذا حدث لكن الجو بينهما تغير، تمتمت شيئًا لم يفهمه وربطت شعرها في ذيل حصان آخر وقالت إنه يستحسن أن يناما الآن.

ظن إد أنه سيستلقي صاحيًا في مكانه فترة طويلة، كان هناك شيء غريب في أن تكون في سيارة مظلمة على بُعد ذراع من امرأة جذابة شربت معها زجاجتَي نبيذ، حتى وهي مختبئة تحت بطانية عليها سبونج بوب سكوير بانتس. نظر من فتحة السقف إلى النجوم وسمع أصوات الشاحنات تمضي بجانبهما على الطريق في اتجاه لندن، وسمع الكلب يئن في نومه على الكنبة الخلفية، وفكر في أن حياته الحقيقية -حياته التي فيها شركته ومكتبه وآثار ما بعد ديانا لويس التي لا تنتهي- بعيدة عنه كل البعد هنا والآن.

- هل ما زلتَ مستيقظًا؟

التفت إليها وتساءل إذا ما كانت تراقبه.

- لا.

سمعها همسًا من الكرسي المجاور تقول: «حسنًا، لنلعب لعبة الحقيقة».

رفع عينيه للسقف.

- ابدئي إذًا.

- أنت أولًا.

لم يخطر بباله أي شيء.

- لا بد من أن لديك أي سؤال.

- حسنًا، لماذا ترتدين شبشبًا؟
- حقًّا؟ هذا سؤالك؟
- الجو بارد جدًّا، هذا أبرد ربيع وأغزرها مطرًا في التاريخ المسجل، وأنتِ ترتدين شبشبًا.
- أيزعجك الأمر لهذه الدرجة؟
- لا أفهم لمَ. يعني من الواضح أنكِ تشعرين بالبرد.

حركت إحدى أصابع قدميها وقالت: «إننا في الربيع».

- و؟
- إنه الربيع، ما يعني أن الجو سيتحسن مستقبلًا.
- أنتِ ترتدين شبشبًا كدلالة على الأمل.
- إذا أردت اعتباره هذا، فلتعتبره.

لم يجد ما يقوله كرد.

- حسنًا، هذا دوري.

انتظر سؤالها.

- هل فكرت في أن تلف بسيارتك وتتركنا هذا الصباح؟
- لا.
- كذاب.
- حسنًا، ربما قليلًا، حاولت جارتكِ أن تهشم رأسي بمضرب بيسبول وكلبك رائحته سيئة جدًّا.
- حجج وأعذار.

سمعها تتحرك في كرسيها واختفت قدماها تحت البطانية. كان يشم رائحة الشامبو الذي تستخدمه، وذكَّرته برائحة شوكولاتة باونتي.

- إذًا لمَ لم تذهب؟

فكر دقيقةً قبل أن يرد، لعله لأنه لم يرَ وجهها أو لأنه بين الكأس الثالثة والرابعة التي شرباها كان قد وصل إلى أنها شخص صالح، أو لعل الشرب في ساعة متأخرة أخفض جدرانه الحامية التي كانت لتمنعه من الإجابة بصراحة كما فعل.

- لأنني تصرفت بشكل غبي كثيرًا مؤخرًا، ولعل جزءًا مني أراد أن يفعل شيئًا أكون فخورًا بفعله.

ظن إد أنها ستقول شيئًا. في الواقع، تمنى أن تقول شيئًا، لكنها لم تقل أي شيء.

استلقى في مكانه بضع دقائق يشاهد الأضواء ويستمع لأنفاس جيسيكا راي توماس ويفكر في كيف افتقد شعور النوم بقرب شخص آخر. معظم الأيام شعر أنه أكثر الرجال وحدة على الكوكب. فكر في قدميها الصغيرتين وطلاء الأظافر عليهما، وبعدها تراءى إليه حاجب أخته المرفوع اعتراضًا وأدرك أنه شرب أكثر مما يجب. قال لنفسه: *لا تكن أحمق يا نيكولز*، وبعدها أولى ظهره إليها.

فكر إد نيكولز في زوجته السابقة وفي ديانا لويس حتى تلاشت أفكاره الحزينة الناعمة وحل محلها غضب عنيف احتل كل ركن فيه. فجأة شعر بالبرد وبأن الجو في الخارج رمادي مضبب كئيب وبأن ذراعه اليسرى تنمل. كان شبه نائم لدرجة أنه استغرق دقيقتين ليدرك أن صوت النقر الذي كان يسمعه هو حارس الأمن ينقر النافذة عند كرسي السائق ليخبرهما أنه لا يمكن لهما النوم هنا.

تانزي

كانت لديهم أربعة أنواع من الدنش في بوفيه الإفطار، إضافةً إلى ثلاثة أنواع عصير فواكه، ورف كامل عليه علب حبوب فطور صغيرة من التي قالت ماما إنهم لن يشتروها أبدًا لأنها باهظة الثمن. طرقت ماما على النافذة في الثامنة والربع لتخبرهما أن يرتديا جاكتيهما ويذهبا لتناول الإفطار ويخبئا ما يمكنهما في الجيوب. كان شعرها مبعثرًا في جانب واحد، ولم تكن تضع أي مكياج على وجهها. خمنت تانزي أن النوم في السيارة لم يكن المغامرة التي حدثتهما عنها.

- لا تأخذا مربى أو زبدًا أو أي شيء يحتاج إلى ملاعق أو سكاكين لأكله. خذا المعجنات "الملفوفة والكعك وما إلى هذا، وتأكدا ألا يراكما أحد.

نظرت خلفها إلى حيث كان مستر نيكولز الذي بدا أنه يتشاجر مع حارس الأمن.

- وأحضِرا تفاحًا، التفاح صحي. وربما بعض شرائح اللحم لنورمان.
- وأين سنضع اللحم؟
- أو النقانق، يمكنكِ لفُّها في منديل.
- ألا تعد هذه سرقة؟
- لا.
- لكن...
- أنتِ فقط تأخذين أكثر بقليل مما يمكنكِ أكله في هذا الوقت، أنتِ فقط.. تخيلي أنكِ ضيفة تعاني خللًا هرمونيًّا يجعلكِ في غاية الجوع.
- لكنني لا أعاني خللًا هرمونيًّا.

- لكن لعلكِ تعانينه، لا يعرفون، هذا ما أقصده، أنتِ تلك الضيفة المريضة الجائعة يا تانز. دفعتِ ثمن فطورك. لكنكِ تحتاجين إلى مزيد من الطعام، أكثر مما تأكلين في العادة.

ربَّعت يديها وقالت: «قلتِ لنا إن السرقة سيئة».

- هذه ليست سرقة، أنتِ فقط تأخذين ما دفعتِ ثمنه.

- لكننا لم ندفع ثمن شيء، مستر نيكولز فعل.

- تانزي، من فضلك افعلي ما أقوله. مستر نيكولز وأنا سيتعين علينا ترك الجراج نصف ساعة. فقط افعلي ما أقوله ثم عودي لغرفتك واستعدي للرحيل في التاسعة، اتفقنا؟

مالت عليها عبر النافذة وقبلتها ثم عادت إلى السيارة ملتفةً بالجاكيت الذي كانت ترتديه. توقفت وصاحت: «ولا تنسي أن تغسلي أسنانكِ، ولا تتركي أيًّا من كتب الرياضيات في الغرفة».

خرج نيكي من الحمام، كان يرتدي بنطاله الجينز الأسود الضيق للغاية وتيشيرتًا مكتوبًا عليه WHEVS.

- لا يمكنكِ إخفاء أي نقانق في هذا البنطلون.

- أراهنكِ أنني سأخبئ طعامًا أكثر منكِ.

تلاقت عيناهما.

أجابته تانزي قبل أن تهرع لترتدي ملابسها: «اتفقنا».

انحنى مستر نيكولز للأمام ودقق النظر عبر زجاج سيارته الأمامي بينما أتت هي ونيكي إليهما في الجراج. إحقاقًا للحق، تانزي أيضًا كانت لتدقق النظر لو رأتهما. وضع نيكي في بنطلونه برتقالتين كبيرتين وتفاحة في المقدمة وتحرك كالبطة على الأسفلت كأنه بال في سرواله. كانت هي ترتدي الجاكيت رغم أن الجو لم يكن باردًا لأنها وضعت في سترتها عدة علب صغيرة من حبوب الفطور، ودون الجاكيت بدت كأنها حامل في مجموعة روبوتات صغيرة.

لم يتوقفا عن الضحك لحظةً.

- اركبا... هيا اركبا السيارة.

وضعت ماما حقائبهما في مؤخرة السيارة ودفعتهما ليركبا السيارة وهي تلتفت خلفها.

- ماذا أحضرتما؟

بدأ مستر نيكولز بالقيادة. رأته تانزي يختلس النظر عبر المرآة كلما أخرج أحد منهما شيئًا من داخل ملابسه.

أخرج نيكي لفة بيضاء من جيبه.

- ثلاث قطع دنش، لكن احترسي.. الزينة عليها التصقت بالمنديل قليلًا، وأربع قطع نقانق وبعض شرائح اللحم لنورمان، وضعتها في كوب ورقي، وشريحتا جبن وزبادي و...

هنا غطى حجره بالجاكيت وأدخل يده داخل بنطلونه بصعوبة وبدا من ملامحه أنه يعاني، ثم أخرج الثمار من الداخل.

- لا أصدق أنني تمكنت من وضعها هنا.

- لا يمكنني أن أفكر في أي شيء لائق قد تقوله أم لابنها تعليقًا على هذا.

كان معها ست علب من حبوب الإفطار وثمرتا موز وسندويتش مربى بالتوست الأبيض. جلست وتناولت الطعام ونورمان ينظر إليها واللعاب يسيل من جانبَي فمه في خطوط طويلة تطول وتطول إلى أن تهبط في بِركتين على كنبة سيارة مستر نيكولز.

- المرأة التي كانت تحضر البيض رأتنا.

علقت تانزي: «أخبرتها أني أعاني خللًا هرمونيًّا وأحتاج إلى أن آكل ما يعادل ضعف وزني ثلاث مرات في اليوم وإلا سيغمى عليَّ في قاعة الطعام وربما أموت حتى».

علق نيكي: «باهر».

عدَّت تانزي ما أحضره نيكي.

- أنت تكسب إذا كان المعيار هو العدد، لكنني أربح بالمهارة.

انحنت بينما يراقب الجميع وأخرجت من جيوبها كوبين من القهوة أبقتهما واقفَين عن طريق حشو جيبها بالمناديل من حولهما. أعطت واحدًا لماما ووضعت الآخر في حاملة الأكواب التي أمام مستر نيكولز.

نزعت ماما الغطاء وقالت: «أنتِ عبقرية. أوه يا تانز، ليس لديكِ أدنى فكرة كم كنت أحتاج إلى هذه القهوة».

أخذت رشفة وأغمضت عينيها، لم تدرِ تانزي هل كان هذا بسبب أنهما حققا نجاحًا ساحقًا في موضوع البوفيه أم لأن نيكي كان يضحك للمرة الأولى منذ زمن، لكنها في هذه اللحظة بدت في قمة سعادتها منذ أن رحل بابا.

حدق إليهم مستر نيكولز كأنه يجلس مع مجموعة فضائيين.

- حسنًا إذًا، يمكننا أن نحضر سندويتشات الغداء باللحم والجبن والنقانق، ويمكنكم أن تأكلوا الدنش الآن وسنستخدم الفواكه لتحضير البودينج. أتريد واحدة؟

مدت ماما يدها ببرتقالة إلى مستر نيكولز.

- إنها دافئة قليلًا، لكن يمكنني أن أقشرها لك.

- آه.. لطفٌ منكِ، لكنني سأتوقف عند ستاربكس للإفطار.

كان القسم التالي من الرحلة لطيفًا للغاية؛ لم يكن هناك زحام مروري بعدما خرجوا من المدينة، وأقنعت ماما مستر نيكولز بأن يشغل محطة الراديو المفضلة لديها، وغنت مع ست أغنيات، وازداد صوتها علوًّا بعد كل أغنية. كانت تفعل شيئًا عندما لا تعرف كلمات الأغنية فتستبدل بها كلمات عشوائية مثل «حلوى الكاسترد» و«الشرطيون الصلع» وفي بعض الأحيان يجعل هذا تانزي محرجة لكنه هذه المرة كان مضحكًا جدًّا. جعلت تانزي ونيكي ينضمان إليها، وبدا مستر نيكولز متضايقًا في البداية ولكن بعد بضعة أميال لاحظت تانزي أنه ينقر عجلة القيادة مع الإيقاع كأنه مستمتع بوقته. زادت حمية الشمس ووضع مستر نيكولز سقف السيارة المتحرك في مكانه.

جلس نورمان منتبهًا ليشم رائحة الهواء وهما يتحركان، وبذلك لم يلصق أيًّا منهما بالباب وكان هذا أيضًا لطيفًا.

ذكَّر هذا تانزي بالأوقات التي كان بابا يعيش معهم فيها وكانوا يخرجون لجولات بالسيارة أحيانًا، إلا أن بابا كان دائمًا يقود أسرع من اللازم ويغضب عندما تطلب منه ماما أن يبطئ وأنهم لم يتفقوا قط على مكان ليتناولوا الطعام فيه. كان بابا يتساءل دائمًا لمَ لا ينفقون المال على غداء في حانة فتقول ماما إنها حضرت لهم الشطائر وسيكون هدرًا ألا يأكلوها، ويقول بابا

لنيكي أن يتوقف عن لعب اللعبة التي يلعبها ويتأمل المنظر، فيتمتم نيكي أنه لم يطلب أن يأتي معهم، فيغضب بابا أكثر. بعدها فكرت تانزي أنه بينما تحب والدها فهي تفضل هذه الرحلة دون وجوده معهم.

بعد ساعتين قال مستر نيكولز إنه يحتاج إلى أن يمدد أطرافه، وكان نورمان بحاجة إلى أن يتبول، فتوقفوا عند حافة متنزه بري. جلسوا إلى طاولة نزهات في فسحة ظليلة، وأعطتهم ماما بعضًا مما أحضروه من بوفيه الإفطار وأكلوا. راجعت تانزي بعض الأشياء في ذهنها (الأعداد الأولية ومعادلات الجذور التربيعية) وبعدها أخذت نورمان في جولة حول الغابات. كان سعيدًا للغاية وتوقف كل دقيقتين ليشم شيئًا، والشمس كانت تظهر بأشعتها بين الأشجار كل حين وآخر، ورأوا غزالة وأرنبَين، وكان الأمر كله كما لو كانوا حقًّا في إجازة.

- هل أنتِ بخير يا عزيزتي؟

أتت ماما ويداها مُربَّعتان، من حيث وقفا كان بإمكانهما رؤية نيكي يتحدث مع مستر نيكولز على طاولتهم بين الشجيرات.

- هل تشعرين بالثقة بنفسكِ؟
- أظن هذا.
- هل راجعتِ الأوراق السابقة بالأمس؟
- نعم، أجد في متسلسلات الأعداد الأولية شيئًا من الصعوبة، لكنني كتبتها كلها وعندما رأيت التسلسل بوضوح أصبحت أسهل.
- هل حلمتِ بكابوس عن آل فيشر؟
- في الأمس حلمت أن هناك رأس كرنب يمكنه أن يتزلج، اسمه كيفين.

نظرت إليها ماما طويلًا ثم قالت: «حسنًا».

مَشَتَا أبعد بقليل، كان الجو أبرد في الغابة، وكانت له رائحة رطبة، لكن جيدة، خضراء وداكنة ومفعمة بالحياة على عكس الرائحة الرطبة في غرفتهم الخلفية في المنزل، التي كانت أقرب لرائحة العفن. توقفت ماما في الممشى ثم بدأت تعود للسيارة.

- أخبرتكِ أن أمورًا جيدة ستحدث، صحيح؟

انتظرت إلى أن لحقت بها تانزي.

- سيوصلنا مستر نيكولز غدًا وسنحظى بليلة هادئة وندخل المسابقة وتدخلين مدرستكِ الجديدة. وبعدها آمل أن حياتنا ستتغير للأحسن ولو قليلًا. أوليست ممتعة؟ هذه الرحلة؟

ظلت عيناها معلقتين بالسيارة وهي تتكلم وصوتها كان مثلما يبدو وهي تتحدث عن شيء بينما تفكر في شيء آخر. لاحظت تانزي أنها وضعت مكياجًا وهم في السيارة. أدارت ظهرها قليلًا بعيدًا عن مستر نيكولز وأمسكت مرآتها ووضعت القليل من الماسكارا، رغم أنه كلما واجهوا مطبًّا وقعت على وجهها نقطة سوداء صغيرة. لم تدرِ تانزي لمَ شغلت نفسها بهذا، فهي تبدو جميلة دونه.

- ماما.

- نعم؟

- نحن سرقنا من بوفيه الإفطار نوعًا ما، صحيح؟ يعني إذا حسبتها فنحن أخذنا أكثر من حصتنا.

نظرت ماما إلى قدمَيها لدقيقة وفكرت.

- إذا كان هذا يقلقك فما رأيك بأن نرسل لهم مظروفًا به خمسة جنيهات عندما نحصل على جائزتكِ المالية؟

- أعتقد أن المبلغ المساوي لما أخذناه أقرب لستة جنيهات. أو لعله ستة ونصف للدقة.

- إذًا سنرسل إليهم هذا المبلغ، الآن أعتقد أن علينا أن نعمل جاهدين على جعل كلبكِ البدين هذا يتحرك قليلًا حتى يكون، أولًا، متعبًا كفاية لينام القسم التالي من الرحلة وثانيًا، ليحثه المجهود على استخدام الحمام هنا فيرحمنا من ضرطه في الأميال الثمانين التالية.

عادوا لطريقهم من جديد، وبدأت الأمطار بالهطول. تحدث مستر نيكولز -في واحدة من مكالماته- مع رجل اسمه سيدني، وتناقشا في أسعار الحصص وتحركات السوق وبدت عليه الجدية، فتوقفت ماما عن الغناء لوهلة. كان الجميع هادئًا. حاولت تانزي ألا تختلس النظر إلى أوراق الرياضيات (قالت ماما إن هذا سيصيبها بالدوار)، وفرغ شحن النينتيندو الخاص بنيكي مرة أخرى فكان يحدق من نافذته ويتنهد كثيرًا. هذا القسم من الرحلة شعر

كأنه يمتد للأبدية. كان نيكي يعيش واحدًا من أيامه الهادئة، أرادت تانزي الحديث إليه لكن كان يمكنها أن ترى أنه لا يرغب في التحدث لأن فمه مغلق وشفتاه تشكلان خطًّا وعيناه لا تقابلان عينيكِ. ظلت ساقا تانزي تلتصقان بمقاعد سيارة مستر نيكولز الجلدية، وكانت نادمة على أنها ارتدت شورتًا، كما أن نورمان كان قد لعب في شيء في الغابة وظلت تشم رائحة سيئة جدًّا انبعثت منه لكنها لم تقل شيئًا حتى لا يقرر مستر نيكولز أنه اكتفى منهم ومن كلبهم النتن، أغلقت أنفها بأصابعها وحاولت التنفس من فمها وتنفست من أنفها مرة بعد عبورهم ثلاثين عامود إنارة فقط.

استمروا في رحلتهم وتحسن الطقس. تخطوا كوفنتري واتجهوا إلى داربي بطرقها الدائرية ومصانعها الحمراء الداكنة، راقبت المشهد أمامها حيث ازداد بريةً وأصبح مبهمًا أكثر فأكثر، وتركت الأرقام تدور في رأسها مشكلةً سلاسل صغيرة، وحاولت أن تقوم بعمليات حسابية دون التركيز عليها حتى لا تصاب بالدوار.

رن هاتف مستر نيكولز، وفي الحال بدأت امرأة تصيح فيه بالإيطالية. أغلقَ الخط دون أن يقول أي شيء.

جلست ماما في الأمام وأخذت تعد النقود في محفظتها. كان معها 63.91 جنيهًا، لكنها لم تلاحظ بعد أن عشرة قروش منها كانت عملة أجنبية، وعليه فإن ما معها هو 63.81 جنيهًا، إلا إذا وجدت من يقبل العملة الأجنبية.

- نيكي.

رفع نيكي عينيه. كان مستر نيكولز ينظر إليه من المرآة الأمامية.

- هل تريد استعارة هاتفي؟ ليس عليه الكثير من الألعاب، لكن يمكنك استخدام تويتر أو فيسبوك أو أيٍّ كان ما يستخدمه الشباب هذه الأيام.

- أأنت جاد؟

اعتدل نيكي في جلسته.

- بالتأكيد. ستجد الهاتف في الجيب الخلفي في الجاكيت الخاص بي.

أخذته ماما من الجيب وأعطته لنيكي قائلة: «كن حذرًا وأنت تستخدمه يا نيكي».

- لقد ألغيت الباسوورد. لكن.. يعني، لا تشاهد أي أفلام.

- اتفقنا.

لم يبتسم نيكي -خطر ببالها أنه بالكاد يبتسم هذه الأيام- لكن كانت سعادته بادية على وجهه.

أتاهم صوت ماما من الكراسي الأمامية.

- ليس أنتِ يا تانزي. لا تنظري في الهاتف وإلا ستصابين بالدوار.

تنهدت تانزي، كان من الممل جدًّا أن تكون نفسها في بعض الأحيان. كان رأس نورمان على حجرها ثقيلًا جدًّا، وحاولت أن تحركه بلطف لأنها فقدت الإحساس بساقيها. تساءلت كم تبعد عنهم اسكتلندا، كانت صدقًا في غاية الملل، لكنها تعرف أنها إذا قالت هذا فستقول ماما: «كلنا نشعر بالملل يا تانزي، لا يوجد ما يمكنني فعله بهذا الشأن». بدأت تغفو ويرتطم رأسها بإطار النافذة. بدأت ماما ومستر نيكولز بالكلام، لعلهما نسيا أنهما ليسا وحدهما في السيارة.

- إذًا.. أخبرني بقصة زوجتك.

- زوجتي السابقة، لا شكرًا، لا أريد.

- لماذا؟ لم تخُنها. أعتقد أنها هي الأخرى لم تخُنك وإلا لظهر على وجهك التعبير إياه.

- أي تعبير؟

تبع هذا صمت قصير، قرابة مسافة عبور عشرة أعمدة إنارة.

- لا أعتقد أنه ظهر على وجهي هذا التعبير أبدًا، لكن لا، لم تخُني، ولا، لا أريد التحدث في هذا الخصوص. إنه شأن...

- خاص.

- أنا فقط لا أحب التحدث في أمور شخصية. أترغبين أنتِ في الحديث عن زوجكِ السابق؟

- في حضور أبنائه؟ أكيد، هذه دائمًا فكرة عبقرية.

بقيا صامتَين بضعة أميال وبدأت ماما تنقر النافذة. نظرت تانزي إلى مستر نيكولز، وكلما نقرت ماما تحركت عضلة في فكه.

- عمَّ نتحدث إذًا؟ أنا لست مهتمة بالسوفت وير لهذه الدرجة، وأعتقد أنك لست مهتمًّا على الإطلاق بما أفعله، وهناك عدد معين من المرات يمكنني فيها أن أشير لحقل وأصيح: أوه، انظر. إنها أبقار.

تنهد مستر نيكولز.

- أرجوكم الطريق طويلة إلى اسكتلندا.

ساد صمت مدته مسافة عبور ثلاثين عامود إنارة.

- يمكنني أن أغني إذا أحببت، يمكننا كلنا أن نغني معًا، دعني إذا ما كان بإمكاني أن أجد أغنية...

- لارا، عارضة أزياء، من إيطاليا.

- عارضة أزياء.

ضحكت ماما ضحكة طويلة عالية.

- بالطبع.

سألها مستر نيكولز غضبان: «ماذا تعنين بهذا؟».

- الرجال من نوعيتك يواعدون عارضات أزياء.

- ماذا تقصدين بالرجال من نوعيتي؟

ضغطت ماما شفتيها.

- ماذا تعنين برجال من نوعيتي؟ أخبريني.

- رجال أغنياء.

- لست غنيًّا.

هزت ماما رأسها وقالت: «لااااا».

- لست غنيًّا، حقًّا.

- أعتقد أن الأمر يعتمد على تعريفك لكلمة غني.

- رأيت أغنياء، أنا لست غنيًّا، أنا مرتاح ماديًّا بالتأكيد، لكنني بعيد كل البعد عن الغنى.

التفتت إليه ماما، حقًّا لم يكن يعلم مع من يتعامل.

- هل تملك أكثر من بيت؟

استخدم الإشارة وحرك عجلة القيادة.

- ربما.

- هل لديك أكثر من سيارة؟

نظر بجانبه وأجاب: «نعم».

- إذًا أنت غني.

- لا، الغنى هو أن تملكي طائرات خاصة ويخوتًا، الغنى هو أن يكون لديك خدم وحشم.

- وماذا أكون؟

هز مستر نيكولز رأسه وقال: «لست خدمًا وحشمًا، أنتِ...».

- ماذا؟

- أحاول أن أتخيل منظركِ إذا قلت إنك من خدمي وحشمي.

بدأت ماما تضحك وقالت: «خادمتي. عاملة التنظيف خاصتي».

- آه، أو شيء كهذا. حسنًا، كيف ستعرفين أنتِ الثراء؟

أخذت ماما تفاحة من بوفيه الإفطار من حقيبتها وقضمتها. مضغت دقيقةً قبل أن تتكلم.

- الغنى هو أن تدفع فواتيرك في وقتها دون أن تحتاج إلى التفكير في الأمر حتى، الغنى هو أن تتمكن من الذهاب في إجازة أو الاحتفال بالكريسماس دون أن تحتاج ديونًا ستسددها في يناير وفبراير. في الواقع، الغنى هو ألا تفكر في النقود في كل لحظة من حياتك.

- الجميع يفكر في النقود، حتى الأغنياء.

- نعم، لكن أنت تفكر في النقود من منطلق ما تحتاج إلى فعله لتكسب المزيد من النقود بينما أنا أفكر فيها من منطلق أي طريقة توفر لنا ما يكفي من النقود لننجو أسبوعًا آخر.

أصدر مستر نيكولز صوتًا كأنه ينفخ ممتعضًا.

- لا أصدق أنني أوصلك إلى اسكتلندا بينما أنتِ تعاملينني بقسوة لأنكِ قررت في عقلك المملوء بالأوهام أنكِ مع دونالد ترامب.

- أنا لا أعاملك بقسوة.

- لاااااا.

- أنا فقط أقول إن هناك اختلافًا بين ما تعتقد أنت أنه الغنى وبين الغنى الفعلي.

ساد صمت محرج واحمرت وجنتا ماما، قالت ما لم يكن عليها قوله، بدأت تأكل تفاحتها بقضمات كبيرة عالية الصوت رغم أنها كانت لتؤنب تانزي لو أكلت بهذه الطريقة. كانت استفاقت ولم ترد لماما ومستر نيكولز أن يتوقفا عن الحديث مع بعضهما بعضًا لأنهم يمضون يومًا لطيفًا، فوضعت رأسها بين الكرسيين الأماميين وقالت: «في الواقع، لقد قرأت في مكان ما أنه لتكون من ضمن الـ 1% الأكثر ثراءً عليك أن تكسب مئة وأربعين ألف جنيه سنويًّا، لذا إذا لم يكن مستر نيكولز يكسب هذا القدر من المال فهو لا يعد غنيًّا».

حاولت أن تساعدهما بهذه الكلمات وابتسمت ثم عادت لمكانها.

نظرت ماما إلى مستر نيكولز. ظلت تنظر إليه.

فرك مستر نيكولز رأسه وقال بعد فترة: «ما رأيك بأن نتوقف ونتناول وجبة في مكان ما؟».

بدت مدينة مورتون مارستون كأنها مصممة للسياح، كل شيء كان من الحجارة الرمادية وبدا عليه القِدَم، والحدائق في كل البيوت كانت مثالية بزهور زرقاء صغيرة تتسلق الجدران وأصص في شكل سلال بداخلها أوراق اللبلاب... كأنها مدينة في كتاب مثل «جرائم القتل في ميدسومر». كانت هناك روائح خفيفة للخرفان في الهواء، ويمكنك سماع أصواتها من بعيد، هناك هواء بارد في النسيم كأنه يحذرك مما يمكن للطقس أن يكون عليه في الأيام غير المشمسة، المحلات تشبه تلك التي تكون على بطاقات الكريسماس، في الميدان التجاري امرأة في ملابس من العصر الفيكتوري تبيع خبزًا على صينية وجموع من السياح يتجولون ويلتقطون صورًا لكل شيء. كانت تانزي مشغولة بالتحديق خارج النافذة لدرجة أنها لم تلاحظ نيكي في البداية. فقط عندما ركنوا السيارة في موقفها لاحظت أنه كان صامتًا للغاية. لم يكن ينظر إلى الهدف -رغم أنها تعرف أنه أراد فعل هذا بشدة- وكان وجهه شاحبًا كورقة بيضاء. سألته إذا ما كانت أضلاعه تؤلمه وقال لا، وعندما سألته إذا ما كانت هناك تفاحة في سرواله ولم يستطع إخراجها قال: «لا يا تانز، فقط انسي الموضوع». مع ذلك، فإن الطريقة التي قالها بها أوحت أنه كانت هناك مشكلة بالفعل. نظرت تانزي إلى ماما لكنها كانت مشغولة في عدم النظر إلى

مستر نيكولز ومستر نيكولز كان مشغولًا بالحديث عن إيجاد مكان ليصف فيه السيارة. نورمان نظر إلى تانزي وعيناه كأنهما تقولان: «لا تفكري في الأمر حتى».

خرج الجميع من السيارة ومددوا أطرافهم، وقال مستر نيكولز إنهم سيشربون الشاي مع الكيك وإنه سيدفع ومن فضلكم لا تكبروا الموضوع من الناحية المادية فالمسألة كلها مجرد شاي وكيك، ورفعت ماما حاجبيها كأنها ستقول شيئًا ولكنها فقط تمتمت: «شكرًا». لم تقلها كأنها تعنيها.

جلسوا في كافيه اسمه يي سبوتيد ساو تي شوب[1] مكتوب بشكل يحاكي الإنجليزية القديمة، مع أن تانزي تعتقد أنه لم يكن هناك كافيهات في العصور الوسطى. كانت شبه متأكدة أنه لم يكن لديهم شاي حتى، لكن لم يبد أن أحدًا غيرها مانع الاسم. ذهب نيكي إلى الحمام، ومستر نيكولز وماما كانا عند الكاونتر يختاران ما سيأكلون، ففتحت هاتف مستر نيكولز وأول ما رأته كانت صفحة الفيسبوك الخاصة بنيكي. انتظرت دقيقةً لأن نيكي يغضب إذا ما فتش الآخرون في أشيائه، وبعدها عندما تأكدت أنه فعلًا في الحمام كبرت الشاشة لتتمكن من القراءة وهالها ما قرأته. نشر آل فيشر صورًا غير لائقة، ورغم أن تانزي لم تعرف معاني هذه الكلمات فكانت تعرف أنها كلمات سيئة، وفجأة شعرت بالغثيان. عادت ماما تحمل معها صينية.

- تانزي، احترسي وأنتِ تمسكين هاتف مستر نيكولز!

سقط الهاتف على حافة الطاولة. لم ترد أن تلمسه. تساءلت إذا ما كان نيكي يبكي في الحمام. كانت هي لتبكي.

عندما رفعت عينيها كانت ماما تحدق إليها.

- ما الأمر؟

- لا شيء.

جلست ومدت لها عبر الطاولة طبق كب كيك بالبرتقال. لم تعد تانزي تشعر بالجوع، رغم أن الكيك كانت مغطاة بالسكاكر.

- تانز، كلميني. ما الأمر؟

---

(1) Ye Spotted Sowe Tea Shoppe ما تقصده أن الشاي لم يكن موجودًا في بريطانيا في العصور الوسطى التي استُخدمت فيها الإنجليزية القديمة.

مررت لها الهاتف ببطء عبر الطاولة بطرف إصبعها كأنه كان سيحرقها لو لمسته. عبست ماما وبعدها نظرت إلى الهاتف. ضغطت عليه وحدقت إلى ما رأته دقيقةً.

- يا إلهي.

جلس مستر نيكولز بجانبها ومعه أكبر شريحة كعكة شوكولاتة رأتها تانزي في حياتها.

- هل الجميع سعداء.

كان هو سعيدًا.

امتلأت عينا ماما بالدموع وقالت: «أولئك الأوغاد!».

كان مستر بدأ بالأكل وفي فمه بعض الكعك عندما سأل: «ماذا؟».

- أتشبه هذه الكلمات كلمة منحرف؟

لم يبدُ أن ماما سمعتها. أرجعت كرسيها إلى الوراء بعنف وبدأت تخطو ناحية الحمامات.

- هذا حمام الرجال يا سيدتي.

حاولت السيدة تنبيه ماما وهي تفتح الباب لكن ماما تجاهلتها وتابعت قائلة: «شكرًا، يمكنني القراءة».

حاول مستر نيكولز أن يبتلع ما في فمه وسأل: «ماذا؟ ماذا يحدث الآن؟».

نظر إلى حيث دخلت ماما وبعدها عندما لم تقل أي شيء نظر إلى هاتفه ونقر مرتين. ظل يحدق إليه ولم يقل شيئًا. بدأ يحرك أصابعه على الشاشة كأنه يقرأ كل شيء. شعرت تانزي بشيء من الغرابة، لم تكن متأكدة أنه يفترض به قراءة هذا.

- هل.. هل لهذا علاقة بما حدث لشقيقكِ؟

أرادت أن تبكي. شعرت أن آل فيشر أفسدوا يومهم اللطيف، شعرت كأنهم تبعوهم إلى هنا وكأنه لا مفر لهم من آل فيشر. لم تقدر على الكلام.

- لا لا.

حاول تهدئتها عندما هبطت من عينيها دمعة كبيرة على الطاولة. ناولها المناديل الورقية ومسحت تانزي دموعها، وعندما لم تتمكن تانزي من منع نهنهتها من الهرب ذهب إليها وضمها بذراعه ليعانقها. كان له رائحة الليمون

والرجال، وهي لم تشم رائحة الرجال تلك منذ أن رحل بابا، وزاد هذا فوق تعاستها تعاسة.

- لا عليكِ، لا تبكي.

- آسفة.

- لا داعي للأسف، أنا أيضًا كنت لأبكي لو فعل أحد شيئًا كهذا لشقيقي. هذا.. إنه...

أطفأ الهاتف.

هز رأسه ونفخ خديه.

- هل يفعلون هذا له كثيرًا؟

قالت بصوتٍ باكٍ: «لا أعرف، نادرًا ما يقول لنا شيئًا هذه الأيام».

انتظر مستر نيكولز حتى توقفت عن البكاء وعاد إلى مكانه مقابلها على الطاولة ثم طلب لها مشروب شوكولاتة ساخنًا بالمارشميلو ورقائق الشوكولاتة وكريمة إضافية.

دفعه باتجاهها عبر الطاولة.

- يضمد هذا الجراح كلها، ثقي بي، أنا أعرف كل شيء.

والغريب في الأمر أنه كان محقًا.

كانت تانزي قد شربت مشروب الشوكولاتة وأكلت الكب كيك عندما عادت ماما مع نيكي من الحمام. كانت ماما مبتسمة كأن كل شيء بخير وذراعها ملفوفة حول كتفَي نيكي، الأمر الذي بدا غريبًا وهو أطول منها الآن.

جلس بجانبها إلى الطاولة ونظر إلى كعكته كأنه لم يكن جائعًا. عاد وجهه لحالته التي كان عليها قبل هذه الرحلة: وجه دمية في محل ألعاب لا يمكنك أن تخمن ما تفكر فيه. راقبت تانزي مستر نيكولز وهو يراقب نيكي وتساءلت إذا ما كان سيقول شيئًا عما رآه على الهاتف، لكنه لم يقل شيئًا. ظنت أنه ربما لم يرد إحراج نيكي. على أي حال فاليوم السعيد انتهى.

وبعدها ذهبت ماما لتتفقد نورمان الذي كان في الخارج، وطلب مستر نيكولز كوبًا ثانيًا من القهوة وبدأ يقلبه ببطء كأنه يفكر في شيء ما، وبعدها نظر إلى نيكي بتمعن.

- أخبرني يا نيكي، أتعرف أي شيء عن اختراق الحسابات؟

شعرت أنه يتعين عليها ألا تستمع لما يُقال فركزت على معادلات الجذور التربيعية.

أجابه نيكي: «لا».

انحنى مستر نيكولز على الطاولة وأخفض صوته: «حسنًا، أعتقد أن الآن هو الوقت المناسب لتبدأ».

عندما عادت ماما كان مستر نيكولز ونيكي قد ذهبا.

- أين هما؟

نظرت حولها بحثًا عنهما.

- ذهبا إلى سيارة مستر نيكولز، وطلب مستر نيكولز ألا يزعجهما أحد.

عضت تانزي طرف قلمها.

ارتفع حاجبا ماما من الصدمة.

- قال مستر نيكولز إنك ستبدين هكذا عندما تعرفين، طلب مني أن أخبرك أنه يتولى الأمر، موضوع الفيسبوك.

- ماذا؟ كيف؟

- قال إنك ستقولين هذا أيضًا.

مسحت رقم 2 لأنه كان يشبه 5 ونفخت لتطير بقايا الممحاة.

- أرادني أن أطلب منكِ أن تمهليهما عشرين دقيقة وطلب لكِ كوبًا آخر من الشاي وعليكِ أكل بعض الكعك بينما تنتظرين. سيأتيان لإحضارنا عندما ينتهيان. وأيضًا كعكة الشوكولاتة لذيذة حقًّا.

لم يعجب الكلام ماما. جلست تانزي وحلت تمارينها إلى أن أصبحت راضية عن الإجابات بينما ظلت ماما تتململ في مكانها وتنظر من النافذة وتفتح فمها للكلام ثم لا تقول شيئًا. لم تأكل من كعكة الشوكولاتة وتركت الجنيهات الخمسة التي تركها لهم مستر نيكولز على الطاولة فوضعت تانزي ممحاتها عليها حتى لا تطير عندما يفتح أحدهم الباب.

أخيرًا وعندما كانت صاحبة المقهى تكنس قرب طاولتهم لتلمح لهم، رن الجرس فوق الباب ودخل مستر نيكولز مع نيكي. كانت يدا نيكي في جيبه وشعره يغطي عينيه، لكن ابتسامة صغيرة مستمتعة ظهرت على وجهه.

وقفت ماما ونظرت بينهما، كان من الواضح عليها أنها أرادت بشدة أن تقول شيئًا لكنها أمسكت لسانها.

سألها مستر نيكولز ووجهه محايد كأنه يقدم برنامج مسابقات: «هل جربتِ كعكة الشوكولاتة؟».

- لا.

- خسارة، كانت حقًّا لذيذة.

قال لصاحبة المقهى: «شكرًا! الكعك الذي تقدمونه هو الأفضل!»، ابتسمت المرأة ولمعت عيناها رغم أنها لم تفعل الشيء نفسه لماما.

بعدها خرج مستر نيكولز مع نيكي ومشيا معًا كأنهما صديقان منذ الطفولة وتركا تانزي وماما لتجمعا أشياءهما وتلحقا بهما.

نيكي

كانت هناك مقالة في جريدة ما عن قردة ملساء، لم تكن بشرتها داكنة، بل كانت مزيجًا بين الأسود والوردي، كانت عيناها محددتين بلون أسود كأنها تضع آيلاينر رائعًا، وكان لديها حلمة سوداء طويلة وحلمة وردية كأنها ديفيد بوي لو كان ديفيد بوي قردًا له ثديان.

لكنها كانت وحدها، اتضح أن القرود لا تحب الاختلاف، ولم يكن ولو قردًا واحدًا مستعدًّا للتسكع معها، فكانت دائمًا وحدها في كل صورها، تبحث عن الطعام وهي ملساء وضعيفة بلا قرد رفيق واحد، لأنه رغم باقي القردة تعرف أنها واحدة منها، كراهية القردة للاختلاف كانت حاجزًا أقوى من أي رغبة جينية لديها في البقاء معها. يفكر نيكي كثيرًا في هذا: لا يوجد *على الأرض ما هو أسوأ من قردة ملساء وحيدة.*

كان واضحًا أن مستر نيكولز سيلقي خطبة طويلة عن مخاطر مواقع التواصل الاجتماعي أو يخبره أن عليه أن يُعلم معلميه أو الشرطة وأي شخص ما بهذا. لكنه لم يفعل، بدلًا من ذلك فتح باب سيارته وأخرج لابتوبه من صندوق السيارة وأوصله بفتحة في السيارة عند ناقل السرعات ليزوده بالطاقة وركب فيه مستقبلًا حتى يتصل بالإنترنت.

جلس نيكي ببطء في الكرسي الأمامي.

- حسنًا، أخبرني بكل ما تعرفه عن رفيقك اللطيف، إخوته وأخواته وتواريخ ميلادهم وحيواناته الأليفة وعنوانه، أخبرني بكل ما لديك.

- ماذا؟

- علينا أن نتكهن بكلمة السر الخاصة به. هيا الآن، بالتأكيد تعرف شيئًا عنه.

كانا في موقف السيارات وحولهما وضع الناس بقالتهم في سياراتهم وتمشوا باحثين عن حانة جيدة أو كافيه لطيف. لم يكن هناك جرافيتي ولا عربات تسوق مهجورة هنا، كان هذا المكان من النوع الذي يمشي فيه الناس أميالًا ليعيدوا عربة تسوقهم إلى مكانها. كان نيكي ليراهن على أن لديهم لافتة عليها «قريتنا هي الأفضل والأجمل». امرأة بشعر رمادي رأته وهي تضع بقالتها في سيارتها بجانبهم وابتسمت له، فعلًا ابتسمت، أو لعلها كانت تبتسم لنورمان الذي كان يضع رأسه الكبير فوق كتف نيكي.

- نيكي.

- أنا أفكر.

حاول أن يصفي ذهنه وقال كل ما يعرفه عن فيشر، شارك عنوانه واسم شقيقته واسم أمه، كان يعرف أن عيد ميلاده كان منذ ثلاثة أسابيع وأن والده اشترى له واحدة من تلك الدراجات رباعية العجلات، وأنه حطمها خلال أسبوع من حصوله عليها.

ظل مستر نيكولز يكتب التخمينات.

- لا ولا. هيا، بالتأكيد هناك شيء آخر تعرفه. أي نوع من الموسيقى يفضل؟ أي فريق يشجع؟ أوه، لديه حساب هوت ميل. عظيم، يمكننا استخدام هذا.

أخبره نيكي بكل ما يعرفه لكن لا شيء نجح، وبعدها تذكر شيئًا فجأة.

- توليسا، إنه مهووس بتوليسا، تلك المغنية.

كتب مستر نيكولز على الكيبورد ثم هز رأسه نافيًا.

- حاول استخدام مؤخرة توليسا.

كتب مستر نيكولز ثم قال: «لا».

- ضاجعت توليسا، بلا فواصل.

- لا.

- توليسا فيشر.

- ممم، لا. تخمين موفق مع هذا.

جلسا يفكران.

- يمكن أن تجرب اسمه.

هز مستر نيكولز رأسه.

- لا يوجد شخص غبي كفاية ليستخدم اسمه ككلمة سر.

نظر إليه نيكي، كتب مستر نيكولز الحروف وحدق إلى الشاشة: «من كان ليتوقع».

أراح ظهره على كرسيه.

- أنت موهوب في هذا.

- إذًا، ماذا سنفعل الآن؟

- سنتسلى على حساب جيسون فيشر على الفيسبوك. في الواقع، لن أفعل أنا أي شيء، عليَّ.. أمم.. لا يمكنني أن أخاطر بتتبع نشاطاتي عن طريق عنوان الـ IP خاصتي الآن، لكنني أعرف من يمكنه مساعدتنا.

اتصل بأحد على هاتفه.

- لكن ألن يعرف أنني أنا من فعلت هذا؟

- كيف؟ نحن ننتحل شخصيته الآن، أنتما تقنيًّا الشخص نفسه في هذه اللحظة. لا يوجد ما يتتبعونه إليك، وفي الغالب لن يلاحظ هو أي شيء. لحظة.. جيز؟ أهلًا، إد معك.. نعم، آه. أنا فقط مختبئ لوهلة. أحتاج مساعدتك في شيء، سيستغرق خمس دقائق.

استمع إليه نيكي وهو يخبر «جيز» بالإيميل والكلمة السرية لجيسون فيشر. قال إن فيشر «يعرقل حياة» صديق له، ونظر إلى نيكي وهو يقول: «فقط سلِّ نفسك به، اتفقنا؟ اقرأ رسائله ومنشوراته وستفهم الموضوع. كنت لأفعلها أنا لكن عليَّ أن أتقي الشبهات الآن... نعم.. نعم، سأشرح لك عندما أقابلك. شكرًا لمساعدتك».

لم يصدق نيكي أن الأمر بهذه السهولة.

- ألن يحاول هو اختراق حسابي انتقامًا؟

نحَّى مستر نيكولز هاتفه جانبًا.

- أنا أخمن هنا، لكنني لا أتوقع أن فتى لم يستطع أن يفكر في شيء أذكى من اسمه لكلمة سر حسابه سيكون ضليعًا في الحواسيب.

جلسا في السيارة وانتظرا مُعيدَين تشغيل صفحة جيسون فيشر مرة تلو الأخرى، وبعدها بدأ التغيير كأنه سحر. كان فيشر وغدًا بحق. كانت منشوراته

كلها عن الفتيات اللاتي «يريدهن» وكيف أن فلانة وعلانة عاهرات وكيف سيضرب تقريبًا كل شخص ليس في جماعته. رسائله الخاصة كانت تقريبًا المحتوى نفسه. لمح نيكي اسمه في رسالة لكن مستر نيكولز قرأها في لحظة وقال له قبل أن يتخطاها: «لا تحتاج إلى أن ترى هذا».

المرة الوحيدة التي لم يكن فيها وغدًا كانت عندما راسل كريسي تايلور وقال لها إنه معجب بها وسألها إن كانت تريد المجيء إلى منزله. لم تبدُ متحمسة لكنه ظل يراسلها، قال إنه سيأخذها لمكان «مذهل» وإن بإمكانه أن يستعير سيارة والده (لا يمكنه لأنه تحت السن). أخبرها أنها أجمل فتاة في المدرسة وأنها تشغل باله طول الوقت وأنه لو علم رفاقه بكيف غيرت حالته لنعتوه بالمجنون.

تمتم مستر نيكولز: «ويقولون إن الرومانسية ميتة».

وهكذا بدأت اللعبة. راسل جيز اثنين من أصدقاء فيشر معلنًا أنه قرر أن ينبذ العنف ولا يريد التسكع معهما بعد الآن. راسل كرسيس وقال لها إنه ما زال معجبًا بها لكن عليه أن يحل أمرًا ما لأن «عدوى بسيطة انتقلت إليَّ والطبيب يقول إن عليَّ أخذ دواء معين لها. سأكون بكامل صحتي عندما نلتقي، اتفقنا؟».

- بربك يا رجل.

كان نيكي يضحك بشدة حتى آلمته ضلوعه.

- يا رجل.

أرسل «جيسون» اعترافًا بالحب لفتاة اسمها ستايسي وأعلمها أن أمه اختارت له ملابس لطيفة جدًّا في حال رغبت في الخروج معه، وكرر الشيء نفسه مع فتاة اسمها أنجيلا في العام الدراسي نفسه. كان قد نعتها بالقذرة في السابق، ومسح جيز رسالة من داني كين الذي كانت معه تذاكر لمباراة كرة قدم مهمة وكان يعرض على جيسون تذكرة منها بشرط أن يؤكد جيسون حضوره قبل نهاية اليوم، وهذا اليوم المقصود كان اليوم الحالي.

غيَّر صورة جيسون الشخصية لصورة حمار يرفس بقدميه، حدق مستر نيكولز إلى الشاشة مفكرًا ثم أخذ هاتفه وكلم جيز: «أعتقد أنه يمكننا الاكتفاء بهذا القدر حاليًّا يا رفيق».

- لماذا؟

كانت فكرة الحمار رائعة.

- لأنه من الأفضل ألا تكون ملحوظًا. لو استخدمنا الرسائل فقط حاليًا ففي الغالب لن يلاحظها. نرسلها ثم نمحوها من جهازه ونلغي إشعارات بريده الإلكتروني وبهذا سيظن رفاقه وتلك الفتاة أنه زاد حماقة، وهذا ما نريده.

لا يُصدَّق. لم يصدق أن أحدهم بإمكانه العبث في حياة فيشر بهذا الشكل.

اتصل جيز ليخبرهما أنه خرج من الحساب وأغلق الفيسبوك. سأله نيكي: «أهذا كل شيء؟».

- حاليًّا نعم، مجرد قليل من المرح، لكنك تشعر بحال أفضل، صحيح؟ كما أن جيز سيرتب صفحتك بحيث يخفي الأشياء التي وضعها فيشر هناك.

أحرج نيكي أن نفَسه كان مرتجفًا عندما زفر. شعر أنه بحال أفضل بالفعل، ليس أنهم حلوا أي شيء، لكن كان من اللطيف ألا يشعر بأنه محط سخرية الجميع لمرة.

عبث بحافة تيشيرته حتى اعتدل. من المحتمل أن مستر نيكولز أدرك ما يحدث لأنه نظر من نافذته كأنه مهتم بما يراه رغم أنه لم يكن هناك شيء ليراه فيما عدا السيارات والعجائز.

- لمَ فعلت هذا؟ اختراق الحساب وتوصيلنا إلى اسكتلندا. يعني أنت لا تعرفنا حتى.

حدق مستر نيكولز من النافذة ناظرًا إلى الجراج وبدا لحظةً أنه لم يكن يتحدث إلى نيكي.

- أنا مدين لأمك نوعًا ما، وأظن أنني لا أحب أن يتنمر الناس على حياة أناس آخرين. لم يُخلق المتنمرون في جيلك، تعرف هذا.

جلس مستر نيكولز في مكانه لحظةً وفجأة أحس نيكي بالخوف من احتمالية أن يجبره مستر نيكولز على التحدث عما يعتمل في داخله ومن أن يفعل ما يفعله الاختصاصيون في المدرسة عندما يحاولون أن يتصرفوا كأنكم رفاق ويقولون إنهم سيبقون كل ما تقوله «سرًّا بينهم» إلى أن تقول شيئًا مريبًا قليلًا.

- سأقول لك شيئًا واحدًا.

فكر نيكي أنه ها هو ذا ما يخشاه سيحدث. مسح كتفه حيث سال لعاب نورمان

- كل شخص عرفته وكان يستحق المعرفة كان مختلفًا قليلًا في المدرسة. عليك فقط أن تجد ناسك.

- أجد ناسي.

- قبيلتك.

امتعض وجه نيكي.

- تعرف.. تمضي حياتك كلها شاعرًا أنك لا تنتمي إلى أي مكان، ثم تدخل مكانًا ما ذات يوم، لعله الجامعة أو المكتب أو حتى نادٍ ما، وفجأة تشعر «آه، ها هم أولاء»، وبعدها تشعر أنك في بيتك.

- لا أشعر بأنني في بيتي في أي مكان.

- للآن.

فكر نيكي فيما قاله وسأل: «أين كان مكانك إذًا؟».

- معمل الحاسب في جامعتي، كنت نيردًا بعض الشيء، قابلت رونان صديقي الأعز هناك، وبعدها.. شركتي.

بدت على ملامحه الجدية بعدما قال هذا.

- لكنني عالق هنا إلى أن أنهي تعليمي، ولا يوجد شيء كالذي تصفه حيث نعيش. لا قبائل.

أبعد نيكي غرته عن عينيه وقال: «إما أن تعيش كأنك من آل فيشر وإما تتجنب آل فيشر».

- إذًا تعثر على الناس على الإنترنت.

- كيف؟

- لا أعرف، ابحث عن مجموعات فيها أناس.. باهتمامات مشتركة؟ خيارات حياتية متشابهة؟

لاحظ نيكي تعبير وجهه وهو يقول هذا.

- أوه، أنت أيضًا تعتقد أنني غريب الأطوار، صحيح؟

- لا. كل ما أقوله إن الإنترنت مكان هائل، هناك دائمًا شخص لديه اهتمامات حياتك نفسها.

- لا أحد لديه حياتي نفسها.

أغلق مستر نيكولز لابتوبه ووضعه في حقيبته، فك كل الوصلات ونظر في اتجاه الكافيه.

- علينا العودة، ستتساءل أمك ماذا نفعل.

فتح الباب ثم التفت إليه.

- تعرف، يمكنك دائمًا أن تكتب مدونة.

- مدونة؟

- لا تحتاج إلى أن تكون باسمك الحقيقي، لكنها طريقة جيدة لتشارك أحداث حياتك، ضع بعض الكلمات المفتاحية وسيتمكن الناس من العثور عليك، أناس يشبهونك.

- أناس يضعون الماسكارا ولا يحبون لا كرة القدم ولا المسرح الموسيقي.

- ولديهم كلاب ضخمة كريهة الرائحة وأخت نابغة في الرياضيات. أراهنك أن هناك شخصًا واحدًا بمثل هذه المواصفات.

فكر للحظة ثم قال: «ربما في هوكستون أو توبيلو».

- تعرف، أنا لست قردًا أملس.

- ماذا.

- لا شيء.

حرك نيكي غرته مجددًا ليحاول تغطية كدماته. أصبح لونها أصفر داكنًا الآن مما جعله يبدو كما لو أنه مصاب بمرض غريب.

- شكرًا على اقتراحك، لكن المدونات.. ليست من اهتماماتي. المدونات للنساء في منتصف العمر اللاتي يردن التحدث عن طلاقهن وقططهن وما إلى هذا، أو المهووسات بالطلاء اللامع.

- كان مجرد اقتراح.

- هل تكتب مدونة؟

- لا.

خرج من السيارة ثم قال: «لكنني لا أريد أن أتحدث مع أي أحد».

تبعه نيكي خارجًا من السيارة. أغلق مستر نيكولز السيارة بزر على المفتاح وأصدرت صوت إغلاق غارقًا في الثورة.

أخفض مستر نيكولز صوته وقال: «في الوقت الحالي، نحن لم نتكلم فيما تكلمنا فيه، اتفقنا؟ لن تجري الأمور على خير لو عرف أي أحد أنني أُعلِّم الأطفال الأبرياء كيف يخترقون الحسابات ويسرقون البيانات الشخصية».

- لن تهتم جيس.

- لا أعني جيس فقط.

نظر نيكي في عينيه وقال: «القاعدة الأولى في نادي النيردات، لا يوجد نادي نيردات».

- شاب خيِّر، حسنًا إذًا، هل ستُمشِّي كلبك المقزز قبل أن نتحرك؟

تانزي

لم يرد أحد أن يعود للسيارة. خفت الحماس للجلوس في سيارة لساعات بسرعة، حتى سيارة فخمة كسيارة مستر نيكولز. أعلنت ماما كأنها على وشك أن تعطي حقنة أن هذا سيكون يومهم الأطول. عليهم أن يجلسوا بطريقة مريحة ويدخلوا الحمام قبل أن يتحركوا لأن مستر نيكولز يأمل أن يقود تقريبًا كل الطريق إلى نيوكاسل حيث وجد فندقًا يستقبل الكلاب. سيصلون قرابة العاشرة مساءً وبعدها، وفقًا لحساباته فسيكونون على بُعد يوم من آبردين بالسيارة. سيجد لهم مستر نيكولز مكانًا قريبًا من الجامعة وستكون تانزي منتعشة ومستعدة لمسابقة الرياضيات في اليوم التالي.

- إلا لو كنتِ مرتاحة في السيارة بما يكفي لأقود بسرعة أعلى من أربعين الآن؟

هزت رأسها نافية.

- لا.

ظهر على وجهه شيء من الحزن.

- حسنًا، لا مشكلة.

لاحظ الكنبة الخلفية ورمش متفاجئًا. بعض قطع الشوكولاتة ذابت على المقاعد الجلدية الفاتحة، ورغم أن تانزي حاولت إزالتها قدر ما استطاعت، بقيت بقعة بنية واضحة. الأرضية أمام الكنبة كانت مغطاة بالوحل ولعاب نورمان ترك آثاره في كل مكان كأنها آثار حلزون. في المنزل يمكنها مسح فكه بقطعة قماش، لكن عندما حاولت فعل ذلك في السيارة شعرت بالدوار. رآها مستر نيكولز تنظر وابتسم ابتسامة صغيرة كأنه ليس بالأمر الجلل رغم أنه كان من الواضح أنه كذلك، وبعدها التفت إلى عجلة القيادة.

- حسنًا إذًا.

أدار المحرك.

ظل الجميع صامتين قرابة الساعة بينما استمع مستر نيكولز إلى شيء متعلق بالتكنولوجيا على راديو 4. قرأت ماما كتابًا من كتبها. منذ أغلقت المكتبة أبوابها أصبحت ماما تشتري كتابَين في الأسبوع من محل الكتب المستعملة، لكنها تملك الوقت الكافي لقراءة كتاب واحد فقط. أحيانًا عندما تعمل ماما مناوبات إضافية تجدها تانزي في الصباح نائمة وفمها مفتوح وبجانبها كتاب على الوسادة. لأنها ليست بارعة في فهم المعادلة البسيطة فمنزلهم الآن ملآن بكتب مهترئة أقسمت على أنها ستقرؤها.

امتدت الظهيرة بشكل مرهق، وبعدها هطل المطر غزيرًا. قادوا بجوار حقول خضراء واسعة وقرية بعد قرية متململين في مقاعدهم ومعدلين تيشيرتاتهم من على أسفل ظهورهم. كل القرى بعد كوفنتري تشبه بعضها بعضًا. نظرت تانزي من نافذتها وحاولت أن تحل مسائل حسابية في رأسها لكن التركيز كان صعبًا عندما لا يمكنك الحل على الورق. عند قرابة الساعة السادسة بدأ نيكي يتحرك في مكانه كأنه لم يكن مرتاحًا.

- متى سنتوقف تاليًا؟

كانت ماما غفت فترةً قصيرة. اعتدلت في مكانها بسرعة متظاهرةً أنها لم تنم ونظرت في ساعتها.

قال مستر نيكولز: «السادسة وعشر دقائق».

سألت تانزي: «هل يمكننا التوقف للطعام؟».

- أحتاج حقًّا لأتحرك قليلًا. ضلوعي بدأت تؤلمني.

كانت ساقا نيكي طويلتين حتى في هذه السيارة، ركبتاه مثنيتان مقابل ظهر كرسي مستر نيكولز، وبدا أنه محشور في الزاوية بسبب نورمان النائم بجانبه ولسانه الوردي خارج أسنانه.

- لنجد مكانًا لنأكل فيه. يمكننا أن ندخل ليستر لنأكل الكاري.

- الشطائر ستكون كفاية.

أنَّ نيكي بصوت خفيض.

- ألا تأكلون أي شيء غير الشطائر؟

- بالتأكيد نفعل، لكن الشطائر سهلة، وليس لدينا الوقت لنجلس ونتناول الكاري.

قال نيكي بنبرة حزينة: «أحب الكاري».

- حسنًا، ربما سنتناول الكاري في آبردين.

- لو ربحت.

قال نيكي بصوت هادئ: «الأفضل لكِ أن تربحي يا كتكوتة، لو أكلت سندويتش جبن غير طازج آخر سأتجعد».

قاد مستر نيكولز عبر قرية صغيرة وتلتها قرية أخرى، ثم اتبع اللافتات إلى أن وصل إلى مول. كان الظلام قد بدأ بالزحف والطرقات ملأى بزحام مساء السبت وسيارت ملأى بمشجعي كرة القدم يطلقون أبواقهم احتفالًا بمباراة لفريقين لم يسمع عنهما أحد، ووجوههم سعيدة ملتصقة بالنافذة. زحفت الأودي وسط الزحام ومساحاتها تتحرك بإيقاع بطيء مستمر. أخيرًا توقفوا أمام السوبر ماركت ونزلت ماما مطلقةً تنهيدة عالية وجرت إلى الداخل. كان بإمكانهم رؤيتها عبر النوافذ المغطاة بالمطر واقفة أمام الثلاجات تمسك أشياء ثم تضعها مجددًا.

تمتم مستر نيكولز ناظرًا إلى ساعته: «لمَ لا تشتري شطائر جاهزة فحسب؟ ستعود في خلال دقيقتين لو فعلت هذا».

أجابه نيكي: «سعرها غالٍ أكثر من اللازم».

- ولا تعرف من وضع أصابعه فيها قبل أن تأخذها.

- عملت جيس في تجهيز الشطائر للسوبر ماركت العام الماضي، قالت إن المرأة التي كانت تعمل بجانبها كانت تضع إصبعها في أنفها وهي تقطع شرائح الدجاج لتحضير شطائر سيزر تشكين.

- ولا أحد منهم يرتدي قفازين.

سكت مستر نيكولز قليلًا.

خرجت جيس بعدها ببضع دقائق ومعها كيس صغير تحمله فوق رأسها وهي تجري المسافة القصيرة إلى الرصيف.

قال نيكي وهو يشاهدها: «أراهنك خمسة إلى واحد أنها اشترت لحمًا ماركة السوبر ماركت، وتفاحًا. دائمًا تشتري التفاح».

أضافت تانزي: «رهان اللحم ماركة السوبر ماركت اثنان إلى واحد».

- خمسة إلى اثنين أنها اشترت خبزًا مطاطيًّا كان عليه عرض.

قال مستر نيكولز: «سأشترك معكما وأقول إنها أحضرت جبنًا قِطعًا. ما الرهان على الجبن القطع؟».

علق نيكي: «ليس هذا محددًا كفاية. عليك أن تخمن ماركة مثل ديريلي أو ماركة السوبر ماركت الأرخص التي تعرض قطعًا برتقالية».

- أجبان بليزينت فالي.

- شيدر أدرلي لافلي.

- اسمه مقرف.

- شرائح البقرة الغاضبة.

- بربكما، ليست بهذا السوء.

ضحكت تانزي ومعها نيكي.

فتحت ماما الباب ورفعت الحقيبة.

قالت بحماس: «حسنًا. كان لديهم عرض على معجون التونة، من يريد سندويتشًا؟».

قالت ماما ومستر نيكولز يقود عبر البلدة: «لا تريد شطائرنا أبدًا».

أشار مستر نيكولز ثم عاد للطريق المفتوح.

- لا أحب الشطائر. تُذكرني بوقتي في المدرسة.

- إذًا ماذا تأكل؟

كانت ماما تأكل. استغرق الأمر بضع دقائق لتتفشى رائحة السمك في السيارة كلها. اعتقدت تانزي أن أدب مستر نيكولز منعه من أن يقول شيئًا.

- في لندن؟ توست على الأفطار وربما سوشي أو نودلز للغداء. هناك مطعم أطلب منه في المساء.

- تأكل طعامًا جاهزًا؟ كل ليلة؟

- لو قررت أنني لن أخرج.

- كم مرة تخرج؟

- هذه الأيام؟ ولا مرة.

نظرت ماما إليه بجدية.

- حسنًا، باستثناء الأوقات التي أخرج فيها لأسكر في حانتك.

- هل حقًّا تأكل الشيء نفسه كل يوم؟

بدا على مستر نيكولز شيء من الحرج الآن.

- يمكنك طلب أنواع مختلفة من الكاري؟

- لا بد أن هذا يكلفك ثروة. وماذا تأكل وأنت في بيتشفرونت؟

- أطلب من مطعم.

- من ذا راج؟

- نعم، أتعرفينه؟

- أوه، أنا أعرفه تمام المعرفة.

خيم صمت على السيارة.

- ماذا؟ ألا تذهبين إلى هناك؟ ما السبب، باهظ أكثر من اللازم؟ ستخبرينني أنه من السهل أن أطبخ بطاطس على البخار، صحيح؟ حسنًا، أنا لا أحب البطاطس على البخار ولا أحب السندويتشات ولا أحب الطبخ.

لعل السبب هو كونه جائعًا، لكنه أصبح غضبان فجأة.

مالت تانزي إلى الأمام لتكون بين كرسييهما.

- وجدت ناتالي مرة شعرة في دجاج جالفريزي الذي طلبته.

كان مستر نيكولز يفتح فمه مستعدًّا ليقول شيئًا عندما أكملت: «ولم تكن شعرة من الرأس».

عبروا ثلاثة وعشرين مصباحًا.

- يمكنكِ أن تقلقي أكثر من اللازم بخصوص هذه الأشياء.

بدأت تانزي تُطعم قطعًا صغيرة من شطيرتها إلى نورمان في مكان ما بعد نانيتون لأن طعم معجون التونة لم يكن بطعم التونة، والخبز كان يلتصق

بسقف فمها. دخل مستر نيكولز محطة بنزين، كانت في جانب الطريق كأنها مركبة فضائية هبطت للتو.

نظرت ماما إلى الكشك الذي كان هناك.

- شطائرهم ستكون رديئة، لا بد أنها هناك منذ أسابيع.

- لن أشتري شطيرة.

- هل يحضرون رغيف اللحم؟ أحب أرغفة اللحم.

- سيكون هذا أسوأ. في الغالب يستخدمون لحم الكلاب.

غطت تانزي أذنَي نورمان بيديها.

نظرت ماما إلى نيكي وتنهدت.

سألت مستر نيكولز: «هل ستذهب إلى هناك؟ هل يمكن شراء شوكولاتة لهما؟ هدية مني».

بدأت تفتش في حقيبتها.

قال نيكي مبتهجًا: «كرانشي من فضلك».

- إيرو بنكهة النعناع لو سمحت. هل يمكنني الحصول على واحدة كبيرة؟

كانت ماما تمد يدها ولكن مستر نيكولز كان ينظر إلى يمينه.

- هل يمكنكِ أنتِ شراؤها؟ سأعبر الطريق سريعًا.

- أين أنت ذاهب؟

ربت معدته وبدت عليه البهجة فجأة.

- هناك.

«كباب كيث» كان أمامه ستة كراسي بلاستيكية ممسمرة في الأرض وأربعة عشر كانزًا مرتبة في نافذة العرض ولافتة مضيئة مفقود منها حرف الباء الأول وحلوى بابا روم بدا أنها هنا منذ عقود. نظرت تانزي من نافذة السيارة وشاهدت مشية مستر نيكولز تزيد حماسًا وهو يدخل المكان المضاء. نظر إلى الحائط خلف الكاونتر وتكلم مع الرجل الذي أشار إلى صينية خلف الزجاج ثم إلى قطعة كبيرة من اللحم البني تدور في الشواية. تساءلت تانزي

أي نوع من الحيوانات له هذا الشكل ولم يأت في ذهنها إلا الثور. لعله ثور مبتور القدم.

نظر نيكي إلى الرجل وهو يقطع من اللحم وامتلأ صوته بالتوق.

- انظر إلى هذا. ألا يمكننا أن نشتري منه؟

- لا.

- كم ثمنه في اعتقادك؟

- أغلى من اللازم.

- أراهنكِ أن مستر نيكولز سيشتري لنا لو طلبنا منه.

غضبت ماما.

- مستر نيكولز يساعدنا بما فيه الكفاية. لن نأخذ منه أكثر مما أخذنا بالفعل، حسنًا؟

نظر نيكي إلى تانزي وعيناه ممتعضتان ثم قال: «حسنًا».

وبعدها لم يقل أحد أي شيء.

بعدها بدقيقة تكلمت ماما.

- آسفة، أنا فقط.. لا أريده أن يظن أننا نستغله.

- لكن أيعتبر استغلالًا لو عرض عليكِ أحد شيئًا؟

كانت تانزي قد تعبت من أكل الأطعمة الباردة في الأكياس البلاستيكية، وأحست أنهم لو طلبوا من مستر نيكولز فسيشتري لهم واحدًا.

- كلي تفاحة لو ما زلتِ جائعة، أو واحدة من المافنز. أنا متأكدة أنه بقي البعض منها.

بدأت ماما تفتش في الحقيبة البلاستيكية من جديد. رفع نيكي عينيه في صمت وتنهدت تانزي.

فتح مستر نيكولز باب السيارة ومعه رائحة اللحم الدهني الساخن. ابتسم ابتسامة عريضة وهو يجلس. كان الكباب الذي اشتراه ملفوفًا في ورقة عليها آثار الدهون وحوله من الجانبين سلطة خضراء تشبه شارب اللورد كيتشنر. لحظيًّا سال من جانبَي فم نورمان خيطان من اللعاب.

التفت مستر نيكولز إلى نيكي وتانزي وسألهما مبتهجًا: «هل أنتما متأكدان من أنكما لا تريدان القليل؟ وضعت فقط القليل من الصوص الحار عليه».

- لا. لطف منك أن تعرض، لكن لا شكرًا.

نظرت ماما إلى نيكي محذرة وهي تقول هذا.

قالت تانزي بهدوء: «لا شكرًا. كانت رائحته لذيذة».

- لا شكرًا.

أدار نيكي وجهه بعد أن رفض.

قالت ماما: «حسنًا إذًا، من يريد شطيرة أخرى؟».

مروا على اللافتات بسرعة، نانيتون وماركت بوزوورث وكولفيل وآشبي دي لا زوش. كان يمكن للافتات أن تقول زانزيبار وتانزانيا وسيكون لدى تانزي المعلومات نفسها عن موقعهم الحالي. وجدت نفسها تكرر آشبي دي لا زوش. آشبي دي لا زوش. فكرت أنه سيكون اسمًا لطيفًا. مرحبًا ما اسمك؟ أنا آشبي دي لا زوش. مرحبًا آشبي! هذا رائع! كونستانزا توماس كان مكونًا من خمسة مقاطع صوتية هو الآخر، لكن لم يكن لديه الوقع نفسه. قارنته بكونستانزا دي لا زوش الذي كان مكونًا من ستة مقاطع، وبعدها قارنته بآشبي توماس الذي كان مملًّا بالمقارنة.

سكونستانزا دي لا زوش.

أبطأت السيارة وسط زحام لم يظهر له سبب، وكان عليهم اللف والعودة لأن مستر نيكولز دخل من مكان خاطئ. بدا شاردًا نوعًا ما.

كونستانزا دي لا زوش.

كانوا على الطريق مسافة ثلاثمئة وتسعة وثمانين مصباحًا عندما قال مستر نيكولز إن عليه إيقاف السيارة. في العادة كان واحد من عائلتها من يطلب التوقف. ظلت تانزي تشعر بالعطش والجفاف ثم تشرب الكثير من الماء فتحتاج إلى دخول الحمام. نورمان كان يئن معلنًا حاجته إلى الخروج ليستخدم حمامه، لكن لم يتمكنوا من أن يخمنوا إذا ما كان حقًّا يحتاج إلى الخروج أم فقط يشعر بالملل مثله مثلهم ويريد الخروج للعب وشم الأشياء. كانت ماما تقرأ مجددًا مضيئةً الضوء الذي عند الكرسي الأمامي، وظل مستر

نيكولز يتحرك في كرسيه إلى أن سأل أخيرًا: «الخريطة.. هل هناك مطعم أو شيء كهذا بالقرب منا؟».

نظرت ماما إليه.

- هل ما تزال جائعًا؟

- لا. أنا.. أحتاج الحمام.

عادت ماما لقراءة كتابها.

- يمكنك قضاء حاجتك وراء شجرة، لا تقلق بشأننا.

تمتم مجيبًا: «ليس هذا ما أحتاج إليه».

- أوه.

أخدت ماما الخريطة من الدرج.

- حسنًا، وفقًا للخريطة فإن أقرب مدينة لنا هي كيجزوورث. أنا متأكدة أنك ستجد فيها مكانًا به حمام. أو لعلك تجد واحدًا من الحمامات الخدمية إذا ذهبنا إلى الطريق السريع.

- أيهما أقرب؟

تتبعت شيئًا على الخريطة بإصبعها.

- من الصعب التحديد. ربما كيجزوورث؟

- كم تبعد؟

- مسافة عشر دقائق.

- حسنًا.

أومأ وبدأ يتمتم لنفسه ووجهه لامع بشكل غريب: «لا بأس بعشر دقائق. عشر دقائق محتملة».

كان نيكي يرتدي سماعاته ويسمع الموسيقى وتانزي تربت على أذنَي نورمان الكبيرتين الناعمتين وهي تفكر في نظرية الأوتار. فجأة وجَّه مستر نيكولز سيارته لليمين بسرعة ليقف جانبًا. اندفع الجميع للأمام وكاد نورمان يسقط من على الكنبة. فتح مستر نيكولز باب السيارة بسرعة وجرى خارجًا متجهًا للمكان خلفهم، وبينما التفت هي في مكانها لتراه كان قد وضع يديه على ركبتيه وانحنى وبدأ يتقيأ. كان من المستحيل ألا تسمعه حتى والنوافذ مغلقة.

حدقوا إليه جميعًا.

قال نيكي: «واو، يستفرغ الكثير من الأشياء. هذا.. واو، هذا مثل شيء من فيلم *فضائي*».

قال ماما: «يا إلهي».

قالت تانزي وهي تنظر من الزجاج الخلفي: «هذا مقرف».

- بسرعة. أين مناديل المطبخ يا نيكي؟

شاهداها وهي تخرج من السيارة ذاهبةً لتساعده. كان منثنيًا للنصف تقريبًا كأن معدته تؤلمه بشدة. عندما رأت ماما أن تانزي ونيكي يحدقان من الزجاج الخلفي فلوحت لهما بيدها مشيرة أنه لا ينبغي لهما التحديق، رغم أنها كانت تفعل الشيء نفسه منذ قليل.

سألت تانزي نيكي: «هل ما زلت تريد الكباب؟».

ارتجف نيكي.

- أنتِ روح شريرة.

عاد مستر نيكولز إلى السيارة مثل شخص تعلم المشي للتو. أصبح وجهه أصفر شاحبًا وبشرته مغطاة بقطرات صغيرة من العرق.

قالت له تانزي: «تبدو مريعًا».

جلس بحذر في كرسيه وهمس: «سأكون بخير. سأكون بخير الآن».

أدخلت ماما رأسها بين الكرسيين وحركت شفتيها لتقول: «حقيبة بلاستيكية» دون أن يلاحظ مستر نيكولز. أعطتها تانزي خاصتها.

- للاحتياط فقط.

تحدثت ماما مع مستر نيكولز بصوت مبتهج وفتحت نافذتها قليلًا.

قاد مستر نيكولز ببطء شديد بضعة أميال. كان بطيئًا لدرجة أن السيارات كانت تعطيه نورًا بفوانيسها ليستعجلوه، وسائق ما ظل يستخدم بوقه بغضب إلى أن عبرهم. أحيانًا تحرك ناحية الخطوط البيضاء كأنه لم يكن مركزًا حقًّا، لكن تانزي لاحظت كيف أن ماما صامتة وقررت ألا تقول شيئًا.

ظل مستر نيكولز يتمتم: «كم بقي؟».

- لم يبقَ الكثير.

قالت هذا رغم أنه في الغالب ليس لديها أي فكرة عن المسافة المتبقية. ربتت على ذراعه كأنه طفل وقالت: «أنت تؤدي عملًا رائعًا».

عندما نظر إليها، ظهر في عينيه الألم.

- تحمَّل قليلًا.

كانت تكلمه بهدوء كأنها تُمليه التعليمات.

بعدها بقرابة نصف ميل شد مستر نيكولز المكابح.

- يا إلهي! أحتاج...

- حانة!

أشارت ماما إلى الحانة المضاءة في أقاصي القرية المقبلة.

- انظر! يمكنك التحمل حتى تصل إلى هناك!

ضغط مستر نيكولز على دواسة البنزين فعاد خدًّا تانزي للخلف كأنها في قطار سريع. توقف بعنف في موقف السيارات وفتح الباب ثم رمى نفسه داخل الحانة.

جلسوا في مكانهم منتظريه. كانت السيارة شديدة الهدوء لدرجة أنهم كانوا يسمعون صوت المحرك.

بعد خمس دقائق مالت ماما إلى الأمام وأغلقت بابه حتى تظل السيارة دافئة. نظرت وراءها وابتسمت لهما؟

- كيف كانت الإيرو؟

- لذيذة.

- أنا أيضًا أحب الإيرو.

هز نيكي رأسه مع الإيقاع وعيناه مغمضتان.

دخل رجل بسيارته إلى موقف السيارات ومعه امرأة بذيل حصان عالٍ ونظرا إلى السيارة. ابتسمت لهما ماما. لم تبتسم لها السيدة.

مرت عشر دقائق.

سأل نيكي وهو ينزع السماعات من أذنيه وينظر إلى الساعة: «أأذهب وأحضره؟».

- من الأفضل ألا نفعل.

بدأت تهز قدميها.

مرت عشر دقائق أخرى، وأخيرًا، عندما أخذت تانزي نورمان لتُمشِّيه في موقف السيارات وقامت ماما بالتمارين لتمدد أطرافها على ظهر السيارة لأنها قالت إنها تشعر بالجمود، خرج مستر نيكولز من الحانة.

بدا أبيض من أي شخص رأته تانزي في حياتها. كان بلون الورق. بدا كأن أحدًا مسح معالم وجهه بممحاة رخيصة.

- أعتقد أنه سيتعين علينا التوقف هنا وهلةً.

- في الحانة.

- ليس في الحانة.

نظر خلفه وقال: «بالتأكيد ليس في الحانة. ربما.. ربما في مكان ما على بُعد بضعة أميال».

سألته ماما: «هل تريدني أن أقود؟».

- لا!

قالها الجميع في نفَس واحد، وابتسمت ماما وحاولت أن تُخفي إحساسها بالإهانة.

كان ذا بلوبيل هايفين هو المكان الوحيد في نطاق عشرة أميال بغرف فارغة. كان فيه ثمانية عشر كرافانًا ثابتًا وساحة للعب في أرجوحتين وصندوق رملي ولافتة مكتوب عليها «لا كلاب».

ترك مستر نيكولز وجهه يقابل عجلة القيادة.

- سنجد مكانًا آخر.

أجفل في ألم وانحنى.

- فقط أعطِني دقيقة.

- لا حاجة.

- قلتِ إنك لا تستطيعين ترك الكلب في السيارة.

- لن نتركه في السيارة. تانزي، النظارات.

كان هناك منزل متنقل عند البوابة الأمامية مكتوب عليه «الاستقبال». دخلت ماما أولًا وارتدت تانزي النظارة الشمسية وانتظرت أمام الباب عند الدرجات تراقبهم عبر الباب الزجاجي المموه.

قال لها الرجل البدين الذي نهض منهكًا من على كرسيه إنها محظوظة لأن لديهم غرفة واحدة فقط متاحة، ويمكنهم أخذها بسعر مخفض.

- بكم؟

- ثمانون جنيهًا.

- لليلة واحدة؟ في كرافان ثابت؟

- إنه السبت؟

- والساعة السابعة مساءً ولا أحد حجزه.

- لعل أحدًا يأتي.

- أكيد. سمعت أن مادونا تشرب البيرة في آخر الشارع وتبحث عن مكان لتُبقي حاشيتها فيه.

- لا داعي للتهكم.

- لا داعي لسرقتي. ثلاثون جنيهًا.

أخرجت ماما النقود من جيبها.

- أربعون.

- خمسة وثلاثون.

رفعت ماما يدًا وقالت: «هذا كل ما أملك. أوه، ومعنا كلب».

رفع يدًا ضخمة ورد: «اقرئي اللافتة، لا كلاب».

- إنه كلب لذوي الاحتياجات الخاصة لفتاتي الصغيرة. دعني أذكرك أنك تعتبر مخالفًا للقانون إذا رفضت أن توفر لنا خدمة بسبب الإعاقة.

فتح نيكي الباب وأمسك كوع تانزي ليساعدها على الدخول. وقفت ساكنة خلف نظارتها الشمسية ونورمان يقف أمامها في صبر. فعلوا هذا مرتين عندما كان عليهم أن يركبوا الباص إلى بورتسموث بعد أن رحل بابا.

- إنه مدرب، لن يسبب أي مشكلات.

قالت تانزي: «إنه عيناي اللتان بهما، دونه حياتي بلا قيمة».

نظر الرجل إلى يدها ثم نظر إليها. فكه ذكَّر تانزي بنورمان. كان عليها أن تتذكر ألا تنظر إلى التلفزيون.

- أنتِ تهاجمينني تحت الحزام يا امرأة.

ردت ماما بصوت بهيج: «أوه، أتمنى ألا يكون الأمر هكذا».

هز رأسه وأعاد يده الكبيرة إلى مكانها ثم تحرك متثاقلًا إلى خزنة المفاتيح.

- جولدن إيكرز. الخط الثاني، رابع كرافان على اليمين. بقرب مجمع الحمامات.

كان مستر نيكولز مريضًا بشدة عندما وصلوا إلى الكرافان لدرجة أنه من المحتمل أنه لم يلحظ المكان الذي كانوا فيه. ظل يئن بصوت خفيض ويمسك معدته وعندما رأى كلمة «مراحيض» صدر منه صوت صغير وركض مختفيًا في الداخل. لم يروه لقرابة الساعة بعدها.

لم تكن جولدن إيكرز اسمًا على مسمى، فلم تكن مصنوعة من الذهب ومساحتها لا تعدل حتى نصف القيراط، لكن ماما قالت إنها ستؤدي الغرض. توجد غرفتان صغيرتان، والكنبتان في غرفة المعيشة يمكن تحويلهما إلى سرير. قالت ماما إن نيكي وتانزي يمكنهما أخذ سرير ومستر نيكولز سيأخذ السرير الآخر وستنام هي على الكنبة. كانت الغرفة معقولة، وساقا نيكي أطول من السرير، ورائحة السجائر تفوح من كل ركن. فتحت ماما النوافذ وهلةً، ثم رتبت الأسرة، ووضعت الأغطية وفتحت المياه إلى أن دفئت لأن مستر نيكولز سيرغب في الاستحمام عندما يعود حسب قولها.

فتحت تانزي الخزانات المصنوعة من الخشب المقوى واحدة تلو الأخرى، وأغلقت الستائر التي عليها زهور، ونظرت إلى التواليت المتنقل في الحمام، وألصقت أنفها في النافذة، وأخذت تعد المصابيح المضاءة في كل الكرافانات الأخرى (اثنان فقط كانا مأهولَين. قالت ماما: «ذلك الوغد الكاذب»).

تفحصت الخريطة بينما انتظروا أن يعود مستر نيكولز، وأخذت تتتبع الطرق بأصابعها.

- لدينا الكثير من الوقت، الكثير، سيكون كل شيء على ما يرام. وانظري، سيكون أمامك المزيد من الوقت لتراجعي في هدوء!

كانت تتكلم كأنها تحاول طمأنة نفسها.

وضعت هاتفها في الشاحن وظل فيه خمس عشرة ثانية بالضبط قبل أن يرن. نهضت وردت عليه وهو متصل بالكهرباء.

- ألو؟

بدا من صوتها أنها كانت تعتقد أن مستر نيكولز يتصل من مجمع الحمامات ليطلب المزيد من المناديل مرة أخرى.

- ديس؟

غطت فهما بيدها فجأة.

- يا إلهي يا ديس. لن أتمكن من العودة في الوقت المحدد.

سمعت أصوات انفجارات على الخط الآخر.

- أنا حقًّا آسفة. أعلم ماذا قلتُ، لكن الأمور تعقدت قليلًا. أنا في...

نظرت إلى تانزي وسألتها: «أين نحن؟».

- بالقرب من آشبي دي لا زوش.

- آشبي دي لا زوش.

كررت ماما هذا وشدت شعرها ثم تابعت: «آشبي دي لا زوش. أعلم. أنا في غاية الأسف. لم تسِر الرحلة كما خططنا ومرض السائق وفرغت بطارية هاتفي مع كل الـــ.. ماذا؟».

نظرت إلى تانزي.

- لا أعلم. في الغالب ليس قبل يوم الثلاثاء. ربما الأربعاء حتى، الأمر يستغرق أطول مما ظننا.

سمعت تانزي تصيح بوضوح عندها.

- ألا يمكن لتشيلسي العمل بدلًا مني؟ عملت ما يكفي من مناوبتها.. أعلم أنها فترة مشغولة. أعلم. أنا آسفة يا ديس. قلت إني...

توقفت للحظة.

- لا، لا يمكنني العودة قبل ذلك الوقت. لا، أنا حقًّا.. ماذا تعني؟ لم أفوت مناوبة واحدة طوال العام الماضي. أنا... ديس؟ ديس؟

سكتت ونظرت إلى الهاتف.

- أكان هذا ديس من الحانة؟

تحب تانزي ديس من الحانة. جلست في ظهيرة أحد مع نورمان في الخارج منتظرةً ماما وأعطاها كيسًا من بطاطس سكامبي المقلية.

في تلك اللحظة انفتح باب الكرافان ودخل مستر نيكولز بالكاد واقفًا على قدميه.

- أستلقي...

تمتم واعتدل في وقفته لحظةً ثم انهار على الكنبة المغطاة بنقوش الورود. نظر إلى ماما بوجهه الرمادي وعينيه المتعبتين وقال: «أستلقي.. أنا آسف».

ظلت ماما جالسة هناك تحدق إلى هاتفها.

رمش ثم لاحظ هاتفها وسألها: «هل كنتِ تحاولين الاتصال بي؟».

- لقد طردني، لا أصدق، لقد طردني!

جيس

لم تكن لتنام كثيرًا على أي حال باعتبار أنها ستقلق الآن على خسارتها وظيفتها في ذا فيذرز، علاوة على كل شيء آخر. لكن جيس أمضت معظم تلك الليلة تعتني بمستر نيكولز. لم ترَ رجلًا يتقيأ هذا كله دون أن يسعل بقوة مُخرجًا كليته من جسده. بحلول منتصف الليل كان مجرد قشرة رجل، لم يبقَ شيء في جوفه.

- أنا بحال أفضل، أنا بحال أفضل.

كان مُصرًا على هذا في محاولة لطمأنتهم، ولكن بعد نصف ساعة كان يمسك الدلو الذي وجدته تحت الحوض ويُخرِج من جوفه سائلًا أخضر كالخيط.

أخذت الليلة منحى غريبًا وتداخلت الساعات مع بعضها بعضًا عائمة وممتدة إلى ما لا نهاية. استسلمت وأقرت أنها لن تنام. حدقت إلى حوائط الكرافان التي بلون الكراميل وبحاجة إلى التنظيف وقرأت قليلًا وغفت. أنَّ مستر نيكولز بجانبها ونهض بين الحين والآخر ليذهب إلى مجمع الحمامات. أغلقت باب غرفة الطفلين وجلست تنتظره في الكرافان الصغير، أحيانًا تغفو على الكنبة التي على شكل حرف L وتعطيه الماء والمناديل عندما دخل الكرافان بخطى مرتجفة.

بعد الساعة الثالثة بقليل قال مستر نيكولز إنه يريد أن يستحم. جعلته يعدها أنه سيترك باب الحمام مفتوحًا وأخذت ملابسه إلى غرفة الغسل (غرفة صغيرة بها غسالة ومجفف) ودفعت ثلاثة جنيهات وعشرين بنسًا لدورة غسيل في درجة حرارة ستين. لم يكن معها فكة للمجفف.

عندما عادت إلى الكرافان كان مستر نيكولز ما يزال في الحمام. علقت ملابسه على علاقات فوق المدفأة وتمنت أن تجف بحلول الصباح، وبعدها

طرقت الباب. لم تأتها إجابة، سمعت فقط صوت الماء الجاري والبخار. نظرت من الجزء المفتوح من الباب. كان الزجاج مغطى بالبخار لكنها رأته نوعًا ما، منحنيًا ومستلقيًا على الأرض في إرهاق. انتظرت لحظةً تحدق إلى ظهره العريض الذي كان ملتصقًا بالزجاج، مثلث مقلوب شاحب وجميل بشكل غريب. بعدها رأته وهي يمرر يده على وجهه متعبًا.

همست خلفه: «مستر نيكولز؟».

لم يقل أي شيء.

- مستر نيكولز؟

التفت حينها ورآها، ولعلها كانت المياه، لكنها لم تعتقد أنها في حياتها رأت رجلًا حُفرت على ملامحه الهزيمة أكثر منه. كانت عيناه محمرتين ورأسه منهارًا على كتفيه.

- اللعنة. لا يمكنني النهوض حتى، والمياه تبرد.

- أتريدني أن أساعدك؟

- لا، نعم، يا ربي!

- انتظر.

أمسكت فوطة ورفعتها قليلًا غير متأكدة إذا ما كانت تفعل هذا لتحميه أو لتحمي نفسها. مدت يدها وأغلقت الحنفية وابتلت ذراعها. بعدها قرفصت حتى تساعده في أن يغطي نفسه بالفوطة ومالت عليه.

- لُفَّ ذراعيك حول رقبتي.

- أنتِ صغيرة، سأسقطكِ إذا فعلت هذا.

- أنا أقوى مما أبدو عليه.

لم يتحرك.

- عليك أن تساعدني قليلًا هنا. أنا لست مستعدة لأحملك كرجل إطفاء ينقذ شخصًا من مبنى محترق.

التفَّت ذراعه المبتلة حولها، وعدل الفوطة حول خصره. استندت جيس على الحائط وفي النهاية، أخيرًا، بخطى مهزوزة، تمكنا من الوقوف. كان صغر الكرافان مفيدًا لأنهما وجدا في كل خطوة حائطًا ليستند مستر نيكولز

عليه. مشيا مهتزَين قليلًا إلى أن وصلا إلى ما يُعد غرفة المعيشة، وتهاوى مستر نيكولز على الكنبة.

أنَّ مستر نيكولز عندما رأى الدلو الذي وضعته بجانب السرير.

- هذا ما وصلت إليه حياتي.

- نعم.

نظرت جيس إلى ورق الحائط المتقشر والدهان المبقع بآثار النيكوتين.

- حسنًا، لقد حظيت بليالي سبتٍ أفضل من هذه إذا ما كنت أتحدث عن نفسي.

حضرت لنفسها كوبًا من الشاي. كانت الساعة قد تخطت الرابعة بقليل وكانت عيناها مرهقتين ومتورمتين. جلست وأغلقتهما دقيقةً.

قال مستر نيكولز بضعف: «شكرًا».

- على ماذا؟

اعتدل في جلسته.

- لأنكِ أحضرتِ لي ورق الحمام في منتصف الليل ولأنكِ غسلتِ ملابسي المقرفة ولأنكِ ساعدتِني في الخروج من الحمام ولأنكِ لم تلوميني ولو مرةً وتقولي إنها غلطتي لأنني اشتريت شطيرة كباب غير موثوق بها من مكان اسمه كباب كيث.

- مع أنها كانت غلطتك.

- أترين؟ الآن أنتِ تفسدين معروفكِ.

استلقى على الوسادة وغطى عينيه بساعده. حاولت ألا تنظر إلى صدره العريض فوق الفوطة التي تغطي مكانًا استراتيجيًّا. لم يمكنها تذكر آخر مرة رأت فيها الجذع العاري لأي رجل، اللهم إلا في مباراة كرة الشاطئ غير الموفقة التي نظمها ديس للحانة في أغسطس الماضي.

- اذهب ونم في غرفة النوم، ستكون مرتاحًا أكثر هناك.

فتح عينًا واحدة.

- هل سأحصل على بطانية سبونج بوب؟

- ستحصل على بطانيتي الوردية المخططة، لكنني أعدك أن هذا ليس مرتبطًا بأي شكل من الأشكال بذكورتك.

- أين ستنامين؟

- هنا.

حاول أن يعترض فقاطعته: «لا بأس. لا أعتقد أنني سأنام كثيرًا على أي حال».

تركها تقوده إلى غرفة النوم الصغيرة. أنَّ عندما استلقى على السرير كأن هذا الفعل الهين يؤلمه. غطته بلطف. كان السواد تحت عينيه بلون الرماد وصوته أصبح شبه نائم.

- سأكون مستعدًّا للذهاب في خلال ساعتين.

- بالتأكيد ستكون.

نظرت إلى اللون الذي هرب من وجهه.

- خذ وقتك.

- أين نحن على أي حال؟

- في طريق الطوب الأصفر.

- أهذا من القصة التي فيها أسد له قوى إله وينقذ الجميع؟

- أنت تكلم نارنيا، الأسد الذي نتكلم عنه جبان وعديم الفائدة.

- منطقي.

وأخيرًا نام.

خرجت جيس من الغرفة بهدوء واستلقت على الكنبة الصغيرة وتغطت بالبطانية التي كانت بلون الخوخ التي لها رائحة العطن والسجائر المدخنة خلسة، وحاولت ألا تنظر إلى الساعة. تفحصت الخريطة مع نيكي عندما كان مستر نيكولز في مجمع الحمامات الليلة الماضية وأعادا تخطيط مسار الرحلة بقدر ما استطاعا.

أخبرت نفسها أنه ما زال أمامهم الكثير من الوقت، وبعدها، أخيرًا، هي الأخرى نامت.

ظلت غرفة مستر نيكولز هادئة حتى الصباح. فكرت جيس في أن توقظه، لكن كل مرة اقتربت فيها من الباب تذكرت منظره وهو مستند على حائط الحمام وتوقفت أصابعها على مقبض الباب. فتحت الباب مرة واحدة فقط

عندما قال نيكي إنه من المحتمل أن يكون مستر نيكولز قد مات مختنقًا بقيئه. بدا خائب الآمال قليلًا عندما اتضح أن مستر نيكولز كان نائمًا بعمق فقط. أخذ الطفلان نورمان ومشّياه على الطريق وارتدت تانزي نظارتها لتعطي كذبتهم الأصالة اللازمة، اشتروا أغراضًا من المتجر وتناولوا الإفطار همسًا. حضّرت جيس الشطائر من الخبز المتبقي (قال نيكي تعليقًا: «واو، عظيم») ونظفت الكرافان لتُبقي نفسها مشغولة وخرجت من الكرافان لتترك لديس رسالة على الآنسر ماشين معتذرةً إليه مرة أخرى. لم يرد عليها.

في العاشرة والنصف انفتح باب الغرفة الصغيرة مُصدرًا صريرًا وخرج مستر نيكولز يرمش عينيه ويرتدي تيشيرتًا وبوكسرًا. بدا مشوشًا كأنه شخص استيقظ ليجد نفسه على جزيرة، كان خده مجعدًا من الوسادة.

- ونحن في...

- آشبي دي لا زوش أو مكان ما بالقرب، بعيدة كل البعد عن بيتشفرونت.

- هل تأخر الوقت؟

- إنها الحادية عشرة والربع.

- الحادية عشرة والربع، تمام.

كان فكه مغطى بلحية قصيرة وشعره مبعثر في جانب واحد. تظاهرت جيس بقراءة كتابها، كان له رائحة رجل دافئ نائم، وكانت قد نسيت كم هي قوية تلك الرائحة.

- الحادية عشرة والربع.

فرك الشعر على وجهه ومشى غير ثابت إلى النافذة لينظر منها.

- أشعر أنني نمت مليون سنة.

جلس بثقل على الكنبة بجوارها ومرر يده على فكه.

قال نيكي من موقعه بجانبها: «لديك عضو هارب يا رجل».

- ماذا؟

لوَّح نيكي بقلم.

- عليك أن تعيد العضو الهارب لمكانه.

حدق إليه مستر نيكولز ثم التفت إلى جيس كأنه يحاول أن يقول لها: «جن جنون ابنك».

- يا إلهي!

عبس عند سماع هذا.

- يا إلهي ماذا؟

نظرت جيس إلى حيث كان نيكي ينظر ورفعت عينيها بسرعة.

- يمكنكِ على الأقل أخذي في موعد على العشاء قبل أن نصل إلى هذه المرحلة.

وقفت جيس لتعيد أغراض الفطور إلى أماكنها.

نظر مستر نيكولز إلى الأسفل ثم عدَّل نفسه في ملابسه.

- أوه، أنا آسف. حسنًا، لا بأس.

وقف واتجه إلى الحمام.

- سوف.. أمممم.. أنا.. هل يمكنني الاستحمام مجددًا؟

كانت تانزي تنظر إلى ورقة امتحان في الزاوية عندما قالت له: «تركنا بعضًا من الماء الساخن لك لكي تستحم. في الواقع، تركناه كله. كانت رائحتك بشعة البارحة».

خرج من الحمام بعد عشرين دقيقة بشعر رطب ورائحة الشامبو تفوح منه وبلا لحية. كانت جيس مشغولة في تقليب ملح وسكر في كوب ماء ومحاولة عدم التفكير فيما رأته منذ قليل. ناولته الكوب.

امتعض وجهه لرؤيته.

- ما هذا؟

- محلول لمعالجة الجفاف. لتعوض بعضًا من السوائل التي فقدتها بالأمس.

- تريدينني أن أشرب ماءً بملح؟ بعد أمضيت ليلة الأمس كلها أتقيأ؟

- اشربه فحسب.

كانت متعبة ولا تقدر على الجدال معه. بينما كان وجهه ينكمش ويصدر أصواتًا كأنه على وشك التقيؤ، حضرت له خبز التوست مع القهوة. جلس

في الجانب المقابل من الطاولة المصنوعة من الفورميكا وارتشف رشفة من قهوته مع قضمات صغيرة من التوست، وبعدها بعشر دقائق أخبرهم أنه يشعر أنه بحال أفضل بصوت حمل شيئًا من المفاجأة.

- عندما تقول أفضل أيعني هذا أنه يمكنك القيادة دون التسبب بحادث؟

- عندما تقولين التسبب بحادث تعنين...

- ألا تحطم موقف الطوارئ على الطريق بسيارتك.

- شكرًا للتوضيح.

أخذ قضمة أكبر من التوست بثقة هذه المرة.

- نعم. أعطيني عشرين دقيقة أخرى، أريد التأكد أنني...

- ... بخير في السيارات.

- ها.

ابتسم ابتسامة عريضة، ولسبب ما كان من اللطيف رؤيته يبتسم.

- نعم، تمامًا. ياه، أنا حقًّا أشعر بحال أفضل.

مرر يدًا على الطاولة المغطاة بمفرش بلاستيكي وأخذ رشفة كبيرة من قهوته متنهدًا برضا واضح. أنهى أول كمية من التوست وسأل إن كان هناك المزيد ثم نظر حول الطاولة.

- ولكنني سأشعر بحال أفضل حتى إذا توقفتم عن التحديق إليَّ وأنا آكل. بدأت أقلق أن جزءًا آخر مني ظاهر لكم.

قال نيكي: «ستعرف إن حدث هذا، لأننا سنهرب من هنا ونحن نصرخ».

أضافت تانزي: «قالت ماما إنه يعتبر أنك تقيأت عضوًا من أعضائك، أتساءل عن كيف يشعر هذا».

نظر إلى جيس وهو يقلب قهوته، ولم يبعد عينيه عن جيس حتى احمرت خجلًا.

- في الحقيقة؟ لم تكن الليلة الماضية مختلفة عن معظم ليالي السبت التي أمضيها هذه الأيام.

شرب ما تبقى من قهوته ووضع الكوب جانبًا.

- حسنًا. أنا بخير والكباب الشرير هُزم. لنذهب في طريقنا.

تغيرت المشاهد أمامهم كل ميل وهم يقودون في الظهيرة، أصبحت التلال أكثر ميلًا وأقل مناسبةً للأنشطة الرعوية والشجيرات التي تزين جانبَي الطريق تحولت إلى حواجز أسمنتية. انفتحت السماء والضوء حولهم أصبح مشعًا أكثر وتخطوا الرموز البعيدة المشيرة للمناطق الصناعية كالمصانع المبنية بالطوب الأحمر ومحطات كهرباء هائلة تتجشأ سحبًا صفراء. راقبت جيس مستر نيكولز خلسةً وهو يقود، في البداية قلقة عندما يمسك معدته وبعدها بشعور مبهم بالرضا لرؤية وجهه وهو يعود إلى لونه الطبيعي.

قال بنبرة حملت شيئًا من الأسف: «لا أظن أننا سنصل إلى آبردين اليوم».

- لنحاول أن نصل إلى أبعد مكان يمكننا الوصول إليه ونقود القسم الأخير من الطريق صباح الغد.

- هذا تمامًا ما كنت سأقترحه.

- أمامنا الكثير من الوقت.

- الكثير.

تركت الأميال وراءها وغفت بين الحين والآخر وحاولت ألا تقلق بشأن الأشياء كلها التي عليها القلق بشأنها. عدلت مرآتها خلسةً لترى نيكي في الكنبة الخلفية. تلاشت كدماته رغم أنهم رحلوا منذ وقت قليل. كان يتحدث أكثر مما كان يفعل في السابق، لكنه ما زال كتومًا معها. أحيانًا تقلق جيس من أنه سيبقى هكذا بقية حياته، لا يهم كم تخبره أنها تحبه وأنهم عائلته، لا يُحدِث هذا أي فرق في حاله.

أخبرتها أمها عندما قالت لها إنه سيعيش معهم: «أتيتِ متأخرة. بالنسبة إلى طفل في هذه السن فالموضوع تم وانتهى. أنا معلمة، أعرف ماذا أقول».

كونها معلمة، أمها استطاعت أن تُبقي فصلًا مكونًا من ثلاثين طفلًا في الثامنة صامتين كأنهم مخدرون وتقودهم عبر الامتحانات كأنها راعية وهم أغنامها التي تقودها للحظيرة، لكن جيس لا تتذكر أن أمها ابتسمت لها برضا. ذلك الرضا الذي يملؤك عندما ترى شخصًا أحضرته أنت للعالم.

كانت أمها محقة بشأن العديد من الأمور. أخبرت جيس عندما بدأت الثانوية: «القرارات التي ستقررينها الآن ستحدد كيف ستكون بقية حياتك».

كل ما سمعته جيس حينها هو صوت شخص يخبرها أن عليها أن تدبس نفسها كفراشة مثبتة بالدبابيس. هذه هي المشكلة: عندما تسيء إلى أحد بكلماتك طوال الوقت، يتوقف عن الاستماع إلى ما تقوله، حتى الكلام المنطقي.

عندما أنجبت جيس تانزي وهي شابة وساذجة كما كانت وقتها، كان لديها ما يكفي من الحكمة لتعرف أنها ستقول لتانزي كم تحبها وكم تفخر بها طوال الوقت، ستحتضنها وتمسح دموعها وتستلقي معها على الكنبة وسيقانهما متداخلة مثل الاسباجيتي، ستغلفها بالحب. عندما كانت رضيعة كانت جيس تنام معها في سريرهما وذراعاها تطوقانها، فينهض مارتي منزعجًا وينام في غرفة الضيوف متذمرًا أنه لا مكان له في سريره.

وعندما أتى نيكي ليعيش معهم بعد عامين، وأخبرها الجميع أنها مجنونة لتعتني بطفل امرأة أخرى وصل عمره إلى الثامنة وأتى من منزل غير مستقر -تعرفين كيف يصبح هؤلاء الأطفال عندما يكبرون- تجاهلتهم، لأنها رأت لحظتها في ظل الطفل الحزين الذي وقف بعيدًا عن أي شخص مسافة اثني عشر إنشًا على الأقل، حتى والده، شيئًا مما كان يعتمل في داخلها وهي في سنه. لأنها تعرف أن شيئًا يحدث لك عندما لا تحتضنك أمك أو تخبرك طول الوقت أنك أفضل شخص في العالم أو حتى تلاحظ وجودك في المنزل.. ينغلق جزء منك للأبد. لا تعود تحتاج إلى أمك، لا تحتاج إلى أي شخص، ودون أن تلاحظ أنك تفعل فإنك تنتظر، تنتظر حتى يرى أي شخص يقترب منك شيئًا لا يحبه فيك، شيئًا لم يره في البداية، ويبتعد عنك ثم يختفي مثل ضباب البحر، لأنه بالتأكيد هناك عيب فيك إذا كانت حتى أمك نفسها لا تحبك، صحيح؟

كان هذا سبب عدم انهيارها عندما رحل مارتي. ولمَ تنهار من الأساس؟ لم يمكنه إيذاؤها. الشيء الوحيد الذي تهتم جيس به هو هذان الطفلان، وأن يعرفا أنهما مقبولان منها، لأنه حتى إذا رماك العالم كله بالحجارة، ستكون بخير لو كان أبوك أو أمك في ظهرك. جزء متأصل في داخلك سيعرف دائمًا أنك محبوب وأنك تستحق الحب. لم يكن لدى الجيس الكثير لتفتخر به في حياتها، لكن ما هو أكثر مدعاةً للفخر لديها هو أن تانزي تعرف هذا. رغم غرابتها، تعرف جيس أن تانزي تعرف هذا.

ما زالت تحاول مع نيكي.

- هل أنتِ جائعة؟

أفاقها صوت مستر نيكولز من غفوتها الوشيكة.

اعتدلت في جلستها، كان عنقها قد تحجر وأصبح محنيًّا وجامدًا كعلاقة ملابس مصنوعة من الأسلاك.

- أموت جوعًا.

التفتت إليه بشكل غريب.

- أتريد التوقف في مكان ما للغداء؟

أشرقت الشمس وأشعتها تشع على يسارهم مغطيةً حقلًا أخضر واسعًا. كانت تانزي تسمي الأشعة أصابع الرب في السابق. أخرجت جيس الخريطة من الدرج مستعدةً لتحدد موقع محطة الخدمة التالية.

نظر إليها مستر نيكولز وبدا عليه الإحراج نوعًا ما.

- في الواقع.. أتعرفين؟ أموت على واحدة من شطائرك الآن.

إد

لم يكن اسم فندق ذا ستاج أند ذا هاوند مدرجًا في قوائم الفنادق، لم يكن لديه موقع على الإنترنت ولا كتيب، ولم يكن من الصعب أن تخمن سبب هذا. كانت الحانة بجانب مستنقع كئيب في مكان ذي رياح قوية وأمام واجهته الرمادية كان هناك أثاث حديقة بلاستيكي مغطى بالعشب يشير إلى ندرة الزوار، أو لعله انتصار للأمل على التجربة. في الغالب كانت آخر مرة زينوا فيها غرف النوم منذ بضعة عقود، لما كان ورق الحائط درجة لامعة من الزهري والستائر عليها زهور، وفي أماكن عشوائية من الغرفة وجدوا تماثيل صغيرة بدلًا من أشياء مفيدة مثل الشامبو أو المناديل مثلًا.. كان هناك حمام عمومي في نهاية الرواق في الدور العلوي حيث كان لون الأدوات الصحية درجة من درجات الأخضر تشبه الأفوكادو بشكل غير ساخر، والصابون الوردي به شقوق رمادية. في الغرفة ذات السريرين تلفزيون يشبه الصندوق، ويتفضل عليهم بثلاث قنوات، ومع كل واحدة منها صوت طنين خفيف. عندما اكتشف نيكي دمية باربي البلاستيكية التي كانت ترتدي ثوبًا صوفيًّا وتجلس فوق ورق مناديل الحمام كان منبهرًا.

- أنا حقًّا أحب هذه.

رفع الدمية ليتفحص طرف ثوبها اللامع.

- إنها سيئة جدًّا لدرجة أنها رائعة.

لم يصدق إد أن أماكن كهذه ما تزال موجودة، لكنه كان قد قاد لأكثر من ثماني ساعات بسرعة أربعين ميلًا في الساعة، وذا ستاج أند ذا هاوند يأخذ خمسة وعشرين جنيهًا في الليلة على الغرفة -رقم أرضى حتى جيس- وكانوا راضين ببقاء نورمان معهم هناك.

- أوه، نحن نحب الكلاب.

تحركت مسز ديكنز وسط قطيع من كلاب البومارانيان المتحمسة وربتت رؤوسها التي كان عليها شيء أحمر مثبت بعناية يشبه الرغيف.

- نحب الكلاب أكثر مما نحب البشر، أليس كذلك يا جاك؟

أتاها صوت من مكان ما في الأسفل.

- إرضاؤهم أسهل. يمكنكم إحضار رفيقكم الضخم اللطيف إلى غرفة الاستقبال لو أردتم. تحب فتياتي مقابلة شاب جديد.

نظرت إلى إد نظرة ذات معنى وهي تقول هذا.

فتحت البابَين ولوحت لهم ليدخلوا.

- ستكونان أنتما في هذه الغرفة يا مستر ومسز نيكولز، وطفلاكما سيكونان في الغرفة المجاورة. هاتان الغرفتان هما فقط الموجودتان في هذا الجانب لذا سيكون الدور العلوي كله لكم. لدينا تشكيلة من حبوب الفطور للإفطار وقد يحضر جاك بيضًا مع التوست. البيض مع التوست الذي يعده شهي.

- شكرًا لكِ

أعطته المفاتيح ونظرت إليه وقتًا أطول من اللازم بثانية.

- أخمن أنك تحب بيضك... طريًا. أأنا محقة؟

نظر إد خلفه ليتأكد إذا ما كانت تتحدث إليه.

- أنا محقة، صحيح؟

- أمم.. بأي طريقة تعدونها.

لم يرد أن يفكر طويلًا في البيض المسلوق النيئ من الداخل.

- بأي.. طريقة.. نفعلها.. بها.

كررت وراءه ببطء وعيناها في عينيه. رفعت حاجبًا وابتسمت إليه من جديد ثم نزلت إلى الأسفل وقطيع الكلاب يتحرك حولها كأن قدميها غارقتان في بحر من الشعر. بطرفَي عينيه رأى جيس تبتسم ساخرة.

- لا تفعلي.

ألقى الحقائب على السرير.

- سأستحم أنا أولًا.

دعَكَ نيكي نهاية ظهره.

قالت تانزي: «أحتاج إلى أن أراجع، بقي لدي بالضبط سبع عشرة ساعة ونصف حتى موعد الأولمبياد».

تأبطت كتبها واختفت إلى الغرفة الأخرى.

- تعالي ومشّي نورمان أولًا يا عزيزتي، تمتعي في الهواء الطلق. سيساعدك هذا على النوم لاحقًا.

فتحت حقيبة وشرعت في ارتداء سترة منها. عندما رفعت ذراعيها ظهر قسم من بطنها شاحبًا ومفاجئًا.

- سأعود خلال نصف ساعة.. أو.. يمكنني أن أتأخر قليلًا.

عدلت شعرها ونظرت في اتجاه الدرجات المؤدية إلى الدور الأسفل ورفعت حاجبًا عندما نظرت إليه: «لو.. أردت».

- مضحك.

سمعها تضحك بعد أن اختفت من أمامه. استلقى إد على الملاءة المصنوعة من النايلون وأحس بشعره يرتفع قليلًا بفعل الاستاتيكية ثم أخرج هاتفه من جيبه.

قال بول ويلكس: «إليك الأخبار الجيدة. أنهت الشرطة التحقيقات الأولية، والنتائج تُظهِر غياب أي دافع من طرفك. ليس لديهم أدلة أنك تربحت مما فعلته ديانا لويس أو شقيقها. الأهم من ذلك أنه لا يوجد أي أدلة أنك ربحت أي شيء من إطلاق SFAX اللهم إلا زيادة سعر حصصك مثلك مثل أي موظف هناك. من الواضح أن ربحك سيكون أكبر قيمة لأنك لديك عدد أكبر من الحصص، لكنهم لم يجدوا أي شيء يربطك بحسابات بنكية في جزر بعيدة أو أي محاولات لإخفاء المال من طرفك».

- هذا لأنه لم يكن هناك أي محاولات لإخفاء المال.

- علاوة على هذا، فإن فريق التحقيقات يقولون إنهم اكتشفوا عددًا من الحسابات مسجلة تحت أسماء أفراد عائلة مايكل لويس، الأمر الذي يشير إلى أنه حاول إخفاء أفعاله. وجدوا سجلات تفيد أنه بدأ يضارب قبل الإعلان مباشرة. علامة أخرى لهم.

- حسنًا.

كان بول ما يزال يتحدث لكن الإشارة كانت سيئة وصعب سماعه على إد. وقف ومشى إلى النافذة. كانت تانزي تجري في حديقة الحانة وتصرخ سعيدة والكلاب الصغيرة تتبعها. جيس كانت واقفة تضحك وذراعاها مطويتان. وقف نورمان في وسط المكان ينظر إليهم كأنه جماد حائر في بحر من الجنون. فكر إد أنه يعرف ما يشعر به نورمان. غطى أذنه الأخرى بيده.

- أيعني هذا أن بإمكاني العودة الآن؟ هل حُلَّ الأمر؟

تراءى إليه مكتبه حينها سرابًا في صحراء.

- تريث. إليك الأخبار السيئة نوعًا ما. لم يكن مايكل لويس يضارب في الأسهم فقط، كان أيضًا يضارب في خيارات الأسهم.

رمش.

- ماذا؟ أنت تقول كلامًا غير مفهوم الآن كما لو أنك تتحدث البولندية.

- حقًّا؟

تبع هذا صمت قصير. تخيله إد في مكتبه ذي الجدران الخشبية يضرب كفًّا بكف.

- خيارات الأسهم تسمح لمضارب بأن يستفيد من استثماراته، أو استثماراتها في هذه الحالة، ليُزيد أرباحه بشكل هائل.

- لكن ما علاقة هذا بي؟

- حسنًا، حجم الأرباح الذي كسبه من الخيارات كان كبيرًا، ولذا فالقضية تتعقد أكثر، ما يصل بنا إلى الأخبار السيئة.

- لم تكن هذه الأخبار السيئة؟

تنهد.

- إد، لمَ لم تخبرني أنك حررت شيكًا لعينًا لديانا لويس؟

رمش إد متفاجئًا. الشيك.

- صرفت شيكًا حررته أنت قيمته خمسة آلاف جنيه وأودعته في حسابها البنكي.

- و؟

من تعالي نبرته وهو يجيب كان من الممكن أن نتخيله يضرب كفًّا بكف مجددًا.

- وهذا يربطك بشكل مادي بما كانت تفعله ديانا لويس. أنت مَن جعل جزءًا من هذه المداولة ممكنًا.

- لكنهم كانوا بضعة آلاف لأساعدها! كانت مفلسة!

- بغض النظر عما إذا ما تربحت منها أم لا، فهناك دعم مادي واضح لك في لويس، وحدث هذا قبل إطلاق SFAX بفترة وجيزة. يمكننا أن نجادل أن الإيميلات مبهمة، لكن هذا يعني أن الوضع الآن كلمتك مقابل كلمتها يا إد.

حدق خارجًا إلى المستنقع. كانت تانزي تقفز وتلوح بعصا للكلاب التي كان لعابها يسيل. مالت نظارتها على أنفها وكانت تضحك. حملتها جيس من الخلف واحتضنتها.

- ما يعني؟

- ما يعني أن الدفاع عنك ازداد صعوبة يا إد.

خيب إد آمال والده بشكل جدي مرة واحدة في حياته. لا يعني هذا أنه لم يكن خيبة أمل بشكل عام. يعرف أن والده أراد ابنًا يعيش في جلبابه وله صفاته: أمين وعازم ومندفع كأنه ابن حصل عليه من المارينز، لكنه تخطى إحساسه بالقنوط لمرأى ابنه النيرد الهادئ، وقرر أنه بما أنه لا يمكنه أن يعدل حاله فسيعدل حاله تعليم باهظ.

واقع أن مدخرات العائلة من سنين عملهم ألحقت إد بمدرسة خاصة ولم تكفِ لإلحاق أخته ولدت حقدًا غير معترف به في العائلة. كثيرًا ما تساءل هل لو عرف أهله الحاجز العاطفي الكبير الذي وضعوه في طريق شقيقته فهل سيكررون ما فعلوه لو عاد بهم الزمن إلى الوراء. لم يستطع إد قط أن يقنعها أن السبب وراء هذا هو أنها كانت بارعة في كل شيء فلم يشعروا بالحاجة إلى إلحاقها. كان هو من قضى كل ساعاته في غرفته ملتصقًا بشاشة، وكان هو الفاشل في الرياضة. يوم أخبر والده أنه بدأ بالجري يوميًا (كان مدربه الخاص محقًّا - أحب الجري بعد فترة) ظهر على وجه والده تعبير تخيل أنه سيظهر على وجهه لو أعلن أنه سيكون لديه حفيد قريبًا.

لكن لا، رغم كل الأدلة كان والده مقتنعًا أن مدرسة تجريبية صغيرة شعارها «الرياضة تصنع الرجال» ستصنع من ابنه رجلًا.

ظل يخبره دائمًا: «نحن نقدم لك فرصة رائعة يا إدوارد، فرصة أفضل من أي شيء حظيت به أنا وأمك، لا تضيِّعها».

لذلك عندما رأى والده تقريره الأول الذي استخدم كلمات مثل «غير مهتم» و«أداء ضعيف» والأسوأ من هذا كله «ليس لاعبًا جماعيًّا»، حدق إلى التقرير وشاهد إد الدم يهرب من وجهه وهو يشعر بعدم الراحة.

لم يكن بإمكانه أن يخبره أنه لم يحب المدرسة حقًّا بما فيها من فتيان متنمرين، ولم يكن بإمكانه أن يخبره أنه مهما جعلوه يركض في ملعب الرجبي فلن يحب الرجبي. لم يتمكن من شرح أنه كان مفتونًا بكل الاحتمالات خلف الشاشة المبكسلة، وبكل ما يمكنك أن تبتكر مستخدمًا إياها، وأنه شعر أن مستقبله سيكون فيها. تغير وجه والده بفعل خيبة الأمل وما أهدره عليه، وأدرك إد أنه لم يكن أمامه خيار آخر.

- سأتحسن العام القادم يا بابا.

على إد نيكولز أن يذهب إلى قسم شرطة لندن خلال أيام.

حاول أن يتخيل تعابير وجه والده بعد أن يسمع أن ابنه، الابن الذي يتباهى به مع رفاقه المتقاعدين من الجيش، ويتحدث عنه قائلًا: «بالطبع أنا لا أفهم ما يفعله، لكن على ما يبدو فإن السوفت وير هو المستقبل». متهم بالتداول الداخلي، حاول أن يتخيل رأس والده على عنقه الضعيف يلتف والصدمة وخيبة الأمل تظهران على ملامحه حتى وهو يحاول إخفاءهما وشفتيه المغلقتين عندما يدرك أنه ليس لديه ما يقوله أو يفعله والإيماءة الضعيفة التي تتقبل أن ابنه كان بالفعل على قدر توقعاته الأولى.

واتخذ إد قرارًا. سيطلب من محاميه أن يمط القضية بقدر المستطاع، وسيدفع كل ما يملكه ليؤجل إعلان جرائمه المفترضة، لكنه لن يذهب إلى ذلك الغداء العائلي مهما كانت درجة مرض والده. سيصنع معروفًا لوالده بفعله هذا، سيحميه بالبقاء بعيدًا عنه.

وقف إد نيكولز في غرفة الفندق الوردية الصغير التي فاحت منها رائحة معطر الجو وخيبة الأمل، وحدق إلى المستنقعات الكئيبة والفتاة التي استلقت على العشب الرطب وكانت تشد أذنَي كلبها الذي جلس يلهث وعلى وجهه الكبير تعبير سعيد أحمق، وتساءل لماذا -رغم أنه كان يفعل الشيء الصحيح في هذا الوضع- شعر بأنه حثالة.

جيس

كانت تانزي قلقة رغم أنها اعترفت بأنها «قلقة بنسبة سبعة وثلاثين في المئة، ربما ثمانية وثلاثين». رفضت تناول العشاء والنزول للدور السفلي حتى لأخذ استراحة مفضلةً أن تلتف بالبطانية الوردية المصنوعة من النايلون وحل أوراقها وهي تأكل ما تبقى من نزهة الإفطار. فوجئت جيس بهذا لأن ابنتها نادرًا ما أحست بالتوتر عندما كان الأمر متعلقًا بالرياضيات. حاولت قدر المستطاع أن تُطمئنها، لكن الأمر كان صعبًا لأنه لم يكن لديها أدنى فكرة عما تتحدث.

- كدنا نصل! كل شيء على ما يرام يا تانزي، لا داعي للقلق.
- أتعتقدين أنني سأنام الليلة؟
- بالطبع ستنامين الليلة.
- لكن لو لم أستطع النوم قد أؤدي بشكل سيئ.
- حتى لو لم تنامي ستؤدين جيدًا، كما أنكِ دائمًا ما تنامين من واقع معرفتي بك.
- أنا قلقة من أنني سأقلق لدرجة أنني لن أستطيع النوم.
- أنا لست قلقة من أنكِ قد تقلقين. استرخي، ستكونين بخير. سيكون كل شيء بخير.

عندما قبَّلتها جيس لاحظت أنها قد قضمت أظافرها.

كان مستر نيكولز في الحديقة يروح ويجيء ذهابًا وإيابًا حيث كانت هي وتانزي موجودتين منذ نصف ساعة ويتحدث بسرعة في هاتفه. توقف وحدق إلى الهاتف بضع مرات ثم وقف على كرسي أبيض من كراسي الحديقة

ليحصل على إشارة أقوى كما تعتقد. وقف على الكرسي مهتزًّا وغير واعٍ بالنظرات الفضولية لمن كانوا بالداخل يشاهدونه يحرك يديه بجنون ويسب.

نظرت جيس من النافذة واحتارت في هل تخرج وتقاطعه أم لا. كان هناك بضعة رجال عجائز عند البار متجمعين حول المالكة التي تحدثهم من الجانب الآخر من البار. نظروا إليها بعدم اهتمام وراء أكوابهم.

نظرت المالكة إلى حيث كانت تنظر جيس وسألتها: «العمل، صحيح؟».

- أوه، صحيح، لا يتوقف عن العمل أبدًا.

ابتسمت جيس ثم أضافت: «سأحضر له مشروبًا».

كان مستر نيكولز جالسًا على حائط حجري قصير عندما خرجت أخيرًا وكوعاه على ركبتيه بينما يحدق إلى العشب.

قربت جيس الكوب منه وحدق إليه لحظةً قبل أن يأخذه.

- شكرًا.

بدا مرهقًا.

- هل كل شيء على ما يرام؟

- لا.

أخذ رشفة كبيرة من الكوب.

- لا شيء على ما يرام.

جلست على بُعد بضعة أمتار منه وسألته: «أهو أي شيء يمكنني مساعدتك فيه؟».

- لا.

جلس في صمت، كانت الحانة مهلهلة لكنها أحبتها. كان الجو هادئًا ولا شيء حولهما إلا النسيم عبر المستنقعات وزقزقة العصافير آتية من بعيد وصوت المحادثات الناعم آتٍ من الداخل. كانت على وشك قول شيء عن المنظر أمامهما عندما اخترق صوت الهواء الساكن.

- اللعنة. اللعنة على كل شيء.

كان مستر نيكولز هو الذي يتحدث بشغف، وكلامه أتى فجأة فجعل جيس تجفل.

- أنا لا أصدق أن حياتي تحولت إلى هذه.. الفوضى.

سمعت الانكسار في صوته.

- لا أصدق أنه يمكنني أن أعمل وأعمل لسنوات وينهار كل شيء هكذا، ولماذا؟ لماذا؟

- كان تسممًا بسيطًا بسبب ما أكلت، ستكون...

- أنا لا أتحدث عن الكباب اللعين.

وضع رأسه بين كفيه وأضاف: «لكنني لا أريد التحدث عن الأمر».

نظر إليها بغضب.

- حسنًا.

أخذت جيس رشفة من جعتها. لم تكن تحب الجعة لكن كان عليها عرض. في الأعلى انفتحت نافذة الحمام وخرجت منها دفعة من البخار.

- إليكِ المشكلة، أنا ملزم قانونيًا ألا أتحدث لأي شخص عن هذا.

لم تنظر إليه. تعلمت هذه الخدعة منذ زمن: عندما أتى نيكي للعيش معهم أخبرتها الاختصاصية الاجتماعية أن نيكي سيرتاح إليها ويتكلم أكثر لو لم تلتقِ بعينيه. الرجال كانوا كالحيوانات في هذا، يشعرون بالتهديد إذا نظرتِ في أعينهم أكثر من اللازم.

- يعني بشكل قانوني، لا يمكنني أن أخبر أي أحد.

مددت ساقها ونظرت إلى الغروب.

- حسنًا، أنا لا أحتسب، صحيح؟ أنا فقط عاملة تنظيف.

زفر وقال مرة أخرى: «اللعنة».

وبعدها حكى لها ورأسه محني ويداه تمران في شعره الداكن القصير. أخبرها عن امرأة كان يواعدها ولم يجد طريقة لطيفة لينفصل عنها بها وعن طليقة لم تتركه حقًا، وأخبرها كيف حدث ما يتسبب الآن في انهيار حياته. أخبرها عن شركته وعن كيف كان ينبغي له أن يكون هناك يحتفل بإطلاق ثمرة عمل جهيد في السنوات الست الماضية، وكيف أنه بدلًا من ذلك تعين عليه أن يبتعد عن كل شيء وكل شخص يعرفه علاوة على كونه يتعرض للملاحقة القضائية. أخبرها عن والده المريض الذي سيزداد مرضًا عندما يعلم بما حدث له، وأخبرها عن المحامي الذي اتصل به منذ قليل ليعلمه أنه

بعد عودته من هذه الرحلة بقليل فإنهم يطلبون حضوره في قسم شرطة في لندن حيث سوف يُتهم رسميًّا بالتداول الداخلي وهي تهمة تصل عقوبتها إلى حتى عشرين عامًا في السجن. عندما انتهى كان يلهث.

- كل شيء عملت من أجله وكل شيء اهتممت به. ممنوع عليَّ دخول مكتبي، لا يمكنني حتى العودة إلى شقتي حتى لا تسمع الصحافة عن ذلك وأفعل شيئًا غبيًّا آخر وأخبرهم بما حدث، ولا يمكنني الذهاب لرؤية أبي لأنه عندها سيموت وهو يعرف كم هو أحمق ابنه.

هضمت جيس ما سمعته لبضع دقائق. ابتسم بكآبة وهو ينظر إلى السماء.

- أتعرفين ما هو أسوأ شيء؟ إنه عيد ميلادي.

- ماذا؟

- اليوم، إنه عيد ميلادي.

- اليوم؟ لمَ لم تقل شيئًا؟

- لأنني في الرابعة والثلاثين، ورجل في الرابعة والثلاثين يبدو كوغد عندما يتحدث عن عيد ميلاده.

أخذ رشفة كبيرة من جعته.

- ومع حوار التسمم هذا لم أشعر أن لدي ما أحتفل به.

نظر إليها بطرفَي عينيه ثم أضاف: «كما أنكِ كنتِ لتغني «عيد ميلاد سعيد» في السيارة».

- سأغنيها هنا.

- من فضلك لا تفعلي، الوضع سيئ بما فيه الكفاية دون هذا.

كانت جيس مصدومة، لم تصدق كم ما يحمله مستر نيكولز من هموم. لو كان أحد آخر من أخبرها لكانت لفت ذراعها حوله وحاولت أن تواسيه بالكلمات، لكن مستر نيكولز كان ينفر من هذه الأفعال. ومن يمكنه لومه؟ شعرت أن ما كانت تفكر فيه سيكون مشابهًا لعرض ضمادة لشخص بُترت ذراعه.

- لا تقلق، ستتعدل الأمور.

لم تستطع التفكير في أي شيء آخر لتقوله.

- ستصيب الكارما تلك الفتاة التي آذتك.

امتعض.

- الكارما؟

- أقولها للطفلين هكذا: الأمور الجيدة تحدث للناس الطيبين، عليك فقط ألا تقنط...

- حسنًا، لا بد أنني كنت وغدًا في حياتي السابقة.

- بربك، ما تزال لديك أملاك وسيارات، ما تزال تملك دماغك وما يزال لديك المحامون الباهظون، يمكنك حل الأمر.

- كيف يمكنكِ أن تكوني متفائلة لهذه الدرجة؟

- لأن الأمور تتغير للأحسن حقًّا.

- وتقول هذا الكلام امرأة لا تملك ثمن تذكرة قطار.

أبقت جيس عينيها على التلال الحادة.

- سأفوتها لك لأن اليوم عيد ميلادك.

تنهد مستر نيكولز.

- أنا آسف، أعلم أنكِ تحاولين المساعدة، لكن في اللحظة أجد تفاؤلك المستمر مرهقًا.

- غير صحيح، أنت تجد القيادة مئات الأميال في سيارة مع ثلاثة أشخاص لا تعرفهم وكلب كبير مرهقة. اذهب إلى الأعلى وخذ حمامًا طويلًا وستشعر بحال أفضل، هيا.

دخل كأنه رجل مُدان وظلت هي مكانها جالسة تحدق إلى المستنقع الأخضر أمامها. حاولت أن تتخيل كيف يشعر شخص يواجه احتمالية السجن، ألا يسمح له بالوجود بقرب أشيائه المحببة، والناس الذين يحبهم. حاولت أن تتخيل شخصًا مثل مستر نيكولز في السجن، ثم قررت ألا تفكر في الأمر وتمنت من قلبها ألا يكون نيكي قد استنفد الماء الساخن.

بعد فترة دخلت مع الأكواب الفارغة. مالت على البار حيث كانت المالكة تشاهد حلقة من برنامج هوم أندر ذا هامر. جلس الرجال في صمت خلفها يشاهدونه في صمت أو يحدقون بعيون ناعسة إلى أكوابهم.

- في الواقع يا مسز ديكنز، اليوم هو عيد ميلاد زوجي. أيمكنكِ أن تقدمي لي خدمة؟

نزل مستر نيكولز أخيرًا في الثامنة والنصف مرتديًا الملابس نفسها التي كان يرتديها هذه الظهيرة. والظهيرة التي قبلها. عرفت جيس أنه استحم لأن شعره كان مبتلًّا ولأنه حلق.

- ماذا تحمل في حقيبتك إذًا، جثة؟

- ماذا؟

مشى إلى البار. انبعثت منه رائحة خفيفة لصابون ويلكينسون سورد.

- أنت ترتدي الملابس نفسها منذ تحركنا.

نظر إلى نفسه كأنه يتأكد.

- أوه. لا، هذه الملابس نظيفة.

- لديك التيشيرت والجينز أنفسهما؟ لترتديهما كل يوم؟

- يوفر هذا الوقت الذي كنت أقضيه في التفكير.

نظرت إليه دقيقةً ثم قررت أن تمسك لسانها. اليوم عيد ميلاده في النهاية.

- أوه. أنتِ تبدين جميلة بالمناسبة.

قال فجأة كأنه لاحظ للتو.

كانت قد بدلت ملابسها لترتدي فستانًا صيفيًّا أزرق وسترة خفيفة. كانت تحتفظ بهما للأولمبياد، لكنها قررت أن هذه مناسبة مهمة.

- شكرًا لك. على المرء أن يبذل مجهودًا ليتأقلم مع المكان الذي هو فيه، صحيح؟

- ماذا.. هل تركتِ قبعتك والجينز المغطى بشعر الكلاب وراءكِ؟

- أنت على وشك أن تندم على سخريتك، لأنني حضرت لك مفاجأة.

- مفاجأة.

بدا متعبًا لحظة عرف.

- إنها مفاجأة حلوة، خذ.

أعطته جيس كأسًا من الكأسين اللتين حضرتهما سابقًا ومتعت بهذا مسز ديكنز.

- ما هذا؟

حدق إلى الكأس بريبة. أخبرتهم مسز ديكنز أن أحدًا لم يحضر كوكتيلًا في هذه الحانة منذ 1987 بينما كانت جيس تفتش الزجاجات المغطاة بالتراب وراء جهاز توزيع الجرعات.

- ثلاث جرعات من السكوتش مع عصير البرتقال.

أخذ رشفة، ثم رشفة كبيرة.

- طعمه جيد.

- كنت أعرف أنك ستحبه، حضرته خصيصى لك. اسمه الوغد الصيَّاح.

كانت الطاولة البلاستيكية البيضاء موضوعة وسط المرج الفارج وعليها طبقان وملاعق وشوك وسكاكين من الاستانلس ستيل وشمعة وزجاجة نبيذ في الوسط. مسحت جيس الكراسي بقماشة من الحانة حتى لا يكون عليها أي بقايا عشب، والآن سحبت واحدًا ليجلس عليه.

- سنأكل في الهواء الطلق اليوم، بمناسبة عيد ميلادك.

تجاهلت النظرة التي وجهها نحوها.

- من فضلك استرِح، سأذهب وأُعلمهم في المطبخ أنك هنا.

- ليست كعكًا من بوفيه الإفطار، صحيح؟

- بالتأكيد ليست كعكًا من بوفيه الإفطار.

تظاهرت بأنها تشعر بالإهانة وتمتمت وهي متجهة إلى المطبخ: «تانزي ونيكي أكلا ما تبقى منها».

عندما عادت إلى الطاولة كان نورمان قد نام على قدم مستر نيكولز. شكت جيس أن مستر نيكولز كان ليحب أن يحركه بعيدًا، لكن نورمان جلس عليها في السابق وكانت تعرف أنه ثقيل كالنائم. عليك فقط أن تجلس مكانك وتدعو أن يتحرك قبل أن ينقطع الدم تمامًا عن قدمك وتسقط.

- كيف كانت المقبلات؟

نظر مستر نيكولز إلى كأس الكوكتيل الفارغة وقال: «شهية».

- حسنًا، الوجبة الرئيسية في الطريق. للأسف سنكون نحن الاثنان فقط لهذا المساء لأن الضيوف الآخرين لديهم التزامات أخرى.

- مسلسل واترلو رود ومعادلات جبر جنونية.

- أنت تعرفنا تمام المعرفة.

جلست جيس على الكرسي المقابل وبينما هي تجلس أتتهم مسز ديكنز تعبر المرج والكلاب تعض قدميها. بنفس عناية نادل مخضرم يحمل أطباق الكوردون بلو في مطعم خمس نجوم، حملت مسز ديكنز طبقين على كلٍّ منهما فطيرة مغطاة بالفويل وبجانبها بطاطس.

- تفضلا.

وضعت الطبقين على الطاولة.

- ستيك ولحم الكلية هدية من إيان في أول الطريق. يعد فطيرة لحم رائعة.

كانت جيس جائعة جدًّا واعتقدت أنها كانت لتأكل إيان شخصيًّا.

- عظيم، شكرًا لكِ.

وضعت جيس منديلًا على حجرها.

وقفت مسز ديكنز ونظرت حولها كأنها ترى ما حضرته جيس للمرة الأولى.

- لا نأكل هنا أبدًا، إنها فكرة لطيفة. لربما أقدمها لبعضٍ من زبائني الآخرين، أصنع عرضًا منها.

فكرت جيس في الرجال كبار السن في الحانة، وقالت بينما تمرر الخل إلى مستر نيكولز: «سيخسرون لو لم تفعلي».

بدا مستر نيكولز مجمدًا مؤقتًا بفعل الدهشة.

مسحت مسز ديكنز يديها على مئزرها وقالت: «حسنًا يا مستر نيكولز، زوجتك عازمة على جعلك تحظى بوقت جيد في يوم ميلاده».

غمزت له.

نظر إليها وقال: «أوه، كل لحظة مع جيس ملأى بالأحداث».

أعاد ناظره إليها.

- منذ متى وأنتما متزوجان؟

- عشر سنوات.

- ثلاث سنوات.

- الطفلان من زوجي السابق.

قطعت جيس الفطيرة.

- أوه، هذا...

قال مستر نيكولز: «لقد أنقذتها. كانت واقفة على الطريق».

- بالفعل.

اهتزت ابتسامة مسز ديكنز قليلًا.

- رومانسي جدًّا.

- ليس كذلك حقًّا، كانت تُعتَقل في تلك اللحظة.

- لقد شرحت الأمر، يا إلهي، هذه البطاطس لذيذة.

- لقد فعلتِ، وكان الشرطيان متفهمَين جدًّا بالنظر إلى ما حدث.

حدقت مسز ديكنز إليها.

- حسنًا هذا لطيف، لطيف أنكما ما تزالان معًا.

- نفعل ما بوسعنا.

- ليس لدينا أي خيار آخر حاليًّا.

- هذا صحيح أيضًا.

- أيمكنكِ أن تحضري لنا بعض صلصة الطماطم؟

- أوه، فكرة رائعة.. يا عزيزي.

عندما ذهبت مسز ديكنز أومأ مستر نيكولز في اتجاه الشمعة والطبقين، ثم نظر إلى جيس ولم يعد عابسًا.

- هذه حقًّا أفضل فطيرة مع البطاطس أكلتها في فندق غريب في مكان لم أسمع عنه في المستنقعات شمال يوركشير؟

- أنا سعيدة جدًّا لسماع هذا. كل عام وأنت بخير.

أكلا في صمت دافئ. من المذهل كيف يمكن لوجبة ساخنة وشراب قوي أن يحسنا مزاجك. في الأعلى كان بإمكان جيس أن تسمع نيكي يشاهد التلفزيون وأصداء صوت زمجرته تتردى في الغرفة وتصلها عبر النافذة المفتوحة كلما تشوشت إشارة الإذاعة. نعقت الغربان من على كابل تليفون، وأنَّ نورمان

قبل أن ينام على جانبه محررًا قدم مستر نيكولز. مدد مستر نيكولز ساقه كاختبار، لعله كان يتأكد من أنه ما زال بإمكانه فعل ذلك.

نظر إليها ورفع كأسه التي امتلأت مجددًا.

- بجدية، أنا حقًّا أشعر بحال أفضل. شكرًا لك.

دون نظارته لاحظت جيس أن رموشه كانت شديدة الطول، زاد هذا وعيها بوجود الشمعة في منتصف الطاولة. كانت تمزح وهي تطلبها.

- حسنًا.. هذا أقل ما يمكنني فعله. أنت أنقذتنا من على جانب الطريق. لا أعرف ماذا كنا لنفعل.

أمسك قطعة بطاطس بشوكته ورفعها في الهواء.

- أحب الاهتمام بموظفيَّ في نهاية الأمر.

- كنت أفضل عندما كنا متزوجَين.

- نخبك.

ابتسم لها ابتسامة واسعة وكانت صادقة ومفاجئة جدًّا لدرجة أنها وجدت نفسها تبتسم ابتسامة عريضة هي الأخرى.

- نخب الغد، ومستقبل تانزي.

- وغياب المزيد من المشكلات.

- سأشرب نخب هذا.

وصلت الليلة إلى مسائها سهلة بمساعدة الكحول القوي والسعادة بمعرفة أنه لا حاجة إلى أن ينام أي شخص في سيارة أو يحتاج إلى دخول الحمام عدة مرات على عجل. نزل نيكي وأكل فطيرته والبطاطس ونظر بريبة من وراء غرته إلى الرجال في الحانة بينما نظروا هم إليه بريبة مساوية ثم عاد إلى غرفته ليشاهد التلفزيون. شربت جيس ثلاث كؤوس من النبيذ الأبيض الألماني ودخلت لتتفقد تانزي وتأخذ لها الطعام. جعلتها تعدها أنها لن تراجع بعد العاشرة.

- أيمكنني أن أكمل في غرفتك؟ نيكي يشغل التلفزيون هنا.

- حسنًا.

قالت بشيء من الحدة: «تفوح منكِ رائحة النبيذ».

- هذا لأننا في عطلة نوعًا ما. مسموح للأمهات أن تفوح منهن رائحة النبيذ عندما يكنَّ في عطلة.

- هممم.

نظرت إلى جيس بحزم ثم عادت إلى كتبها.

كان نيكي مستلقيًا على واحد من السريرَين يشاهد التلفزيون، أغلقت الباب وراءها وشمت الهواء في الغرفة.

- لم تدخن أي شيء، صحيح؟

- ما زالت سجائري معكِ لو تتذكرين. قلتِ إنك ستتخلصين منها.

- آه، صحيح.

كانت قد نسيت تمامًا.

- لكنك نمت من دونها. في الأمس وأول أمس كذلك؟

- مممم.

- حسنًا، هذا جيد، صحيح؟

هز كتفيه في عدم اهتمام.

- أعتقد أن ما تحاول قوله هو «نعم، عدم احتياجي إلى مواد مخدرة غير قانونية لأنام لهو أمر رائع». ما علينا، انهض لثانية. أحتاج إلى مساعدتك في رفع مرتبة.

عندما لم يتحرك أضافت: «لا يمكنني النوم في غرفة مستر نيكولز، سنصنع سريرًا على أرضية غرفتك، اتفقنا؟».

تنهد لكنه نهض وساعدها. لاحظت أنه لم يعد يجفل ألمًا عندما يتحرك. تركت المرتبة التي كانت على السجادة بجوار سرير تانزي مسافة تكفي بالكاد ليتحركوا دخولًا وخروجًا من الباب الذي ينفتح الآن مسافة ستة إنشات فقط.

- سيكون هذا ممتعًا إذا احتجت الحمام في المساء.

- اذهب إلى الحمام قبل أن تنام. لقد كبرت على هذا.

طلبت من نيكي أن يطفئ التلفزيون في العاشرة حتى لا يزعج تانزي وتركتهما في الأعلى.

كانت الشمعة قد احترقت منذ فترة في الهواء المسائي البارد، وعندما لم يعد بإمكانهما رؤية بعضهما بعضًا للتحدث عادا إلى الداخل وجلسا في الحانة أبعد ما يمكن عن مسز ديكنز والرجال الصامتين عند البار. انتقلا من الوالدين وأول وظيفة إلى العلاقات. حكت له جيس عن مارتي وكيف اشترى لها مشتركًا في عيد ميلادها وعلق: «لكنكِ قلتِ إنك تحتاجين واحدًا» عندما رأى رد فعلها، وأخبرها هو في المقابل عن لارا الزوجة السابقة وكيف أنه رتب في عيد ميلادها ذات مرة لسيارة بسائق لتقلها إلى فطور مفاجئ في فندق فخم مع صديقاتها، وبعدها تقضي الصباح في مول هارفي نيكولز مع متسوقة متخصصة لها شخصيًا وميزانية غير محدودة، وكيف أنه عندما قابلها على الغداء اشتكت بمرارة لأنه لم يأخذ اليوم كله إجازة من العمل. فكرت جيس أنها ستحب أن تصفع لارا الزوجة السابقة بقوة على وجهها ذي المكياج المبالغ فيه (اخترعت لها وجهًا: «كانت تشبه دراج كوين[1] أكثر مما تحتاج»).

- هل تعين عليك أن تدفع لها نفقة؟
- لم أكن ملزمًا لكنني فعلت، إلى أن اقتحمت شقتي وسرقت أشيائي للمرة الثالثة.
- هل استرددتَ أشياءك؟
- لم يكن المردود يستدعي المجهود. إذا كانت لوحة ماو تسي تانج مهمة لها إلى هذا الحد يمكنها الاحتفاظ بها.
- كم كان ثمنها؟
- ماذا؟
- اللوحة.
- بضعة آلاف.
- أنا وأنت نتحدث لغتين مختلفتين يا مستر نيكولز.

تفحصته.

- هل غيرت الأقفال الآن؟

(1) Drag Queen رجل يتنكر كامرأة ويبتدع هوية مختلفة عن هويته الأصلية باسم مختلف في العادة لأداء العروض الترفيهية.

تململ حرِجًا في مقعده.

- إنها فقط أشياء...

لا بد أن الامتعاض ظهر على وجه جيس لأنه قال: «حسنًا إذًا، كم يدفع لكِ زوجكِ السابق كونه نفقة؟».

- لا شيء.

- لا شيء؟

ارتفع حاجباه حتى وصلا إلى شعره.

- لا شيء على الإطلاق؟

- حالته صعبة، لا يمكنك معاقبة شخص لأن حالته صعبة.

- حتى لو عنى هذا أن عليكِ أنتِ والطفلين أن تعانوا؟ أنت محقة، أنا وأنتِ نتحدث لغتين مختلفتين بالفعل.

كيف لها أن تشرح؟ استغرقها الأمر عامين لتفهمه. تعرف أن الطفلين يفتقدانه، لكنها في داخلها مرتاحة لأن مارتي رحل. كانت مرتاحة لأنه لن يتعين عليها القلق بخصوص «خطته الذكية» التالية. تعبت من مزاجه السيئ وكونه دائمًا مرهقًا بسبب الطفلين. وأكثر من كل شيء، كانت قد تعبت من عدم تمكنها من فعل أي شيء بالشكل الصحيح. أحب مارتي جيس ذات الستة عشر ربيعًا بتهورها وجموحها وعدم وجود مسؤوليات في حياتها، وبعدها حمَّلها هو مسؤوليات أثقلت كاهلها ولم تعجبه شخصيتها الجديدة التي خُلقت من الوضع الذي صنعه.

- عندما يتحسن وضعه سأتأكد من أنه سيساهم بحصته من جديد بالتأكيد، لكننا بخير.

نظرت جيس إلى الأعلى حيث ينام نيكي وتانزي.

- أعتقد أن هذه المسابقة ستغير وضعنا. وبغض النظر، ولعلك لن تفهم هذا وأعرف أن الجميع يعتقد أن الأولاد غريبو الأطوار قليلًا، لكنني محظوظة بأنهما معي أنا وليس معه. إنهما طيبان ومضحكان ولديهما أفكار بشأن شتى الأمور.

صبت لنفسها كأسًا أخرى من النبيذ وأخذت رشفة. بدأ الشرب يصبح أسهل بالتأكيد، لكنها فقط لم تكن متأكدة من كمية مينا الأسنان التي ستبقى لديها بعد أن تنتهي من الشرب.

- إنهما طفلان لطيفان.

- شكرًا، في الواقع، أدركت شيئًا اليوم. الأيام السابقة كانت المرة الأولى التي أتذكرها عندما أتيحت لي الفرصة أن أكون معهما. لا أعمل، لا أفعل شيئًا في المنزل أو أتسوق أو أحاول أن ألحق بمسؤولياتي، فقط معهما. كان لطيفًا أن نتسكع معًا إذا لم يبدُ هذا تافهًا عندما أقوله.

- لا يبدو تافهًا.

- ونيكي ينام. نيكي لا ينام أبدًا، لا أعرف ماذا فعلت له، لكنه الآن...

- أوه، عدلنا التوازن الطبيعي قليلًا لا أكثر.

رفعت جيس كأسها.

- إذًا لعيد ميلادكِ حسنة وحيدة، لقد أبهجت صغيري.

- كان هذا بالأمس.

فكرت لحظةً.

- لم تتقيأ ولا مرة.

- حسنًا، توقفي الآن.

لم يعد بإمكانها رؤيته بوضوح حيث كانا يجلسان جنبًا إلى جنب على المقعد. لعله كان الطعام أو ربما الأكواب الأربعة من الجعة مع كؤوس الكوكتيل أو حتى إنه لا يحتاج إلى النظر في عينيها مباشرة، لكن جسم مستر نيكولز استرخى أخيرًا. أسند ظهره إلى الوراء وساقاه الطويلتان تمتدان تحت الطاولة. واحدة منهما مالت على ساقها منذ مدة. فكرت للحظة عابرة في أنه يجب عليها أن تبعدها ولم تفعل، والآن لم يكن بإمكانها فعل هذا دون أن يبدو الأمر أنها توصل فكرة بفعلها. شعرت بحضوره القوي بجانب ساقها العارية.

أحبت ذلك الشعور.

لأن شيئًا قد حدث بين الفطيرة والبطاطس وآخر مشروبات، ولم يكن الأمر فقط تأثير الشراب أو الابتعاد عن كل شيء أو حقيقة أنهم اقتربوا من وجهتهم. لم تعرف جيس ماهية الأمر. أرادت ألا يكون مستر نيكولز غاضبًا

بعد الآن وأرادت أن ترى ابتسامته الناعسة التي تبخر كل الغضب المكبوت فتستطيع أن ترى كيف كان ليبدو إذا لم يقع في هذا الخراء كله، وعندما يبتسم واحدة من تلك الابتسامات كان الأمر مبهجًا وغير متوقع، فلم تستطع إلا أن تبتسم ابتسامة عريضة ترتسم على وجهها ردًّا على ابتسامته. وإذًا جلسا يتحدثان بهدوء ويستمعان لهمهمة التلفزيون عند البار والحديث الخافت ويبتسمان ابتسامات عريضة بين الحين والآخر كزوجين من الحمقى.

- تعرفين، لم أقابل أحدًا مثلكِ قط.

كان ينظر إلى الطاولة غارقًا في أفكاره. كانت جيس على وشك أن تقول نكتة عن عاملات التنظيف والنادلات في البار والخدم والحشم، لكن بدلًا من ذلك شعرت بشيء في أعماق معدتها ووجدت نفسها تتخيل جذعه العاري المشدود الذي يشبه الرقم سبعة في الحمام وتتساءل كيف سيكون شعور النوم معه.

كانت صدمتها بتلك الفكرة هائلة لدرجة أنها كادت تتفوه بها. *أعتقد أن الجنس مع مستر نيكولز سيكون لطيفًا للغاية.* أشاحت بنظرها وتجرعت النصف المتبقي من كأس النبيذ شاعرةً به يحرقها محتجًّا بينما ينزل في جوفها.

كان مستر نيكولز ينظر إليها.

- لا تشعري بالإهانة، عنيت هذا بطريقة جيدة.

- لم أكن أشعر بالإهانة.

تلونت أذناها باللون الوردي.

- أنتِ أكثر شخص إيجابي قابلته في حياتي، أنتِ عملية، تصلحين الأشياء. وأنتِ لا ترثين حالكِ أبدًا على ما يبدو. تقفزين فوق كل عقبة تأتي في طريقكِ.

- وأمزق بنطالي وأقع بعدما أقفز.

- لكنكِ تمضين قدمًا.

- عندما يساعدني أحد.

- حسنًا، هذا التشبيه أصبح معقدًا.

شرب بعضًا من جعته.

- أردت فقط أن.. أخبركِ. أعرف أنها كادت تنتهي، لكنني استمتعت بهذه الرحلة. استمتعت أكثر مما توقعت.

- نعم، وأنا أيضًا.

خرجت الكلمات من فمها قبل أن تعي ما تقوله.

جلسا، كان ينظر إلى ساقها وتساءلت إذا ما كان يفكر في ما تفكر.

- أتعرفين شيئًا يا جيس؟

- ماذا؟

- لقد توقفتِ عن التململ.

نظرا إلى بعضهما بعضًا وبينهما سؤال غير منطوق. أرادت أن تشيح بنظرها عنه لكنها لم تستطع. كان مستر نيكولز مجرد وسيلة للهرب من أزمة صعبة، والآن كل ما تراه جيس هو عيناه الداكنتان الكبيرتان وكيف أن شعره يسقط على جبهته في خطوط كثيفة لامعة وكيف تسحر شفته العليا المنحوتة في فم صغير.

عليكِ القفز على ذلك الحصان من جديد.

أشاح بنظره أولًا.

- يا إلهي! انظري كم الساعة، لقد تأخر الوقت. علينا حقًّا أن ننام قليلًا، قلتِ إن علينا النهوض باكرًا.

كان صوته عاليًا قليلًا.

- نعم، الساعة قاربت الحادية عشرة بالفعل. أعتقد أنني حسبتها وسيكون علينا مغادرة هذا المكان في السابعة لنصل هناك في وسط اليوم، أهذا منطقي بالنسبة إليك؟

- آه.. بالتأكيد.

تمايلت قليلًا عندما نهضت ومدت يدها لتستند على ذراعه لكنه كان قد تحرك.

رتبا لإفطار مبكر وتمنيا ليلة سعيدة لمسز ديكنز بحرارة أكثر من المعتاد وصعدا الدرجات في نهاية الحانة ببطء. كانت جيس بالكاد واعية بما قيل لأنها كانت تشعر به بقوة وراءها وبكيف كان ردفاها يتمايلان غير متزنَين وهي تمشي، وبكتفيها العاريتين. *أيراقبني؟* راح عقلها وجاء في اتجاهات

غير متوقعة وتساءلت فترةً قصيرةً كيف سيكون الشعور لو مال عليها وقبَّل كتفها العارية. ظنت أن صوتًا صغيرًا لا إراديًّا هرب منها عندما فكرت في الأمر.

توقفا عند البسطة والتفت لتواجهه. شعرت كأنها تراه للمرة الأولى رغم كونهما معًا لثلاثة أيام.

- تصبحين على خير يا جيسيكا راي توماس. بحرف ألف وحرف ياء.

وضعت يدها على مقبض الباب. نظرت إليه حينها -إلى كتفيه العريضتين وتيشيرته النظيف الذي يملك نسخًا كثيرة منه وعينيه الناعمتين الحزينتين- وتوقفت عن التنفس لثانية. مر وقت طويل على آخر مرة. هل الفكرة بهذا السوء حقًّا؟ شدت مقبض الباب إلى الأسفل ومالت إلى الأمام.

- سأراك في الصباح.

- كنت لأعرض عليكِ أن أعد لكِ القهوة، لكنكِ دائمًا تستيقظين أولًا على أي حال.

لم تعرف ماذا تقول. من المحتمل أنها وقفت في مكانها تنظر إليه فقط.

- أممم.. جيس؟

- نعم؟

- شكرًا. على ما فعلتِه. الاعتناء بي في مرضي ومفاجأة عيد ميلادي.. في حال لم تسنح لي الفرصة بأن أقولها غدًا...

ابتسم لها ابتسامة مائلة ثم أضاف: «في عالم الزوجات السابقات، أنتِ بالتأكيد مفضلتي».

حاولت جيس أن ترد ابتسامته بابتسامة، لكن إجابتها علقت في حلقها. شدت مقبض الباب. كانت على وشك قول شيء آخر لكن حقيقة أن الباب لم يتحرك شتتت انتباهها.

التفت وشدت مقبض الباب مرة أخرى. تحرك معها وانفتح إنشًا وبعدها لا شيء.

- ما الأمر؟

- لا يمكنني فتح الباب.

وضعت يديها الاثنتين عليه. لا شيء.

اقترب مستر نيكولز ودفع الباب. تحرك مسافة صغيرة.

حرك مستر نيكولز المقبض وقال: «ليس مقفلًا، هناك شيء يعوقه».

قرفصت محاولةً أن ترى وأنار مستر نيكولز ضوء البسطة. من الإنشين الظاهرَين من فتح الباب كان بإمكانها أن تلمح جسد نورمان الهائل على الجانب الآخر من الباب. كان نائمًا على المرتبة وظهره الضخم يواجهها.

همست غاضبة: «نورمان، تحرك!».

لا شيء.

- نورمان.

- لو دفعت الباب سيستيقظ، صحيح؟

بدأ مستر نيكولز يميل على الباب. أراح ثقله كله عليه ثم دفع.

- يا إلهي.

هزت جيس رأسها.

- أنت لا تعرف كلبي.

ترك المقبض وأُغلق الباب بصوت تكة ضعيفة. تبادلا النظرات.

تكلم مستر نيكولز أخيرًا.

- حسنًا.. هناك سريران في هذه الغرفة. سيكون الأمر بخير.

تجهم وجهها.

- أمم.. نورمان نائم على مرتبة السرير الآخر. نقلتها إلى الغرفة الأخرى منذ قليل.

نظر إليها منهكًا بعدها.

- أنطرق الباب؟

- تانزي متوترة. لا يمكنني المخاطرة بإيقاظها. لا بأس.. س.. سوف.. سأنام على الكرسي.

دخلت جيس الحمام قبل أن يعترض على كلامها. اغتسلت ونظفت أسنانها ناظرة إلى بشرتها المحمرة بفعل الكحول في المرآة ذات الإطار البلاستيكي محاولةً أن توقف أفكارها الدائرة في دوائر.

عندما خرجت إلى الغرفة كان مستر نيكولز يرفع تيشيرتًا سن تيشيرتاته الرمادية.

- خذي.

ألقاه إليها وهو يعبر من جانبها متجهًا إلى الحمام. ارتدته جيس محاولةً تجاهل الإثارة المبطنة النابعة من رائحته الذكورية النظيفة وأخذت البطانية الإضافية النظيفة ووسادة من الدولاب وتكورت في الكرسي حيث جاهدت لترفع ركبتيها لتكون في وضع يجعل نومها مريحًا. ستكون ليلة طويلة.

بعد بضع دقائق فتح مستر نيكولز باب الحمام وأطفأ الضوء. كان يرتدي تيشيرتًا أبيض وبوكسرًا أزرق داكنًا. رأت أن لقدميه عضلات طويلة بارزة تنتمي إلى شخص يتمرن بلا حجج أو أعذار. عرفت لحظتها كيف ستشعران مقابل قدميها. جعلت الفكرة فمها يجف.

تراخى السرير مُصدرًا صريرًا عندما نام عليه.

نظر في اتجاهها من تحت ملاءة بنفسجية وسأل: «هل أنتِ مرتاحة هكذا؟».

- تمامًا!

أجابته بنبرة مبتهجة وسألته: «وأنت؟».

- لو خرقتني سوستة من السرير لديك إذني لتأخذي السيارة وتقودي باقي الطريق.

نظر إليها عبر الغرفة لحظةً أخرى ثم أطفأ الضوء بجانب السرير.

كان الظلام دامسًا. في الخارج أصدر الهواء صوت أنين من الفراغات بين الحجر وحفت الأشجار وانغلق باب سيارة وصاح محركها معترضًا. في الغرفة المجاورة أصدر نورمان صوتًا في نومه مخففًا قليلًا بفعل الحائط الرقيق. كان بإمكان جيس سماع أنفاس مستر نيكولز، ورغم أنها أمضت الليلة الماضية مسافة إنشات منه، كانت تشعر بحدة بحضوره بشكل لم تشعر به في الساعات الأربع والعشرين الماضية. فكرت في الطريقة التي جعل نيكي يبتسم بها وبكيف استقرت أصابعه على عجلة القيادة. فكرت فيه مستندًا على الجدار الحجري الجاف ورأسه بين كفيه بينما يتحدث عما خسر والألم والغضب محفوران على وجهه.

فكرت في تعبير سمعت نيكي يستخدمه قبل بضعة أسابيع -يولو (تعيش مرة واحدة فقط)- وتذكرت كيف أنها أخبرته أنها تظن أن هذه حجة يستخدمها الحمقى ليفعلوا أي شيء يرغبون في فعله بغض النظر عن العواقب.

فكرت في ليام وكيف أنها تعرف في داخلها أنه على الأغلب يمارس الجنس مع أحد في هذه اللحظة - لعلها الفتاة ذات الشعر الأحمر من ذا بلو باروت أو ربما الفتاة الهولندية التي تقود شاحنة الزهور. فكرت في محادثة لها مع تشيلسي حيث قالت لها تشيلسي إن عليها أن تكذب بخصوص طفليها لأنه لا رجل سيقع في حب أم عزباء لها طفلان وكيف أن جيس غضبت منها لأنها في داخلها تعرف أن ما قالته صحيح على الأغلب.

فكرت في حقيقة أنه حتى لو لم يدخل مستر نيكولز السجن فلن تراه مجددًا أبدًا بعد هذه الرحلة.

وبعدها، قبل أن تفكر بجدية في أي شيء آخر، نهضت بهدوء من على الكرسي تاركةً البطانية تقع على الأرض. أخذ الأمر أربع خطوات حتى تصل إلى السرير، وترددت وأصابع قدمها ملفوفة حول السجادة المصنوعة من الأكريليك ولم تدرِ ما الذي تفعله حتى في هذه اللحظة. تعيش مرة *واحدة فقط*. بعدها كانت هناك حركة بسيطة في الظلام شبه الحالك ورأت مستر نيكولز يلتف ليواجهها عندما رفعت الغطاء ودخلت تحته.

كانت جيس وجهًا لوجه مقابله صدرها يواجه صدره وساقاها الباردتان تواجهان ساقيه الدافئتين. لم يكن هناك مكان آخر على السرير لتنام فيه والمرتبة دفعتهما أقرب لبعضهما بعضًا وحوافها عالية كأنها أعلى نقطة في جرف وراءها بإنشات. كانا قريبَين لدرجة أنه كان بإمكانها أن تستنشق بقايا رائحة عطر ما بعد الحلاقة ومعجون الأسنان الذي استخدمه. كان بإمكانها أيضًا أن تشعر بصدره يعلو ويهبط وقلبها ينبض مرتبكًا مقابل قلبه. رفعت رأسها قليلًا لتقرأ وجهه. وضع ذراعه اليمنى على الغطاء بطوله وكانت ثقلًا غريبًا يقربها منه. أخذ يدها بيده الأخرى وغطاها بيده. كانت جافة وناعمة ومسافة إنشات من فمها. أرادت أن تخفض وجهها إلى مفاصل أصابعه وتتتبعها بشفتيها. أرادت أن تصل فمها بفمه وتمرر أسنانها برفق على شفته العليا الناعمة.

تعيش مرة واحدة فقط.

جلست هناك في الظلام مشلولة بشوقها وبحقيقة أنها فقط هذه المرة لم تعرف الإجابة ولم تعرف حتى السؤال.

قالت مُطلِقةً كلماتها في الظلام: «أتريد ممارسة الجنس معي؟».

ساد صمت طويل.

- هل سمعت ما...

- نعم، و.. لا.

تكلم مجددًا قبل أن تقاطعه مضيفًا: «أعتقد أن هذا سيعقد الأمور أكثر مما ينبغي».

- الأمر ليس معقدًا. كلانا شابان ووحيدان وغاضبان قليلًا. وبعد هذه الليلة لن نرى بعضنا مجددًا أبدًا.

- كيف؟

- أنت ستعود إلى لندن وتعيش حياتك في المدينة الكبيرة وأنا سأكون في الساحل أعيش حياتي هناك. لا يتوجب على هذا أن يكون بالأمر الجلل.

صمت دقيقةً.

- جيس.. لا أظن ذلك.

- أنت لست منجذبًا إليَّ.

اقشعرت من الإحراج متذكرةً فجأة ما قاله عن زوجته السابقة. كانت لارا عارضة أزياء. بربك. لكن حتى وهي تتحرك لتبتعد عنه أغلق يده على يدها بقوة. كان صوته في أذنها قريبًا للهمس.

- أنتِ جميلة.

انتظرت، داعب إبهامه باطن كفها.

- إذًا.. لمَ لا تريد النوم معي؟

لم يقل شيئًا.

- حسنًا، إليك ما في الأمر. لم أمارس الجنس منذ ثلاثة أعوام، وأحتاج أن أعود لركوب الحصان نوعًا ما. وأعتقد أنه -أنك- ستكون رائعًا.

- تريدينني أن أكون حصانًا.

- ليس بالضبط. أريد حصانًا مجازيًّا.

- والآن ها قد عدنا للمجازات المحيرة.

- انظر، امرأة تقول إنك تجدها جميلة تعرض عليك جنسًا بلا شروط. لا أفهم المشكلة.

- لا يوجد شيء اسمه جنس بلا شروط.

- ماذا؟

- دائمًا ما يريد أحد شيئًا.

- لا أريد أي شيء منك.

شعرت به يهز كتفيه.

- لا تريدين شيئًا الآن، لكن فيما بعد.

- واو.

التفَّت لتواجه الجانب الآخر.

- آذتك جدًّا، صحيح؟

- أنا فقط...

مررت جيس قدمها بطول ساقه.

- أتعتقد أنني أحاول استدراجك بسحري الأنثوي؟ سحري الأنثوي وملاءة من النايلون وفطيرة مع البطاطس؟

تخللت أصابعها المسافة بين أصابعه وتركت صوتها ينخفض إلى همس. شعرت أنها امرأة حرة متهورة. ظننت أنه قد يغمى عليها من قوة رغبتها فيه في تلك اللحظة.

- لا أبحث عن علاقة يا إد. لا معك ولا مع غيرك. ليس في حياتي مكان للـ «واحد زائد واحد» هذا.

رفعت رأسها ليكون فمها مسافة إنشات من فمه. تكاد تتذوق حلاوة معجون الأسنان في أنفاسه.

- ظننت أن هذا واضح.

أبعد فخذيه عنها مسافة صغيرة محرجة.

- أنتِ.. مقنعة بدرجة هائلة.

- وأنت...

لفت ساقها حوله تضمه إليها. صلابته جعلتها متحمسة لثانية.

ازدرد.

كانت شفتاها على بُعد مليمترات من شفتيه. كل الأعصاب في جسدها تركزت بطريقة ما في جلدها، أو ربما كان جلده، لم يعد بإمكانها التمييز.

- إنها الليلة الأخيرة. تعرف.. يمكنك أن توصلنا غدًا ولن نرى بعضنا بعضًا أبدًا من جديدة. في أسوأ الأحوال يمكننا تبادل النظرات من وراء المكنسة وسأتذكر فقط أنك كنت رجلًا طيبًا اتضح أنه رجل طيب بالفعل.

تركت شفتيها تلمسان ذقنه. كان عليها بقايا خفيفة للحية. أرادت أن تعضها.

- أنت بالطبع ستتذكر هذه الليلة باعتبارها الليلة التي حظيت فيها بأعظم جنس في حياتك.

- وهذا كل ما في الأمر.

كان صوته ثقيلًا مشتتًا.

اقتربت جيس أكثر وتمتمت: «هذا كل ما في الأمر».

- كنتِ لتصحبي مُفاوِضة باهرة.

- ألا تتوقف عن الكلام أبدًا؟

اقتربت، مسافة قصيرة حتى التقت شفتاها بشفتيه. كادت ترتج لحظتها. شعرت بضغط فمه على فمها كأنه صعقة كهربائية مفاجئة عندما استسلم لها، وشعرت بحلاوته، ولم تعد تهتم بأي شيء. أرادته. احترقت بحرارة رغبتها فيه.

همست: «عيد ميلاد سعيدًا».

رجع للوراء مسافة صغيرة. شعرت، لا، رأت إد نيكولز ينظر إليها. كانت عيناه سوداوَين لا قرار لهما في الظلمة. حرك يده وارتجفت رجفة صغيرة لا إرادية عندما لامست يده معدتها.

قال بصوت هادئ: «اللعنة. اللعنة اللعينة».

أنَّ ثم أضاف: «بجدية، ستشكرينني على هذا غدًا».

وانتزع نفسه برفق منها ثم نهض من السرير وذهب إلى الكرسي وجلس عليه وبعد أن تنهد تنهيدة عميقة، غطى نفسه بالبطانية وأولاها ظهره.

إد

ظن إد نيكولز أن تمضية ثماني ساعات في موقف سيارات رطب لهي أسوأ طريقة تمضي بها ليلة، وبعدها توصل إلى أن أسوأ طريقة تمضي بها ليلة هي وأنت تتقيأ أمعاءك في كرافان ثابت في مكان ما بالقرب من داربي. كان مخطئًا في المرتين. اتضح أن أسوأ طريقة لتمضية ليلة هي أن تكون في غرفة صغيرة بعيدًا مسافة بضعة أقدام من امرأة جميلة سكرانة قليلًا أرادت أن تنام معك وأنت، كالأحمق، رفضتها.

نامت جيس، أو على الأقل تظاهرت بأنها نائمة، كان من المستحيل أن يعرف. جلس إد على أكثر كرسي غير مريح في العالم محدقًا إلى السماء الداكنة المضاءة بنور القمر من الفجوة الصغيرة بين الستائر وقدمه اليمنى لا يصلها الدم وقدمه اليسرى متجمدة من البرد حيث لا مكان لها تحت البطانية وحاول ألا يفكر في حقيقة أنه لو لم يقفز خارجًا من السرير لكان هناك الآن ملتفًّا حول جيس ويداها حول عنقه وشفتاها على جلده وقدماها الممشوقتان ملفوفتان حول...

لا.

قال لنفسه إنه لقد تصرف التصرف الصائب. توجب عليه فعل هذا. حياته معقدة بما فيه الكفاية دون أن يضيف إليها عاملة تنظيف متهورة وعائلتها الغريبة (كره نفسه لأنه ترك كلمة «عاملة تنظيف» تظهر في أفكاره). حتى وجيس التي كانت ساكنة في تلك اللحظات الأخيرة وشعر بدماغه يبدأ بالذوبان في الإحساس حاول أن يستخدم المنطق ويطبقه على هذا الوضع واستنتج مستخدمًا ما تبقى من خلايا مخه التي ما زالت تعمل أنه لن ينتهي على خير. قد يحدث (أ) أن يكون الجنس بينهما مريعًا ويشعرا بالخزي بعدها وتمضي الساعات الخمس وصولًا إلى الأولمبياد ثقيلة مؤذية، أو (ب) سيكون الجنس

لا بأس به وسيستيقظان محرجَين وستكون الرحلة في هذه الحالة أيضًا ثقيلة مؤذية. أو الأسوأ (ج) سيكون الجنس مذهلًا (لديه شك بسيط أن هذه هي الإجابة الصحيحة). ستنمو مشاعرهما تجاه بعضهما بعضًا بفعل الانجذاب الجنسي والتناغم بينهما وبعدها يمكن أن... (د) سيكون عليهما التعود على عدم وجود أي قواسم مشتركة بينهما وأنهما غير مناسبَين لبعضهما بعضًا بأي شكل من الأشكال، أو (هـ) سيكتشفان أنهما ليسا غير متناسبَين تمامًا، لكنه سيذهب إلى السجن بعدها. وهذه الاحتمالات كلها لا تأخذ بعين الاعتبار (و) جيس لديها طفلان. طفلان يحتاجان إلى استقرار في حياتهما وليس شخصًا مثله يحب فكرة الأطفال، لكنه يحبهما بالقدر نفسه الذي يحب به جنوب القارة الهندي، بمعنى أنه من اللطيف معرفة وجوده لكنه لا يعلم عنه أي شيء ولم يشعر قط بأي رغبة حقيقية ليمضي وقتًا هناك.

وهذا كله دون إضافة العامل (ز): أنه سيئ بشكل واضح في العلاقات وخرج لتوه من علاقتين يضرب بهما المثل في السوء ولا يتخيل أحد ما هو أسوأ منهما، واحتمالات أن تكون علاقته جيدة مع امرأة أخرى بناءً على رحلة طويلة بالسيارة بدأت لأنه لم يجد طريقة للتنصل منها قليلة للغاية.

كما أن استعارة الحصان كانت، إحقاقًا للحق، غريبة.

وهذه النقاط كلها يمكن أن يضاف لها احتمالات جنونية لم يفكر فيها حتى. ماذا لو كانت جيس مجنونة وكلامها كله عن عدم رغبتها في علاقة كان فقط لاستدراجه. لم تبدُ كهذا النوع من الفتيات. بالتأكيد.

لكن ديانا هي الأخرى لم تبدُ كهذا النوع من الفتيات.

جلس إد يفكر في هذا وفي أمور متشابكة أخرى متمنيًا أن يتحدث في شيء واحد منها ويحله مع رونان، إلى أن تلونت السماء بالبرتقالي ثم الأزرق النيون وبعدها فقد الإحساس بساقه تمامًا وآثار ما بعد الشراب التي شعر بها سابقًا كضغط على صدغيه أصبحت الآن صداعًا قويًا يسحق رأسه. حاول إد ألا ينظر إلى الفتاة النائمة في السرير على بعد بضعة أقدام والخطوط العريضة لوجهها وجسدها تحت الغطاء تزداد وضوحًا باقتراب الضوء.

وحاول ألا يشعر بالحنين إلى وقت كانت ممارسة الجنس مع امرأة تعجبك متمحورة فقط حول ممارسة الجنس مع امرأة تعجبك، ولم تتضمن سلسلة من معادلات شديدة التعقيد وغير محتملة لدرجة أنه على الأغلب لن يفهمها أحد إلا تانزي.

- هيا، سنتأخر.

وجهت جيس نيكي -الذي بدا كأنه زومبي شاحب يرتدي تيشيرتًا- إلى السيارة.

- لم أتناول الإفطار.

- هذا لأنك لم تنهض عندما أيقظتك. سنحضر لك شيئًا في الطريق. تانز. تانزي؟ هل قضى الكلب حاجته؟

تلبدت سماء الصباح بلون الحبر وشعروا كأنها نزلت إلى نقطة عند آذانهم. الأمطار الخفيفة بشرت بأمطار غزيرة تالية. جلس إد في كرسي السائق بينما راحت جيس وجاءت تنظم وتؤنب وتعد كشعلة نشاط. كانت هكذا منذ استيقظ ناعسًا مما أحس أنه نوم مدته عشرون دقيقة، تطوي وتضع الأشياء في الحقائب وتنزلها إلى الأسفل وتشرف على الإفطار. لم يعتقد أن عينيها التقتا بعينيه ولو مرة. ركبت تانزي في الكنبة الخلفية بصمت.

- هل أنتِ بخير؟

تثاءب ونظر إلى الفتاة الصغيرة في المرآة الخلفية.

أومأت صامتة.

- توتر؟

لم تقل شيئًا.

- أتقيأتِ؟

أومأت.

- إنها الموضة هذه الرحلة. ستؤدين بشكل رائع. حقًّا.

نظرت إليه بالطريقة نفسها التي كان لينظر بها إلى أي شخص كبير لو قال الشيء نفسه ثم التفتت لتنظر من النافذة بوجه مدور شاحب وعينين بنفسجيتين من الإرهاق. تساءل إد كم سهرت تُراجع.

- حسنًا.

أدخلت جيس نورمان ووضعته على الكنبة الخلفية. أتت مع نورمان رائحة كلب مبتل نفاذة. تأكدت جيس من أن تانزي ربطت حزامها وركبت في الكرسي الأمامي والتفتت إلى إد أخيرًا. لم يتمكن من قراءة تعابير وجهها.

- لننطلق.

لم تعد سيارة إد إلى ما كانت عليه. في ثلاثة أيام فقط أصبح أثاث السيارة الكريمي الذي لا تشوبه شائبة مبقعًا ببقع وروائح جديدة ورشة من شعر الكلب وسترات وأحذية استقرت على المقاعد أو حُشرت تحتها. الأرضية تصدر أصواتًا بفعل أوراق تغليف الحلوى والبطاطس، ومحطات الراديو لم تعد مألوفة.

لكن شيئًا قد حدث بينما كان يقود بسرعة أربعين ميلًا في الساعة. الإحساس الضعيف بأن عليه أن يكون في مكانٍ آخر تلاشى تدريجيًّا دون أن يعي حدوث هذا تقريبًا. (توقف عن محاولة توقُّع ما سيحدث تاليًا وترقب المكالمة التالية خائفًا وتوقف عن التساؤل إذا ما كان أي احتمال أن ديانا لويس لن تحاول إيقاعه معها.. وبدأ فقط يعيش). قاد إد نيكولز ميلًا بعد ميل في ضباب الصباح الباكر ببطءٍ كافٍ ليلاحظ المعالم والتغييرات البسيطة في الأرض من حوله والحيوات المحيطة في بلدات تجارية صغيرة ومدن هائلة. وجد نفسه ينظر إلى الناس وهم يمشون ويشترون الطعام ويقودون سياراتهم ويوصلون أطفالهم إلى المدرسة في عوالم مختلفة تمامًا عن عالمه غير مدركين لمأساته التي تحدث على بعد بضع مئات الأميال جنوبًا. جعل هذا كل شيء يتضاءل فتحولت مشكلاته إلى قرية صغيرة بدلًا من عملاق ينظر إليه من علو.

تابع القيادة، وبغض النظر عن الصمت الجاد من المرأة بجانبه ووجه نيكي النائم منعكس في المرآة الخلفية (شرحت له تانزي: «لا يمكن للمراهقين الاستيقاظ قبل الحادية عشرة») ومفاجآت الروائح الكريهة المنبعثة من الكلب فقد أتى الإدراك بطيئًا إليه أنه يشعر بغياب تام للراحة التي توقع أن يشعر بها لفكرة أن يسترجع سيارته، وحياته كلها، له وحده. عبث إد بمكبرات الصوت حتى تكون الموسيقى أعلى في الكنبة الخلفية وصامتة مؤقتًا في الأمام.

- هل أنتِ بخير؟

لم تنظر إليه.

- أنا بخير.

نظر إد خلفه ليتأكد أن أحدًا لا يستمع.

- بخصوص ما حدث ليلة أمس...

- انسَ الموضوع.

أراد أن يخبرها أنه نادم. أراد أن يخبرها أن جسده تألم بسبب المجهود الذي بذله حتى لا يعود إلى السرير الصغير ذي المرتبة المتهالكة، لكن ماذا كان سيستفيد من هذا؟ كما قالت الليلة الماضية فهما شخصان ليس لديهما أي سبب ليريا بعضهما بعضًا من جديد بعد هذا.

- لا يمكنني أن أنسى الأمر. أريد أن أشرح...

- لا داعي للشرح. كنت محقًّا، كانت فكرة غبية.

جلست فوق ساقيها وأشاحت بنظرها عنه موجهةً إياه نحو النافذة.

- الموضوع أن حياتي فقط...

- حقًّا لسيت مشكلة، أنا فقط...

زفرت.

- أريد فقط أن أتأكد أننا سنصل إلى الأولمبياد في موعدنا.

- لكنني لا أريد أن ينتهي بنا الأمر هكذا.

- لا يوجد أمر لينتهي.

وضعت قدميها على لوحة القيادة. بدا هذا كأنها ترسل رسالة.

- لنذهب.

ظهر وجه تانزي بين المقعدين الأماميين وسألت: «كم ميلًا إلى آبردين؟».

- ماذا؟ كم تبقى لنا يعني؟

- لا، من ساوثهامبتون.

أخرج إد هاتفه من الجاكيت وأعطاها إياه.

- ابحثي في تطبيق الخرائط.

ضغطت على الشاشة وانعقد حاجباها.

- قرابة خمسمئة وثمانين؟

- تقريبًا.

- إذًا لو قدنا بسرعة أربعين ميلًا في الساعة لتوجب علينا أن نقود ست ساعات يوميًّا، ولو لم أمرض لكان بإمكاننا الوصول في...

- يوم واحد تقريبًا.

- يوم واحد.

هضمت تانزي المعلومة وعيناها على التلال الاسكتلندية أمامهم.

- لكننا حينها لم نكن لنقضي وقتًا ممتعًا كما فعلنا، صحيح؟

نظر إد إلى جيس بجانبه.

- لا، لم نكن لنقضي وقتًا ممتعًا.

استغرق الأمر جيس لحظةً قبل أن تنظر إليه.

ردت جيس بعدها بدقيقة وفي ابتسامتها حنين غريب: «لا يا حبيبتي، لم نكن لنقضي وقتًا ممتعًا».

قطعت السيارة أميالًا بنعومة وكفاءة. عبروا الحدود الاسكتلندية وحاول إد -وفشل- جعلهم يهللون. توقفوا مرة لتذهب تانزي إلى الحمام ومرة أخرى بعد عشرين دقيقة لنيكي (ليس ذنبي، لم أحتج إلى الحمام عندما احتاجت إليه تانزي) وثلاث مرات لنورمان (مرتان منها كان الأمر إنذارًا كاذبًا). جلست جيس صامتة بجانبه تنظر في ساعتها وتقضم أظافرها. كانت ما تزال مرتديةً شبشبها، وعبر بذهنه تساؤل عما إذا كانت قدماها باردتين. نظر نيكي ناعسًا من نافذته إلى المساحات الفارغة المحيطة بهم والبيوت التي تشبه إسكان الشرطة على التلال الممتدة. تساءل إد ماذا سيحدث له بعد أن ينتهوا مما يفعلونه، أراد أن يقترح عليه خمسين شيئًا آخر لمساعدته، لكنه حاول تخيل شخص ينصحه وهو في عمر نيكي وخمن أنه لم يكن ليهتم على الإطلاق. تساءل كيف ستبقيه جيس آمنًا عندما يعودون إلى المنزل.

رن هاتفه ونظر إليه جزعًا.

- لارا.

- إدواردو، حبيبي. أحتاج إلى أن أتحدث معك بشأن موضوع السطح.

أحس بجمود جيس المفاجئ ونظرتها السريعة تجاهه. تمنى فجأة لو أنه لم يرد على هذه المكالمة.

- لن أتحدث في هذا الموضوع الآن يا لارا.

- ليس المبلغ كبيرًا. تحدثت مع محاميَّ ويقول إنه بإمكانك دفعه ببساطة.

- أخبرتكِ سابقًا يا لارا أننا سوينا نفقتك.

فجأة أصبح واعيًا بالسكون التام للأشخاص الثلاثة في السيارة.

- إدواردو، حبيبي، أحتاج إلى أن نحل هذا الموضوع.

- لارا...

قبل أن يتمكن من قول المزيد أخذت جيس الهاتف لتتكلم.

- مرحبًا يا لارا، معكِ جيس. أنا في غاية الأسف لكن لا يمكنه دفع تكاليف إصلاح سطحكِ فلا داعي للاتصال به بعد الآن.

ساد صمت قصير تبعه انفجار لارا على الخط.

- من معي

- زوجته الجديدة، صحيح، ويريد أن تردي له لوحة الرئيس ماو. يمكنكِ أن تتركيها مع محاميه لو سمحتِ، اتفقنا؟ عندما يكون لديكِ الوقت. شاكرون جدًّا لكِ.

الصمت الذي كان مثل الصمت الذي يسبق انفجارًا نوويًّا، لكن قبل أن يسمع أيٌّ منهم ما سيحدث تاليًا أنهت جيس المكالمة وأعطته الهاتف.

- شكرًا... أعتقد؟

- عفوًا.

لم تنظر إليه وهي تتكلم.

نظر إد إلى مرآته الخلفية. لم يكن متأكدًا لكنه اعتقد أن نيكي يحاول جاهدًا ألا يضحك.

أبطؤوا ثم توقفوا في مكان ما بين إدنبرة ودَندي على طريق خشبي ضيق ليعبر قطيع من الأبقار الطريق. تحركت الحيوانات حول السيارة ناظرةً إلى ركابها بشيء من الفضول كبحر أسود متحرك وعيون تدور في رؤوس سوداء كثيفة كالصوف. حدق نورمان إليها وجسده متصلب بغضب حائر صامت. خلعت تانزي نظارتها وفركت عينيها ناظرةً إليها نصف عمياء.

قال نيكي: «برجر آنجوس آبردين».

فجأة ودون سابق إنذار دفع نورمان جسده كله يرغي ويزبد ويزمجر عند النافذة، تحركت السيارة إلى جانب واحد وترددت أصداء نباحه العالي داخل

السيارة تزداد علوًا في المساحة المغلقة. أصبحت الكنبة الخلفية كتلة من الأذرع والضوضاء والكلب المتحرك. تدافعَ نيكي وجيس محاولَين الوصول إليه.

- ماما!

- نورمان! توقف!

كان الكلب فوق تانزي ووجهه ملتصق بالنافذة. كان بإمكان إد تمييز سترتها الوردية تتحرك تحته.

هاجمت جيس الكلب من فوق مقعدها لتمسك بطوقه. جروا نورمان بعيدًا عن النافذة. أنَّ بصوتٍ عالٍ هستيري محاولًا الإفلات منهم ولعابه يتطاير داخل السيارة.

- نورمان أيها الأحمق الكبير! ماذا...

- لم يرَ بقرة من قبل.

حاولت تانزي أن تعتدل وتقف، دائمًا تدافع عنه.

- بربك يا نورمان.

- هل أنتِ على ما يرام يا تانز؟

- أنا بخير.

استمرت الأبقار في الانقسام حول السيارة غير مبالية بما فعله الكلب. كان يمكنهم رؤية الفلاح الذي يعتني بها من النافذة، التي أصبحت الآن مغطاة بالبخار، يمشي ببطء وثبات في مؤخرة القطيع بإيقاع أبقاره نفسه. أومأ إليهم إيماءة بسيطة وهو يمر كأنه ليس مستعجلًا على الإطلاق. أنَّ نورمان وحاول أن يهرب من طوقه.

عدلت جيس شعرها وزفرت الهواء من فمها.

- لم أره هكذا من قبل. لعله شم رائحة اللحم.

- لم أتوقع أن بإمكانه فعل هذا.

- نظارتي.

أمسكت تانزي قطعة المعدن التي انثنت.

- نورمان كسر نظارتي يا ماما.

كانت الساعة العاشرة والربع.

- لا يمكنني رؤية أي شيء دون نظارتي.

نظرت جيس إلى إد، اللعنة.

- حسنًا. أمسكي بكيس بلاستيكي، سيجب عليَّ أن أسرع.

قادوا بسرعة نصف متجمدين والرياح تهاجمهم من النوافذ المفتوحة، توقِفهم عن الكلام بصوتها العالي. الطرق الاسكتلندية كانت واسعة وفارغة، وقاد إد بسرعة جعلت برنامج تحديد المواقع يغير تقديره للوقت المتبقي بصفة مستمرة. كل دقيقة كسبوها من الوقت كانت تعادل لكمة على رأسه من الهواء. تقيأت تانزي مرتين. رفض أن يتوقف ليسمح لها بأن تتقيأ على الطريق.

- إنها مريضة جدًّا.

ظلت تانزي تقول ووجهها داخل الكيس البلاستيكي: «أنا بخير. حقًّا».

- ألا تريدين أن نتوقف يا حبيبتي؟ فقط لوقت قصير؟

- لا، لنستمر. أعععهه.

لم يكن لديهم وقت ليتوقفوا، ليس أن هذا جعل الرحلة أسهل للتحمل. أشاح نيكي بوجهه عن شقيقته ويده تغطي أنفه. حتى رأس نورمان كان خارجًا يقترب من الهواء المنعش بقدر المستطاع.

قاد إد السيارة كأنه في إعلان سيارة فاخرة مسرعًا في الطرقات الفارغة حول قاعدة التلال والرياح تحيط بهم. تحركت السيارة على الطرق الزلقة كأنها صُنعت لهذا. نسي أنه يشعر بالبرد وأن داخل السيارة شبه مدمر وأن حياته كارثة. كان هناك لحظة في ذلك المنظر الخلاب حيث ركز بكيانه كله على القيادة بأسرع وأأمن ما يمكن، وكان لهذا إحساس التجارب الروحانية نفسه. تجربة روحانية لا يقاطعها إلا صوت طفلة تتقيأ في كيس بلاستيكي جديد.

سيصل بهم إلى هناك، يعلم هذا علم اليقين، شعر بأنه مدفوع بغاية لم يختبرها منذ شهور. وعندما لاحت آبردين قريبة أخيرًا، مبانيها كبيرة ورمادية وناطحات السحاب الحديثة تقطع السماء بدأت أفكاره تجري في

عقله سابقة إياهم، اتجه لوسط المدينة وشاهد الطريق يضيق ويتحول إلى شوارع حجرية. عبروا المواني والسفن العملاقة على يمينهم، وفي هذا المكان تباطأت الحركة، بشكل لا يمكن إيقافه، بدأت ثقته بنفسه تهتز.

أبطؤوا ثم جلسوا في صمت يزداد توترًا بمرور الوقت وإد يبحث عن طرق أخرى عبر آبردين ويجد أنها لا توفر لهم وقتًا، وفي غالب الوقت غير منطقية. بدأ جهاز تحديد المواقع يعمل ضده مضيفًا الوقت الذي كان سابقًا قد اختصره. كانوا على بعد خمس عشرة ثم تسع عشرة ثم اثنتين وعشرين دقيقة من مبنى الجامعة. خمس وعشرين. وقت أكثر مما لديه.

- لمَ العَطلة؟

لم تُوجه جيس كلامها لشخص بعينه. عبثت بأزرار الراديو محاولةً أن تجد تقريرًا مروريًا.

- لمَ نحن متوقفون؟

- كثافة الحركة المرورية.

علق نيكي: «هذا تعبير سخيف. بالتأكيد التكدس المروري سببه كثافة الحركة المرورية، وهل هناك سبب آخر؟».

قالت تانزي: «يمكن أن يكون السبب حادثًا، لكن الزحام سيكون سببه التكدس المروري في النهاية. إذًا المشكلة هي كثافة الحركة المرورية».

- لا، كمية السيارات التي تبطئ بنفسها هي مشكلة مختلفة تمامًا.

- لكن النتيجة واحدة.

- لكن هذا وصف غير دقيق.

نظرت جيس إلى جهاز تحديد المواقع.

- هل نحن في المكان الصحيح؟ لم أكن لأخمن أن الجامعة قريبة من الميناء.

- علينا أن نعبر الميناء لنصل إلى الجامعة.

- هل أنت متأكد؟

حاول إد تحجيم الغضب في صوته وقال: «متأكد يا جيس. انظري إلى جهاز تحديد المواقع».

تبع كلامه صمت قصير. أمامهم تغيرت ألوان إشارات المرور في دورتين كاملتين ولم يتحرك أحد. على الجانب الآخر، لم تتوقف جيس عن الحركة مهتزةً في مقعدها وناظرةً حولها لترى إذا ما كان هنالك طريق غير مزدحم لم يلاحظوه. لم يلُمها، كان لديه الشعور نفسه.

تمتم موجهًا كلامه لجيس بعد رابع دورة لإشارة المرور: «لا أعتقد أنه سيكون أمامنا متسع من الوقت لشراء نظارة جديدة».

- لكنها لا تستطيع الرؤية دونها.

- لو بحثنا عن صيدلية فلن نصل قبل نصف اليوم.

عضت شفتها والتفت في كرسيها.

- تانز؟ هل يمكنكِ أن تري من خلال العدسة غير المكسورة؟ حتى ولو قليلًا؟

خرج وجه أخضر شاحب من الكيس البلاستيكي وقال: «سأحاول».

توقفت الحركة المرورية وتعطلت. سكتوا وازداد التوتر في السيارة. عندما أنَّ نورمان صاحوا فيه بقلب رجل واحد: «اصمت يا نورمان!».

شعر إد بضغط دمه يرتفع حتى وثقل مسؤولية إيصالهم يزداد. لمَ لم يتحركوا أبكر بنصف ساعة؟ لمَ لم يخطط لهذا بشكل أفضل؟ ماذا سيحدث لو فوتوا الميعاد؟ نظر إلى جانبه حيث كانت جيس تنقر على ركبتها متوترة وخمن أنها تفكر فيما يفكر. بعدها، فجأة وبشكل غير مفهوم كأن الآلهة تتلاعب بهم، انفض الزحام.

طار بالسيارة في الشوارع المبلطة وجيس تصيح: «هيا! هيا!»، مائلةً على لوحة القيادة كأنها سائس يقود عربة بحصان. لف السيارة بعنف وهو يأخذ المنعطفات، يكاد يكون أسرع مما يمكن لجهاز تحديد المواقع الذي بدأ يتعطل بالفعل العمل معه ودخل الحرم الجامعي على عجلتين متبعًا اللافتات الصغيرة الموضوعة على عواميد عشوائية كيفما اتفق إلى أن وجد مبنى داونز، وهو مجمع مكتبي منهك من السبعينيات له اللون الرمادي الجرانيتي نفسه ككل شيء آخر.

توقفت السيارة في مكان للسيارات أمام المبنى مُصدرة صريرًا، وتوقف كل شيء. زفر إد نفسًا طويلًا ونظر إلى الساعة. كانت الساعة الثانية عشرة إلا ست دقائق.

- فعلناها؟

- فعلناها.

بدت جيس مشلولة فجأة كأنها لا تصدق أنهم هنا بالفعل. فكت حزامها وحدقت إلى موقف السيارات والأولاد الذين يتمشون كأن معهم كل الوقت في العالم، بعضهم يقرأ على أجهزة إلكترونية والآخرون مصحوبون بأولياء أمورهم المتوترين.

- ظننت أنها ستكون.. أكبر

نظر نيكي إليها عبر المطر الرمادي الكئيب.

- أكيد، لأن الرياضيات المتقدمة شعبية جدًّا.

قالت تانزي: «لا يمكنني أن شيئًا».

- اسمعوا. ادخلوا أنتم وسجلوا، وأنا سأحضر لها نظارات.

التفتت جيس إليه وقالت: «لكنها لن تكون النظارات الصحيحة».

- سأحلها، فقط اذهبوا، هيا.

كان بوسعه رؤيتها تنظر إليه وهو خارج من موقف السيارات عائدًا إلى مركز المدينة.

استغرقه الأمر سبع دقائق وثلاث محاولات ليجد صيدلية كبيرة كفاية لتتوفر فيها نظارات للقراءة. توقف إد بشكل مفاجئ لدرجة أن نورمان اندفع للأمام واصطدم رأسه الضخم بكتفه. اعتدل في مقعده متذمرًا.

- ابقَ هنا.

أمره إد ثم ركض إلى الداخل.

كانت الصيدلة فارغة اللهم إلا من وجود امرأة عجوز مع سلة وموظفَين يتهامسان. توقف، تحرك سريعًا بين الرفوف مارًّا بالفوط والمنتجات الصحية النسائية وفرش الأسنان وضمادات أصابع الأقدام ومجموعات هدايا عيد الميلاد التي كان عليها تخفيضات إلى أن وجد ما يبحث عنه أخيرًا عند الكاشير. اللعنة. لمَ لم يتأكد إذا ما كانت تعاني قصر النظر أم طول النظر؟ سحب هاتفه ليتصل ويسأل ثم تذكر أنه لا يعرف رقم جيس.

- اللعنة، اللعنة، اللعنة.

وقف إد في مكانه يحاول التخمين. بدت نظارات تانزي قوية، ولم يرها قط دونها. أيعني هذا أن احتمالية كونها قصيرة النظر أكبر؟ أن يكون معظم الأطفال في الغالب قصار النظر؟ وحدهم الكبار يبعدون عنهم الأشياء ليقرؤوها، هذا يبدو صحيحًا. تردد قرابة عشر ثوانٍ وبعد لحظة لم يتمكن فيها من اتخاذ قرار أخذ كل النظارات المعروضة الموجهة لقصار أو طوال النظر والقوية منها والضعيفة ووضعها على الكاونتر في كومة بلاستيكية شفافة.

أوقفت الفتاة حديثها مع السيدة العجوز. نظرت إلى كومة النظارات ثم رفعت عينيها إليه. رآها إد تلاحظ اللعاب على ياقته وحاول أن يمسحه خلسةً بكُمه ونجح في نقله إلى مقدمة سترته.

- كلها. سآخذها كلها، لكن فقط إذا حضرتِ الفاتورة في أقل من ثلاثين ثانية.

نظرت إلى مديرها الذي حدق إلى إد بقوة ثم أومأ إيماءة بسيطة. دون قول كلمة بدأت الفتاة تمرر المشتريات لتجهز الفاتورة واضعةً كل زوجين في حقيبة مستقلة.

- لا، ليس لدينا وقت لهذا. فقط ضعيها كلها في حقيبة واحدة.

أخذها منها ووضعها في علبها البلاستيكية.

- ألديك بطاقة خصم للصيدلية؟

- لا، ليس لدي بطاقة خصم.

- لدينا عرض ثلاثة بسعر اثنين على بسكويت الحمية. أتريد...

أسرع إد ليمسك النظارات التي وقعت من على الكاونتر وقال: «لا بسكويت للحمية ولا عروض. شكرًا لكِ».

- حساب حضرتك مئة وأربعة وسبعون جنيهًا.

نظرت وراءها في تلك اللحظة كأنها تتوقع أن يظهر طاقم تصوير الكاميرا الخفية، لكن إد كتب رقمه السري وأخذ الحقيبة وركض إلى السيارة. وهو خارج سمع أحدًا يقول بلكنة اسكتلندية ثقيلة: «بلا أخلاق».

لم يكن هناك أحد في موقف السيارات عندما عاد. ركن السيارة أمام الباب تاركًا نورمان يتسلق الكنبة الخلفية منهكًا وجرى للداخل في الرواق

الطويل. كان يصيح سائلًا أي شخص يقابله: «مسابقة الرياضيات؟ مسابقة الرياضيات؟»، أشار له رجل إلى لافتة دون أن يقول شيئًا. صعد الدرجات درجتين درجتين وعبر رواقًا آخر ووجد صالة انتظار. جلس رجلان خلف مكتب وفي الجانب الآخر من الغرفة وقفت جيس مع نيكي. تحركت جيس آتية إليه.

- أحضرتها؟

رفع الكيس منتصرًا. انقطع نفسه لدرجة أنه بالكاد استطاع أن يتكلم.

- لقد دخلت. بدؤوا المسابقة.

نظر إلى الساعة وهو يلهث. كانت الساعة الثانية عشرة وسبع دقائق.

قال للرجل الذي كان يجلس على المكتب: «معذرة، أريد أن أعطي فتاة هناك نظارتها».

نظر الرجل إلى الأعلى ببطء. نظر إلى الحقيبة البلاستيكية التي حملها إد أمامه.

اتكأ إد على المكتب مباشرة، ودفع الكيس تجاهه.

- كسرت نظاراتها في الطريق إلى هنا. لا تستطيع أن ترى دونها.

- أنا آسف يا سيدي، لا يمكنني السماح لأي شخص بالدخول الآن.

أومأ إد.

- تستطيع. نعم تستطيع. اسمع، أنا لا أحاول الغش أو إدخال أي شيء خلسة. لم أكن أعرف نوع نظارتها، لذا اضطررت إلى شراء كل الأنواع. يمكنك التحقق منها، كلها. انظر، لا رموز سرية. مجرد نظارات.

فتح الحقيبة أمامه.

- عليك أن تأخذها إليها لتجد الزوج الذي يناسبها.

هزَّ الرجل رأسه ببطء.

- يا سيدي، لا يمكننا السماح لأي شيء بتعطيل الآخريـ...

- نعم. نعم تستطيع. إنها حالة طارئة.

- هذه هي القواعد.

نظر إد إليه بصرامة لعشر ثوانٍ كاملة. ثم اعتدل ووضع يده على رأسه ومشى مبتعدًا عنه. كان يشعر بضغط جديد بداخله كغلاية تهتز على لوح تسخين.

- أتعرف شيئًا؟

التف لينظر إليه

- لقد استغرقنا الأمر ثلاثة أيام وليال كاملة للوصول إلى هنا. ثلاثة أيام امتلأت فيها سيارتي الجميلة بالقيء، وفعل كلب أشياء لا أجرؤ على ذكرها لأثاث سيارتي، أنا لا أحب الكلاب حتى. لقد نمت في سيارة مع شخص يعد غريبًا، ولا أعني نمت بالمعنى الجيد. لقد مكثت في أماكن لا يجب على أي إنسان أن يبقى فيها وأكلت تفاحة كانت أسفل البنطلون الضيق لصبي مراهق وكبابًا يحتوي على ما قد يكون لحمًا بشريًّا على حد علمي. لقد تركت أزمة شخصية هائلة في لندن وسافرت خمسمئة وثمانين ميلًا مع أشخاص لا أعرفهم -أناس طيبون جدًّا- لأنه حتى أنا كان بإمكاني رؤية أن هذه المنافسة كانت مهمة جدًّا بالنسبة إليهم، ضرورة قصوى. لأن كل ما تهتم به تلك الفتاة الصغيرة هو الرياضيات، وإذا لم تحصل على زوج من النظارات التي يمكنها أن ترى به فلن تكون لها فرصة عادلة للمنافسة في مسابقتكم، وإذا لم تتوفر لها فرصة منافسة عادلة فسوف تضيع فرصتها الوحيدة في الالتحاق بالمدرسة التي تحتاج حقًّا الالتحاق بها. وإذا حدث ذلك، أتعلم ماذا سأفعل؟

حدق الرجل إليه.

- سأدخل إلى غرفتك تلك وسوف أمشي بجانب كل ورقة رياضيات وسأمزقها إلى قطع صغيرة جدًّا. وسأفعل ذلك بكفاءة وسرعة عالية قبل أن تُتاح لك فرصة استدعاء حراس الأمن. أتعرف لمَ سأفعل هذا؟

ازدرد الرجل.

- لا.

- لأنه يتعين على سعينا أن يثمر عن شيء.

رجع إد واقترب منه.

- يتعين عليه أن يكون مثمرًا، ولأنني الآن، تحديدًا في هذه اللحظة بالذات، أشعر حقًّا أنه لم يبقَ لدي ما أخسره.

حدث شيء لوجه إد، يمكنه الشعور بهذا، بالطريقة التي تحول وتحور إلى أشكال لم يشعر بها من قبل. كان بإمكانه رؤيته في كيف يحدق إليه الرجل وكان يشعر به في الطريقة التي تقدمت بها جيس ووضعت يدها على ذراعه بنعومة وناولت الرجل كيس النظارات.

قالت جيس بهدوء: «سنكون حقًّا في غاية الامتنان إذا أخذت لها النظارات».

وقف الرجل وتحرك حول المكتب متجهًا إلى الباب ومُبقيًا عينيه على إد طيلة الوقت.

- س ما يمكنني فعله.

أغلق الباب وراءه برفق.

مشوا إلى السيارة في صمت لا يلاحظون المطر. أخذت جيس الأكياس من صندوق السيارة. وقف نيكي جانبًا ويداه داخل جيبَي بنطلونه الجينز لأعمق نقطة تصلان إليها، ولأن بنطلونه ضيق فلم تكن أعمق نقطة بكل هذا العمق.

- حسنًا، لقد نجحنا.

سمحت لنفسها بأن تبتسم ابتسامة صغيرة.

- أخبرتكِ أننا سنصل.

أومأ إد نحو السيارة.

- هل أنتظر هنا حتى تنتهي؟

جعدت أنفها.

- لا، لا عليك. لقد عطلناك بما فيه الكفاية.

شعر إد بابتسامته تتوقف قليلًا.

- أين ستنامون الليلة؟

- إذا فازت فقد أدللنا بفندق فاخر، أما إذا خسرت...

هزت كتفيها.

- محطة الباص.

قالتها بطريقة توحي بأنها لا تصدق هذا.

ذهبت إلى الباب الخلفي للسيارة. نورمان، الذي نظر إلى المطر وقرر ألا يخرج من السيارة، نظر إليها.

أدخلت جيس رأسها عبر الباب.

- نورمان، علينا الذهاب.

وُضعت كومة صغيرة من الحقائب على الأرض الرطبة خلف الأودي. أخرجت جيس جاكيتًا من الحقيبة وأعطته إلى نيكي.

- هيا، الجو بارد.

- إذًا.. هل هذا... كل ما في الأمر؟

حمل الهواء معه نفحة من ملح البحر، جعله هذا يفكر فجأة في بيتشفرونت.

- هذا كل شيء.. شكرًا لك على توصيلنا. أنا.. نحن.. كلنا ممتنون لك. وعلى النظارات. على كل شيء.

نظرا إلى بعضهما بعضًا حقًّا للمرة الأولى، وكان لديه قرابة مليار شيء يود قوله.

رفع نيكي يدًا محرجة.

- صحيح. مستر نيكولز. شكرًا.

- أوه، إليك هذا.

وضع مستر نيكولز يده في جيبه ليأخذ الهاتف الذي أحضره من درج السيارة وقذفه إلى نيكي.

- إنه هاتف احتياطي. أنا -أممم- لا أحتاج إليه بعد الآن.

التقطه نيكي بيد واحدة ونظر إليه في عدم تصديق.

- حقًّا؟

عبست جيس.

- لا يمكننا أخذه، لقد ساعدتنا بما فيه الكفاية.

- ليس بالأمر الجلل إذا لم يأخذه نيكي، فسيكون عليَّ إرساله إلى أحد أماكن إعادة التدوير. أنتما توفران عليَّ مهمة هكذا.

نظرت جيس إلى قدميها كما لوأنها ستقول شيئًا آخر، ثم نظرت إلى الأعلى ووضعت شعرها بخفة في ذيل حصان بلا هدف.

- حسنًا، شكرًا لك مجددًا.

مدت يدها نحوه. تردد إد ثم صافحها محاولًا تجاهل الذكرى المفاجئة من الليلة الماضية.

- حظًّا سعيدًا مع والدك. والغداء. وموضوع العمل ذلك، أنا متأكدة من أن كل شيء سيحل على خير. تذكر، الأشياء الجيدة تحدث.

عندما سحبت يدها بعيدًا، شعر بغرابة أنه فقد شيئًا ما. التفت ونظرت من وراء كتفها وقد أصبحت مشتتة بالفعل.

- حسنًا، لنجد مكانًا جافًّا لأغراضنا.

- انتظري

سحب إد بطاقة عمل من جاكيته وكتب رقمًا وتوجه إليها

- اتصلي بي.

واحد من الأرقام لم يكن واضحًا. رآها تحدق إليه.

- هذه ثلاثة.

عدله ووضع يديه في جيبه شاعرًا بأنه مراهق غريب الأطوار.

- أريد أن أعرف كيف تؤدي تانزي. من فضلكِ.

أومأت وتعبير وجهها غير واضح. وبعدها رحلت دافعةً الصبي أمامها مثل راعٍ شديد اليقظة. جلس يراقبهما وهما يسحبان حقائبهما الضخمة وكلبهما المتمرد المنزعج حتى مرَّا بجانب المبنى الخرساني الرمادي واختفيا.

كانت السيارة صامتة، حتى في الساعات التي لم يتحدث فيها أحد، اعتاد إد النوافذ المغطاة بالبخار البسيط والإحساس الغامض بالحركة المستمرة الذي يأتي مع بقائك في مكان مغلق مع أشخاص آخرين وصوت بينج المكتوم المنبعث من لعبة نيكي وتململ جيس المستمر. الآن حدق إلى الجزء الداخلي للسيارة إلى الشعر الأسود الطويل والآثار الشبحية من اللعاب الجاف على طول الكنبة الخلفية حيث كان نورمان يجلس، وشعر كما لو أنه يقف في منزل مهجور. رأى الفتات ولب التفاح الذي كان محشوًّا في منفضة

السجائر الخلفية والشوكولاتة الذائبة والصحيفة المطوية في ظهر المقعد. كانت ملابسه المبللة تتدلى من شماعات على النوافذ الخلفية. لقد رأى كتاب الرياضيات، نصفه مثبت على جانب المقعد الذي نسيته تانزي وهي تخرج من السيارة مسرعة وتساءل إذا ما كان عليه أخذه إليها. لكن ما الجدوى؟ فات الأوان.

فات الأوان.

جلس في موقف السيارات الرمادي الكئيب يشاهد آخر الآباء يمشون إلى سياراتهم ليمضوا الوقت بينما ينتظرون أولادهم. انحنى إلى الأمام وأراح رأسه على عجلة القيادة لبعض الوقت. وبعدها، عندما كانت سيارته الوحيدة المتبقية هناك، أدخل مفتاحه في مكانه ليشغل المحرك وبدأ أخيرًا بالقيادة.

قاد إد قرابة عشرين ميلًا قبل أن يدرك مدى تعبه. ضربه مزيج من ثلاث ليالٍ من النوم المتقطع والصداع الناتج عن الكحول ومئات الأميال من القيادة كأنه كرة قدم، وشعر بعينيه تنغلقان. رفع صوت الراديو وفتح نوافذ السيارة، وعندما فشل ذلك ركن سيارته عند مقهى على جانب الطريق ليشتري بعض القهوة.

كان نصف المقهى فارغًا رغم أنه كان وقت غداء. في أحد الأركان، قلى طاهي الوجبات السريعة شيئًا غير مرئي على صينية مُدهننة ودفع قبعته إلى الخلف على رأسه. جلس رجلان ببذلتين على طرفَي نقيض من الغرفة مشغولَين في هواتفهما وأوراقهما والجدار خلفهما يعرض ستة عشر صنفًا مختلفًا من النقانق والبيض ولحم الخنزير المقدد ورقائق البطاطس والفول. أخذ إد صحيفة من المنصة واتجه إلى طاولة. طلب القهوة من النادلة.

- أنا آسفة يا سيدي، ولكن في هذا الوقت من اليوم الطاولات للزبائن الذين يطلبون طعامًا.

- أوه، لا بأس. حسنًا، سوف أ...

شركة تكنولوجية هائلة في المملكة المتحدة متهمة بالتداول الداخلي.

حدق إلى العنوان الرئيسي على الجريدة.

- سيدي؟

- ممم؟

بدأ جلده يقشعر.

- عليك طلب بعض الطعام إن كنت تريد أن تجلس.

- أوه.

أكدت هيئة الخدمات المالية الليلة الماضية أنها تحقق مع شركة تكنولوجيا بريطانية متداولة بتهمة التداول الداخلي بقيمة ملايين الجنيهات. المفهوم أن التحقيق يجري على جانبَي الأطلسي، ويشمل بورصتَي لندن ونيويورك وSEC وهي المعادل الأمريكي لهيئة الرقابة المالية.

لم يُقبَض على أي شخص حتى الآن، لكن مصدرًا داخل شرطة مدينة لندن قال إنها «مسألة وقت».

- سيدي.

قالتها مرتين قبل أن يسمعها، نظر إلى الأعلى. امرأة شابة أنفها منمش شعرها الطبيعي منفوش في تسريحة شعر منطفئة. كانت تنتظر أمامه.

- ماذا تريد أن تأكل؟

- أي شيء.

كان لفمه قوام البودرة.

وقفة.

- أممم. هل تريدني أن أخبرك بعروض اليوم؟ أو بعض أطباقنا الأكثر شعبية؟

مسألة وقت.

- نقدم إفطار بيرنز طوال اليوم...

- حسنًا.

- ونحن.. تريد إفطار بيرنز؟

- نعم.

- هل تريد خبزًا أبيض أم بنيًّا معه؟

- لا يهم.

شعر بها تحدق إليه. بعدها كتبت ملاحظة، ووضعت دفترها بعناية في حزام خصرها وذهبت. وجلس هو يحدق إلى الصحيفة على منضدة الفورميكا. لعله شعر على مدار الساعات الاثتنين والسبعين الماضية كأن العالم بأسره قد انقلب رأسًا على عقب، لكن ذلك كان مجرد لمحة مما سيحدث تاليًا.

- أنا مع عميل.

- لن آخذ من وقتكِ الكثير.

أخذ نفسًا وقال: «لن أحضر غداء أبي».

ساد صمت قصير مشؤوم.

- من فضلك قل لي إنني أسمع هلوسات من أذني.

- لا يمكنني. طرأ أمر ما.

- أمر ما.

- سأشرح لكِ لاحقًا.

- لا، انتظر هنا على الخط.

سمع الصوت المكتوم ليد فوق الهاتف. لعلها قبضة مغلقة.

- ساندرا. أنا بحاجة إلى أخذ هذه المكالمة خارجًا. سأعود بعد...

خطا، وبعد ذلك، كما لو أن شخصًا ما رفع الصوت إلى أعلى ما يمكنه الوصول إليه: «حقًّا؟ هل تمزح معي؟ بجد؟».

حدق إد إلى الطاولة عبر المطعم. جلس زوجان عجوزان جنبًا إلى جنب دون أن يقولا شيئًا، يأكلان السمك والبطاطس بدقة منهجية. اعتقد أن هذا هو الوقت المناسب ليخبرها، فكيف يمكن للوضع أن يصبح أسوأ؟

- أنا آسف.

- لا أصدق ما أسمعه. لا أستطيع أن أصدق ذلك. إنه غدًا يا إد. ألديك أدنى فكرة عن كم المجهود الذي بذلته ماما لتخطط له؟ أتعرف ديردري وسيمون وآل جراهام والزوجين في آخر الشارع اللذين يتحدثان عنهما دائمًا؟ كلهم قادمون. إنهم قادمون لأن أمي وأبي يريدان التباهي بك. ألديك أي فكرة كم يتطلعان لرؤيتك؟ جلس أبي الأسبوع الماضي وحسب المدة التي مرت منذ آخر مرة رأياك فيها. ديسمبر يا إد. مضت أربعة أشهر، أربعة أشهر زاد مرضه فيها أكثر فأكثر وفشلت في فعل أي شيء مفيد بخلاف إرسال بعض المجلات السخيفة الغبية.

- قال إنه يحب نيويوركر. اعتقدت أنها شغلته قليلًا.

- بالكاد يمكنه الرؤية يا إد، كنت لتعلم هذا لو كلفت نفسك وأتيت، إنه يحب المجلات اللعينة إذا كان لديه من يقرؤها له، وتشعر أمي بالملل الشديد من قراءة تلك المقالات الطويلة لدرجة أنها تشعر بعقلها يحاول الهرب عبر أذنيها.

تكلمت وتكلمت. كانت المكالمة تجعله يشعر كما لو أن أحدًا شغَّل مُجفف شعر بأعلى قوة له في أذنه.

- ماما تشتاق لرؤيتك بشكل مستميت، لقد أعدت طعامك المفضل بدلًا من طعام أبي في غداء ذكراهما السنوية، تريد رؤيتك بهذا القدر. والآن، قبل أربع وعشرين ساعة من الحدث الفعلي، أعلنت للتو أنه لا يمكنك الحضور؟ هكذا؟ بلا مبرر؟ ما هذا؟ ما تفعله لا يصدق. لقد دافعت عندما قالت العمة شيلا إن هذه الوظيفة تجعلك مغرورًا، عندما قالت إنك تتكبر على عائلتك. الآن أتساءل إذا ما كانت محقة.

احمرت واحترَّت أذناه من الحرج. جلس هناك مغمضًا عينيه. عندما فتحهما، كانت الساعة الثانية وعشرين دقيقة. سيكون انتهى أكثر من ثلاثة أرباع الأولمبياد. فكر في تانزي في قاعة الجامعة تلك ورأسها منحنٍ على أوراقها والأرض حولها ملأى بالنظارات التي لم تنفع. كان يأمل في أنها ستسترخي وتفعل الشيء الذي خُلقت لفعله وهي تواجه صفحة ملأى بالأرقام. فكر في نيكي منتظرًا في الخارج، ربما يحاول العثور على مكان ما ليدخن خلسة.

فكر في جيس، جالسة على حقيبة والكلب بجانبها ويداها متشابكتان معًا على ركبتيها كما لو أنها تدعو، مقتنعة بأنها إذا لو تمنت بالقوة الكافية فستحدث أشياء جيدة في النهاية.

- أنت إنسان مخزٍ يا إد. حقًّا.

اختنق صوت أخته بالدموع.

- أعرف.

- أوه، ولا تعتقد أنني سأخبرهما. لن أؤدي عملك اللعين القذر من أجلك.

- من فضلك يا جيم... هناك سبب...

- لا تحاول حتى. إذا أردت كسر قلبيهما افعلها بنفسك. انتهينا يا إد. لا أصدق أنك أخي.

ابتلع إد ريقه بشدة عندما أغلقت الخط. وبعدها أطلق نفسًا طويلًا بطيئًا مرتجفًا. ما الفارق؟ ما قالته كان فقط نصف ما سيقولونه جميعًا إذا عرفوا الحقيقة.

هكذا هو، مجرد ابن غير مهتم وأنجح من اللازم. مشغول جدًّا لدرجة أنه لا وقت لديه ليرى عائلته. أفضل من أن يكون ابنًا فاشلًا كليًّا. ابن محرج. رجل كسر قلب والده.

هناك، في المطعم نصف الفارغ، جالسًا على كرسي عريض أحمر اللون مصنوع من الجلد ومواجهًا فطورًا آخذًا في التجلد لم يرده، أدرك إد أخيرًا كم يفتقد والده. كان سيعطي أي شيء فقط ليرى تلك الإيماءة المطمئنة ويشاهد تلك الابتسامة المترددة بشكل غريب تظهر على وجهه. لم يكن قد افتقد منزله منذ الخمسة عشر عامًا التي غادره فيها، ومع ذلك شعر فجأة بحنين إلى بيته كان أكثر مما يحتمل. جلس في المطعم محدقًا من النافذة التي عليها آثار دهون خفيفة في السيارات التي تمر على الطريق السريع وشيء لم يستطع التعرف عليه أغرقه كأنه موجة هائلة. لأول مرة في حياته كبالغ -رغم الطلاق والتحقيق وما حدث مع ديانا لويس- وجد إد نيكولز نفسه يجاهد الدموع.

جلس وضغط على عينيه بيديه وقبض فكه حتى لم يعد يستطيع أن يفكر في أي شيء سوى الشعور بأسنانه الخلفية تضغط على بعضها بعضًا.

- هل كل شيء على ما يرام؟

كانت عينا النادلة الشابة حذرتين نوعًا ما كما لو أنها تحاول تحديد ما إذا كان هذا الرجل سيسبب مشكلة.

- كل شيء بخير.

كان يقصد أن يطمئنها، لكن صوته اهتز في الكلمة.

عقب بعدها عندما بدت غير مقتنعة: «صداع نصفي».

استرخى وجهها على الفور.

- أوه. صداع نصفي. سلامتك، أعرف أنه متعِب. هل أخذت دواءً له؟

هز إد رأسه نافيًا حيث إنه لم يكن واثقًا بقدرته على التحدث.

- كنت أعلم أنه كان هناك مشكلة.

وقفت أمامه لحظةً.

- انتظر.

مشت إلى الكاونتر إحدى يديها على إلى مؤخرة رأسها حيث كان شعرها مثبتًا بشكل معقد وانحنت باحثةً عن شيء لا يستطيع رؤيته ثم عادت إليه ببطء. نظرت خلفها ثم وضعت حبتين ملفوفتين في قطعة من القصدير على طاولته.

- ليس من المفترض أن أعطي العملاء حبوبًا كما تعرف، لكن هذه الحبوب رائعة. الشيء الوحيد الذي يخفف الألم بالنسبة إليَّ. لكن لا تشرب المزيد من القهوة، لأنها ستزيد الوضع سوءًا. سأحضر لك بعض الماء.

رمش يستوعب ناظرًا إليها ثم ناظرًا إلى الحبوب.

- لا تقلق، ليست حبوبًا سيئة. إنهما حبتا ميجراجون.

- لطف منكِ، شكرًا.

- تأخذ قرابة عشرين دقيقة ليظهر مفعولها، ولكن بعد ذلك... أوه! الراحة!

ابتسامتها جعدت أنفها. رأى الآن أنه كان لها عينان طيبتان تحت الماسكارا. وجه جميل وطيب، وجه لم تتأثر عواطفه بعد بتجارب الحياة.

أخذت كوب قهوته وكأنها تحميه من نفسه. وجد إد نفسه يفكر في جيس. تحدث الأشياء الجيدة. في بعض الأحيان عندما لا تتوقعها على الإطلاق.

قال بهدوء: «شكرًا».

- عفوًا.

وبعدها رن هاتفه. ترددت أصداء الصوت في المقهى الواقع على جانب الطريق وهو يحدق إلى الشاشة وهو يكتم الصوت. لم يتعرف على الرقم؟

- مستر نيكولز؟

- نعم؟

- معك نيكي. نيكي توماس. أمم، أنا في غاية الأسف لإزعاجك، ولكننا بحاجة إلى مساعدتك.

نيكي

كان من الواضح لنيكي أن هذه فكرة سيئة لحظة دخلوا موقف السيارات. كان كل طفل آخر في ذلك المكان -ربما باستثناء واحد أو اثنين على الأكثر- صبيًّا، وكل واحد منهم أكبر بسنتين على الأقل من تانز. بدا معظمهم وكأنهم لم يكونوا على دراية بمقياس أسبرجر. كانوا يرتدون سترات صوفية ولهم قصات شعر سيئة وتقويم أسنان وقمصان الطبقة المتوسطة المهلهلة للغاية. قاد آباؤهم سيارات فولفو.

كانت عائلة توماس مثل سوبرماركت ألدي والآخرون مثل ويتروز. هم الكانتشب والآخرون صوص البيستو. بدت تانزي ببنطلونها الوردي والجاكيت الجينز المزين بالترتر والزهور التي خاطتها جيس عليه غير ملائمة في المكان كما لو أنها أتت هنا من الفضاء الخارجي.

عرف نيكي أنها كانت غير مرتاحة حتى قبل أن يكسر نورمان نظارتها، كانت في السيارة محبوسة في عالمها الصغير من التوتر والدوار. لقد حاول إخراجها منه -أظهر قدرًا ملحميًّا من الإيثار من طرفه لأنه كانت رائحتها شديدة السوء- ولكن بحلول الوقت الذي وصلوا فيه إلى آبردين كانت قد تقوقعت عميقًا داخل نفسها لدرجة أنه لم يعد من الممكن الوصول إليها. كانت جيس تصب كل تركيزها على الوصول إلى هناك لدرجة أنها لم تلاحظ ذلك، كانت مركزة تمامًا مع مستر نيكولز والنظارات والأكياس للقيء. لم يخطر ببالها ولو لحظة أن أطفال المدارس الخاصة يمكن أن يكونوا مثل أطفال ماك آرثر.

كانت جيس على المكتب تسجل تانزي وتأخذ بطاقة اسمها وأوراقها. كان نيكي يتفحص هاتف مستر نيكولز لذلك لم ينتبه إلى الصبيين اللذين ذهبا ووقفا بجانب تانزي بينما كانت تنظر إلى تخطيط المكتب عند مدخل القاعة. لم يستطع سماعهم لأنه كان يرتدي سماعتيه ويستمع إلى Depeche Mode

دون أن يلاحظ أي شيء على الإطلاق. إلى أن رأى وجه تانزي المفطور من الحزن وخلع واحدة من السماعتين.

كان الصبي ذو التقويم يحدق إليها من رأسها حتى أخمصَي قدميها ببطء.

- أأنت في المكان الصحيح؟ تعلمين أن مؤتمر معجبي جاستن بيبر أبعد قليلًا على هذا الطريق؟

ضحك الصبي الأنحف من بينهما.

نظرت تانزي إليهما بعينيها الواسعتين.

- هل شاركتِ في أولمبياد من قبل؟

- لا.

- أوه يا إلهي، يا للمفاجأة. لا يمكنني أن أقول إن العديد من متسابقي الأولمبياد أحضروا مقلمات من الفراء. هل لديك مقلمة من الفرو يا جيمس؟

- أعتقد أنني نسيت خاصتي. يا إلهي.

قالت تانزي بجمود: «أمي صنعتها لي».

- أمكِ صنعتها لك.

نظرا إلى بعضهما بعضًا.

- هل هي مقلمة الحظ الخاصة بك؟

- هل تعرفين أي شيء عن نظرية الأوتار؟

- أعتقد أنه من المرجح أن تعرف عن نظرية الرائحة الكريهة. أو.. يا جيمس، هل يمكنك شم رائحة كريهة؟ مثل القيء؟ أتعتقد أن أحدهم متوتر بعض الشيء؟

أخفضت تانزي رأسها وعبرت بجانبهما متجهة إلى الحمام.

- هذا حمام الرجال!

قالاها وانهارا من الضحك.

بينما كان الولدان يمشيان متجهَين إلى القاعة الرئيسية، تقدم نيكي للأمام ووضع يده على مؤخرة عنق ذي التقويم.

- هاي، أنت يا صغير. مهلًا!

التفت الصبي واتسعت عيناه. اقترب نيكي إلى أن أصبح صوته همسًا خفيضًا. كان سعيدًا فجأة لأن بشرته كانت ملونة بلون أصفر غريب ولديه ندبة على جانب وجهه.

- لنتكلم قليلًا يا صاحبي. إذا تحدثت مع أختي هكذا مرة أخرى -أو أخت أي شخص- سأعود إلى هنا شخصيًّا وأربط ساقيك في معادلة معقدة. فهمت؟

أومأ برأسه وفمه مفتوح.

أعطاه نيكي أفضل تقليد لنظرة فيشر المجنونة المخيفة، لفترة كانت طويلة بما يكفي ليزدرد الصبي ريقه بقوة وتتحرك تفاحة آدم خاصته.

- ليس من الممتع أن تكون متوترًا، ها؟

هز الفتى رأسه.

ربت نيكي على كتفه.

- جيد، يسعدني أننا متفقان، اذهب وحل مسائلك.

استدار وبدأ يمشي نحو الحمامات

وقف أحد المدرسين أمامه رافعًا يدًا واحدة وفي وجهه سؤال.

- اعذرني؟ هل رأيتك للتو...

- ... أتمنى له التوفيق. نعم، طفل رائع، طفل رائع.

هز نيكي رأسه كما لو أنه معجب بالطفل، ثم اتجه إلى حمام الرجال ليحضر تانزي.

عندما خرجت جيس وتانزي من حمام السيدات، كانت مقدمة رأس تانزي مبتلة حيث نظفتها جيس بالماء والصابون ووجهها متلون وشاحب.

قال نيكي وهو ينهض: «لا تولي أي اهتمام لفتى ضئيل كهذا يا تانزي. كان يحاول فقط تخويفك».

- أيهما كان؟

كان تعبير وجه جيس غاضبًا.

- أخبِرني يا نيكي.

أكيد، لأن هجوم جيس بكل قوتها هو تحديدًا بداية المنافسة التي تحتاج إليها تانزي.

- أنا.. أمممم.. لا أعتقد أنني أستطيع تمييزه. لقد حللت الموضوع على أي حال.

أعجبه وقع هذه الكلمات «حللت الموضوع».

- لكنني لا أستطيع أن يا ماما. ماذا سأفعل وأنا لا أستطيع الرؤية؟

- مستر نيكولز سيحضر لك بعض النظارات. لا تقلقي.

- ولكن ماذا لو لم يفعل؟ ماذا لو لم يعد أساسًا؟

فكر نيكي أنه لم يكن ليفعلها لو كان مكانه. لقد دمروا سيارته الجميلة، وبدا أكبر بقرابة عشر سنوات مما كان عليه الحال عندما بدؤوا الرحلة.

- سيعود.

- مسز توماس، علينا أن نبدأ. ابنتك لديها ثلاثون ثانية لتجلس في مقعدها.

- هل هناك أي طريقة يمكننا من خلالها تأجيل البداية بضع دقائق؟ نحن حقًّا نحتاج إلى الحصول على بعض النظارات لها. لا تستطيع أن ترى دونها.

- لا يا سيدتي. إذا لم تكن في مكانها خلال ثلاثين ثانية فإنني أخشى أننا سنضطر إلى البدء دونها.

- إذًا هل يمكنني الدخول؟ أستطيع أن أقرأ لها الأسئلة؟

- لكن لا يمكنني الكتابة دون نظارتي.

- سأكتب لكِ إذًا.

- ماما.

علمت جيس أنها هُزمت في هذه المعركة. نظرت إلى نيكي وهزت رأسها بشكل غامض.

- لا أعرف ماذا أفعل.

قرفص نيكي بجانبها.

- يمكنك فعل هذا يا تانز، تستطيعين، يمكنك حل هذه الأشياء وأنتِ واقفة على رأسك. فقط قرِّبي الورقة من عينيك أقرب ما يكون وخذي وقتك.

كانت تحدق إلى القاعة بشكل أعمى. خلف الباب كان الطلاب يجلسون في أماكنهم ويسحبون كراسيهم أمام المكاتب ويرتبون أقلام الرصاص أمامهم.

- وسنحضر النظارات إليك بمجرد أن يصل مستر نيكولز إلى هنا.

- حقًّا. فقط ادخلي وافعلي ما بوسعكِ وسننتظر هنا. سيكون نورمان على الجانب الآخر من الجدار. كلنا سوف نكون هناك. وبعد ذلك سنذهب ونتناول بعض الغداء. لا شيء للقلق بشأنه.

أتت المرأة التي تحمل الحافظة.

- هل ستشاركين في المنافسة يا كوستانزا؟

- اسمها تانزي.

يبدو أن المرأة لم تسمع، أومأت تانزي بصمت وتركت نفسها تُصطحب إلى مكتب. بدت في غاية الضآلة.

- يمكنكِ فعلها يا تانزي!

انفجر صوته فجأة وارتد في جدران القاعة، حتى إن الرجل في الخلف فوجئ.

- أبهريهم يا تيتش!

تمتم أحدهم: «أوه، بالله عليك!».

صرخ نيكي مرة أخرى: «أبهريهم». ونظرت جيس إليه مصدومة.

بعدها رن الجرس وأُغلق الباب في وجهيهما بقوة وبقي نيكي وجيس فقط على الجانب الآخرمع بضع ساعات ليضيعاها.

- حسنًا.

تكلمت جيس عندما أزاحت بصرها أخيرًا عن الباب. وضعت يديها في جيبيها وأخرجتهما مرة أخرى وعدلت شعرها وتنهدت.

- حسنًا.

تكلم نيكي فجأة.

- سيأتي.

لم يكن متأكدًا تمامًا من أنه سيأتي فجأة.

- أعلم هذا.

كان الصمت الذي تبع هذا طويلًا بما يكفي لإجبارهما على تبادل الابتسامات المحرجة مع بعضهما بعضًا. فرغ الرواق ببطء اللهم إلا من وجود أحد المنظمين الذي تمتم لنفسه وهو يمرر قلمه على قائمة الأسماء.

- لعله عالق في الزحام.

- كان الزحام صعبًا للغاية.

يمكن لنيكي تخيل تانزي على الجانب الآخر من الباب وهي تدقق النظر في أوراقها وباحثة حولها عن مساعدة لن تأتي. حدقت جيس إلى السقف وأطلقت سبة بهدوء ثم حلت وربطت ذيل حصانها. خمن أنها كانت تفعل الشيء نفسه.

وبعد ذلك كان هناك صوت جلبة بعيدة وظهر مستر نيكولز راكضًا في الممر مثل رجل مجنون يرفع كيسًا بلاستيكيًّا بدا وكأنه مملوء بالكامل بالنظارات. وعندما أطلق نفسه على المكتب وبدأ بالجدال مع المنظمين -جدالًا من النوع الذي يجادله شخص يعرف أنه لا يوجد شيء في العالم سيجعله يخسر- كان الارتياح الذي شعر به نيكي هائلًا لدرجة أنه اضطر إلى الخروج والاستناد على الحائط ويضع رأسه بين ركبتيه حتى لم يعد تنفسه مهددًا بالتحول إلى نحيب هادئ لاهث.

كان من الغريب توديع مستر نيكولز. وقفا بجانب سيارته في المطر وكانت جيس تتصرف بشكل يقول: «أنا لا أهتم إطلاقًا»، رغم أنها كانت تهتم بوضوح. وأراد نيكي حقًّا أن يشكره على موضوع اختراق حساب فيشر ذلك وإيصالهم عبر كل هذا الطريق إلى هنا وكونه، يعني، شخصًا صالحًا بشكل غريب، ولكن عندما أعطاه مستر نيكولز هاتفه الاحتياطي واختنق بامتنانه جدًّا لدرجة أن كل ما خرج منه «شكرًا» مخنوقة وكان هذا كل ما في الأمر. ومشى هو وجيس عبر موقف السيارات بالحرم الجامعي مع نورمان وكلاهما يتظاهر أنهما لا يسمعان سيارة مستر نيكولز وهي تتحرك بعيدًا.

توقفا عند الرواق ووضعت جيس حقائبهم في غرفة المعاطف ثم التفتت إلى نيكي وأزالت زغبًا غير موجود من كتفه وكان صوتها فظًّا جدًّا لدرجة أنه لم يلاحظ للحظة أن فكها كان منقبضًا بشدة.

- حسنًا. لنذهب ونُمشِّي هذا الكلب، ما رأيك؟

كان صحيحًا أن نيكي لم يتحدث كثيرًا. لم يكن الأمر أنه لم يكن لديه ما يقوله، كل ما في الأمر أنه لم يكن هناك أي شخص يريد حقًّا أن يقول له ما يريد قوله. منذ أن ذهب للعيش مع بابا وجيس عندما كان في الثامنة من عمره والناس يحاولون إقناعه بالتحدث عن «مشاعره»، كما لو كانت حقيبة ظهر كبيرة بإمكانه جرها معه وفتحها ليرى الجميع محتوياتها. لكن معظم الوقت لم يكن يعرف فيمَ يفكر. لم تكن لديه آراء في السياسة أو الاقتصاد أو ما حدث له. لم يكن لديه حتى رأي حول أمه البيولوجية. كانت مدمنة، كانت تحب المخدرات أكثر مما تحبه، ماذا هناك ليقال؟

ذهب نيكي إلى جلسات علاج لبعض الوقت كما نصحوه، بدت المرأة وكأنها تريده أن يغضب مما حدث له. أخبرها نيكي أنه لم يكن غاضبًا لأنه تفهم أنه لم يكن بمقدور والدته الاعتناء به، لم يكن الأمر شخصيًّا، لو كان أي طفلٍ آخر لتخلت عنه بالطريقة نفسها، كانت فقط... تعيسة. نادرًا ما رآها عندما كان صغيرًا لدرجة أنه لم يشعر حقًّا أن له علاقة بها.

لكن المستشارة ظلت تقول له: «يجب أن تفرغ ما بداخلك يا نيكولاس. ليس من الجيد بالنسبة إليك أن تخزن ما حدث بداخلك». لقد أعطته لعبتين محشوتين صغيرتين وطلبت منه أن يمثل بهما «كيف جعلك هجر والدتك تشعر».

لم يرغب نيكي أن يخبرها أن فكرة الاضطرار إلى الجلوس في مكتبها واللعب بالدمى وأن يُنادى بنيكولاس هو ما جعله يشعر برغبة في التدمير. لم يكن شخصًا غاضبًا بشكل خاص. ليس من والدته الحقيقية ولا حتى من جيسون فيشر، ليس أنه توقع أن يفهم أحد. كان فيشر مجرد أحمق ليس لديه القدرة العقلية لفعل أي شيء سوى الضرب. عرف فيشر على مستوى عميق أنه لا يملك أي شيء، أنه لن يكون أبدًا أي شيء. كان يعلم أنه كان مزيفًا وأن أحدًا لا يحبه، ليس حقًّا. فحوَّل مشاعره السيئة إلى أقرب شخص متاح (انظر؟ لقد أعطاه العلاج شيئًا مفيدًا).

لذا عندما قالت جيس إن عليهما أن يتمشيا، جزء من نيكي كان قلقًا. لم يكن يريد خوض محادثة كبيرة عن مشاعره. لم يُرِد مناقشة أيٍّ منها. لقد استعد للتشتيت ولكن جيس حكت رأسها وسألت: «هل أنا فقط من يشعر بهذا أم أن الوضع غريب قليلًا دون مستر نيكولز؟».

هذا هو ما تحدثا عنه:

الجمال غير المتوقع لبعض مباني آبردين.

الكلب.

هل أحضر أيٌّ منهما أكياسًا بلاستيكية للكلب.

من منهما كان سيركل ذلك الشيء تحت السيارة المتوقفة حتى لا يدوسه أحدهم.

أفضل طريقة لتنظيف مقدمة حذائك على العشب.

ما إذا كان من الممكن بالفعل تنظيف مقدمة حذائك على العشب.

وجه نيكي، بمعنى هل كان يؤلمه. (الجواب: «لا، ليس بعد الآن»).

أجزاء أخرى منه، بمعنى هل تؤلمه. (لا، لا، وقليلًا، لكنها كانت تتحسن).

بنطلونه الجينز، ولماذا لم يرفعه حتى لا تظهر ملابسه الداخلية دائمًا؟

لماذا كان بنطلونه يخصه هو فقط.

ما إذا كان يجب عليهم إخبار بابا عن الرولز. أخبرها نيكي أنها يجب أن تتظاهر بأنها قد سُرقت. ماذا سيعرف؟ يستحقها. لكن جيس قالت إنها لا تستطيع أن تكذب عليه لأن ذلك لن يكون عادلًا وبعدها سكتت فترةً.

هل كان بخير؟ هل يشعر بتحسن بعيدًا عن المنزل؟ هل كان قلقًا بشأن العودة إلى المنزل؟ كان هذا هو المكان الذي توقف فيه نيكي عن الكلام وبدأ يهز كتفيه مجيبًا. ماذا يقال؟

هذا هو ما لم يتحدثا عنه:

تانزي. كانت في ذهنيهما طوال الطريق حول الحرم الجامعي، تخيلها نيكي ولسانها خارج من جانب فمها ورأسها لأسفل تكتب في عالمها الصغير من الأرقام. كان يعلم أن جيس تفعل الشيء نفسه.

كيف سيكون الحال لو عادوا بالفعل إلى المنزل بخمسة آلاف جنيه استرليني.

إذا ذهبت تانزي إلى تلك المدرسة وأنهى هو المدرسة قبل موعد الصف السادس فهل ستريده جيس أن يأخذها من سانت آن كل يوم.

الوجبات الجاهزة التي سيشترونها بالتأكيد الليلة للاحتفال. ربما ليس الكباب.

أن جيس كانت تتجمد بردًا بشكل واضح رغم إصرارها على أنها بخير. وقفت كل الشعيرات الصغيرة على ذراعيها منتصبة.

مستر نيكولز. تحديدًا، أين نامت جيس حقًّا الليلة السابقة. ولماذا استمرا في اختلاس النظرات إلى بعضهما بعضًا مثل زوجين من المراهقين طوال الصباح، حتى عندما كانا يتذمران من بعضهما بعضًا. اعتقد نيكي بصدق أنهم جميعًا أغبياء في بعض الأحيان.

لكنه كان جيدًا نوعًا ما، التحدث. كان يعتقد أنه قد يفعل هذا أكثر من الآن.

كانا ينتظران خارج الأبواب عندما فتحوا أخيرًا في الساعة الثانية. خرجت تانزي في الدفعة الأولى ممسكةً بمقلمتها المكسوة بالفراء أمامها وفتحت جيس ذراعيها على اتساعهما مستعدة للاحتفال.

- إذًا؟ كيف كان؟

نظرت إليهما بثبات.

قال نيكي مبتسمًا: «هل هزمتهم يا تيتش؟».

وبعدها، فجأة، انهار وجه تانزي كما حدث عندما كانت تسقط وهي طفلة، وكان هناك تأخير ثلاث ثوانٍ بين الشيء المؤذي الذي حدث وبداية نحيبها العالي.

أمسكتها جيس واحتضنتها، ربما لطمأنتها وربما لإخفاء الصدمة على وجهها، ولف نيكي ذراعه حولها من الجانب الآخر وجلس نورمان هناك على قدميها، وبينما يتقدم الأطفال الآخرون بعضهم يتحادثون وبعضهم صامتون وهم ينظرون إلى تانزي، أخبرتهم بما حدث بين بكائها المكتوم.

- أضعتُ أول نصف ساعة كلها. ولم أفهم بعض لكناتهم. ولم أستطع الرؤية بشكل جيد. وشعرت بتوتر شديد وظللت أحدق إلى ورقتي وبعدها عندما حصلت على النظارات استغرقت وقتًا طويلًا للعثور على زوج يناسبني ثم لم أستطع حتى فهم السؤال الأول.

فتشت جيس في الممر بحثًا عن المنظمين.

- سأتحدث معهم، سأشرح ما حدث، أعني، لم تستطيعي الرؤية، لا بد أن هذا يحسب لشيء، ربما يمكننا جعلهم يغيرون النتيجة ويأخذون هذا بعين الاعتبار.

- لا، لا أريدك أن تتحدثي معهم، لم أفهم السؤال الأول حتى عندما حصلت على النظارة المناسبة. لم أتمكن من حلها بالطريقة التي قالوا إنها يجب أن تحل.

- لكن ربما...

- لقد فشلت.

صاحت تانزي باكية.

- لا أريد أن أعيده، الذهاب فقط.

- لم تفشلي في أي شيء يا عزيزتي. حقًّا. فعلتِ أفضل ما بوسعك، وهذا كل ما يهم.

استمرت جيس في التربيت على ظهرها كما لو أن هذا سيجعل كل شيء أفضل.

- لكنه ليس كل ما يهم، أليس كذلك؟ لأنني لا أستطيع الذهاب إلى سانت آن دون المال.

- حسنًا، لا بد أن يكون هناك... لا تقلقي يا تانز. سأتدبر الأمر.

ابتسمت أقل ابتساماتها إقناعًا على الإطلاق. وتانزي لم تكن غبية، بكت مثل شخص انفطر قلبه.

لم يرها نيكي هكذا من قبل، جعلته رؤيتها يريد البكاء قليلًا هو الآخر.

قال عندما أصبح الوضع لا يطاق: «لنعد إلى المنزل».

لكن هذا جعل تانزي تبكي أكثر.

نظرت جيس إليه ووجهها شاحب وتائه تمامًا وكان الأمر كما لو كانت تسأله: «نيكي، *ماذا أفعل؟*»، وحقيقة أنه لمرة واحدة فقط حتى جيس لم تعرف جعلته يشعر وكأن العالم انقلب رأسًا على عقب. وبعدها فكر: «*أنا أتمنى حقًّا ألا تصادر جيس سجائري*». لم يعتقد أنه احتاج إلى سيجارة أكثر من الآن في أي وقت مضى في حياته.

انتظروا هناك في الردهة بينما كان المتسابقون الآخرون ينقسمون إلى مجموعات أو يتشاركون السندويتشات أو يركبون السيارات مع والديهم،

ولمرة واحدة فقط أدرك نيكي أنه شعر بالغضب. كان غاضبًا من الأولاد الأغبياء الذين وتروا أخته الصغيرة فأفقدوها تركيزها، وكان غاضبًا من مسابقة الرياضيات الغبية وقواعدها التي لن تتغير قليلًا حتى لفتاة صغيرة لم تستطع الرؤية، وكان غاضبًا لأنهم قد قطعوا هذه المسافة عبر بلد بأكمله فقط ليفشلوا مرة أخرى، كأنه لم يمكن لهذه العائلة النجاح في فعل أي شيء، أي شيء على الإطلاق.

عندما فرغ الرواق أخيرًا وضعت جيس يدها في جيبها الخلفي وسحبت بطاقة صغيرة مستطيلة الشكل، دفعتها نحوه.

- اتصل بمستر نيكولز.

- لكنه في منتصف الطريق إلى المنزل الآن. وماذا يمكنه أن يفعل؟

عضت جيس شفتها. تحركت لتبتعد عنه ثم عادت مرة أخرى.

- يمكنه أن يأخذنا إلى مارتي.

حدق نيكي إليها.

- من فضلك. أعلم أنه أمر محرج، لكن لا يمكنني التفكير في شيء لأفعله غير ذلك. تانزي بحاجة إلى شيء للتخفيف عنها يا نيكي. إنها بحاجة إلى رؤية والدها.

عاد في غضون نصف ساعة، قال إنه توقف في آخر الشارع ليأكل شيئًا، فكر نيكي بعد ذلك أنه إذا كان مركزًا لتساءل لماذا لم يبتعد إد، ولماذا استغرقه الأمر وقتًا طويلًا لتناول وجبة خفيفة. لكنه كان مشغولًا في الجدال مع جيس حينها.

- أعلم أنك لا تريد أن ترى والدك ولكن...

- لن أذهب.

- تانزي تحتاج هذا.

كان لوجهها ذلك التعبير العازم حيث كنت تعلم أنها كانت تُظهر أنها تأخذ مشاعرك بعين الاعتبار لكنها في الواقع ستجعلك تفعل ما تريد منك أن تفعله.

- لن يحسن هذا أي شيء.

- ربما بالنسبة إليك، اسمع يا نيكي، أعلم أن لديك مشاعر متضاربة للغاية تجاه والدك الآن، ولا ألومك على هذا. أعلم أننا مررنا بوقت محير للغاية...

- لست حائرًا.

- تانزي في الحضيض، إنها بحاجة إلى شيء يرفع روحها المعنوية، ومارتي قريب من هنا.

مدت يدها ولمست ذراعه.

- انظر، إذا كنت لا تريد حقًّا رؤيته عندما نصل إلى هناك، يمكنك البقاء في السيارة، حسنًا؟

عندما لم يقل أي شيء قالت: «... أنا آسفة، إحقاقًا للحق أنا لا أريد رؤيته أيضًا، لكن علينا فعل ذلك».

ماذا يمكنه أن يخبرها؟ ماذا يمكن أن يقول لها وتصدقه؟ وهو الآخر يظن أن هناك خمسة في المئة منه لا تزال تتساءل عما إذا كان هو المخطئ بشأن مارتي.

التفتت جيس إلى مستر نيكولز الذي كان يتكئ على سيارته مراقبًا إياهم بصمت.

- لو سمحت. هل ستعطينا توصيلة إلى منزل مارتي؟ إلى منزل أمه يعني. أنا آسفة. أعلم أنه من المحتمل أنك اكتفيت منا وأننا كنا في غاية الإزعاج، لكن... لكن ليس لدي أي شخص آخر أطلب منه. تانزي.. بحاجة إلى والدها. بغض النظر عن ما أشعر -نشعر- به تجاهه، فهي بحاجة إلى رؤية والدها. إنه مسافة ساعتين من هنا.

نظر إليها.

- حسنًا، ربما أكثر إذا كان علينا أن نتحرك ببطء. لكن من فضلك، أريد أن أغير الوضع، أنا حقًّا بحاجة إلى تغيير هذا الوضع.

تحرك مستر نيكولز إلى الجانب، وفتح باب السيارة. انحنى قليلًا حتى يتمكن من الابتسام إلى تانزي.

- لنذهب.

بدوا جميعًا مرتاحين، لكنها كانت فكرة سيئة، فكرة بشعة. لو سألوه عن ورق الحائط لكان أخبرهم بالسبب.

جيس

كانت آخر مرة رأت فيها جيس ماريا كوستانزا في اليوم الذي سلمتها فيه مارتي في شاحنة شقيق ليام. أمضى مارتي الأميال المئة الأخيرة إلى جلاسكو نائمًا تحت بطانية، وبينما كانت جيس تقف في غرفة معيشتها النظيفة تمامًا محاولةً شرح انهيار ابنها العصبي نظرت إليها كما لو أن جيس قد حاولت شخصيًّا أن تقتله.

لم تحبها ماريا كوستانزا قط. كانت تعتقد أن ابنها يستحق أفضل من تلميذة في السادسة عشرة تصبغ شعرها في المنزل وتطلي أظافرها بطلاء لامع، ولم يغير أي شيء فعلته جيس منذ ذلك الوقت فكرتها السيئة عنها. اعتقدت أن ما فعلته جيس بالمنزل كان غريبًا. اعتقدت أن جيس تخيط معظم ملابس الطفلين بنفسها لتكون غريبة الأطوار عن عمد. لم يخطر ببالها قط أن تسأل لماذا خاطت ملابسهما أو لماذا لا يستطيعون دفع أموال لشخص آخر ليزين المنزل أو لماذا عندما سد الحوض كانت جيس هي الذي انتهى بها المطاف تحته تعاني مع الماسورة الملتوية.

حاولت، حقًّا حاولت، كانت مهذبة ولم تشتم أو تنظف نفسها في الأماكن العامة. كانت وفية لمارتي، وأنجبت أروع طفلة في العالم، وتأكدت من إبقائها نظيفة وشبعانة ومرحة. استغرق الأمر من جيس قرابة خمس سنوات لإدراك أنها ليست المشكلة، كانت ماريا كوستانزا مجرد واحدة من النساء اللاتي يعشن حياتهن كأنهن يمصصن الليمون طول الوقت. لم تعتقد جيس أنها قد شاهدت ابتسامة ترتسم على وجهها بشكل عفوي، اللهم إذا كانت تحكي شيئًا عن أحد أصدقائها أو جيرانها: «إطار سيارة مقطوع أو ربما مرض عضال».

لقد حاولت الاتصال بها مرتين من هاتف مستر نيكولز، لكنها لم ترد.

أخبرت تانزي، وهي ترن: «غالبًا ما تزال جدتكِ في العمل، أو ربما ذهبوا لرؤية المولود الجديد».

نظر إليها مستر نيكولز.

- هل ما زلتِ تريدينني أن أذهب إلى هناك؟

- من فضلك. أنا متأكدة من أنهما سيعودان إلى المنزل بحلول الوقت الذي نصل فيه. لا تخرج أبدًا في المساء.

التقت عينا نيكي بعينيها في المرآة ثم تجنبتهما. لم تلُمه جيس على كونه سلبيًّا. إذا كان رد فعل ماريا كوستانزا تجاه تانزي فاترًا، فإن اكتشافها أن لديها حفيدًا، لم تكن تعرف عن وجوده حتى، قوبل بالحماس نفسه كما لو أنهم أعلنوا لها عن حالة عائلية من الجرب. لم تستطع جيس معرفة إذا ما شعرت ماريا كونستانزا بالإهانة، لأنه كان موجودًا فترة طويلة دون علمها، أو إذا كانت المشكلة عدم قدرتها على شرح وجوده دون الإشارة إلى: (أ) كونه لقيطًا. (ب) أن ابنها كان مرتبطًا بمدمنة جعلها تقرر أنه من الأسهل تجاهله تمامًا. كان ذلك أحد الأسباب التي جعلت اقتراح مارتي في أن يبقوا معهما، عندما أعلن بعد ستة أشهر من مغادرته أنه يشعر بتحسن بسيط، سهل الرفض للغاية بسبب التكلفة.

- هل أنتِ متحمسة لرؤية بابا يا تانزي؟

استدارت جيس في مقعدها. كانت تانزي تتكئ على نورمان ووجهها حزين ومرهق. التقت عيناها بعينَي جيس وأومأت إيماءة ضئيلة.

قالت جيس بحماس: «سيكون من الرائع رؤيته، والجدة أيضًا، لا أدري لمَ لم أفكر في هذا سابقًا».

عندما اتصلت بمارتي، أدركت أنه كان على البريد الصوتي فترة طويلة حقًّا. تحدثوا فقط عبر سكايب أو على هاتفه المحمول، والذي نادرًا ما كان متاحًا. قررت أن هذا سيتغير، الكثير من الأشياء ستتغير.

قادوا في صمت، غفت تانزي مستندة على الكلب. جلس نيكي يشاهد السماء المظلمة في صمت. لم تشعر برغبة في تشغيل الموسيقى. لم تجرؤ بأن تُظهر للطفلين شعورها حيال ما حدث في آبردين. لم تستطع أن تدع نفسها تفكر في الأمر. قالت لنفسها إنها ستواجه شيئًا واحدًا في كل مرة، *أعيدي تانزي إلى حالتها المعتادة وبعدها لنرى ما يجب فعله تاليًا.*

- هل أنتِ بخير؟

- بخير.

ترى أنه لا يصدقها.

- ستشعر بالتحسن بمجرد أن ترى والدها، أنا متأكدة.

- يمكنها دائمًا المشاركة في أولمبياد آخر العام المقبل، تعرف الآن ماذا تتوقع فيه.

حاولت جيس أن تبتسم.

- مستر نيكولز، أتخونني أذناي أم هل أنني أسمع تفاؤلًا في كلامك؟

التفت إليها وعيناه مملوءتان بالتعاطف.

شعرتْ بالارتياح للعودة إلى سيارته، لقد بدأت تشعر بأمان غريب هنا، كأنه لا يمكن أن يحدث أي شيء سيئ وهم جميعًا بداخلها. حاولت أن تتخيل استقبال والدة مارتي لهم، خصوصًا عندما تكتشف المرأة العجوز أنهم سيبيتون معها. تخيلت جيس نفسها في غرفة المعيشة في منزل كوستانزا الصغير محاولةً شرح الأحداث التي أدت بهم إليها، تخيلت وجه مارتي عندما تخبره عن الرولز رويس، تخيلتهم جميعًا ينتظرون في محطة الحافلات غدًا في المرحلة الأولى في رحلة شديدة الطول في اتجاه المنزل. تساءلت فترة وجيزة عما إذا كان يمكنها أن تطلب من مستر نيكولز أن يعتني بنورمان حتى يعودوا. التفكير في هذا جعلها تتذكر كم تكلفت هذه الرحلة، ولكنها تجاهلت تلك الفكرة، شيء واحد في المرة الواحدة.

ومن ثم لا بد أنها غفت لأن أحدهم كان يهز ذراعها.

- جيس؟

- مممممم.

- جيس؟ أعتقد أننا وصلنا، جهاز تحديد المواقع يقول إننا وصلنا إلى العنوان، أهذا هو المكان؟

اعتدلت في جلستها وحركت عنقها المتصلب، النوافذ النظيفة للمنزل الأبيض واجهت عينيها، انقلبت معدتها لا إراديًا.

- كم الساعة؟

- تقترب من السابعة.

انتظر إلى أن فركت عينيها ثم أضاف: «حسنًا، الأضواء مضاءة، أعتقد أنهما في الداخل».

التفت في مقعده بينما اعتدلت هي.

- يا طفلان، لقد وصلنا، حان الوقت لنرى والدكما.

أمسكت تانزي يد جيس بإحكام في طريق المنزل. رفض نيكي الخروج من السيارة قائلًا إنه سينتظر مع مستر نيكولز. قررت جيس أنها ستدع تانزي تدخل ثم تعود وتحاول التفاهم معه.

- هل أنتِ متحمسة؟

أومأت تانزي ووجهها الصغير متفائل فجأة، ولوهلة شعرت جيس أنها تصرفت بالشكل الصحيح، سوف ينقذون شيئًا في هذه الرحلة مهما كلف الأمر، مهما كانت المشكلات التي واجهتها هي ومارتي فيمكنهما تسويتها لاحقًا. توقفا مؤقتًا للتحديق إلى شجيرة بمنتصف الطريق تحمل وردًا خوخي اللون موضوعة في مكان لطالما اعتقدت جيس أنه يجذب انتباه من يركز فقط. كان هناك برميلان صغيران جديدان عند الدرجات الأمامية مملوءان بزهور أرجوانية لم تتعرف عليها. عدلت سترتها، وأبعدت الشعر المتطاير من على وجه تانزي وانحنت إلى الأمام، ومسحت شيئًا كان في زاوية فمها ثم قرعت جرس الباب.

رأت ماريا كوستانزا تانزي أولًا، حدقت إليها ثم إلى جيس وارتسم على وجهها العديد من التعبيرات المتغيرة صعبة التمييز.

ردت جيس على تعبيراتها بأكثر ابتساماتها بهجة.

- مرحبًا يا ماريا... كنا... أممم... في المنطقة، وشعرت أننا لا نستطيع المرور دون رؤية مارتي، ورؤيتك.

حدقت ماريا كوستانزا إليها.

تابعت جيس بصوت كأنها تغني؛ كان وقعه غريبًا على أذنيها: «لقد حاولنا الاتصال عدة مرات، كنت سأترك رسالة لكن...».

- مرحبًا يا جدتي.

ركضت تانزي إلى الأمام وألقت بنفسها على خصر جدتها تحتضنها، وضعت ماريا كوستانزا يدها على ظهر تانزي وتركتها مرتخية فوقه. لاحظت جيس أنها صبغت شعرها بلون أغمق مما يجب. بقيت ماريا كوستانزا على هذا الحال لحظةً ثم ألقت نظرة خاطفة على السيارة حيث حدق نيكي من النافذة الخلفية غير مهتم.

فكرت جيس في نفسها: *يا الله، أسيحدث لك شيء لو أظهرت بعض الحماسة ولو مرة؟*

- سيأتي نيكي بعد دقيقة.

أبقت على ابتسامتها.

- لقد استيقظ للتو... أنا... أترك له بعض الوقت ليفيق.

وقفوا مواجهين بعضهم بعضًا منتظرين.

بدأت جيس الكلام ناظرةً وراء المرأة الأكبر سنًّا إلى الرواق.

- إذًا...

- إنه... ليس هنا.

- هل هو في العمل؟

لقد بدت أكثر حماسًا مما كانت تنوي.

- أعني، رائع أنه يشعر... بتحسن كافٍ ليعود إلى العمل.

- ليس هنا يا جيسيكا.

- أهو مريض؟

في ذهنها كانت تفكر: *يا إلهي، شيء ما أصابه*، ثم رأته، شعور لا تظن أنها رأته سابقًا على وجه ماريا كونستانزا «الإحراج».

شاهدتها جيس تحاول إخفاءه، نظرت خلفها وطوت ذراعيها.

- إذًا أين هو؟

- عليكِ... أظن أن عليك التحدث إليه.

وضعت ماريا كوستانزا يدها على فمها كأنها تمنع نفسها من قول المزيد ثم أخرجت نفسها بلطف من عناق حفيدتها.

- لحظة، سأحضر لك عنوانه.

- عنوانه؟

تركت تانزي وجيس واقفتين عند عتبة الباب واختفت داخل الرواق الصغير، وواربت الباب خلفها. رفعت تانزي عينيها متسائلة. ابتسمت جيس مطمئِنةً إياها. لم يكن الأمر سهلًا كما العادة.

فُتح الباب من جديد، أعطتها قطعة من الورق.

- سيستغرق الطريق قرابة ساعة واحدة أو ربما ساعة ونصفًا، حسب الزحام.

لاحظت جيس ملامحها الجامدة، ثم نظرت خلفها إلى الردهة الصغيرة، حيث لم يتغير شيء واحد خلال السنوات الخمس عشرة التي عرفتها فيها. لا شيء على الإطلاق. وفي مكان ما في لا وعي جيس بدأ جرس صغير يدق.

- صحيح.

ولم تعد تبتسم.

لم تتحمل ماريا كوستانزا نظرتها. انحنت بعد ذلك ووضعت راحة يدها على خد تانزي.

- تعالي وابقي مع الجدة قليلًا، اتفقنا.

نظرت إلى جيس.

- وأنتِ ستحضرينها؟ لقد مر وقت طويل.

كان مظهر الترجي الصامت والاعتراف بمشاركتها في الجرم أكثر إثارة للقلق من أي شيء فعلته على الإطلاق في سنوات معرفتها بها.

أخذت جيس تانزي واتجهتا إلى السيارة.

نظر إليها مستر نيكولز. لم يقل شيئًا.

- خذ.

أعطته جيس الورقة.

- علينا الذهاب إلى هذا العنوان.

دون قول شيء بدأ يُدخِل العنوان في جهاز تحديد المواقف. كان قلبها يخفق بشدة، نظرت في المرآة الأمامية.

- كنت تعرف.

قالتها بعدما ارتدت تانزي سماعتَي أذنيها.

شد نيكي غرته، محدقًا إلى منزل جدته.

- خمنتُ في المرات القليلة الماضية التي تحدثنا فيها معه على سكايب، لم تكن الجدة لتضع ورق حائط كهذا قط.

لم تسألها عن مكان مارتي، اعتقدت أنه ربما كانت لديها فكرة عن مكانه، حتى في ذلك الوقت.

قادوا الساعة في صمت. أرادت جيس أن تطمئن، لكنها لم تستطع الكلام، فكرت في مليون احتمال، من حين لآخر كانت تنظر إلى المرآة وتراقب نيكي. كان وجهه مغلقًا وناظرًا باستسلام نحو الطريق. ببطء، بدأت تعيد النظر في عدم رغبته في المجيء إلى هنا وفي التحدث مع والده في الأشهر الماضية ورؤية أفعاله بمنظور جديد.

قادوا عبر الريف وقت الغروب متجهين إلى ضواحي بلدة حيث كانت المنازل جديدة ومصممة في منحنيات طويلة حذرة، والسيارات الجديدة في الخارج تلمع كأنها تمثل نوايا أصحابها. ركن مستر نيكولز سيارته في كاسل كورت حيث وقفت أربع شجرات كرز كأنها حراس على طول الرصيف الضيق الذي تشك أن أحدًا لا يمشي فيه على الإطلاق. بُني المنزل حديثًا، نوافذه المصممة على الطراز الملكي متلألئة وسقفه الصخري يلمع تحت رذاذ المطر.

حدقت إليه من النافذة.

- هل أنتِ بخير؟

كانتا الكلمتين الوحيدتين اللتين قالهما مستر نيكولز طوال الرحلة.

قالت جيس: «انتظرا هنا دقيقةً يا طفلان». وخرجت من السيارة.

ذهبت إلى الباب الأمامي ودققت مرتين في العنوان الموجود على قطعة الورق ثم قرعت الباب بالمطرقة النحاسية. سمعت صوت التلفزيون من الداخل، ورأت ظلًّا لشخص يتحرك تحت الضوء الساطع.

طرقت مرة أخرى... بالكاد شعرت بالمطر.

خطا في الردهة، فُتح الباب، ووقفت أمامها امرأة شقراء. كانت ترتدي فستانًا من الصوف نبيذي اللون، وحذاءً رسميًا، وشعرها قُصَّ مثل النساء اللاتي يعملن في المتاجر أو البنوك لكنهن لا يرغبن في أن يبدين وكأنهن قد تخلين تمامًا عن كونهن فتيات روك أند رول.

- هل مارتي هنا؟

كانت المرأة سترد لكنها نظرت إلى جيس من قمة رأسها حتى أخمصَي قدميها، إلى شبشبها وبنطلونها الأبيض المجعد، وفي الثواني التالية وفي التعبير الجامد الذي أخذ وجهها يرسمه عرفت جيس أنها تعرف. تعرف من هي.

- انتظري هنا.

واربت الباب وسمعتها جيس تنادي في الرواق الضيق.

- مارت... يا مارت.

مارت.

سمعت صوته مكتومًا ضاحكًا يقول شيئًا عن التلفاز وبعدها انخفض صوتها. رأت ظلالهما خلف الألواح الزجاجية. ثم انفتح الباب ووقف أمامها.

ترك مارتي شعره يطول، كانت لديه غرة طويلة ناعمة، مصففة بعناية إلى جانب واحد كأنه مراهق. كان يرتدي بنطلونًا جينزًا غير مألوف لونه بنفسجي قوي، وفقد وزنه، بدا كشخص آخر لا تعرفه، وأصبح شاحبًا تمامًا.

- جيس.

لم تستطع أن تتكلم.

حدقا إلى بعضهما بعضًا. ازدرد ريقه.

- كنت سأخبرك.

إلى هذه اللحظة، جزء منها رفض تصديق أنه يمكن أن يكون ما تظنه صحيحًا، حتى هذه اللحظة ظنت أن هناك خطأً فادحًا، وأن مارتي يقيم مع صديق، أو أنه كان مريضًا مرة أخرى وماريا كوستانزا بكبرياء في غير محلها لم تستطع الاعتراف بذلك. لكن لم يكن هناك أي تفسير آخر لما تراه أمامها.

استغرق الأمر منها عدة ثوانٍ لتجد صوتها.

- هنا؟ كنت تعيش.. هنا؟

تعثرتْ للخلف، والآن لاحظت الحديقة الأمامية المنمقة والجناح الجديد المكون من ثلاث غرف الذي يمكن رؤيته من خلال النافذة. اصطدمت وركها بسيارة في مدخل البيت الأمامي ومدت يدها لتتفادى السقوط ثم سحبتها بعيدًا كما لو أن شيئًا لسعها عندما أدركت ماهيتها.

- هذا الوقت كله؟ لقد كنا نكابد طوال العامين الماضيَين فقط لنبقى دافئين ونجد ما يسد جوعنا وأنت هنا بمنزل حديث و... سيارة تويوتا أحدث موديل؟

نظر مارتي خلفه بحرج.

- علينا التحدث يا جيس.

ثم رأت ورق الحائط في غرفة طعامه، الخط السميك، وفهمت كل شيء، إصراره على التحدث فقط في أوقات محددة وعدم وجود رقم هاتف أرضي، وتأكيد ماريا كوستانزا أنه كان نائمًا كلما اتصلت في وقت غير الوقت المعتاد، وتصميمها على أن تغلق جيس الخط في أسرع وقت ممكن.

- علينا التحدث؟

كانت جيس تضحك نوعًا ما الآن.

- نعم، لنتحدث يا مارتي... لمَ لا أبدأ أنا بالحديث؟ مدة عامين لم أطلب منك شيئًا، لا المال ولا الوقت ولا نفقة رعاية الأطفال ولا أي شكل من أشكال المساعدة، لأنني اعتقدت أنك مريض، اعتقدت أنك مكتئب، اعتقدت أنك تعيش مع أمك!

- كنت أعيش مع أمي.

- لكم من الوقت؟

ضغط شفتيه.

صرخت فيه: «لكم من الوقت يا مارتي؟».

- خمسة عشر شهرًا.

- كنت مع والدتك خمسة عشر شهرًا؟

نظر إلى قدميه.

- كنت هنا منذ خمسة عشر شهرًا؟ كنت هنا منذ أكثر من عام؟

- أردت أن أخبرك، لكنني كنت أعرف أنكِ...

- ماذا؟ سأجن؟ لأنك هنا تعيش حياة مرفهة بينما زوجتك وطفلاك يعيشون في القرف الذي تركته؟

- جيس...

أُسكتت وهلةً عندما انفتح الباب فجأة، ظهرت فتاة صغيرة خلفه، وشعرها مثل ورقة شقراء لم يخدشها قلم، ترتدي كنزة من النوع الثقيل ماركة هوليستر مع حذاء رياضي ماركة كونفيرس. شدت كمه.

- برنامجك يا مارتي.

رأت جيس وتوقفت.

قال بهدوء: «اذهبي إلى والدتك يا عزيزتي».

تحركت نظراته إلى جانبه.. وضع يده برفق على كتفها.

- سأنتهي خلال دقيقة.

نظرت إلى جيس بحذر، لعلها شعرت بالتوتر الغريب في الهواء. كانت في عمر تانزي.

- هيا.. اذهبي.

أغلق الباب خلفه.

عندها انفطر قلب جيس.

- لديها.. لديها أطفال؟

ازدرد ريقه

- اثنان.

ذهبت يداها إلى وجهها ثم إلى شعرها.. استدارت وسارت على غير هدى راجعة على الطريق.

لم تكن تعرف إلى أين هي ذاهبة.

- يا إلهي... يا إلهي.

- جيس، أنا لم أنتو...

التفتت ثم هاجمته، أرادت أن تضربه، أن تهشم وجهه الغبي وتدمر قصة شعره السخيفة، أرادت أن تجعله يشعر بقدر الألم الذي شعر به طفلاه، أرادته أن يدفع الثمن. اختبأت خلف السيارة ودون أن تعي ما تفعله، وجدت

جيس نفسها تركل السيارة بعجلاتها الضخمة وطلائها اللامع. السيارة الغبية بلونها الأبيض الغبي.

- كذبت! كذبت علينا كلنا! وأنا كنت أحاول أن أحميك! لا أصدق... لا أستطيع...

ركلت السيارة وشعرت برضا بسيط عندما انثنى المعدن حتى وهي تشعر بالألم يصل إلى ساقها... ركلتها مرة تلو الأخرى غير عابئة وقبضتها تهوي على النافذة.

- جيس! السيارة! هل جننتِ؟

انهالت بالضربات على السيارة لأنها لم تطُله. كانت تضرب بيديها وقدميها غير مهتمة، تبكي من الغضب وصوت نفسها اللاهث عالٍ في أذنيها. وعندما أبعدها عن السيارة بالقوة مُقحمًا نفسه بينهما وقبضته على ذراعيها، شعرت بومضة وجيزة من الخوف من أنهم كانوا في عالم جنوني جديد الآن، وأن حياتها خرجت تمامًا عن السيطرة، ثم نظرت في عينيه... عينيه الجبانتين. سمعت طنينًا صاخبًا في رأسها. أرادت تحطيم...

- جيس.

كانت ذراع مستر نيكولز حول خصرها تعيدها برفق إلى الوراء.

- ابتعِد عني!

- الأطفال يشاهدون، تعالي الآن.

وضع يدًا على ذراعها.

لم تستطع التنفس، شعرت بجسدها كله يئن، تركت نفسها تتراجع بضع خطوات.. كان مارتي يصرخ بشيء لم تستطع سماعه من خلال الضجيج في رأسها.

- تعالي... تعالي.

الأطفال... نظرت إلى السيارة ورأت وجه تانزي وعيناها واسعتان من الصدمة، ونيكي ظِل أسود ساكن خلفها. نظرت إلى الجانب الآخر. في المنزل العصري، كان هناك وجهان صغيران شاحبان يراقبان من غرفة المعيشة ووالدتهما وراءهما. عندما رأت جيس تنظر أسدلت الستائر.

- أنتِ مجنونة.

صرخ مارتي وهو يحدق إلى ألواح السيارة المنبعجة: «مجنونة تمامًا».

بدأت ترتجف، وضع مستر نيكولز ذراعيه حولها وقادها إلى السيارة.

- ادخلي... اجلسي.

أغلق الباب بمجرد دخولها. كان مارتي يسير ببطء في الطريق نحوهم، وقد ظهر فجأة غروره القديم بعدما باتت هي المخطئة. اعتقدت أنه على وشك افتعال شجار، ولكن عندما كان على بعد قرابة خمسة عشر قدمًا، نظر إلى السيارة وانحنى قليلًا ليتفقدها، ثم سمعت الباب الخلفي يُفتح وخرجت تانزي جارية نحوه.

صرخت: «بابا!».

حملها بين ذراعيه... ولم تعد جيس متأكدة من شعورها حيال أي شيء.

لم تدرِ كم مضى من الوقت وهي جالسة هناك تحدق إلى الأرض تحت مقعد الراكب. لم تستطع التفكير، لم تستطع الشعور، سمعت تمتمة على مدخل المنزل، وفي لحظة ما، اقترب نيكي من الأمام ولمس كتفها برفق. قال بصوت مهتز: «أنا آسف».

مدت يدها إلى الخلف وأمسكت يده بقوة.

- أنت.. لم تخطئ.

انفتح الباب أخيرًا وأدخل مستر نيكولز رأسه. كان وجهه مبتلًا وقطرات المطر تتساقط من ياقته.

- حسنًا، ستبقى تانزي هنا بضع ساعات.

حدقت إليه وقد أفاقت فجأة.

- أوه، لا... ليس له الحق في إبقائها معه، ليس بعدما...

- هذا لا يتعلق بكما يا جيس.

التفتت جيس نحو المنزل، كان الباب الأمامي مواربًا وتانزي في الداخل بالفعل.

- لكن لا يمكنها البقاء هناك، ليس معهم...

ركب في مقعد السائق ثم مد يده وأمسك يدها. كانت يده مبتلة وباردة كالثلج.

- تانزي تحتاج إلى رؤية والدها.

تحدث معها كشخص يشرح شيئًا لطفل صعب المراس.

- لقد مرت بيوم سيئ وسألت إذا ما كان يمكنها قضاء بعض الوقت معه. وإذا كانت هذه هي حياته الآن يا جيس فبالتأكيد يجب أن تكون جزءًا منها.

- لكن هذا ليس...

- عادلًا، أعرف.

جلسوا هناك، ثلاثتهم يحدقون إلى المنزل الصغير المضاء بقوة. كانت ابنتها هناك مع عائلة مارتي الجديدة. شعرت كما لو أن شخصًا قد انتزع قلبها من بين ضلوعها.

لم تستطع أن ترفع عينيها عن النافذة.

- ماذا لو غيرت رأيها؟ ستكون وحدها، ونحن لا نعرفهم. أنا لا أعرف هذه المرأة. يمكن أن تكون...

- إنها مع والدها، ستكون بخير.

حدقتْ إلى مستر نيكولز. ظهر على وجهه التعاطف لكن صوته كان حازمًا بشكل غريب.

همست: «لماذا تقف في صفه؟».

- لست في صفه.

ضم أصابعها بأصابعه.

- سنذهب ونختار مكانًا نأكل فيه، وسنعود في غضون ساعتين. سنكون بالقرب ويمكننا العودة لإحضارها في أي وقت إذا احتاجت إلينا.

قال صوت من الخلف: «لا. سأبقى، سأظل معها حتى لا تكون بمفردها».

التفتت جيس. كان نيكي ينظر من النافذة.

- هل أنت متأكد؟

- سأكون بخير.

كان وجهه خاليًا من أي تعبير.

- على أي حال أنا أريد أن أسمع مبرراته نوعًا ما.

أوصل مستر نيكولز نيكي إلى الباب الأمامي، راقبت ابن زوجها وساقيه الطويلتين النحيفتين في بنطلونه الجينز الأسود الضيق وطريقته الخجولة المحرجة في الوقوف بينما انفتح الباب ليدخل. حاولت المرأة الشقراء أن تبتسم له. نظرت خلسة إلى السيارة وراءه. فكرت جيس بغير اهتمام أنه من الممكن أنها خائفة منها بالفعل. أغمضت جيس عينيها غير راغبة في رؤيتهم في ذلك المنزل، غير راغبة في تخيل ما يجري خلف ذلك الباب.

بعدها ركب مستر نيكولز السيارة مُدخلًا معه بعضًا من الهواء البارد.

- هيا. لا تقلقي، سنعود قريبًا.

جلسا في مقهى على جانب الطريق، لم تستطع أن تأكل، شربت القهوة غير عابئة إذا ما كانت ستبقيها مستيقظة. اشترى مستر نيكولز شطيرة وجلس مقابلها. لم تكن متأكدة من أنه يعرف ما يتوجب عليه قوله. ظلت تقول لنفسها: *ساعتان.. ساعتان ويمكنني استعادتهما*. أرادت فقط أن تكون في المنزل في تلك اللحظة. أرادت العودة إلى السيارة مع طفليها مبتعدين عن هنا، بعيدًا عن مارتي وأكاذيبه وحبيبته الجديدة وأسرته المزيفة. لا يهمها أي شيء آخر. راقبت عقارب الساعة تتحرك وتركت قهوتها تبرد، كل دقيقة مرت عليها دهرًا.

قبل عشر دقائق من موعد مغادرتهما، رن جرس الهاتف، أمسكته جيس بسرعة، كان رقمًا لم تتعرف عليه، صوت مارتي.

- هل يمكنك تركهما معي الليلة؟

باغتها السؤال.

أجابته بعدما وجدت الصوت لتجيب: «أوه... لا، لا يحق لك أن تبقيهما معك هكذا».

- أنا فقط ... أحاول أن أشرح لهما ما حدث.

- حظًّا موفقًا في ذلك، لأنني لا أفهمه بالمرة.

ارتفع صوتها في المقهى الصغير. رأت الناس في الطاولات المجاورة يلتفتون إليها.

- لم أستطع إخبارك يا جيس، اتفقنا؟ لأنني كنت أعرف أنكِ ستتصرفين كما فعلت.

- أوه، إذًا أنا المخطئة... بالتأكيد الذنب ذنبي!

- علاقتنا انتهت، تعرفين هذا كما أعرفه تمامًا.

كانت واقفة، لم تشعر بنفسها واقفة على قدميها، ووقف مستر نيكولز أيضًا لسبب ما.

- لا أهتم ولو قليلًا بعلاقتنا، حسنًا؟ لكننا كنا نعيش على المعونات منذ رحلت، والآن أكتشف أنك تعيش مع امرأة أخرى بأريكتك الجديدة وسيارتك اللامعة وتعيل طفليها، مع أنك قلت إنه ليس بإمكانك مساعدتنا ولو قليلًا. صحيح، هناك احتمال أن رد فعلي على هذا سيكون غير إيجابي يا مارتي.

- أنا لا أعيش بأموالي، كلها أموال لينزي، لا يمكنني أن أعيل ولديك بنقود لينزي.

- ولداي؟ ولداي؟

خرجت من جانب الطاولة الآن ماشية على غير هدى إلى الباب. كانت واعية بدرجة ما بمستر نيكولز وهو ينادي النادلة.

- اسمعي، تانزي تريد البقاء هنا بشدة، واضح أنها مستاءة بسبب موضوع مسابقة الرياضيات هذا، هي من طلبت مني أن أطلب منكِ، من فضلك.

لم تستطع جيس التفوه بكلمة، وقفت في موقف السيارات البارد وعيناها مغمضتان ومفاصلها مبيضة حول الهاتف من قوة إمساكها به.

- كما أنني أريد حقًّا التفاهم مع نيكي.

- أنت... لا تُصدق.

- فقط، دعيني فقط أتفاهم مع الطفلين، من فضلك. أنا وأنت يمكننا التحدث بعدها، لكن لهذه الليلة وهما هنا... افتقدتهما يا جيس. أعرف، أعرف أنني المُلام هنا، وأعرف أنني حثالة، لكنني مسرور أن كل شيء في العلن الآن، مسرور أنكِ تعرفين ما يحدث. وأنا فقط... أريد أن أمضي قدمًا بحياتي.

حدقت أمامها إلى موقف السيارات. على بُعد مسافة منها رأت الأضواء الزرقاء لسيارة شرطة. بدأت قدماها تؤلمانها. وقفت في موقف السيارات، ظلت واقفة في موقف السيارات ووضعت يدها على وجهها... وأخيرًا تكلمت.

- ضع تانزي على الخط.

تبع هذا صمت قصير وصوت باب، أخذت جيس نفسًا عميقًا.

- ماما؟

- تانز؟ حبيبتي، هل أنتِ بخير؟

- أنا بخير يا ماما، لديهم سلاحف، واحد من السلاحف لديه ساق مصابة، اسمه مايك. أيمكننا الحصول على سلحفاة؟

- سندرس الأمر.

كان يمكنها سماع صوت طنجرة في الخلفية وصوت حنفية وماءٍ جارٍ.

- أممم، هل حقًّا تريدين المبيت هناك؟ تعرفين لا تحتاجين إلى فعل هذا، فقط... افعلي ما يسعدكِ.

- أريد البقاء حقًّا، سوزي لطيفة، وستعيرني بيجامتها التي عليها صور High School Musical.

- سوزي؟

- ابنة لينزي، سيكون الأمر كحفلة مبيت، ولديها هذا الخرز الذي يمكنكِ أن تصنعي صورة وتلصقيه ببعضه بعضًا بالمكواة.

- صحيح.

تبع هذا صمت قصير، كان بإمكان جيس سماع كلام مكتوم في الخلفية.

- إذًا متى ستأتين لأخذي غدًا؟

ازدردت وحاولت أن تُبقي صوتها طبيعيًّا.

- بعد الإفطار، في التاسعة، ولو غيرتِ رأيك في أي وقت كل ما عليكِ فعله هو الاتصال بي، اتفقنا؟ في أي وقت، وسآتي لآخذك لحظتها، حتى لو اتصلتِ في منتصف الليل. لن يهم.

- أعلم.

- سآتي في أي وقت، أحبكِ يا عزيزتي، اتصلي متى تشائين.

- حسنًا.

- أيمكن.. أيمكنكِ أن تضعي نيكي على الخط؟

- أحبك، وداعًا.

كان صوت نيكي مبهمًا.

- أخبرتُه أنني سأبقى، لكنني سأبقى فقط لأطمئن على تانزي.

- حسنًا، سأحرض على البقاء في مكان قريب، هل هي.. تلك السيدة.. هل هي امرأة صالحة؟ يعني هل ستكونان على ما يرام؟

- لينزي، هي على ما يرام.

- وأنت... أنت على ما يرام هناك؟ مارتي ليس...

- أنا بخير.

ساد صمت قصير.

- جيس؟

- نعم؟

- هل أنتِ بخير؟

قبض الألم وجهها حينها، أخذت نفسًا صامتًا ومسحت الدموع التي كانت تجري على وجنتيها بلا صوت. لم تعرف أنها ذرفت هذا الكم من الدموع، لم ترد على نيكي إلا عندما تأكدت أن الدموع لن تبلل صوتها كما بللت وجنتيها.

- أنا بخير يا حبيبي، استمتع بوقتك ولا تقلق بشأني، سأراكما في الصباح.

كان مستر نيكولز خلفها. أخذ الهاتف منها دون أن يقول شيئًا وعيناه لا تغادران وجهها.

- وجدتُ مكانًا لنا للمبيت حيث يسمحون بوجود الكلاب.

- هل هناك حانة؟

سألته جيس وهي تمسح الدموع في عينيها بظهر يدها.

- ماذا؟

- أحتاج إلى أن أسكر يا إد، أن أشرب حتى أصل إلى قمة السكر.

مد ذراعه لها واستندت عليه.

- وأظن أنني كسرت إصبع قدمي.

إد

إذًا، كان يا مكان، التقى إد فتاةً كانت أكثر من قابل في حياته تفاؤلًا، فتاة ترتدي شبشبًا لأنها تأمل في اقتراب الربيع، كانت تتقافز في الحياة مثل نمور، الأمور التي تُسقط معظم الناس لا تؤثر فيها، أو إذا أسقطتها فإنها تنهض بأسرع ما يمكنها، سقطت مرة أخرى فابتسمت ونفضت الغبار عن نفسها واستمرت في المحاولة، لم يستطع أن يقرر ما إذا كان هذا أكثر شيء بطولي أو أكثر شيء أحمق رآه على الإطلاق.

ثم وقف على الرصيف خارج منزل عصري من أربع غرف نوم في مكان ما بالقرب من كارلايل وشاهد تلك الفتاة نفسها وهي ترى كل شيء آمنت به يُنزع منها انتزاعًا حتى لم يبقَ منها إلا شبح يجلس بجانبه في مقعد السيارة، تنظر ولا ترى من الزجاج الأمامي، وصوت إفراغ خزانات تفاؤلها مسموع، وانفتح قلبه بالقوة لمرآها.

حجز كابينة للعطلات على جانب بحيرة تبعد عشرين دقيقة من منزل مارتي، أو منزل حبيبته إن أردنا الدقة. لم يتمكن من العثور على فندق يستقبل الكلب في نطاق مئة ميل، وآخر موظفة استقبال تحدث إليها، امرأة مرحة نادته: «يا بطوط» ثماني مرات، اقترحت عليه أن يؤجرا مكانًا، وأخبرته عن مكان جديد تعرفه تديره صديقتها. كان عليه أن يدفع لإقامة ثلاثة أيام -الحد الأدنى للإقامة- لكنه لم يهتم. لم تسأل جيس، ولم يكن متأكدًا من أنها لاحظت أين هما حتى...

أخذا المفاتيح من الاستقبال، وتتبع هو المسار عبر الأشجار ثم توقفا أمام الكابينة، وأنزل جيس والكلب وأدخلهما. كانت تعرج بشدة الآن. تذكر فجأة الشراسة التي ركلت بها السيارة وهي ترتدي شبشبًا.

- خذي حمامًا طويلًا.

أنار الأضواء كلها وأغلق الستائر، كان الظلام بالخارج حالكًا لدرجة أنه لم يتمكن من رؤية شيء.

- هيا، حاولي أن تسترخي، سأذهب وأحضر بعض الطعام، وربما كيسًا من الثلج أيضًا.

التفتتْ وأومأت. كانت الابتسامة الممتنة بالكاد تصنف كابتسامة.

كان أقرب سوبر ماركت هو سوبر ماركت بالاسم فقط؛ فيه سلتا خضراوات ذابلة، ورفوف من الأطعمة المعلبة، من علامات تجارية لم يسمع بها من قبل، موضوعة -ربما منذ شهور- هنا في الإضاءة المرتعشة. اشترى وجبتين جاهزتين وبعض الخبز والقهوة والحليب والبازلاء المجمدة والمسكنات لقدمها. بعد أن فكر قليلًا اشترى زجاجتَي نبيذ.

كان يقف على الكاونتر عندما رن هاتفه معلنًا وصول رسالة. أخرجه من جيبه متسائلًا إذا ما كانت من جيس، ثم تذكر أن رصيد هاتفها نفد منذ يومين.

«مرحبًا يا عزيزي، أنا حزينة جدًّا لأنك لا تستطيع المجيء غدًا، نأمل من كل قلبنا أن نراك قريبًا، حبي، ماما. ملحوظة: بابا يرسل حبه. متعب قليلًا اليوم».

- اثنان وعشرون جنيهًا وثمانون قرشًا.

كررتها الفتاة مرتين قبل أن يلاحظ.

- أوه، معذرة.

بحث عن بطاقة ائتمانه ثم أعطاها لها.

- ماكينة البطاقات لا تعمل، هناك لافتة في الخارج.

تابع إد خط نظرها... كانت اللافتة تقول: «نقدًا أو شيكات فقط» بحروف ثقيلة مكتوبة بعناية.

- أنتِ تمزحين، صحيح؟

- لمَ سأفعل ذلك؟

مضغت ما كان في فمها ببطء.

- لا أدري إذا ما كان معي المبلغ نقدًا.

نظرت إليه دون إبداء أي رد فعل.

- ألا تقبلون البطاقات؟

- هذا ما تقوله اللافتة.

- حسنًا.. ألديكم ماكينة بطاقات خارجية؟

- معظم الناس هنا يدفعون نقدًا.

تعبير وجهها أخبره أن كونه غريبًا عن هنا واضح.

- حسنًا، أين أقرب ماكينة خارجية؟

- في كارلايل.

ظن أنها تمزح، وكانت جادة.

- إذا لم يكن معك المال للدفع فسيتعين عليك إعادة الطعام.

- معي المال، أمهليني دقيقة.

فتش في جيوبه، متجاهلًا التنهيدات التي بالكاد كانت مكتومة، والعيون المنزعجة وراءه، وبمعجزة ما تمكن من جمع النقود من جيب سترته الداخلي ومحفظته تكفي لكل شيء ما عدا البهاجي[1] المطهوة بالبصل. عدت النقود ورفعت حاجبها بشكل مبالغ فيه وهي تمرر مشترياته، ووضعت البهاجي في الجانب لأنها ستعيده بكل تأكيد لرف المجمدات لاحقًا. إد بدوره وضع مشترياته في حقيبة ستتمزق حتى قبل أن يصل إلى السيارة وحاول ألا يفكر في والدته.

كان يطبخ عندما نزلت جيس وهي تعرج إلى الطابق السفلي. على الأقل، كانت لديه صينيتان بلاستيكيتان تدوران في الميكروويف الصاخب، وهو أقصى ما يقدر عليه فيما يتعلق بفنون الطبخ. كانت ترتدي روبًا للاستحمام وشعرها ملفوف بمنشفة حمام بيضاء على شكل تربون. لم يفهم قط كيف تفعل النساء هذا، كانت زوجته السابقة تفعل هذا أيضًا. تساءل في السابق عما إذا كان شيئًا تتعلم عنه النساء مثل الدورة الشهرية وغسل اليدين. كان وجهها الخالي من المكياج جميلًا بشكل غريب.

---

(1) طبق هندي يحتوي على أي نوع من البروتين مع الخضار مطهوَّين معًا.

- تفضلي.

قدم لها إد كأسًا من النبيذ.

أخذته منه كأنها بالكاد لاحظت. كان قد أشعل نارًا في المدفأة، جلست هي أمام اللهب تائهة في أفكارها. أعطاها كيس البازلاء المجمدة لقدمها ثم شغل نفسه بباقي وجبات الميكروويف متبعًا التعليمات المدونة على العبوة.

- أرسلت رسالة لنيكي.

يطعن الغطاء البلاستيكي الرقيق بشوكة.

- فقط لأخبره بمكان إقامتنا.

أخذت رشفة أخرى من نبيذها.

- هل كان بخير؟

- كان على ما يرام، كانوا سيبدؤون بتناول الطعام.

أجفلت قليلًا عندما قال هذا وندم إد على الفور على رسم تلك اللوحة للأوقات المنزلية في مخيلتها.

- كيف حال قدمك؟

- تؤلم.

أخذت رشفة كبيرة من نبيذها ورأى أنها شربت كأسًا كاملة بالفعل. نهضت مجفلة من الألم مسقطة البازلاء على الأرض، وصبت لنفسها كأسًا أخرى. ثم، كما لو أنها تذكرت شيئًا ما، مدت يدها إلى جيب الروب وأخرجت منها كيسًا بلاستيكيًّا شفافًا صغيرًا.

- سجائر نيكي، قررتُ أن هذه لحظة مناسبة للاستحواذ على سجائره.

قالت هذا بتحدٍّ في انتظار أن يناقضها. عندما لم يفعل أخرجت أوراق نيكي وسحبت منشورًا من طاولة القهوة الزجاجية إلى حضنها حيث شرعت في لف سيجارة عشوائية. أشعلتها واستنشقت بعمق. حاولت كبت السعال ثم استنشقت مرة أخرى، بدأت فوطتها الملفوفة بالانزلاق ونزعتها غاضبة وأصبح شعرها المبلل محيطًا بكتفيها. استنشقت مرة أخرى وأغمضت عينيها ومدتها باتجاهه.

- هل هذا ما شممته عندما دخلت؟

فتحت عينًا واحدة.

- تعتقد أنني عار على الأمهات.

- لا، أعتقد أن أحدنا يجب أن يكون في حالة تسمح له بالقيادة في حالة رغبت تانزي في أن نحضرها.

اتسعت عيناها.

- لا بأس... حقًّا... تابعي، أعتقد.. أنكِ تحتاجين...

- حياة جديدة؟ أن أتمالك نفسي؟ أن أبرحه ضربًا؟

ضحكت ضحكة مريرة.

- أوه... لا، لقد نسيت، لا يمكنني حتى فعل ذلك.

- جيس...

رفعت يدها.

- آسفة، حسنًا، لنأكل.

أكلا على طاولة صغيرة مغلفة بجانب المطبخ. كان الكاري مقبولًا، لكن جيس بالكاد أكلت منه مُفضلةً الشرب على الأكل. حركت برياني الدجاج جيئةً وذهابًا في طبقها، حتى اتضح له أنها لن تأكل أكثر من بضع لقمات فعرض عليها أن يضعه جانبًا.

كان يضع الأطباق جانبًا ويستعد لغسلها عندما واجهته.

- لقد كنتُ حمقاء تمامًا، أليس كذلك؟

اتكأ إد على وحدات المطبخ حاملًا طبقًا.

- لا كيف...

- لقد ربطت الأمور ببعضها بعضًا وأنا في الحمام، لقد كنت أقول للطفلين طوال هذه السنوات كيف أن الاهتمام بالآخرين وفعل الصواب، سيجعلان كل شيء على ما يرام... لا تسرق، لا تكذب، افعل الصواب. وبطريقة ما سوف يعتني بك الكون. حسنًا، هذا كله هراء، صحيح؟ لا أحد غيري يفكر بهذه الطريقة.

كان صوتها مترنحًا قليلًا من أثر الشرب، وحملت نبرتها شيئًا من الألم.

- ليس...

- لا؟ عشت مفلسة تمامًا لعامين، لقد كنت أحميه لعامين، لا أزيد من توتره ولا أزعجه باحتياجات طفليه. وطوال الوقت كان يعيش في منزله العصري بشعره المشقر وبنطلونه الجينز وحبيبته الجديدة.

هزت رأسها في دهشة.

- لم أشك في شيء، ليس حتى لدقيقة. وربطت كل الخيوط ببعضها بعضًا بينما كنت في الحمام... شعار «أحِب لأخيك ما تحب لنفسك» هذا؟ حسنًا، إنه يصلح فقط إذا التزم به الجميع. ولم يعد أحد يفعل ذلك. العالم مملوء بالأشخاص الذين لا يهتمون بأحد غير أنفسهم، سيدوسون على رقبتك إذا عنى ذلك أنهم سيحصلون على ما يريدون. حتى لو كانت رقاب أطفالهم هي ما سيدوسون عليها.

- جيس...

تجول حول وحدات المطبخ حتى كان على بُعد إنشات منها، لم يستطع التفكير فيما يقوله، أراد أن يضمها، لكن شيئًا فيها أوقفه. صبت لنفسها كأسًا أخرى من النبيذ، ورفعتها تجاهه.

- تعرف، أنا لا أهتم لتلك المرأة، هذا ليس ما في الأمر، علاقتي بمارتي انتهت منذ وقت طويل، لكن هذا الهراء كله حول عدم قدرته على دعم طفليه؟ رفضه حتى التفكير في مساعدة تانز في دفع مصاريف المدرسة؟

تجرعت جرعة كبيرة من مشروبها وتراجعت ببطء.

- هل رأيت ما كانت ترتديه تلك الفتاة؟ سُترتها؟ أتعرف كم تكلف؟ سبعة وستين جنيهًا. سبعة وستون جنيهًا لسترة للأطفال. لقد رأيت السعر عندما أحضرت أيلين المدمنة واحدة معها.

مسحت عينيها بغضب.

- هل تعرف ما الذي أرسله لنيكي في عيد ميلاده في فبراير؟ قسيمة بعشرة جنيهات. قسيمة شراء قيمتها عشرة جنيهات لمتجر ألعاب الكمبيوتر. لا يمكنك حتى شراء لعبة كمبيوتر مقابل عشرة جنيهات. ربما مستعملة، وليس دائمًا ما يمسحون الألعاب المستعملة، فيكون شخص آخر قد جمع النقاط كلها بالفعل. والشيء الغبي أننا كنا

جميعًا سعداء حقًّا، اعتقدنا أن هذا يعني أن مارتي يتحسن. لقد أخبرت الطفلين أن عشرة جنيهات هي مبلغ كبير عندما تكون عاطلًا.

بدأت تضحك... صوت ضحكتها يائس وتعس.

- هذا الوقت كله... هذا الوقت كله كان في ذلك المنزل الحديث مع أريكته الجديدة النظيفة وستائره المتناسقة وقصة شعره التي تشبه مغنيًا في فرقة لعينة للمراهقين. ولم تكن لديه حتى الجرأة ليخبرني.

- إنه جبان.

- نعم، لكنني أنا البلهاء، لقد سحبت الطفلين وعبرت بهما البلاد في مطاردة سراب لأنني اعتقدت أنه يمكنني بطريقة ما تحسين فرصهما في الحياة. لقد أوقعتنا في دين قيمته آلاف الجنيهات، وفقدت وظيفتي في الحانة، ودمرت ثقة تانزي بنفسها إلى حد كبير بعد أن أقحمتها في شيء ما كان يجب أن تختبره. ولماذا؟ لأنني رفضت أن الحقيقة.

- الحقيقة؟

- أن أمثالنا لا يمضون قدمًا أبدًا، نحن لا نتسلق سلم النجاح، نحن نتجول في القاع فقط ونقفز فوق أشخاص تحتنا في القاع أيضًا، كأننا فئران في قبو نحاول الابتعاد عن الجزء المبتل.

- الحياة لا تمضي هكذا.

- وماذا تعرف أنت؟

تبخر الغضب من صوتها وبقيت الحيرة.

- كيف يمكنك أن تفهم؟ يُحقَّق معك في واحدة من أكبر الجرائم في العاصمة، وتقنيًّا، لقد فعلتها. لقد أخبرت حبيبتك بالأسهم التي يجب شراؤها حتى تربح كومة من المال، لكنك ستخرج منها كالشعرة من العجين.

توقفت كأسه في مكان ما بالقرب من فمه.

- ستخرج، ستحصل على أسبوعين في السجن أو حتى حكم مع وقف التنفيذ وغرامة كبيرة، لديك محامون باهظون سيبعدونك عن أي مشكلات جدية، لديك أشخاص سيجادلون لمصلحتك ويقاتلون من

أجلك، لديك منازل وسيارات وموارد، لا تحتاج إلى أن تقلق حقًا، كيف يمكن أن تفهم ما هو عليه الحال بالنسبة إلينا؟

قال بلطف: «هذا ليس عدلًا».

أغضبها رده.

- لا تحدثني عن العدل.

التفتت بعيدًا وأخذت نفسًا من سيجارتها، أخذت النفس كشخص أراد أن يغمى عليه. أخذت نفسًا بعد نفس مغمضةً عينيها وزافرةً الدخان لأعلى، والدخان ذو الرائحة الحلوة يتصاعد إلى السقف.

جلس إد بجانبها وأخذ السيجارة من بين أصابعها.

- أعتقد أن هذه قد لا تكون فكرة جيدة.

أخذتها منه.

- لا تخبرني بما تعتقد أنه فكرة جيدة.

- لا أعتقد أن هذا سيساعد.

- لا أهتم بما تعتقد...

- أنا لست عدوكِ هنا يا جيس.

نظرت إليه شذرًا ثم التفتت وحدقت إلى النار. لم يدرِ ما إذا كانت تنتظره لينهض ويغادر، أو ليصيح فيها بالمقابل. فكر: *لمرة، أَعتقد أنني لن أذهب إلى أي مكان، سأجلس وأخوض هذه المحادثة.*

- آسفة.

قالتها بعد فترة وكان صوتها جامدًا.

- لا بأس.

- لا، ما قلته ليس مقبولًا.

تنهدت.

- لا يجب أن ... لا يجب أن أفرغ غضبي فيك.

- لا بأس، كان يومًا مقرفًا، سأستحم، وبعدها أعتقد أن على كلينا أن ينام قليلًا.

أخذت نفسًا آخر.

- سأذهب للنوم بعد أن أنهي هذا.

انتظر إد لحظةً ثم تركها تحدث النار، كانت حقيقة أنه لم يفكر في أي شيء غير الاستحمام علامة على مدى تعبه.

لا بد أنه غفا في الماء، لقد فتح الماء وملأ حوض الاستحمام بعمق ووضع فيه كل ما وجده على الجانب من زجاجات وإضافات سحرية دون أن يتفحصها، ودخل إلى الماء الساخن ممتنًّا، تاركًا إياه يخفف بعضًا من توتر اليوم.. حاول ألا يفكر، لا في جيس في الطابق السفلي تحدق مكتئبة إلى ألسنة اللهب، وليس في والدته التي تبعد بضع ساعات، منتظرةً ابنًا لن يأتي. احتاج فقط إلى بضع دقائق دون أن يفكر في أي شيء... خفض رأسه بقدر ما يستطيع في الماء بينما لا يزال بإمكانه أن يتنفس.

غفا، ولكن يبدو أن بعض التوتر الغريب قد تسرب إلى عظامه، لم يستطع الاسترخاء تمامًا حتى عندما أغلق عينيه. ثم أدرك أنه يسمع صوتًا، ضوضاء سيارة بعيدة تدور غير معتدلة ولا متناغمة، مثل صوت منشار كهربائي أو سائق يتعلم كيفية التسريع. فتح عينًا على أمل أن يختفي الصوت. كان يعتقد أن هذا المكان، من بين الأماكن كلها، قد يمتعه بقدر ولو ضئيلًا من السلام ليلة واحدة فقط دون ضوضاء أو دراما، أطلب كهذا كبير؟

- جيس؟

ناداها عندما أصبح الأمر مزعجًا للغاية، تساءل عما إذا كان هناك نظام صوتي للموسيقى في الطابق السفلي، شيء يمكنها تشغيله للتعتيم على الضوضاء في الخارج.

ثم أدرك سبب قلقه الغامض، كان الصوت الذي يسمعه صوت سيارته.

جلس هناك معتدلًا لجزء من الثانية ثم تحرك خارجًا من حوض الاستحمام ولف منشفة حول خصره، نزل السلم درجتين في كل خطوة متجاوزًا الأريكة الفارغة ومتجاوزًا نورمان الذي رفع رأسه بتساؤل من مكانه أمام النار، وفتح الباب الأمامي الذي لم يكن متعاونًا معه. ضربته دفعة من الهواء البارد. خرج تمامًا في الوقت المناسب تمامًا ليرى سيارته تقفز للأمام من مكانها أمام الكابينة على طول طريق منحنٍ مغطى بالحصى، قفز من على الدرجات، وفي

أثناء ركضه تمكن من رؤية جيس أمام عجلة القيادة، منحنية للأمام، لم يكن تضيء أيًا من مصابيحها الأمامية.

- يا إلهي، جيس!

ركض عبر العشب وهو يقطر ماءً ويمسك المنشفة حول خصره بإحدى يديه، محاولًا عبور الحديقة الأمامية ليوقفها قبل أن تخرج من الطريق الفرعي إلى الطريق الرئيسي. تحرك وجهها لثانية في اتجاهه واتسعت عيناها لرؤيته، سمع صوت تكسير وهي تغير نظام السيارة.

- جيس!

كان على السيارة، ألقى بنفسه فوق مقدمة السيارة وضربها ثم تحرك للباب الأمامي للراكب، انفتح الباب قبل أن يمكنها إغلاقه من الداخل.

- ماذا تفعلين؟

لم تتوقف، كان يجري الآن بخطى واسعة جنونية ممسكًا بالباب المتحرك يمينًا ويسارًا ويد واحدة على عجلة القيادة والحصى يؤلم قدميه. ضاعت المنشفة منذ فترة.

- ابتعد!

- أوقفي السيارة! جيس! أوقفي السيارة!

- ابتعد يا إد! ستتأذى هكذا!

هشت يده وانعطفت السيارة بشكل خطر إلى اليسار.

- ما...

بقفزة تمكن من نزع المفاتيح من مكانها، اهتزت السيارة وتوقفت فجأة، اصطدمت كتفه اليمنى بالباب بقوة، ارتطم أنف جيس بعجلة القيادة مُصدرًا صوت تكسير، الوسادة الهوائية انفتحت بعدها كأنها قد نسيت.

- اللعنة!

وقع إد على جانبه وارتطم رأسه بشيء صلب.

- اللعنة!

استلقى على الأرض منهكًا ورأسه يدور. استغرق الأمر ثانية حتى تتضح أفكاره، ثم نهض مستعينًا بالباب الذي ما زال مفتوحًا. كان يستطيع أن يرى بنظره المهتز أنهما كانا على بعد أقدام من البحيرة، وساحلها الأسود كالحبر

قريب من العجلات. استلقت ذراعا جيس بجانب الوسادة الهوائية ورأسها مختبئ بينهما، ودخان طفيف يتصاعد من الخيوط. مد يده وشد المكابح اليدوية قبل أن تحرك السيارة مرة أخرى بمعجزة ما.

- ماذا كنتِ تفعلين؟ ماذا كنتِ تفعلين؟

شعر بالأدرينالين والألم يسريان في دمه، هذه المرأة كابوس، فوضى، فيمَ كانت تفكر بحق السماء؟ فيمَ كان هو يفكر عندما وافق على أيٍّ من هذا؟

- يا ربي، رأسي... أوه لا، أين منشفتي؟ أين المنشفة اللعينة؟

كانت الأضواء تُضاء في الكابينات الأخرى. نظر إلى الأعلى ورأى ظلال أشخاص في نوافذ، لم يكن يعرف أنهم موجودون. غطى نفسه بيده قدر ما استطاع ومشى سريعًا إلى حيث كانت الفوط ملقاة وموحلة على الأرض في منتصف الطريق مثل علم زينة مشع ملقى على الأرض. بينما كان يمشي رفع يده الأخرى في اتجاههم كأنه يقول لهم إنه لا يوجد شيء يستحق الرؤية هنا (بفعل الهواء البارد أصبح ما يقوله حقيقة بسرعة) وأغلق زوجين منهم نوافذهما سريعًا.

كانت جالسة حيث تركها.

- أتعرفين كم شربتِ الليلة؟

صاح فيها عبر الباب المفتوح: «كم دخنتِ من الحشيش؟ كان من الممكن أن تموتي. كان من الممكن أن تقتلينا معًا».

أراد أن يهزها، أن يُريها جنون ما فعلته للتو.

- هل أنتِ حقًّا عازمة على جعل وضعكِ أسوأ وأسوأ لهذا الحد؟ ماذا بكِ؟ هل جننتِ؟

سمعته عندئذٍ. كانت تخفي رأسها بين يديها وتبكي فيهما بصوت ضعيف يائس.

- آسفة.

هدأ إد قليلًا ورفع المنشفة حول خصره.

- ماذا كنتِ تحاولين أن تفعلي يا جيس؟ لا بد أنكِ تعرفين أن هذا سلوك جنوني.

- أردت أن أحضرهما، لا يمكنني تركهما هناك، معه.

أخذ نفسًا وكوَّر قبضته ثم أطلقها.

- لكننا تحدثنا بهذا الشأن، إنهما بخير، وقد قال نيكي إنه سيتصل إذا حدثت أي مشكلات. وسنأخذهما غدًا صباحًا، تعلمين هذا، إذًا ماذا كنتِ...

- أنا خائفة يا إد.

- خائفة؟ ممَّ؟

كان أنفها ينزف وقطرة قرمزية تتجه نزولًا إلى شفتها وعيناها ملطختان بآثار الماسكارا.

- أنا خائفة من أن... أنا خائفة من أن يعجبهما البقاء مع مارتي.

ارتسم الألم على وجهها.

- أنا خائفة من أنهما لن يريدا العودة.

وارتاحت جيس توماس بلطف مستندةً عليه ووجهها مدفون في صدره العاري. وأخيرًا أحاطها إد بذراعيه وتركها تبكي.

لقد سمع أشخاصًا متدينين يتحدثون عن تجارب روحانية، كأنه في لحظة واحدة أصبح كل شيء واضحًا، وطفا الهراء بعيدًا، هو والمتع الزائلة. لقد بدا له دائمًا أن هذا غير محتمل. ولكن إد نيكولز مر بإحدى هذه اللحظات في كابينة خشبية بجانب تجمع مائي قد يكون بحيرة أو قناة -نظرًا إلى عدم قدرته على التمييز الآن- في مكان ما بالقرب من كارلايل. لأنه كان يعرف ذات مرة امرأة قالت لنفسها إنها تستطيع فعل أي شيء، ثم قررت بعد ذلك أنها لا تستطيع فعل أي شيء. امرأة عندما وجدت نفسها في أسوأ حالاتها بذلت قصارى جهدها لإبعاد الجميع. وأدرك في تلك اللحظة أن عليه تصحيح الأوضاع، شعر بالظلم الذي وقع عليها بضراوة أكثر مما شعر به هو لنفسه في أي وقت، أدرك وهو ويقبِّل جبهتها شاعرًا بها تتشبث به أنه سيفعل ما في وسعه لإسعادها وإسعاد طفليها وإبقائهم آمنين.

لم يسأل نفسه كيف يمكنه معرفة ذلك بعد أربعة أيام، بدا الأمر أوضح له من أي شيء أدركه خلال عقود كاملة مرت.

قال لها ذلك، أخبرها -بالنبرة الهادئة لشخص يعترف بشيء- أن كل شيء سيكون على ما يرام، أنه سيجعل كل شيء على ما يرام لأنها أروع امرأة قابلها في حياته، والموضوع بسيط بالنسبة إليه بساطة علمه بأنه لا يمكنه ألا يجعل الأمور على ما يرام. وعندما رفعت عينيها المتورمتين إلى وجهه عابسة بينما تحاول استيعاب ما تسمعه، مسح إيد نيكولز أنفها النازف ووضع شفتيه على شفتيها برفق وفعل ما أراد فعله في الثمانية والأربعين ساعة الماضية، حتى لو كان أغبى من أن يدرك ذلك في البداية، قبَّلها. وعندما قبَّلته بدورها -برفق في البداية، ثم بشغف شرس أسعده ويدها تحيط رقبته وعيناها مغلقتان- حملها (كان يبدأ جهوده بالعناية بإصبع قدمها المكسورة)، ذهب بها إلى المنزل، وحاول أن يريها ما يعنيه بالطريقة الوحيدة التي يمكنه أن يقدمها، متأكدًا أنها ستفهمه.

في تلك اللحظة، رأى إد نيكولز أنه أقرب إلى مارتي من جيس، لقد كان ذلك الجبان الذي قضى حياته هاربًا من الأشياء بدلًا من مواجهتها، وآن أوان التغيير.

- جيس؟

قالها بنعومة بعد مرور بعض الوقت بينما كان مستلقيًا مدهوشًا من تقلبات الحياة بقدر 180 درجة.

- أيمكنكِ أن تفعلي لي شيئًا.

أجابته ناعسة: «من جديد؟ يا إلهي».

استقرت يدها برفق على صدره.

- لا، غدًا.

مال رأسه على رأسها.

تحركت بحيث تنزلق ساقها فوق ساقه، شعر بشفتيها على جلده.

- بالتأكيد، ماذا تريد؟

نظر إلى السقف.

- أيمكنكِ المجيء معي إلى بيت والدي؟

نيكي

المقولة المفضلة لدى جيس -إلى جانب «كل شيء سيكون على ما يرام» و«سنحل الأمر» و«أوه، يا إلهي. نورمان!»- هي أن العائلات لها أشكال وأحجام مختلفة. تقول: «ليست كل العائلات 2.4 الآن»، كما لو أنها إذا قالت ذلك مرات كافية، فسيتوجب علينا جميعًا أن نصدق هذا بالفعل.

حسنًا، لو كانت عائلتنا غير تقليدية في السابق، فهي جنونية الآن.

ليس لدي أم بدوام كامل، ليس مثل الأم التي لديك في الغالب، ولكن يبدو أنني حصلت على أم بدوام جزئي أخرى... لينزي، لينزي فوجارتي. لست متأكدًا مما تظنه بشأني، يمكنني رؤيتها تراقبني بطرفيَ عينيها، محاولةً أن تخمن إذا كنت سأفعل شيئًا كئيبًا وقوطيًّا أو سآكل سلحفاة أو شيئًا من هذا القبيل. قال أبي إنها تعمل في منصب مهم في المجلس المحلي، قالها كما لو كان فخورًا حقًّا... لست متأكدًا من أنه نظر إلى جيس بالطريقة التي ينظر بها إلى لينزي أبدًا.

لقرابة الساعة الأولى بعد دخولنا كل ما شعرت به كان الحرج الشديد، كما لو أنني حصلت للتو على مكان آخر لأشعر أنني لا أنتمي إليه، المنزل مرتب حقًّا وليس لديهم أي كتب، على عكسنا، تملأ جيس المكان -عدا الحمام- بالكتب، وغالبًا ما يوجد كتاب بجوار الحمام على أي حال. ظللتُ أحدق إلى أبي لأني لم أصدق أنه يعيش هنا كشخص طبيعي تمامًا بينما يكذب علينا طوال الوقت، جعلني هذا أكرهها كما أكرهه.

ولكن، بعدها قالت تانزي شيئًا ما على العشاء وانفجرت لينزي ضاحكة، وكانت ضحكتها عالية وسخيفة حقًّا -فوجهورن فوجارتي، فكرت في ذهني- ووضعت يدها على فمها وتبادلت هي وبابا نظرة كما لو كان صوتًا عليها المحاولة بجد ألا تطلقه، وشيء في الطريقة التي تجعدت بها عيناها جعلني أعتقد أنها ربما كانت شخصًا طيبًا.

عائلتها غير تقليدية أيضًا، لديها طفلان، سوز وجوش، وأبي. وفجأة ها أنا ذا -الفتى الكئيب كما يناديني أبي، كأن هذا مضحك- وتانزي، التي ترتدي زوجين من النظارات فوق بعضهما بعضًا لأنها تقول إن النظارة الواحدة ليست مناسبة تمامًا، وجيس التي جُنت في مدخل البيت وركلت السيارة بكل قوتها، ومستر نيكولز، الذي لديه مشاعر تجاه ماما، يقف هناك ويحاول بهدوء أن يحل مشكلات الجميع كأنه الناضج الوحيد في المكان. ومما لا شك فيه أن والدي كان عليه

أن يخبرها عن أمي بالولادة، التي قد ينتهي بها المطاف تصرخ في مدخل المنزل في يوم من الأيام مثلما فعلت في أول عيد الميلاد بعد أن انتقلت مع جيس عندما ألقت الزجاجات على نوافذنا وصرخت حتى راح صوتها واتصل الجيران بالشرطة. بأخذ هذا كله في عين الاعتبار، قد تشعر فوجهورن فوجارتي هي الأخرى أن عائلتها ليست بالشكل الذي توقعته.

لا أعرف حقًّا لماذا أخبركم بهذا. كل ما في الأمر أنها الساعة الثالثة والنصف صباحًا وجميع مَن في هذا المنزل نائم، وأنا في غرفة جوش مع تانزي، ولديه جهاز الكمبيوتر الخاص به (كلاهما لديه جهاز كمبيوتر خاص، أجهزة من نوع أبل) ولا أستطيع تذكر أكواده لألعب أي لعبة، لكنني كنت أفكر فيما قاله مستر نيكولز عن التدوين وكيف بطريقة ما إذا أنشأت مدونة ونشرتها فقد من يشبهني «ناسي».

في الغالب لستم ناسي، الظن أنكم أشخاص أخطؤوا إملائيًّا في أثناء بحثهم عن تخفيض على الإطارات أو عن أفلام إباحية أو شيء من هذا القبيل، لكنني سأضعها هنا على أي حال، فقط في حال كنتم تشبهونني في شيء ما.

لأن الساعات الأربع والعشرين الماضية جعلتني شيئًا، قد لا أنتمي بالطريقة التي تنتمي بها إلى عائلتك في مكانك الطبيعي وكلكم مثل صف صغير من الأوتاد المستديرة في ثقوب مستديرة تناسبها تمامًا. في

عائلتنا، اضطررنا إلى أن نعيد تشكيل أوتادنا وثقوبنا لأنها جميعًا تنتمي إلى مكان سابق، وجميعها معرقلة نوعًا ما وغير متوازنة بعض الشيء. لكن إليك هذا، لقد أدركت شيئًا عندما جلس والدي وأخبرني أنه من الجيد رؤيتي وعيناه رطبتان «قد يكون والدي وغدًا، لكنه وغدي أنا، وهو الوغد الوحيد الذي أملكه». والشعور بيد جيس وهي جالسة بجانب سرير المستشفى، أو سماعها تجاهد حتى لا تبكي على الهاتف بسبب فكرة تركي هنا، ومشاهدة أختي الصغيرة التي تحاول أن تكون شجاعة حقًّا بخصوص موضوع المدرسة ذلك، رغم أنني أستطيع رؤية أن عالمها يعتبر قد انتهى، هذا كله جعلني أنني أنتمي إلى مكان ما.

أعتقد أنني أنتمي إليهم نوعًا ما.

جيس

استلقى إد على الوسائد، يراقبها وهي تضع مكياجها وتغطي الكدمات على وجهها بأنبوب صغير من الكونسيلر. كانت شبه غطت الكدمة الزرقاء على صدغها حيث ارتد رأسها من على الوسادة الهوائية بالكامل، لكن أنفها كان أرجوانيًّا، والجلد مشدود فوق نتوء لم يكن موجودًا من قبل، شفتها العليا متضخمة ومتورمة كأنها شفة امرأة دخلت في قتال غير موفق في الشوارع الخلفية.

- تبدين كما لو أن شخصًا ما لكمكِ في أنفك.

فركت جيس إصبعها بلطف على فمها.

- وأنت كذلك.

- لقد ضربني شيء، سيارتي، الفضل يرجع إليكِ.

أمالت رأسها ناظرةً إلى انعكاسه خلفها، كانت لديه هذه الابتسامة البطيئة المائلة، وكانت ذقنه ظلًّا خشنًا عملاقًا. لم تستطع أن تمنع نفسها من أن تبتسم.

- لست متأكدًا من أن هناك حقًّا أي جدوى من محاولة تغطيتها يا جيس. ستظهر الكدمات مهما فعلت.

- ظننت أنني سأخبر والديك بحزن أنني ارتطمت في الباب، ربما بنظرة جانبية خائفة في اتجاهك.

تنهد وتمدد مغمضًا عينيه.

- إذا كان هذا هو أسوأ ما يظنونه بشأني في نهاية اليوم فأعتقد أنني سأكون في وضع جيد.

تخلت عن محاولة تغطية الكدمات على وجهها وأغلقت حقيبة مكياجها، لقد كان محقًّا في ما عدا قضاء اليوم كله ضاغطة بكيس ثلج، فلم يكن لديها ما تفعل لتبدو أقل تعرضًا للضرب. حركت لسانها الفضولي على شفتها العليا المتورمة.

- لا أصدق أنني لم أشعر بهذا عندما كنا.. يعني، في الليلة الماضية.

الليلة الماضية.

استدارت وزحفت على السرير حتى استلقت بطوله محاذيةً له. عرفتْ هذا الرجل، تعرفت على كل شبر منه. لم تصدق أنهما لم يلتقيا قبل أسبوع. فتح عينيه الناعستين ومد يده ولعب بكسلٍ في خصلة من شعرها.

- هذا بسبب جاذبيتي الوحشية المطلقة.

- أو السيجارتان وزجاجة ونصف من الميرلو.

لف ذراعه حول رقبتها وجذبها إليه، أغمضت عينيها فترةً وجيزةً تستنشق رائحة جلده، تفوح منه رائحة مُرضية للجنس.

همس بنعومة: «كوني لطيفة معي، أنا محطم قليلًا اليوم».

- سأحضِّر لك حمامًا.

تتبعت العلامة على رأسه، مكان اصطدامه بباب السيارة. تبادلا القبل طويلًا ببطء ولطف.. وأثار هذا احتمالًا...

- هل أنت بخير؟

- بأفضل حال.

فتح عينًا واحدة.

- لا، أعني بخصوص الغداء.

بدا جادًّا فترةً وجيزة، وترك رأسه يسقط على الوسادة، ندمت على فتح الموضوع.

- لا، لكنني أعتقد أنني سأشعر بتحسن بعد أن أنتهي منه.

جلست في الحمام تقلق بمفردها، ثم اتصلت بمارتي في الساعة التاسعة والربع، وأخبرته أن لديها شيئًا لتفعله، وأنها ستمر لأخذ الطفلين بين الثالثة والرابعة. لم تكن تطلب منه. قررت من الآن أنها ستخبره كيف ستجري الأمور.

وضع تانزي على الخط ولم تقل شيئًا عن المساء، ولكنها رغبت في معرفة كيف قضى نورمان يومه دونها. كان الكلب متمددًا أمام النار مثل سجادة ثلاثية الأبعاد. لم تكن متأكدة من أنه يتحرك في الاثنتي عشرة ساعة، باستثناء عندما نهض ليتناول وجبة الإفطار.

- لقد نجا، بالكاد.

- قال بابا إنه سيحضر شطائر اللحم المقدد، وبعد ذلك ربما نذهب إلى الحديقة، هو وأنا ونيكي فقط، لينزي ستأخذ سوز إلى درس الباليه، لديها دروس باليه مرتين في الأسبوع.

- رائع.

تساءلت عما إذا كانت قدرتها على أن تبدو مبتهجة بشأن ما جعلها ترغب في ركل شيء هي قدرتها الخارقة.

قالت لمارتي، عندما عاد على الخط: «سأعود بعد الثالثة بقليل، من فضلك تأكد من أن تانزي ترتدي معطفها».

كانت على وشك أن تغلق الخط عندما قال: «جيس».

- ماذا؟

- إنهما رائعان، كلاهما، أنا فقط...

ازدردت جيس.

- بعد الثالثة. سوف أتصل إذا كنت سأتأخر.

مشَّت الكلب ثم تركته متمددًا في الغرفة الأمامية، وعندما عادت كان إد قد استيقظ وتناول إفطاره. قاد مدة ساعة إلى منزل والديه في صمت، كان قد قص شعره وغيَّر قميصه مرتين رغم أنهما متماثلان. جلست جانبه ولم تقل شيئًا، وشعرت بحميمية المساء الماضي تتلاشى ببطء في الصباح وبمرور الأميال. فتحت فمها لتتكلم عدة مرات ثم اكتشفت أنها لا تدري ماذا تقول، شعرت كما لو أن شخصًا ما قد نزع طبقة من جلدها تاركًا نهاياتها العصبية كلها مكشوفة. كانت ضحكتها أعلى من اللازم وحركاتها خجولة وغير طبيعية، شعرت كأنها كانت نائمة مليون سنة وأن شخصًا ما أيقظها بقنبلة.

ما أرادت فعله حقًا هو لمسه، أن تمسك يده، أن تضع يدها على فخذه، ومع ذلك لم تكن متأكدة من أن هذا كان مقبولًا بعد أن خرجا من غرفة النوم إلى الضوء القوي للنهار.

لم تكن متأكدة من اعتقاده بشأن ما حدث، وكانت تخاف سؤاله.

رفعت جيس قدمها المكدومة ووضعت كيس البازلاء المجمدة عليها، أزالته ووضعته مرة أخرى.

- هل أنتِ بخير؟

- بخير.

فعلتها في الغالب رغبة في فعل أي شيء. ابتسمت له ابتسامة عابرة ورد لها الابتسامة.

فكرت في أن تميل عليه وتُقبله، فكرت في تمرير إصبعها برفق على رقبته حتى ينظر إليها كما فعل في الليلة الماضية، فكرت في فك حزام الأمان لتميل على المقعد الأمامي وتجبره على إيقاف السيارة وتشتت انتباهه عن كل شيء عشرين دقيقة أخرى. ثم تذكرت ناتالي التي -في محاولة لتكون أكثر تهورًا قبل ثلاث سنوات- أعطت دين بلوجوب مفاجأة في أثناء قيادته للشاحنة. صرخ فيها حينها: «ما الذي تفعيلنه بحق الجحيم؟» وصدم الجزء الخلفي من ميني مترو بقوة، وقبل أن يتاح له إغلاق سحاب بنطلونه، كانت دورين -عمة ناتالي- قد هرعت خارجةً من السوبر ماركت لترى ما حدث. لم تنظر إلى ناتالي النظرة نفسها مرة أخرى.

لذا ربما لن تفعل هذا. بينما يقود ظلت تسرق النظرات إليه، وجدت أنها لا تستطيع رؤية يديه دون تخيلهما على جلدها، شعره الناعم يتحرك ببطء على بطنها العاري.. فكرت في رائحته، وعضلاته القوية، وبشرته الناعمة... يا إلهي، وضعت ساقًا فوق ساق وحدقت خارج النافذة.

عقل إد كان في مكان آخر، أصبح أكثر هدوءًا، شد عضلات فكه، وكانت يداه مثبتتين على عجلة القيادة.

التفتت للأمام وعدلت البازلاء المجمدة وفكرت في القطارات، وأعمدة الإنارة، ومسابقات أولمبياد الرياضيات.

قالت لنفسها: *أنا المرأة التي لا تحتاج إلى علاقة، كل ما في الأمر أنني أربكت نفسي عن طريق إثارة الهرمونات فأصبحت حساءً من الشوق والحاجة.*

أنا امرأة لا تدخل في علاقات، وبصراحة، يوجد ما يكفي من التعقيد بفعل قبل أن يزيده ما حدث تعقيدًا... إنها مجرد أيام قليلة من حياتي.

حدقت جيس من النافذة وكررت الكلمات بصمت حتى فقدت الكلمات معناها.

يعيش والدا إد في منزل فيكتوري رمادي من الحجارة في نهاية درب مستوٍ، ذلك النوع من الشوارع الذي يتنافس ساكنوه في تنسيق أصص الزرع عند نوافذهم، وحيث تختفي حاويات إعادة التدوير عندما لا تُستخدم. ركن إد سيارته وترك المحرك يهدأ، ونظر من النافذة إلى منزل طفولته والبوابة المطلية حديثًا، والعشب الذي بدا كأن أحدًا قصه بمقص. لم يتحرك. دون تفكير -تقريبًا- تحركت ولمستْ يده، التفت إليها كأنه نسي أنها هنا.

- هل أنتِ متأكدة أنك لا تمانعين المجيء معي؟

تلعثمت وهي ترد: «بالطبع لا».

- أنا ممتن لكِ حقًا، أعلم أنك أردتِ إحضار الطفلين.

وضعت يدها على يده وهلةً.

- لا بأس، لننتهِ من هذا.

مشيا على الدرب، وتوقف إد كأنه يتأكد مما يرتديه، ثم طرق الباب الأمامي بقوة. نظرا إلى بعضهما بعضًا وابتسما محرجَين ثم انتظرا... وانتظرا.

بعد قرابة ثلاثين ثانية طرق إد الباب من جديد بقوة أكثر هذه المرة، ثم جلس على ركبتيه لينظر من فتحة البريد.

اعتدل ثم أمسك هاتفه.

- غريبة، أنا متأكد أن جيم قالت إن الغداء اليوم، دعيني أتأكد.

نظر في بعض الرسائل وأومأ مؤكدًا ثم طرق الباب مرة أخرى.

- أنا متأكدة أنهم كانوا ليسمعوا لو أنهم هنا.

جالت بخاطر جيس فكرة أنه سيكون لطيفًا لو دخلا إلى المنزل مرة واحدة ليعرفا ولو قليلًا عما ما يدور وراء بابه.

أجفلا لسماع صوت اهتزاز إطار نافذة من النوع الرأسي فوق رأسيهما. رجع إد خطوة للوراء وأطل على الباب المجاور.

- أهذا أنت يا إد؟

- مرحبًا يا مسز هاريس، أنا أبحث عن والديَّ، أتعرفين أين هما؟

تجهم وجه المرأة.

- أوه يا إيدي العزيز، لقد ذهبوا إلى المستشفى، أخشى أن والدك مرض مرة أخرى هذا الصباح.

وضع إد يديه فوق عينيه

- أي مستشفى؟

ترددت وكأنها لا تصدق أنه لا يعرف.

- الملكي يا عزيزي، إنه على بُعد قرابة أربعة أميال إذا توجهت إلى الطريق السريع. تحرك يسارًا في نهاية الطريق...

كان يبتعد بالفعل.

- لا تقلقي يا مسز هاريس، أعرف أين هو، شكرًا لك.

- بلِّغه تمنياتنا بالشفاء.

سمعت جيس النافذة وهي تسقط مغلقة. كان إد يفتح باب السيارة بالفعل.

وصلا إلى المستشفى في دقائق. لم تتكلم جيس، لم يكن لديها أي فكرة عما يجب أن تقوله. في لحظة ما قالت: «حسنًا، على الأقل سيكونون سعداء برؤيتك. لكنه كان شيئًا غبيًّا لتقوله».

وكان هو مستغرقًا في التفكير لدرجة بدا أنه لم يسمع. أعطاهم اسم والده في الاستقبال، تتبعوا الاسم، إنه في جناح فيكتوريا.

- هل تعرف مكان قسم الأورام، صحيح؟

قالتها موظفة الاستقبال وهي تبعد نظرها عن شاشتها لتنظر إليه، أجفل إد بشكل واضح إثر سماع الكلمة.

دخلا مصعدًا فولاذيًّا وصعدا طابقَين، فُتحت الأبواب لتقابلهما لافتة الجناح. ذكر إد اسمه على جهاز الاتصال الداخلي ونظف يديه بالغسول المضاد للبكتيريا بجانب الباب، وعندما فُتحت الأبواب أخيرًا تبعته عبرها.

أتت امرأة عابرةً ممر المستشفى في اتجاههما، كانت ترتدي تنورة من اللباد وجوربين ملونَين، تصفيفة قصيرة تشبه الريش. تختار النساء هذه القصة للتأكيد على أنهن مشغولات للغاية على أن يقلقن بشأن شعورهن.

- مرحبًا يا جيم.

أبطأ مع اقترابها.

نظرتْ إليه غير مصدقة، فغر فمها، وظنت جيس لحظةً أنها ستقول شيئًا ما.

- من الجيد أن...

فجأة انطلقت يد المرأة وصفعته بقوة. تردد صدى الضربة في الممر.

ترنح إد راجعًا إلى الوراء ويده على خده.

- ماذا...

- أيها الوغد، أيها الوغد اللعين.

حدقا إلى بعضهما بعضًا، خفض إد يده كما لو أنه يتوقع وجود دم. كان فكها مشدودًا، كأنها تنتظره ليقول شيئًا أو يفعل شيئًا، لكنه لم يفعل.

هزت المرأة يدها وحدقت إليها كأنها فاجأت نفسها، بعد لحظة مدتها بحذر تجاه جيس: «مرحبًا، أنا جيما».

ترددت جيس، ثم صافحتها بحذر.

- أممم... جيس.

عبست.

- المرأة التي لديها طفل يحتاج إلى مساعدة عاجلة.

عندما أومأت جيس، تفحصتها ببطء من أعلى رأسها حتى أخمصَي قدميها. كانت ابتسامتها متعَبة ليست فظة.

- نعم، ظننت أنكِ هي. صحيح، ماما في نهاية الرواق يا إد، اذهب وألقِ التحية.

- أهو هنا؟ هل إد هنا؟

كان شعر السيدة رماديًّا معدنيًّا ومسرحًا بشكل مهندم.

- أوه، إنه أنت يا إد! أوه يا عزيزي، سعدت برؤيتك، لكن ماذا فعلت بنفسك؟

عانقها ثم ابتعد مخفيًا وجهه عندما حاولت لمس أنفه، ناظرًا إلى جيس بطرفَي عينيه.

- لقد... لقد ارتطمت بباب.

حضنته مرة أخرى وربتت على ظهره.

- أوه، أنا سعيدة جدًّا لرؤيتك.

تركها تحضنه بضع دقائق ثم ابتعد بلطف.

- ماما، هذه جيس.

- أنا... صديقة إد.

- حسنًا، سعدت بلقائك، أنا آن.

تحركت نظراتها على وجه جيس، ناظرةً إلى أنفها المصاب وشفتها المنتفخة. ترددت لحظةً ثم قررت ألا تسأل.

- للأسف لا يمكنني أن أقول إن إد أخبرني الكثير عنكِ، لأن إد لا يخبرني الكثير عن أي شيء، وعليه فأنا متحمسة لأسمع عنكِ منكِ.

وضعت يدها على ذراع إد واهتزت ابتسامتها قليلًا.

- كنا نخطط لوجبة غداء لطيفة للغاية ولكن...

خطت جيما لتقترب من أمها وبدأت تفتش حقيبتها...

- لكن بابا تعب مرة أخرى.

- كان متحمسًا جدًّا لهذا الغداء، كان علينا أن نُعلم سايمون وديردري، كانا على وشك الخروج من ذا بيك ديستريكت.

قالت جيس: «يا للأسف».

- حسنًا، لم يكن أمامنا ما نفعله.

بدت وكأنها تمالكت نفسها.

- تعرفين، إنه حقًّا أفظع مرض، عليَّ أن أجاهد حتى لا آخذه على محمل شخصي.

مالت على جيس بابتسامة حزينة وقالت: «أحيانًا أدخل غرفة نومنا وأنعته بأسوأ الألفاظ. سيفاجأ بوب لو عرف».

ابتسمت لها جيس.

- يمكنني أن أشتمه أنا الأخرى لو تريدين.
- أوه، سيكون هذا رائعًا، كلما كانت أقذر كان أفضل، وبصوتٍ عالٍ، عليكِ قولها بصوتٍ عالٍ.

قال إد وهو يمسح شفته: «يمكن لجيس أن تكون صاخبة».

تبع هذا صمت قصير.

قالت آن غير موجهة كلامها لشخص بعينه: «لقد اشتريت سمكة سلمون كاملة».

شعرت جيس بجيما تتفحصها. دون وعي شدت تيشيرتها غير راغبة في أن يظهر وشمها فوق سروالها الجينز. إن كلمتَي «اختصاصي اجتماعي» جعلتاها تشعر دائمًا بأنها تحت المجهر، كما لو كانت المرأة قد علمت بالفعل من أين أتت جيس وتخضعها للتقييم.

ثم تحركت آن وراءها مادةً ذراعيها -الطريقة الجائعة التي جذبت بها إد إليها مرة أخرى- جعلت جيس جافلة قليلًا.

- أوه يا عزيزي، صبيي الحبيب، أعلمِ أنني متشبثة للغاية ولكن تحمَّلني من فضلك. رؤيتك تثلج صدري حقًّا...

عانق ظهرها وارتفعت عيناه لتقابلا جيس وهلةً والذنب يملؤهما.

تمتمت جيما: «آخر مرة عانقتني فيها كانت في عام 1997».

لم تكن جيس متأكدة من أن جيما تدرك أنها قالتها بصوتٍ عالٍ.

قالت جيس: «لا أظن أن أمي عانقتني أبدًا».

نظرت إليها جيما كما لو أنها نسيت أنها هنا.

- أم... بخصوص ضرب أخي، ربما أخبرك بوظيفتي، أشعر أن عليَّ أن أؤكد لكِ أنني لا أضرب الناس عادة.
- لا أعتقد أن الإخوة يُحسبون.

رأت دفئًا مفاجئًا في عينَي جيما.

- هذه قاعدة منطقية للغاية.

- لا بأس، على أي حال كنت أرغب في فعل ذلك كثيرًا بنفسي في الأيام الماضية.

كان بوب نيكولز راقدًا في سرير المستشفى وبطانيته تغطيه حتى ذقنه، ويداه مسترخيتان برفق عليها. كان واضحًا من شحوب بشرته وكيف أن عظام جمجمته بارزة أنه ليس رجلًا صحيح البدن. كان تنفسه مجهدًا، وتحرك رأسه ببطء نحو الباب عند دخولهم. كان هناك قناع أكسجين على طاولة بجانب السرير، وعلامتان بارزتان على خده أوضحتا أنه استخدمه مؤخرًا. كان النظر إليه مؤلمًا.

- مرحبًا يا بابا.

شاهدت جيس إد وهو يجاهد لإخفاء صدمته. انحنى نحوه وتردد قبل أن يلمسه برفق على كتفه.

- إدوارد.

صوته كان أجش، لكن لا يزال مشوبًا بثقل ما.

قالت والدته: «ألا يبدو بخير يا بوب؟».

تفحصه والده من تحت جفون داكنة. عندما تحدث كان حديثه بطيئًا متدبرًا، كما لو كان لديه عدد معين من الكلمات ليستخدمها.

- لا، يبدو أن شخصًا ما انهال عليه ضربًا.

تمكنت جيس من رؤية اللون الجديد على وجنة إد حيث ضربته أخته. وجدت نفسها تمد يدها دون وعي نحو شفتها المصابة.

- أين كام على أي حال؟

- بابا، هذه جيس.

تحركت عينا الأب تجاهها، رفع حاجبه ربع إنش.

همس لها: «وماذا حدث لوجهك بحق الجحيم؟».

- شجار مع سيارة، كنت أنا المخطئة.

- أهذا ما حدث له؟

لم ترمش.

- نعم.

تأملها لحظةً أطول.

- يبدو أنك جلابة مشكلات، هل أنتِ جلابة مشكلات؟

مالت جيما إلى الأمام.

- بابا! جيس صديقة إد.

تجاهلها.

- إذا كانت هناك ميزة صغيرة في وجود القليل من الوقت المتبقي في حياتي فمن المؤكد أنها ستكون أن بإمكاني قول ما أريد. لا تبدو مستاءة، هل أنت مستاءة؟ أنا آسف، لقد نسيت اسمكِ. يبدو أنه لم تعد لدي أي خلايا دماغية بعد الآن.

- جيس. لا، لستُ مستاءة.

ظل يحدق إليها.

- ونعم، في الغالب أنا جلابة مشكلات.

قالتها وعيناها في عينيه.

كانت ابتسامته بطيئة، ولكن عندما اكتملت استطاعت أن ترى للحظة عابرة كيف كان قبل أن يمرض.

- سعيد لسماع هذا، لطالما أحببت الفتيات اللواتي يجلبن المشكلات. كان رأس هذا الفتى محدقًا إلى الكمبيوتر فترة طويلة جدًّا.

- كيف حالك يا بابا؟

رمشت عين والده.

- أحتضر.

قالت جيما: «كلنا نحتضر يا بابا».

- اعفيني من سفسطة الاختصاصيين الاجتماعيين هذه، أنا أحتضر بسرعة غير مريحة، لم يتبق لدي سوى عدد قليل من وظائفي الحيوية، وأقل القليل من الكرامة. في الغالب لن أعيش حتى نهاية موسم الكريكيت. هل يُجيب هذا سؤالك؟

قال إد بهدوء: «أنا آسف، آسف لأنني لم آتِ لزيارتك».

- كنت مشغولًا.

- بخصوص ذلك...

بدأ إد يتكلم، كانت يداه مختبئتَين في جيبيه.

- بابا، عليَّ إخبارك بشيء، أريد أن أخبركم جميعًا بشيء.

نهضت جيس على عجل.

- لمَ لا أذهب وأحضر لنا بعض الشطائر؟ وأترككم لتتحدثوا.

كان يمكن لجيس أن تشعر بجيما تُقيم ما تعرفه.

- سأحضر المشروبات أيضًا، شاي؟ قهوة؟

تحرك رأس بوب نيكولز نحوها.

- لقد وصلت للتو، ارتاحي هنا.

قابلت عيناها إد، لقد هز كتفيه هزة صغيرة، كما لو أن بقاءها لن يصنع أي فارق.

- ما الأمر يا عزيزي؟

مدت والدته يدها إليه.

- هل أنت بخير؟

- أنا بخير. حسنًا، أنا بخير نوعًا ما. أعني أنني بصحة جيدة. لكن...

ابتلع ريقه.

- لا، أنا لست بخير، هناك شيء يجب أن أخبركم به.

سألت جيما: «ماذا؟».

- حسنًا.

أخذ نفسًا عميقًا.

- حسنًا، إليكم هذا.

سألت جيما: «ماذا؟ يا ربي يا إد، ما الأمر؟».

- يُحقَّق معي بتهمة التداول الداخلي، فُصلتُ من شركتي، يجب أن أذهب الأسبوع المقبل إلى قسم الشرطة حيث من المرجح أن أُدان وقد أذهب إلى السجن.

القول إن الغرفة كانت صامتة يبخس الوضع حقه، كان الأمر كأن شخصًا ما دخل وامتص الهواء المتاح كله. اعتقدت جيس أنها قد تفقد الوعي لوهلة من نقص الأكسجين.

قالت والدته: «أهذه مزحة؟».

- لا.

قالت جيس: «يمكنني حقًّا الذهاب وإحضار بعض الشاي».

لم ينتبه لها أحد. جلست والدة إد ببطء على كرسي بلاستيكي.

- التداول الداخلي؟

كانت جيما أول من تحدث.

- هذا... هذه تهمة جدية يا إد.

- نعم، أدرك ذلك يا جيم.

- تداول داخلي بحق؟ كما نرى على الأخبار؟

- هو بعينه؟

قالت جيس: «لديه محامون جيدون».

لم يبدُ أن أحدًا سمعها.

- باهظون.

كانت يد أمه قد ارتفعت مقتربة من فمها، أخفضتها ببطء.

- لا أفهم، متى حصل هذا؟

- منذ شهر أو نحو ذلك، التداول الداخلي، على أي حال...

- منذ شهر؟ لكن لمَ لم تخبرنا؟ كان بإمكاننا مساعدتك.

- لم يكن ليمكنك يا ماما، لا أحد يستطيع المساعدة.

- لكن السجن؟ مثل مجرم؟

أصبحت آن نيكولز شاحبة للغاية.

- أعتقد أنه إذا دخلت السجن فأنت تُعد مجرمًا يا ماما.

- حسنًا، سيتعين عليهم حل الأمر، سيرون أن هناك خطأً من نوع ما، لكنهم سيحلونه.

- لا يا ماما، لست متأكدًا أن الأمور ستسير على هذا النحو.

ساد صمت طويل آخر.

- هل ستكون بخير؟

- سأكون بخير يا ماما، كما قالت جيس لدي محامون جيدون، لدي موارد، لقد أثبتوا بالفعل أنني لم أتربح مما حدث.

- لم تتربح منه حتى؟

- كانت غلطة.

سألت جيما: «غلطة؟ لا أفهم، كيف تقوم بالتداول الداخلي بالخطأ؟».

عدل إد كتفيه ونظر إليها بثبات، أخذ نفسًا وتحركت نظرته لثانية نحو جيس، ثم نظر إلى السقف.

- حسنًا، لقد مارست الجنس مع امرأة، اعتقدت أنني معجب بها، وبعد ذلك أدركت أنها لم تكن المرأة التي ظننتها، وكنت أريدها أن تختفي دون أن يتسبب الأمر في أي فوضى. وأرادت السفر، لذلك اتخذت قرارًا سريعًا وأخبرتها بطريقة لتجني بعض المال الإضافي لسداد ديونها والسفر والترحال.

- لقد أعطيتها معلومات داخلية.

- نعم، عن SFAX... عن إطلاق منتجنا الكبير.

- يا إلهي.

هزت جيما رأسها.

- لا أصدق أنني أسمع هذا.

- لم يظهر اسمي في الصحافة بعد، لكنه سيظهر.

وضع يديه في جيبيه ونظر بثبات إلى عائلته. تساءلت جيس عما إذا كانت هي الوحيدة التي لاحظت أن يده ترتعش.

- إذًا... أمممم... لهذا لم آتِ إلى المنزل، كنت آمل أن أتمكن من إبعادهم عنكم، وربما حتى حل الموضوع حتى لا تعرفوا أي شيء عن الأمر. لكن اتضح أن هذا سيكون مستحيلًا. وأردت أن أقول إنني آسف، كان يجب أن أخبركم، وكان يجب أن أقضي وقتًا أطول هنا، لكني... لم أردكم أن تعرفوا الحقيقة. أنا... لم أردكم أن تروا كيف دمرت كل شيء.

لم يتكلم أحد. بدأت ساق جيس اليمنى تهتز لا إراديًّا، وجدت جزءًا مثيرًا للاهتمام من الجلد بجانب إبهامها وحاولت إيقاف الهز. عندما نظرت إليهم أخيرًا، كان إد يحدق إلى والده.

- و؟

- وماذا؟

- ألن تقول أي شيء؟

رفع بوب نيكولز رأسه من على الوسادة ببطء.

- ماذا تريدني أن أقول؟

نظر إد ووالده إلى بعضهما بعضًا.

- أتريدني أن أقول إنك كنت أحمق؟ سأقول إنك كنت أحمق، أتريدني أن أقول إنك دمرت مسيرة مهنية باهرة؟ سأقول هذا أيضًا.

- بوب...

- حسنًا، ماذا تريد...

بدأ يسعل فجأة، سعالًا جافًّا مبحوحًا.

تقدمت آن وجيما لتساعداه مناولتين إياه المناديل وأكواب المياه، ومتحركتين ومكلمتين كأنهما زوجان من الدجاجات. كان الأمر كأنهما جميعًا ممتنتان لوجود شيء تفعلانه.

كان إد واقفًا عند طرف سرير والده.

قالت أمه من جديد: «السجن؟ السجن حقًّا؟ السجن الحقيقي؟».

- هذا ما قاله يا ماما.

- لكن هذا فظيع.

- اجلسي يا ماما، أنفاسًا عميقة.

وجهت جيما أمها إلى كرسي.

لم يتحرك أحد إلى إد، لماذا لم يعانقه أحد؟ لماذا لم يروا كيف شعر بالوحدة في تلك اللحظة.

قال بهدوء: «أنا آسف».

لم يبدُ أن أحدًا سمعه.

- أيمكنني أن أقول شيئًا؟

لم تستطع جيس أن تتحمل أكثر من هذا. سمعت صوتها واضحًا وعاليًا قليلًا.

- أريد فقط أن أخبركم أن إد ساعد طفليَّ عندما لم يكن بوسعي مساعدتهما، لقد قاد بنا عبر البلاد لأننا كنا يائسين. في وجهة نظري فإن ابنكما... مذهل.

نظروا كلهم إليها، التفتت جيس لتواجه والده.

- إنه طيب وذكي وماهر، حتى لو لم أتفق مع كل ما يفعله. إنه لطيف مع الناس الذين بالكاد يعرفهم بغض النظر عن موضوع التداول الداخلي هذا. لو كبر ابني ليصبح نصف الرجل الذي هو ابنك فسأكون سعيدة، سأكون أكثر من سعيدة، سأطير من الفرحة.

كانوا كلهم يحدقون إليها.

- واعتقدتُ هذا كله حتى قبل أن أمارس الجنس معه.

لم يتكلم أحد. نظر إد إلى قدميه بتركيز.

- حسنًا.

أومأت آن إيماءة صغيرة.

- هذا... أمممم... هذا...

قالت جيما: «نورنا».

- أوه يا إدوارد.

تهاوى صوت أمه.

تنهد بوب وأغمض عينيه.

- دعونا لا نتصرف كأننا في فيلم هوليوودي حيال هذا الأمر.

فتح عينيه من جديد وأشار حتى ارتفعت مقدمة السرير قليلًا.

- تعال هنا حيث يمكنني رؤيتك يا إد، نظري بشع.

أشار للكوب مرة أخرى وحملته زوجته إلى شفتيه.

ابتلع متألمًا ثم ربت على جانب السرير ليجلس إد عليه.

- أنت ابني يا إد، قد تكون أحمق وعديم الإحساس بالمسؤولية، لكن هذا لا يغير مشاعري نحوك ولو قليلًا.

عبس.

- أنا غاضب لأنك ظننت أنه قد يغيرها.

- آسف يا بابا.

هز والده رأسه ببطء.

- للأسف لا يمكنني أن أساعدك، انقطاع الأنفاس الغبي...

ظهر الألم على وجهه وابتلع ريقه بألم، قبض على يد إد بقوة.

- كلنا نخطئ، اذهب وتحمَّل نتيجة خطئك ثم عد إلينا وابدأ من جديد.

نظر إليه إد، ورأت جيس الصبي الذي كانه: مجروحًا ويائسًا لرضا والده، وعازمًا على ألا يُظهِر هذا.

- تصرف بشكل أفضل المرة المقبلة، أعرف أنه يمكنك هذا.

في تلك اللحظة بدأت آن بالبكاء. دموع مفاجئة ضعيفة خبأتها في كمها. التفت جيس إليها ببطء وقالت بلطف: «أوه يا عزيزتي».

في تلك اللحظة اعترفت جيس أخيرًا بأنها أصبحت دخيلة على المشهد. فتحت الباب دون صوت وخرجت.

شحنت رصيد هاتفها في متجر المستشفى وأرسلت رسالة نصية إلى إد لتخبره بمكانها، وانتظرت في الطوارئ لتفحص قدمها. قال طبيب بولندي شاب إنها مصابة بكدمات شديدة، ولم يجفل عندما أخبرته كيف حدث ذلك. لفها وكتب وصفة طبية لمسكنات قوية، وأعاد إليها شبشبها، ونصحها بالراحة، وقال دون أن يبعد نظره عن مثبت الأوراق: «حاولي ألا تركلي المزيد من السيارات».

عادت جيس إلى الطابق العلوي -حيث جناح فيكتوريا- وهي تعرج، وجلست على أحد الكراسي البلاستيكية في الممر وانتظرت. كان الجو دافئًا وكان الناس من حولها يتكلمون بالهمسات، لعلها غفت فترةً وجيزة. استيقظت فجأة عندما خرج إد من الغرفة، رفع سترته وأخذها دون أن يتفوه ولو بكلمة، بعد لحظة ظهرت جيما في الممر، وقفا في مواجهة بعضهما بعضًا بصمت. وضعت أخته يدها برفق على جانب وجهه.

- أيها الأحمق.

أخفض رأسه وخبأ يديه في جيبيه مثلما يفعل نيكي.

- أيها الأحمق، الغبي الأحمق، اتصل بي.

ابتعد قليلًا، كانت عيناه محمرتين.

- أعني ذلك، سآتي معك إلى المحكمة، أعرف بعض الأشخاص تحت المراقبة الذين يمكن أن يساعدوك في دخول سجن مفتوح. يعني، لن تكون من الفئة أ، ما دمت لم تفعل أي شيء آخر.

تحركت عيناها نحو جيس لثانية ثم عادتا إليه.

- لم تفعل أي شيء آخر، أليس كذلك؟

انحنى إلى الأمام وعانقها، وربما كانت جيس الوحيدة التي لاحظت الطريقة التي أغلق بها عينيه بشدة عندما ابتعد.

خرجا من المستشفى إلى البياض المشع ليوم ربيعي. يبدو أن الحياة الحقيقية -لسبب غير مفهوم- استمرت بغض النظر عما حدث. لفت السيارات في مساحات صغيرة جدًّا، وأُنزِلت عربات الأطفال من الحافلات، وسمعا صوت راديو عامل يدهن درابزينًا قريبًا. وجدت جيس نفسها تتنفس بعمق ممتنة لابتعادها عن الهواء العطن للجناح وشبح الموت شبه الملموس الذي حام فوق والد إد. مشى إد ونظر إلى الأمام مباشرة. ذكَّرها، لفترة وجيزة، بنيكي قبل مجيئهم إلى هنا، عندما بدا أن طاقاته كلها تركز على عدم إظهار أي شيء وعدم الشعور بأي شيء. عبرا موقف السيارات حتى وصلا إلى سيارته وتوقف. انفتحت الأبواب بصوت مسموع، ثم توقف، كان الأمر كأنه لا يستطيع التحرك، وقف هناك وإحدى ذراعيه ممدودة قليلًا يحدق إلى سيارته.

انتظرت جيس دقيقة ثم دارت حولها ببطء، أخذت المفتاح من يده، وأخيرًا، عندما تحرك بصره تجاهها، لفت ذراعيها بقوة حول خصره، احتضنته حتى نزل رأسه ببطء ليستريح -ثقل ناعم- على كتفها.

تانزي

بدأ نيكي محادثة على الإفطار، كانوا جالسين يأكلون حول الطاولة مثل عائلة تلفزيونية -أكلت تانزي حبوب إفطار على شكل أطواق، وسوزي وجوش أكلا كرواسون شوكولاتة، قالت سوزي إنهما يأكلانه كل يوم لأنه كان المفضل لديهما- كان الجلوس هناك مع بابا وعائلته الأخرى غريبًا قليلًا ولكن ليس بالسوء الذي توقعته. كان بابا يأكل صحنًا من رقائق النخالة لأنه قال إنه يجب أن يظل نحيفًا الآن، وربت على معدته كثيرًا. رغم أنها لم تكن متأكدة من السبب، فلم يكن لديه وظيفة فعلية. يقول: «أشياء في طور الإعداد، تانز» كلما سألت عما كان يفعله بالفعل. وتساءلت عما إذا كان لدى لينزي مرأب مملوء بوحدات تكييف الهواء التي لا تعمل أيضًا. لم يبدُ أن لينزي أكلت أي شيء. كان نيكي يلعب ببعض الخبز المحمص -لم يكن يأكل وجبة الإفطار قط، قبل هذه الرحلة لم يكن حتى ليكون مستيقظًا لتناول الإفطار- عندما نظر إلى بابا وقال: «جيس تعمل طوال الوقت، طوال الوقت. ولا أعتقد أن هذا عادل».

توقفت ملعقة بابا في منتصف الطريق إلى فمه، وتساءلت تانزي إذا ما كان سيغضب مثلما اعتاد أن يفعل كلما قال نيكي شيئًا يشعره أنه غير مؤدب. لم يقل أحد أي شيء مدة دقيقة، ثم وضعت لينزي يدها على يد بابا وابتسمت.

- إنه على حق يا حبيبي.

احمر بابا خجلًا قليلًا وقال: «إنه.. نعم.. حسنًا، الأوضاع ستتغير قليلًا من الآن فصاعدًا، وكلنا نخطئ».

ولأنها شعرت بأنها أشجع بعض الشيء في تلك اللحظة قالت تانزي: «إنه لا إذا أردنا الدقة، لم نخطئ كلنا. لقد أخطأت هي في خوارزمياتها، وأخطأ نورمان بسبب الأبقار وكسر نظارتي، وأخطأت أمي في موضوع الرولز رويس والقبض عليها، لكن نيكي كان الشخص الوحيد في عائلتي الذي لم يرتكب

خطأً». لكن بينما تقول هذا ركلها نيكي بقوة من تحت الطاولة وأعطاها تلك النظرة.

سألته عيناها: «ماذا؟».

أجابتها عيناه: «اصمتي».

أجابته عيناها: «جرررر، لا تقل لي أن أصمت».

وبعد ذلك لم ينظر إليها.

سألتها لينزي: «هل تريدين كرواسون شوكولاتة يا حبيبتي؟». وضعت واحدة على طبقها قبل أن تجيب تانزي حتى.

غسلت لينزي ملابس تانزي وجففتها في المساء، وفاحت منها رائحة منعم الأقمشة بالأوركيد والفانيليا. كل شيء في هذا المنزل تفوح منه رائحة شيء ما. كان الأمر كما لو أنه لم يُسمح لأي شيء أن تكون له رائحته فقط. لديها تلك الأجهزة التي أطلقت «رائحة فاخرة من الأزهار النادرة والغابات المطيرة» منتشرة في أركان المنزل، وأوعية من الزهور العطرية التي رشتها من زجاجات عطرية صغيرة، وكان لديها قرابة مليار شمعة في الحمام «أحب شموعي المعطرة». انزعج أنف تانزي طوال الوقت الذي كانوا فيه بالداخل.

بعد أن ارتدوا ملابسهم أخذت لينزي سوز إلى الباليه، وذهب بابا وتانزي إلى الحديقة رغم أنها لم تذهب إلى الحديقة منذ قرابة عامين لأنها كبرت عليها نوعًا ما. لكنها لم تكن تريد أن تؤذي مشاعر بابا، لذا جلست على الأرجوحة وتركته يدفعها عدة مرات، ووقف نيكي يراقب ويداه في جيبيه. ترك جهاز نينتيندو الخاص به في سيارة مستر نيكولز، وكانت تانزي تعلم أنه أراد سيجارة بشدة، لكنها لا تعتقد أنه يشعر بالشجاعة الكافية للتدخين أمام بابا.

أكلوا بطاطس من متجر بطاطس للغداء. قال أبي: «لا تخبري لينز» وهو يربت على بطنه، وسأل بابا أسئلة عن مستر نيكولز محاولًا أن يبدو غير مهتم: «من هو إذًا، هذا الرجل؟ حبيب والدتك؟».

قال نيكي «لا» بطريقة صعبت على بابا طرح سؤال آخر. اعتقدت تانزي أن بابا صُدم قليلًا من الطريقة التي تحدث بها نيكي إليه، ليس أنه كان وقحًا حقًّا، ما في الأمر أنه لم يبدُ مهتمًّا بما يفكر فيه بابا. كما أن نيكي أصبح أطول منه الآن، ولكن عندما أشارت تانزي إلى ذلك لم يبد أن بابا اعتقد أن هذا أمر مذهل على الإطلاق.

شعرت تانزي بالبرد لأنها لم تُحضر معطفها، لذا عادوا، وعادت سوز إلى المنزل من الباليه بالفعل، لذا صعد نيكي إلى الطابق العلوي ليستخدم الكمبيوتر، ولعبتا بعض الألعاب، ثم لعبتا مع سلحفاتها، ثم نهضتا وذهبتا إلى غرفتها وقالت إن بإمكانهما مشاهدة قرص دي في دي، لأن لديها مشغل أقراص دي في دي، وإنها كانت تشاهد واحدًا كاملًا بنفسها كل ليلة قبل النوم.

سألتها تانزي: «ألا تقرأ والدتك لك؟».

- ليس لديها وقت، لهذا أحضرت لي دي في دي.

كان لديها رف كامل من الأفلام، الأفلام المفضلة كلها التي يمكنها مشاهدتها بمفردها عندما يشاهدون شيئًا لا تحبه في الطابق السفلي.

قالت: «مارتي يحب أفلام العصابات لذا يشاهدونها».

تجعد أنفها، واستغرق الأمر من تانزي بضع دقائق لتدرك أنها كانت تتحدث عن والدها، ولم تعرف ماذا تقول.

قالت سوز بينما تنظر إلى حقيبة تانزي: «أحب سترتك».

- صنعتها أمي لي لعيد الميلاد.

- والدتك صنعتها فعليًّا!

رفعتها ليتلألأ الترتر -الذي خاطته ماما في الكُمين- في الضوء.

- واو، هل هي مصممة أزياء أو شيء كهذا؟

- لا. إنها عاملة نظافة.

ضحكت سوز كما لو أن تانزي كانت تمزح.

عندما رأت أوراق الرياضيات في حقيبتها.

- ما هذا كله؟

هذه المرة أبقت تانزي فمها مغلقًا.

- هل هذه رياضيات؟ واو، يا إلهي... إنها... شخابيط... كأنه.. مكتوب باليوناني.

ضحكت وهي تقلب الأوراق، ثم تمسكها بإصبعين وكأنها شيء فظيع.

- هل هي أوراق أخيك؟ هل هو مهووس بالرياضيات أو شيء كهذا؟

- لا أعرف.

احمر وجه تانزي خجلًا لأنها لم تكن جيدة عندما يتعلق الأمر بالكذب.

- مقرف، يا له من نيرد، غريب أطوار، عبقري محرج.

رمتها في جانب واحد بينما كانت تتفحص ملابس تانزي الأخرى.

لم تقل تانزي أي شيء، تركت الأوراق على الأرض لأنها لم ترد أن تشرح وجودها، ولا تريد التفكير في الأولمبياد. وفكرت فقط أنه ربما سيكون أسهل لو حاولت أن تكون مثل سوز من الآن لأنها بدت سعيدة جدًّا وبدا أبي سعيدًا جدًّا، هنا ثم قالت ربما عليهما مشاهدة التلفزيون في الطابق السفلي لأنها لا تريد التفكير في أي شيء بعد الآن.

شاهدا ثلاثة أرباع فانتازيا عندما سمعت تانزي بابا ينادي.

- تانز، والدتك هنا.

وقفت ماما على عتبة الباب وذقنها مرفوع كما لو كانت تستعد لجدال، وعندما توقفت تانزي وحدقت إلى وجهها وضعت يدها على شفتها كما لو أنها تذكرت للتو أنها كانت مجروحة، وقالت: «لقد سقطت».

ثم نظرت تانزي خلفها إلى مستر نيكولز الذي كان جالسًا في السيارة، فقالت ماما بسرعة: «لقد سقط هو أيضًا»، رغم أنها لم تكن قادرة على رؤية وجهه، وكانت تريد معرفة إذا ما كانوا سيستقلون السيارة أو إذا كانوا سيضطرون إلى ركوب الحافلة.

قال بابا: «هل كل ما تحتكين معه هذه الأيام يتعرض إلى نوع من الإصابة؟».

نظرت إليه ماما شذرًا، وتمتم هو بشيء عن الإصلاحات، ثم قال إنه سيذهب ويحضر حقيبتها، وتنفست تانزي نفسًا عميقًا وركضت إلى ذراعَي ماما، لأنها رغم قضاء وقت ممتع في منزل لينزي افتقدت نورمان وأرادت أن تكون مع ماما، وأصبحت فجأة متعبة جدًّا جدًّا.

الكابينة التي استأجرها مستر نيكولز بدت وكأنها من إعلان لما يريد كبار السن فعله عندما يتقاعدون، أو ربما إعلان حبوب لعلاج مشكلات البول. كانت مطلة على بحيرة، وكان يوجد عدد قليل من المنازل الأخرى، وكانت خلف الأشجار مصممة بزوايا، فلا توجد نافذة واحدة تطل مباشرة على أي منزل آخر. كانت هناك ست وخمسون بطة، وعشرون إوزة، كلها في الماء، وبقيت

جميعها حتى وقت الغداء ما عدا ثلاثًا. اعتقدت تانزي أن نورمان قد يطاردها، لكنه نام على العشب يراقبها.

قال نيكي: «رائع. رغم أنه لا يحب الأماكن المفتوحة على الإطلاق»، أخذ نفسًا عميقًا. أدركتْ أنه لم يدخن سيجارة لأربعة أيام.

قالت أمي: «أليس كذلك؟».

حدقت إلى البحيرة ولم تقل شيئًا لمدة، بدأت تقول شيئًا عن دفع حصتهم من الإيجار، ورفع مستر نيكولز يديه وقال: «لا لا لا» دون توقف كأنه لا يرغب حتى في سماعها، واحمرت ماما خجلًا وتوقفت.

شووا في الخارج للعشاء -رغم أنه لم يكن طقسًا مناسبًا للشواء- لأن ماما قالت إنها ستكون نهاية ممتعة للرحلة. ومتى توفر لديها وقت للشواء على أي حال؟ بدت مصممة على إسعاد الجميع، وتحدثت ضعف ما تحدثه أي شخص آخر، وقالت إنها تخطت الميزانية لأنه في بعض الأحيان كان عليك أن تحمد الله وتغامر قليلًا. بدا الأمر وكأنها كانت تقول شكرًا هكذا. لذا أكلوا نقانق وأفخاذ دجاج في صلصة حارة ولفائف طازجة وسلطة، واشترت ماما عبوتين من الآيس كريم من النوع الجيد لا الأنواع الرخيصة التي تأتي في علب بلاستيكية بيضاء. لم تسأل عن أي شيء بخصوص منزل أبي الجديد، لكنها عانقت تانزي كثيرًا وقالت إنها اشتاقت إليها، وأليس هذا سخيفًا، لأنها كانت ليلة واحدة فقط.

تبادلوا النكات، ورغم أن تانزي كانت تتذكر فقط تلك النكتة عن العصا التي كانت بُنية ولزجة فقد ضحك الجميع، ولعبوا اللعبة حيث تضع مكنسة على جبهتك وتدور في دوائر حتى تسقط، والتي دائمًا ما تجعل الجميع يضحكون. فعلتها ماما مرة واحدة، رغم أنها بالكاد تستطيع المشي وقدمها كلها مجبرة، وظلت تقول: «آه آه آه» بينما كانت تدور في دائرة. وجعل هذا تانزي تضحك، لأنه كان من الجيد أن ترى أمي تتصرف بمرح وتلعب بدلًا من جديتها المعتادة. وظل مستر نيكولز يقول: «لا لا، لا شكرًا»، لا يريد أن يلعب، سيشاهد فقط. ثم اقتربت منــه أمــي وهي تعرج وهمست شيئًا بصوت خفيض في أذنه ورفع حاجبيه وقال: «حقًا؟»، وأومأت برأسها. وقال: «حسنًا، حسنًا، إذًا».

وعندما سقط جعل الأرض تهتز قليلًا. وحتى نيكي الذي لم يرغب في فعل شيء قط، فعلها وساقاه بارزتان مثل أرجل العناكب الطويلة، وعندما ضحك

كانت ضحكته غريبة حقًّا كأنها هاه-هاه-هاه، ثم قررت تانزي أنها لم تسمعه يضحك هكذا منذ زمن. ربما لم تسمعه يضحك هكذا قط.

وفعلتها هي قرابة ست مرات، حتى ارتج العالم تحتها ودار وانهارت على ظهرها فوق العشب، وشاهدت السماء تدور حولها ببطء، واعتقدت أن ذلك يشبه إلى حد ما حياة أسرتهم. ليست بالطريقة التي كان من المفترض أن تكون عليها.

أكلوا الطعام، وشربت ماما ومستر نيكولز بعض النبيذ، وأخذت تانزي اللحم كله من على العظام وأعطته لنورمان، لأن الكلاب تموت إذا أعطيتها عظام الدجاج. وبعد ذلك ارتدوا معاطفهم وجلسوا على كراسي الخيزران اللطيفة المتوفرة في الكابينة مصفوفة أمام البحيرة، وراقبوا الطيور على الماء حتى حل الظلام. قالت ماما مخترقة الصمت: «أحب هذا المكان».

لم تكن تانزي متأكدة من أنه من المفترض أن يرى أحد هذا، لكن مستر نيكولز مد يده وضغط على يد أمي.

بدا مستر نيكولز حزينًا بعض الشيء معظم المساء. لم تكن تانزي متأكدة من السبب، تساءلت عما إذا كان ذلك بسبب وصولهم إلى نهاية رحلتهم الصغيرة، لكنها سمعت صوت الإوز والبط يلعب على الجانب الآخر من البحيرة، وصوت الماء على الشاطئ، وكان هادئًا يساعد على الاسترخاء، ثم لا بد أنها نامت، لأنها تذكرت مستر نيكولز وهو يحملها في الطابق العلوي نوعًا ما، وماما تغطيها وتخبرها أنها تحبها، لكن أكثر شيء تذكرته عن ذلك المساء كله هو أن أحدًا لم يتحدث عن الأولمبياد، وكانت سعيدة حقًّا.

إليك هذا، بينما كانت أمي تحضر حفل الشواء، طلبت تانزي أن تستعير كمبيوتر مستر نيكولز، وبحثت عن إحصائيات أطفال الأسر ذات الدخل المنخفض في المدارس الخاصة. ورأت بعد بضع دقائق أن نسبة احتمال التحاقها فعليًّا بسانت آن دائمًا في خانة الآحاد. فهمت أنه لا يهم كم كان أداؤها جيدًا في امتحان الدخول هذا، كان ينبغي لها التحقق من هذا الرقم قبل مغادرتهم المنزل، لأن حياتك تسير على النحو الخطأ فقط عندما لا تنتبه للأرقام. صعد نيكي إلى الطابق العلوي، وعندما رأى ما كانت تفعله وقف هناك دون أن يقول شيئًا لدقيقة، ثم ربت على ذراعها وقال إنه سيتحدث إلى شخصين يعرفهما أصغر منه بعام في ماك آرثر للتأكد من أنهما سيعتنيان بها.

عندما كانوا في منزل لينزي أخبرها بابا أن المدرسة الخاصة لا تضمن النجاح. لقد قالها ثلاث مرات. قال: «النجاح يعتمد على ما في داخلك، العزيمة».

ثم قال إنه يجب على تانزي أن تجعل سوز تُعلمها كيف تصفف شعرها، لأنه ربما سيبدو شعرها جميلًا لو صففته هكذا أيضًا.

قالت ماما إنها ستنام على الكنبة الليلة، ويمكن لتانزي ونيكي أن يناما في غرفة النوم الثانية، لكن تانزي لا تظن أنها فعلت ذلك، لأنها استيقظت شاعرة بالعطش الشديد في منتصف الليل بسبب ما طهته ماما، وذهبت إلى الطابق السفلي، ولم تكن ماما هناك. وفي الصباح كانت ماما ترتدي تيشيرت مستر نيكولز الرمادي الذي يرتديه كل يوم، وانتظرت تانزي عشرين دقيقة تراقب بابه لأنها كانت تريد معرفة ماذا سيكون مرتديًا عندما يخرج من الغرفة.

غطى ضباب خافت البحيرة في الصباح، تصاعد من الماء كأنه خدعة سحرية. عندما وضع الجميع حقائبهم في السيارة، شمشم نورمان حول العشب وذيله يهتز ببطء. قال مستر نيكولز: «أرانب»، (كان يرتدي تيشيرتًا رماديًّا آخر). كان الصباح باردًا ورماديًّا وهديل حمامات الخشب على الأشجار هادئًا، وشعرت تانزي بذلك الشعور الحزين الذي يشبه شعورك عندما تكون ذاهبًا من مكان لطيف حقًّا وقد انتهت رحلتك.

قالت بهدوء وماما تغلق مؤخرة السيارة: «لا أريد العودة إلى المنزل».

أجفلت ماما.

- ماذا يا حبيبتي؟

- لا أريد العودة إلى المنزل.

نظرت ماما إلى مستر نيكولز ثم حاولت أن تبتسم، مشت ببطء في اتجاهها.

- أتعنين أنك تريدين أن تكوني مع والدك يا تانز؟ لأنه إذا كان هذا ما تريدينه حقًّا، فسوف...

- لا، أحب هذا المنزل، والمكان لطيف هنا.

أرادت أن تقول: «وليس هناك ما نتطلع إليه عندما نعود لأن كل شيء دُمر، وإلى جانب ذلك، لا يوجد آل فيشر هنا». لكنها عرفت من وجه ماما أنها كانت تفكر في الشيء نفسه لأنها نظرت على الفور إلى نيكي وهز نيكي كتفيه.

- تعلمان أنه لا عيب في محاولة فعل شيء، أليس كذلك؟

حدقت ماما إليهما.

- لقد بذلنا قصارى جهدنا لتحقيق شيء ما، ولم يحدث ذلك، ولكن نتج عن جهدنا بعض الأشياء الجيدة، تمكنا من رؤية بعض أجزاء البلاد التي لم نكن لنأتي ونراها لولا ذلك. تعلمنا بعض الأشياء، تحدثنا مع والدكما وحللنا الأمور وتعرفنا على بعض الأصدقاء.

لعلها كانت تقصد لينزي وطفليها لكن عينيها كانتا على مستر نيكولز عندما قالت ذلك.

- وختامًا، أعتقد أن محاولتنا كانت شيئًا جيدًا، حتى لو لم تسر بالطريقة التي خططنا لها تمامًا. وربما لن تكون الأمور بهذا السوء عندما نعود إلى المنزل.

لم يُظهر وجه نيكي أي شيء، تعرف تانزي أنه كان يفكر في المال.

ثم مشى مستر نيكولز الذي لم يقل شيئًا طوال الصباح إلى السيارة وفتح الباب لها وقال: «نعم، حسنًا، كنت أفكر في هذا الأمر، وسنغير مسارنا قليلًا والتوقف في مكان ما قبل العودة».

جيس

كانوا جماعة صغيرة صامتة في الطريق إلى المنزل، لم يطلب أحد تشغيل الموسيقى، وكانت المحادثات شحيحة، حتى الكلب أوقف أنينه كأنه استسلم لحقيقة أن هذه السيارة هي بيته الآن. طول الوقت الذي خططت فيه جيس لهذه الرحلة وعبر الأيام المزدحمة المتوترة الغريبة التي قضوها يرتحلون، لم تتصور ما بعد أن يصلوا بتانزي إلى الأولمبياد. ستوصلها إلى هناك وستمتحن تانزي امتحانها وكل شيء سيكون على ما يرام. لم تفكر حتى في احتمالية أن الرحلة ستستغرق ثلاثة أيام أكثر مما خططت، ولا أنها ستدمر ميزانيتها. لم تفكر ولو مرة في أنهم سيحتاجون إلى المبيت في مكان خلال طريق العودة إلى المنزل، أو أنه سيبقى معها بالضبط 13.81 جنيهًا نقدًا وبطاقة ائتمان تخاف من استخدامها حتى لا تبتلعها الماكينة إذا وضعتها فيها.

لم تخبر جيس إد بأيٍّ من هذا، كان صامتًا وينظر بتركيز إلى الطريق أمامه، ربما مستغرق في التفكير في والده. نيكي الذي كان يجلس وراءه ويكتب على حاسوب إد المحمول وسماعتاه في أذنيه وحاجباه معقودان في تركيز. شكت جيس في وجود جهاز معقد من أجهزة إد يسمح له بالوصول إلى الإنترنت. كانت ممتنة لأنه يتكلم ويأكل وينام، لدرجة أنها لم تسأل عنه. كانت تانزي صامتة ويدها على رأس نورمان الكبير وعيناها مركزتان على المنظر سريع التغيير خارج النافذة، كلما سألتها جيس إذا ما كانت بخير أجابتها بإيماءة لا أكثر.

لم يهمها أيٌّ من هذا بقدر ما يُفترض به أن يهم، لأن شيئًا أساسيًّا فيها تغير.

«إد»، كررت جيس اسمه بصمت في ذهنها إلى أن فقدت الكلمة كل معنى حقيقي لها. جلست على بعد رجل تعرف الآن أنه ببساطة أعظم رجل عرفته،

كانت متفاجئة أنها الوحيدة التي أدركت ذلك، عندما يبتسم لا يمكن لجيس منع نفسها من الابتسام، وعندما يسكن الحزن ملامحه فشيء بداخلها ينكسر. راقبته مع طفليها، ولاحظت كيف عرَّف نيكي على بعض المزايا في حاسوبه المحمول، وكيف أخذ تعليقات تانزي العابرة على محمل الجد -ذلك النوع من التعليقات الذي كان ليجعل مارتي يرفع ناظريه إلى السقف مستهزئًا- وتمنت لو كان موجودًا في حياتهم منذ فترة طويلة، عندما كانوا بمفردهم. ضمها إليه ويده على فخذها بشيء من التملك، ونفسه ناعم في أذنها، كانت تشعر من قلبها أن كل شيء سيكون على ما يرام. ليس الأمر أن إد سيجعل كل شيء على ما يرام -لديه مشكلاته الخاصة ليحلها- ولكنها شعرت بأن اجتماعهما معًا سوف ينتج عنه شيء أفضل، سيجعلان كل شيء على ما يرام، كان أول شخص قابلته جيس وجعلها تفهم مقولة «إنهما جيدان مع بعضهما بعضًا».

كانت خائفة من أن تسأله ماذا عني، أي من هذا. كانت خائفة من أن يأخذ كلامها الدائم عن أنها لا تحتاج إلى أحد، وكم هي مكتفية ذاتيًّا وكيف -نتيجةً لعملها والطفلين والكلب- لا مساحة لشخص آخر في حياتها، على محمل الجد.

لأنها أرادت إد نيكولز، أرادت أن تصحو إلى جانبه، وتشرب معه، وتطعمه التوست من أصابع دبقة. أرادت أن تلف ساقيها حوله في الظلام وتشعر به فيها، أن تتحرك مقابله وهو يمسكها. أرادت عرقه وجاذبيته وصلابته، فمه على فمها وعيناه في عينيها. تذكرت الليلتين السابقتين في ومضات ساخنة حالمة.. تذكرت يديه وفمه، وكيف غطى فمها بينما وصلت إلى نشوتها حتى لا يوقظا الطفلين. احتاجت قوتها كلها حتى لا تتحرك وتدفن وجهها في عنقه وتمرر يديها تحت تيشيرته الرمادي فقط لتشعر بلذة جلده على جلدها.

لقد أمضت وقتًا طويلًا لا تفكر إلا في الطفلين وفي العمل والفواتير والمال. الآن رأسها مشغول بالكامل به، عندما يلتفت إليها تحمر خجلًا، وعندما يقول اسمها تسمعه كأنه همسة منطوقة في الظلام، وعندما يناولها كوب قهوة فإن اللمسة البسيطة من أصابعه تسري في داخلها كالكهرباء، أحبت الشعور بعينيه عليها، شيء في نظرته البعيدة، وتساءلت فيمَ يفكر.

لم يكن لدى جيس أي فكرة كيف تُعلمه بأيٍّ من هذا، كانت يافعة جدًّا عندما قابلت مارتي، وعدا عن تلك الليلة في ذا فيذرز ويدا ليام ستابز تحت تيشيرتها، لم تحظَ قط بتجربة بداية علاقة مع أحد آخر.

لم تخرج جيس توماس في موعد فعلي منذ أن كانت طالبة في المدرسة. جعلها هذا تبدو سخيفة، حتى في ذهنها. أرادت فقط أن تُريه ما تشعر.

تألمت برغبتها في أن تُريه.

- سنستمر متجهين إلى نوتينجهام إذا كنتم جميعًا موافقين.

التفت لينظر إليها، بقي أثر طفيف من الكدمة على جانب أنفه.

- سنصل في وقت متأخر، بهذه الطريقة سنعود إلى البيت في رحلة واحدة يوم الخميس.

«وبعدها؟»، أرادت جيس أن تسأله. وضعت قدميها على لوحة القيادة وقالت: «لا بأس».

توقفوا لتناول الغداء في محطة بنزين، توقف الطفلان عن الاستعلام إذا ما كان هناك أي احتمال لتناولهما شيئًا غير الشطائر، ونظرا إلى مطاعم الوجبات السريعة والمقاهي المشهورة بشيء قريب من اللامبالاة. خرجوا من السيارة وتوقفوا ليتمددوا.

قال إد وهو يشير إلى متجر: «ما رأيكم في تناول لفائف النقانق؟ القهوة ولفائف النقانق الساخنة، أو رغيف اللحم الكورني، على حسابي، هيا».

نظرت جيس إليه.

- أريد طعامًا دسمًا غير صحي، من يريد كربوهيدرات دسمة يا طفلان؟

أشار إلى جيس.

- بربك يا شرطة الطعام أنتِ، سنأكل بعض الفواكه بعدها!

كان يضع يده فوق حاجبيه ليحمي عينيه من الشمس ويراها بشكل أوضح.

- قررت أنني أحب الحياة، الحياة الخطرة.

أتاها في الليلة الماضية، بعد أن نام نيكي الذي قضى المساء كله يكتب على حاسوب إد في ركن من أركان الغرفة أخيرًا. شعرت كأنها مراهقة وهي جالسة على الكنبة المقابلة له متظاهرةً بأنها تشاهد التلفاز بينما تنتظر لينام الجميع حتى تتمكن من لمسه. لكن عندما نهض نيكي لينام أخيرًا، فتح إد حاسوبه بدلًا من أن يتجه إليها.

كان إد ينظر إلى الشاشة عندما قالت: «ماذا يفعل؟».

- كتابة إبداعية.

- لا ألعاب؟ لا مسدسات؟ لا انفجارات؟

- لا شيء.

همست: «ينام. نام كل ليلة قضيناها بعيدًا عن المنزل. دون أن يدخن شيئًا».

- عظيم، أشعر أنني لم أنَم منذ أعوام.

بدا أنه كبر سنينًا في المدة القصير التي سافروا فيها. تساءلت جيس إذا ما توجب عليها الاعتذار، وإذا ما كان قضاء الكثير من الوقت مع عائلتها الفوضوية الصغيرة كفيلًا بأن يفعل هذا لأي رجل. تذكرت ما قالته تشيلسي عن فرصها في أن تكون لها أي حياة عاطفية. وبينما جلست غير واثقة بخطوتها التالية فجأة، مد يدًا إليها ليضمها.

- إذًا، يا جيسيكا راي توماس، أستتركينني أنام قليلًا الليلة؟

نظرت في شفته السفلى مستغرقةً في الشعور بيده على فخذها، سعيدة فجأة.

- لا.

- إجابة ممتازة.

فكرت في أن أمامهما ثلاث ساعات، كان من الصعب أن تقرر.

الآن غيروا اتجاههم بعيدًا عن السوبر ماركت الصغير، سالكين طريقهم عبر تجمعات من المرتحلين المنزعجين الذين يبحثون عن ماكينة صراف آلي أو حمامات مزدحمة. حاولت جيس ألا تبدي سعادتها بأنها لن تحضِّر المزيد من الشطائر. كان يمكنها شم المعجنات الشهية والفطائر الساخنة على بعد أمتار.

اختفى الطفلان ممسكَين بحفنة من النقود وتعليمات إد في الطابور الطويل داخل المتجر، مشى نحوها حتى تحجبهما جموع الناس عن الطفلين.

- ماذا تفعل؟

- أنظر فقط.

كلما وقف بالقرب منها شعرت جيس أنها أدفأ ببضع درجات مما كان ينبغي أن تكون عليه.

- تنظر؟

- مستحيل عليَّ أن أكون بالقرب منك.

كانت شفتاه على بعد إنشات من أذنها وصوته الخفيض يخترق جلدها.

شعرت جيس بجلدها يقشعر.

- ماذا؟

- أتخيل نفسي أفعل أشياء لك، طوال الوقت تقريبًا، أشياء غير لائقة بالمرة، أشياء شائنة.

أمسك بالجزء الأمامي من بنطلونها الجينز وجذبها إليه، مرت بها صاعقة كانت من الحرارة لدرجة أنها اندهشت أن أحدًا لم يلاحظ. تراجعت جيس قليلًا رافعةً رقبتها للتأكد من أنهما مختفيان عن الأنظار.

- هذا ما كنت تفكر فيه؟ بينما كنت تقود السيارة؟ هذا الوقت كله عندما كنت صامتًا؟

- نعم.

نظر وراءها ناحية المتجر.

- حسنًا، هذا والطعام.

- الشيئان المفضلان لي.

تتبعت أصابعه مسار الجلد العاري تحت بلوزتها. شعرت بتوتر لذيذ في معدتها. أصبحت ساقاها ضعيفتين بشكل غريب. لم تكن تشتهي مارتي قط كما اشتهت إد.

- ما عدا الشطائر.

- دعينا لا نتحدث عن الشطائر من جديد، أبدًا.

ثم وضع يده على أسفل ظهرها فكانا قريبَين من بعضهما بعضًا قدر الإمكان دون أن يخلا بالذوق العام. غمغم: «أعلم أنه من غير الجائز، لكنني استيقظت وأنا في غاية السعادة».

نظر وجهه بتمعن إلى وجهها.

- أعني حقًّا في غاية السعادة، سعيد بغباء. كما لو كانت حياتي كلها كارثة، إلا أنني.. أشعر أنني بخير، أنظر إليك وأشعر أنني بخير، أشعر أننا سنتخطى هذا.

شعرت بغصة في حلقها وهمست: «وأنا أيضًا».

حدق إلى وجهها محاولًا التفرس في تعبيره.

- إذًا أنا لست... مجرد حصان؟

- على الإطلاق، أنت لست حصانًا، يعني... بألطف معنى أستطيع أن...

أحنى رأسه وقبّلها، قبّلها وكانت قبلة واثقة، قبلة يموت الملوك وتنهار القارات بينما تحدث ولا تُلاحظ حتى. عندما أبعدت جيس نفسها عنه -فعلت فقط حتى لا يراها الطفلان تفقد قدرتها على المشي- تتبعت إصبعها شفتيه فقط لتشعر بلذة لمسه، وابتسم هو ابتسامة عريضة.

- إنهما قادمان.

وجدت جيس نفسها تحدق إليه ببلاهة.

- جلابة مشكلات.

نظر إليها من جديد بينما اقترب الطفلان حاملَين الحقائب الورقية مرفوعة للأعلى.

- هذا ما قاله أبي.

- كأنك لم تدركه قبلها.

دغدغتها شفتاه وتحركت أفكارها حلوة ودبقة كالعسل، شعرت جيس أنه ترك علامة عليها بالكامل. ابتعدت قليلًا وشاهدت إد يتكلم مع نيكي والحقائب الورقية تنفتح ليريهم نيكي ما اختاره، بينما تنتظر حتى تختفي الحمرة من خديها. شعرت بالشمس على جلدها وسمعت أصوات العصافير تغرد أعلى من أصوات الناس بينما يتحدثون والسيارات التي تشغل محركها ورائحة البنزين والطعام الرخيص، وسمعت الكلمات تتردد أصداؤها في رأسها دون دعوة «هذا هو شعور السعادة».

عادوا إلى السيارة ببطء ووجوههم مدفونة في الحقائب الورقية بالفعل. شاهدت جيس ابنتها تمشي أمامها ببضع خطوات وساقاها النحيلتان وراء الآخرين، وعندها لاحظت أن هنالك شيئًا مفقودًا.

- تانز؟ أين كتب الرياضيات خاصتك؟

لم تلتفت.

- تركتها في منزل بابا.

- أوه، أتريدينني أن أتصل به؟

بحثت عن هاتفها في حقيبتها.

- أنا متأكدة أن بإمكاني جعله يرسلها في البريد. يحتمل أنها سوف تصل قبل أن نصل نحن.

- لا، شكرًا.

ميَّلت رأسها إليها قليلًا ولكن لم تواجه عينَي جيس.

توقف نيكي عندما وصلوا إلى السيارة. تحركت عيناه إلى جيس ثم عادتا إلى شقيقته، وشعرت بثقل يستقر في معدتها.

عندما وصلوا إلى وجهة مبيتهم الأخيرة كانت الساعة قرابة التاسعة، وكانوا منهكين. الطفلان اللذان كانا يتناولان البسكويت والحلوى في آخر الرحلة كانا منهكَين ومنزعجَين واتجها مباشرة للأعلى ليتفقدا المكان الذي سيناماني فيه. حمل إد الحقائب، وشدت تانزي الكلب وراءها.

كان الفندق كبيرًا وأبيض اللون وباهظ المنظر، مثل مكان كانت مسز ريتر لتريها إياه على كاميرا هاتفها وتتنهد جيس وناتالي عندما تفكران فيه بعدها. حجز إد الغرف على الهاتف، وعندما حاولت الاعتراض على التكلفة انزعج قليلًا.

- كلنا متعبون يا جيس، وسريري التالي قد يكون في السجن، لذا دعينا نبقى في مكان لطيف الليلة، اتفقنا؟

ثلاث غرف مترابطة في نهاية رواق كان كأنه إضافة للفندق الأساسي.

- غرفتي الخاصة.

تنهد نيكي بارتياح عندما فتح باب الغرفة رقم ثلاثة وعشرين.

أخفض صوته عندما دخلت جيس، وقال: «أنا أحبها للغاية، لكن ليس لديك فكرة كم تشخر تيتش».

قالت تانزي عندما فتحت جيس باب الغرفة رقم أربعة وعشرين: «سيحب نورمان هذا».

الكلب، كما لو أنه يصدق على ما قالته، نام مباشرة على جانب السرير.

- لا أمانع تشارك الغرفة مع نيكي يا ماما، لكن شخيره بشع حقًّا.

لم يتساءل أيٌّ منهما أين ستنام جيس. لم تستطع أن تقرر إذا ما كانا يعرفان ولا يمانعان أم أنهما افترضا أنها هي أو إد ما زالا ينامان في السيارة.

استعار نيكي حاسوب إد وبدأت تانزي تحاول تشغيل ريموت التلفزيون وقالت إنها ستشاهد برنامجًا واحدًا ثم تذهب إلى النوم. رفضت التحدث عن كتب الرياضيات المفقودة. حقًّا قالت: «لا أريد التحدث بهذا الشأن». لم تعتقد جيس أن تانزي قالت هذا لها من قبل.

- لا يعني أن شيئًا لم ينجح مرة أنه لا يمكنكِ المحاولة من جديد يا حبيبتي.

وضعت بيجامة تانزي على سريرها.

ظهر على وجه تانزي تعبير لم يكن هنالك سابقًا، وكسرت كلماتها قلب جيس.

- أعتقد أنه سيكون من الأفضل لو عملنا بما لدينا فقط يا ماما.

- ماذا أفعل؟

- لا تفعلي شيئًا، لقد اكتفت الآن، لا يمكنكِ لومها.

وضع إد الحقائب في ركن في الغرفة، جلست جيس على جانب السرير الهائل وحاولت تجاهل قدمها المتألمة.

- لكن هذا التصرف غريب عنها، تحب الرياضيات، دائمًا ما أحبت الرياضيات. والآن تتصرف كما لو أنها تريد قطع علاقتها بها.

- مر يومان يا جيس، لقد تغيرت حياتها بشدة، فقط.. اتركيها لحالها، ستحل هي الأمر.

- أنت واثق جدًّا.

- إنهما طفلان ذكيان.

مشى إلى حيث مفاتيح الضوء وخفف قوته ليكون خافتًا كفاية.

- مثل أمهما، لكن لا يعني أنكِ تستطيعين الارتداد من الأوضاع السيئة مثل كرة مطاطية أنهما سيتمكنان من فعل ذلك دائمًا.

نظرت إليه.

- هذا ليس نقدًا، ما أقوله هو أن هذا الأسبوع كان صعبًا، أعتقد أنكِ لو تركت لها بعض الوقت لتسترخي فستكون بخير، هي من هي عليه، لا يمكنني أن هذا يتغير.

رفع تيشيرته فوق رأسه وخلعه بحركة واحدة سلسة وألقاه على كرسي. أوحلت أفكارها في لحظتها، لم يمكن لجيس رؤية جذعه العاري دون أن ترغب في لمسه، لعله كان ممتلئًا قليلًا في المنطقة عند معدته، لكن هذا جعله أجمل بشكل ما.

سألته وهي تتأمله: «كيف أصبحت بهذه الحكمة؟».

- لا أدري، أعتقد أنه تأثيركِ فيَّ.

اقترب منها خطوتين ثم ركع على الأرض وخلع شبشبها، معتنيًا بالقدم المصابة أكثر.

- كيف حال قدمك؟

- تؤلم، لكنها بخير.

مد يده إلى سترتها وفتح سحابها ببطء ودون أن يسألها، التصقت عيناه بالجلد الذي كشفه، بدا بعيدًا حينها، كأن تفكيره فيها ومع ذلك بعيد لأميال. علق السحاب قرب نهايته، أخذته واضعة يدها على يده بلطف وفصلت نصفيه عن بعضهما ليمكنه خلع سترتها من على كتفيها. وقف مكانه لحظةً يتأملها فقط.

قبَّلها وقال: «لا أعتقد أن علينا التفكير في هذا بعد الآن».

قبَّل كتفها وقال: «أعتقد أن علينا ألا نفكر مطلقًا».

قبَّل عنقها وقال: «إنها ليلتنا الأخيرة على الطريق، ولا يوجد ما يمكننا فعله بخصوص أي شيء، وإن كان هذا لليلة فقط».

مد يده لحزامها وفكه ثم انتقل إلى بنطلونها الجينز بأصابع دقيقة تعرف مهمتها. شاهدتها وبدأ قلبها يدق حتى سمعته في أذنيها.

- لقد حان الوقت ليعتني بكِ أحد يا جيسيكا راي توماس.

غسل إدوارد نيكولز شعرها وساقاه حول خصرها بينما استندت عليه في حوض الاستحمام الضخم. شطفه بلطف وملسه ومسح عينيها بفوطة صغيرة للوجه حتى لا يصلهما الشامبو. ذهبت لتغسل شعرها بنفسها لكنه لم يتركها. لم يغسل لها أحد شعرها من قبل خارج الصالون. جعلها هذا تشعر بالضعف والتأثر. جلس -بعد ما انتهى- في المياه الساخنة المعطرة، وذراعاه تلتفان حولها، وقبَّل طرفَي أذنيها. وكأنهما اتفقا أنه «شكرًا» ولكن كفى مبادرات رومانسية، مارسا الجنس حتى خرجت المياه من حوض الاستحمام، ولم تعد متأكدة أيهما أقوى، الألم في ساقها أم حاجتها إلى الشعور به.

بعد مرور بعض الوقت استلقيا ونصفاهما السفليان تحت الماء وساقاهما متقاطعتان، وبدآ بالضحك، لأن فعل هذا بينما تستحم مبتذل، ولكن فعلها في حوض الاستحمام سخيف نوعًا ما، والأكثر سخافة هو أن تكون غارقًا في هذا الكم من المشكلات وسعيدًا في الوقت نفسه. التفت جيس لتستلقي عليه بطوله، ولفت ذراعيها حول رقبته وضغطت صدرها المبتل على صدره، وشعرت بثقة تامة أنها لن تكون بهذا القرب من أي إنسان آخر مرة أخرى. أخبرته بصمت: «يا ربي، كم أحبك». ولتمنع الكلمات من الهرب من فمها فجأة، أغرقته بالقبلات. أمسكت فمه بيديها وقبلت فكه وصدغه المتورم المسكين وشفتيه، وشعرت بذراعيه تحملانها وتقربانها إليه، وأخبرت نفسها أنه مهما حدث فإنها دائمًا ستتذكر هذا الشعور.

مرر يده على وجهه ليمسح قطرات الماء. بدا جديًّا فجأة.

- أتعتقدين أن هذه فقاعة؟

- أممم، هناك الكثير من الفقاعات. إنه...

- لا، هذه، فقاعة، نحن في هذه الرحلة الغريبة، القواعد المنطقية غير موجودة والحياة الحقيقية غير موجودة. هذه الرحلة كلها كانت... كأنها وقت مسروق من الحياة الحقيقية.

لاحظت أن الماء كان يتجمع على أرضية الحمام.

- لا تنظري إليَّ هذا، كلميني.

نزلت بشفتيها على ترقوته وفكرت.

- حسنًا.

رفعت رأسها وتابعت: «في قرابة خمسة أيام واجهنا المرض والأطفال الحزانى الخائفين والأقارب المرضى والعنف المفاجئ وقدمًا كادت تنكسر وشرطة وحوادث سيارات. أعتقد أننا أخذنا من الحياة الحقيقية ما يكفينا».

- يعجبني تفكيركِ.
- يعجبني كل شيء فيك.
- أعتقد أننا نمضي وقتًا طويلًا نتحدث في السخافات مع بعضنا بعضًا.
- حسنًا، يعجبني هذا أيضًا.

بدأت المياه تبرد، هربت من بين ذراعيه ووقفت تمد يدها للمناشف الدافئة. ناولته منشفة دافئة ولفت واحدة حولها. أوه، يا للذة مناشف الفندق الناعمة. وقف وبدأ يجفف شعره بقوة بيد واحدة.

تساءلت لوهلة إذا ما كان إد معتادًا على مناشف الفنادق الناعمة لدرجة أنه لم يعد يلاحظ. راقبته وشعرت فجأة بتعب عظيم.

غسلت أسنانها وأطفأت نور الحمام، وعندما عادت كان هو في سرير الفندق الهائل يرفع الغطاء لتدخل تحته. أطفأ الضوء المجاور للسرير ونامت بجانبه على السرير شاعرةً ببشرته المبتلة قليلًا بالقرب من بشرتها وتساءلت كيف سيكون الأمر لو كانت الليالي كلها هكذا، أن يكون لها رجل ملكها وحدها للأبد.

تكلم إد في الظلام كأنه سمع أفكارها. حمل صوته تحذيرًا.

- لا أدري ماذا سيحدث معي يا جيس.
- ستكون على ما يرام.
- أنا جاد، لا يمكنكِ ممارسة خدعك المتفائلة هذه المرة، أيًّا كان ما سيحدث، ففي الغالب سأخسر كل شيء.
- و؟ هذه حياتي الطبيعية.
- لكن قد يتعين عليَّ الرحيل.
- لن تفعل.
- احتمال يا جيس.

كان صوته جامدًا بشكل غير مريح.

ووجدت نفسها تتكلم دون أن تعي ما تقوله.

- سأنتظرك إذًا.

أحست برأسه يميل في اتجاهها، سؤال.

- سأنتظرك، إذا كنت تريدني أن أنتظرك.

استقبل ثلاث مكالمات في الجزء الأخير من الطريق إلى المنزل، كلها على هاتف السيارة. محاميه، رجل لديه لكنة فخمة كان عليه استخدامها ليعلن وصول العائلة المالكة على العشاء، أخبره أنه مطلوب في قسم الشرطة الخميس المقبل. لا، لم يتغير شيء. أخبره إد أنه نعم، فهم ما يجري. ونعم، أخبر عائلته بما يجري. قالها بطريقة جعلت معدتها تتوتر. مدت يدها وأمسكت يده. عندما أمسك يدها هو الآخر لم ينظر إليها.

اتصلت شقيقته لتخبره أن والده قضى ليلة أفضل بالأمس. تحدثا طويلًا عن سندات تأمين كان والدهما قلقًا بشأنها ومفاتيح مفقودة لأدراج ملفات وعن ما أكلته جيما على الغداء. لم يتحدث أحد عن الموت، طلبت منه أن يسلم على جيس، وسلمت جيس عليها، وشعرت بشيء من الحرج، وشيء من السعادة في الوقت ذاته.

بعد الغداء وصلته مكالمة من رجل يُدعى لويس، وتناقشا بخصوص قيم السوق والنسب المئوية وأحوال سوق الرهون العقارية. استغرق الأمر وهلة قبل أن تدرك جيس أنه يتحدث عن بيتشفرونت.

قال عندما أغلق الخط: «وقت البيع. لكن كما قلت، على الأقل لدي أصول لأبيعها».

- كم سيكلفك؟ الدفاع؟

- أوه، لا أحد يقول، لكن من بين السطور يمكنني أن أستشف أن الإجابة ستكون «معظم ما أملك».

لم يكن بإمكانها أن تقرر إذا ما كان أكثر استياءً مما يُظهر.

حاول أن يتصل بأحد، لكن الرسالة المسجلة أجابته: «معكم رونان، اتركوا رسالة». أغلق الخط دون أن يقول شيئًا.

مع كل ميل قطعوه بدأت الحياة الحقيقية تقترب كأنها موجة باردة قوية لا مفر منها. فكرت جيس في حقيقة أن هناك أجزاءً هائلة من حياته لا تعرف هي عنها شيئًا، وحاولت ألا تفكر في الفقاعات.

وصلوا أخيرًا بعد الساعة الرابعة بقليل. عندما توقفت الأودي في شارعهم وهدأ المطر ليصبح رذاذًا خفيفًا، وبدا الطريق كأنه غارق في الزيت، أظهرت مساكن دينهال أول وعود الربيع. كان بيتهم الصغير هناك وبدا بشكل ما أصغر وأردأ مما تذكرته جيس، والأغرب أنه بدا كشيء لا علاقة له بها. ركن إد خارجه ونظرت من النافذة إلى الدهان المتقشر على النافذة العلوية التي لم يُعِد مارتي دهنها بعدما قال إنه يجب إعطاؤها حقها، وصنفرتها أولًا لإزالة الطلاء القديم وملء الفجوات، وكان دائمًا إما مشغولًا جدًّا وإما متعبًا جدًّا لفعل أيٍّ من هذا. للحظة فقط شعرت بموجة من الاكتئاب تبتلعها، وفكرت في المشكلات كلها التي انتظرتهم هنا إلى أن يعودوا. والمشكلات الأكبر التي خلقتها بغيابها. وبعدها نظرت إلى إد الذي كان يساعد تانزي مع حقيبتها ويضحك على شيء قاله نيكي ويميل عليه ليسمعه بشكل أفضل، ومرت الموجة.

توقف إد عند متجر أدوات يبعد ساعة عن المدينة -محطته الإضافية خارج الطريق- وخرج بصندوق كبير مملوء بأشياء جاهد ليحشرها في المؤخرة مع حقائبهم. كان من الممكن أنه يحتاج إلى ترتيب بيته قبل أن يبيعه. لم تتمكن جيس من التفكير في أي شيء سيجعل بيته أجمل.

وضع آخر الحقائب عند الباب الأمامي ووقف هناك يحمل صندوقه الكارتوني. اختفى الطفلان لحظتها إلى غرفتيهما كأنهما فأرا تجارب. شعرت جيس بالإحراج بسبب بيتها المبعثر، وورق الحائط الخشبي المتآكل، وصف الكتب القديمة بطول الرواق.

- سأعود إلى منزل والدي غدًا.

شعرت بألم لا إرادي لفكرة غيابه.

- جيد، هذا جيد.

- لبضعة أيام فقط، حتى يمر موضوع الشرطة هذا، لكنني أردت أن أضع هذه أولًا.

نظرت جيس إلى الصناديق.

- كاميرات وأضواء تعمل بالحركة، لن يستغرق الأمر أكثر من ساعتين.

- اشتريتها لنا؟

- تعرض نيكي للضرب، ومن الواضح أن تانزي لا تشعر بالأمان، ظننت أن هذا سيهون عليك، تعرفين... لو لم أكن أنا هنا.

نظرت إلى الصندوق وإلى معناه. شعرت فجأة بالمشاعر تغمرها لأن هذا الرجل فكر في هذه الأمور وأراد أن يحميهم. تكلمت قبل أن تعي ما تقوله.

- لا... لا داعي لأن تفعل هذا، أنا جيدة في الأعمال اليدوية، سأضعها أنا.

- على سلم، بساق متورمة!

رفع حاجبًا.

- تعرفين يا جيسيكا راي توماس، في مرحلة ما سيتعين عليكِ أن تسمحي لأحد بمساعدتكِ.

- في مرحلة ما سيتعين عليك أن تتوقف عن مناداتي بجيسيكا راي توماس.

- لا يمكنني منع نفسي، أحب الاسم.

هي أيضًا تحبه.

- حسنًا، ماذا أفعل أنا إذًا؟

- اجلسي، ابقي مكانك، ارفعي قدمك المصابة، وبعدها سأذهب إلى المدينة مع نيكي وسنضيع مالًا على طعام غير صحي بدرجة مقرفة، لأنها قد تكون وجبتي السريعة الأخيرة لمدة. وبعدها سنجلس هنا ونأكلها، وبعدها أنا وأنتِ سنستلقي ونتأمل حجم بطنَي بعضنا بعضًا باندهاش.

- يا إلهي، أحبك عندما تتحدث حديثًا قذرًا كهذا.

وهكذا جلست ولم تفعل شيئًا. خرجت تانزي وجلست معها فترةً، وخرج إد بسلم وتسلقه ولوَّح بالحفار اليدوي، وتظاهر أنه سيسقط إلى أن بدأت تشعر بالقلق.

صاحت من النافذة غاضبة: «ذهبت إلى مستشفيَين مختلفين في ثمانية أيام، لا أريد الذهاب إلى مستشفى ثالث».

ولأنها لم تكن جيدة في الجلوس وعدم فعل أي شيء، جمعت الغسيل ووضعته في الغسالة، ولكنها جلست بعدها وتركت الجميع يتحرك لأنه كان عليها أن تعترف بأن إراحة قدمها أقل ألمًا بكثير من أن تحاول استخدامها.

وكأن هناك شيء رائع في أن تترك الجميع يتحرك حولها وتسمع صوت مثقاب إد وتنظر إليه من النافذة بينما يركب الكاميرا وينادي عليها تعالي، تعالي وانظري. لم تستطع أن تتذكر آخر مرة فعل شخص شيئًا في المنزل ولم يكن هي.

- هل هذا مقبول؟

عرجت إلى الخارج لتراه، وقف بعيدًا في الحديقة ينظر إلى واجهة المنزل.

- فكرت أن أضعها هناك حتى تلتقط أي شخص يتسكع في الخارج وليس فقط من يدخل إلى الحديقة الأمامية. لديها عدسة محدبة، أترين؟

حاولت أن تبدو مهتمة. كانت تتساءل إذا ما كان يمكنها إقناعه بالمبيت بعدما ينام الطفلان.

- وغالبًا في هذه الحالات ستجدين أن وجود الكاميرا بمفرده رادع.

أسيكون الأمر سيئًا حقًّا؟ يمكنه التسلل قبل أن يستيقظا، لكن من تخدع؟ لا بد أن نيكي وتانزي خمنا أن هناك شيئًا بينهما.

- جيس؟

كان يقف أمامها مباشرة.

- هممم؟

- كل ما عليَّ فعله هو ثُقب صغير هنا وتمرير الأسلاك عبر الحائط من خلاله. أتعشم أنه سيكون بإمكاني وضع وصلة صغيرة في الداخل، وسيكون توصيل كل شيء بسيطًا.

كان له المنظر الفخور لرجل يمسك بأدوات كهربائية. ربت على جيبه متأكدًا من وجود المسامير، ثم نظر إليها بحذر.

- هل كنتِ تستمعين لأي شيء قلته؟

ابتسمت له جيس ابتسامة واسعة وهي تشعر بالذنب.

قال بعد دقيقة: «أوه، أنتِ ميؤوس منكِ، جديًّا».

نظر حوله ليتأكد من أن أحدًا لا يراهما، لف ذراعه حول رقبتها برفق وشدها إليه وقبَّلها. كان ذقنه مغطى بشعيرات كثيفة قصيرة.

- الآن اتركيني لحالي دون تشتيت، اذهبي وابحثي عن قائمة المطعم تلك.

عرجت جيس مبتسمة إلى المطبخ وبدأت تفتش الأدراج. لم يمكنها أن تتذكر آخر مرة طلبت فيها الطعام، كانت شبه متأكدة أن القوائم لديها قديمة. صعد إد ليوصل الأسلاك. نادى عليها وقال إنه سيحتاج أن يحرك بعض الأثاث ليصل إلى الألواح الخشبية.

صاحت تجيبه: «لا بأس».

سمعت صوت الدك القوي لشيء ثقيل يُجَر في الدور العلوي فوق رأسها بينما حاول أن يصل إلى الأسلاك الكهربائية، وتعجبت مرة أخرى أن شخصًا لم يكن هي يفعل هذا.

استلقت على الكنبة ووضعت كيسًا جديدًا من الثلج على قدمها وبدأت تتفحص قوائم طعام قديمة وجدتها في درج مناشف الطعام، كانت تقشر الصلصة من بعضها، وتستبعد المطاعم البعيدة أو التي أُغلقت منذ مدة.

كانت شبه متأكدة أن المطعم الصيني لم يعد موجودًا، أمر متعلق بالصحة البيئية. لم يكن مطعم البيتزا موثوقًا. بدت قائمة المطعم الهندي طبيعية، لكنها لم تتمكن من التوقف عن التفكير في تلك الشعرة المجعدة في طبق الجالفريزي الخاص بناتالي. لكن ما زال هناك دجاج بالتي وأرز بيلوا وبوبادامز. فكرت في ما قاله إد عنهما وهما مستلقيان يحدقان إلى حجم بطنيهما، وبعدها نسيت أمر الطعام الهندي وفكرت في معدته العارية.

كانت مشتتة الانتباه لدرجة أنها لم تسمع وقع قدميه وهو يهبط الدرجات ببطء.

- جيس؟

- أعتقد أن هذا سيكون مناسبًا.

رفعت قائمة الطعام.

- قررت أن شعرة مجهولة المصدر ثمن زهيد مقابل طبق جالـــ...

وبعدها رأت تعبير وجهه، وما حمله غير مصدق في يده.

- جيس؟

بدا صوته كأنه صوت شخص آخر.

- ماذا تفعل ببطاقة هويتي الأمنية في درج جواربك؟

نيكي

ظلت جيس في سريرها قرابة يومين.

نزل نيكي وكانت جالسة على الكنبة تحدق إلى المكان الذي أمامها مباشرة كأنها غير واعية بالعالم حولها. مثقاب بلاك أند ديكر كان على حافة النافذة والسلم في مكانه مستندًا إلى واجهة المنزل.

- هل ذهب مستر نيكولز لإحضار الطعام؟

كان نيكي منزعجًا قليلًا لأن الفرصة لم تسنح له ليطلب البهاجي بالبصل.

لم يبدُ أنها سمعته.

- جيس؟

تجمد وجهها نوعًا ما. هزت رأسها هزة بسيطة وقالت بهدوء: «لا».

- لكنه سيعود، صحيح؟

فتح باب الثلاجة. لم يدرِ ماذا توقع أن يجد، كانت توجد حفنة من الليمون الذي جف، وبرطمان نصف فارغ من مخللات برانستون.

تبع هذا وقفة قصيرة.

- لا أدري.

بعدها، كأنها نسيت أنها قالت هذا بالفعل، قالت جيس: «لا أدري».

- إذًا.. لن نأكل من مطعم؟

- لا.

أنَّ نيكي أنةً محملة بخيبة الأمل.

- حسنًا، أعتقد أنه سيعود عند نقطة ما. حاسوبه معي بالأعلى.

كان من الواضح أنهما تشاجرا، لكنها لم تكن تتصرف كما كانت تتصرف عندما تتشاجر مع بابا. حينها كانت تصرع بابًا، ويمكنك أن تسمعها تتمتم بصوت خفيض: «وغد». أو يرتسم على وجهها ذلك التعبير الذي يقول: «لمَ عليَّ العيش مع هذا الأحمق» ولكن لا تقول شيئًا عندما يصيح كرامةً لخاطر الطفلين. الآن بدت كأن أحدًا أخبرها أن أمامها ستة أشهر قبل أن تموت.

- هل أنتِ بخير؟

رمشت ووضعت يدًا على جبهتها كأنها تقيس حرارتها.

- أمم، نيكي، أحتاج... أحتاج إلى أن أستلقي، أيمكن... أيمكنك أن تعتني بنفسك؟ لدينا المستلزمات، الطعام في الفريزر.

خلال السنوات التي قضاها نيكي مع جيس لم تطلب منه قط أن يعتني بنفسه. حتى عندما أصيبت بالزكام لأسبوعين. ذهبت جيس وعرجت إلى السلالم ببطء تاركةً إياه بمفرده قبل أن يقول أي شيء.

في البداية عندما لم تنزل ظن أن السبب هو أنها تشاجرت مع مستر نيكولز وكانت تتصرف بدرامية. وقف هو وتانزي خارج غرفتها يتناقشان في الأمر همسًا. أحضرا لها بعض الشاي والتوست ولكنها كانت تحدق إلى الحائط فقط مع أن النافذة ما تزال مفتوحة والجو بارد في الخارج. لم يبدُ أنها لاحظت. أغلق نيكي النافذة ووضع السلم والمثقاب في الجراج الذي بدا هائلًا دون الرولز فيه. وعندما عاد بعد ساعتين ليأخذ الطبق كان الشاي والتوست هناك يبردان على الكومودينو بجانب سريرها.

قالت تانزي كامرأة عجوز: «في الغالب هي مرهقة من هذا الترحال كله».

في اليوم التالي بقيت جيس في السرير. عندما دخل نيكي كانت الأغطية بحالتها تقريبًا وكانت جيس ترتدي الملابس التي نامت بها.

- هل أنتِ مريضة؟

فتح الستائر.

- أتريدينني أن أتصل بالطبيب؟

- أحتاج فقط إلى يوم في السرير يا نيكي.

- ناتالي مرت علينا، أخبرتها أنكِ ستتصلين، شيء بخصوص التنظيف.

- أخبِرها أنني مريضة.

- لكنكِ لست مريضة، وجراج رهن الشرطة اتصل ليسأل متى ستأخذين السيارة. وأستاذ تشانجاري اتصل لكن لم أدرِ ماذا أقول له، لذا تركته ليترك رسالة على الآنسر ماشين.

- نيكي... من فضلك.

كان وجهها حزينًا لدرجة أنه شعر بالذنب لأنه قال أي شيء حتى. انتظرت لحظةً ثم رفعت الغطاء حتى ذقنها وأولته ظهرها.

حضَّر نيكي الفطور من أجل تانزي، شعر أنه مفيد بشكل غريب في الصباح الآن. لم يعد يفتقد مخزون سجائره حتى. أخرج نورمان إلى الحديقة ونظف وراءه. ترك مستر نيكولز أضواء الأمان في الخارج عند النافذة. كانت ما تزال في صندوقها الكارتوني الذي أصبح رطبًا الآن بفعل المطر، لكن لم يسرقها أحد. أخذها نيكي إلى الداخل وجلس ينظر إليها.

فكر في الاتصال بمستر نيكولز لكنه لم يدرِ ماذا سيقول لو اتصل. كانت فكرة أن يطلب من مستر نيكولز المجيء ثانية غريبة. في النهاية، لو أراد شخص ما أن يكون معك فيسأتي ليكون معك. يعرف نيكي هذا أكثر من غيره. أيًا كان ما حدث بينه وبين ماما فقد كان أمرًا جديًا بما يكفي ليجعله يشك في أن عليه التدخل في الأمر. كان جديًا بما يكفي حتى لا يرجع مستر نيكولز لأخذ حاسوبه.

رتب غرفته، جلس على الإنترنت لفترة لكنه شعر بالملل من الألعاب، نظر من نافذته إلى الأسقف في الشارع وإلى الطوب البرتقالي لمركز الشباب وعرف أنه لا يريد أن يكون روبوتًا مغطى بالدروع يطلق النار على الفضائيين في السماء بعد الآن. لم يعد يريد أن يبقى حبيس غرفته، فكر نيكي في الطرق المفتوحة، والشعور بسيارة مستر نيكولز تقطع بهم مسافات طويلة، الوقت الطويل الذي لم يعرفوا فيه إلى أين يتجهون تاليًا، وأكثر من أي شيء، أراد أن يرحل عن هذه المدينة الصغيرة.

أراد أن يجد ناسه.

فكر نيكي في الأمر مطولًا وقرر أنه بعد ظهر اليوم الثاني كان له الحق في أن يهلع قليلًا. ستبدأ الدراسة بعد نهاية الأسبوع ولم يكن متأكدًا كيف سيعتني بجيس وتيتش والكلب وكل شيء آخر. كنس المنزل، وأعاد غسل الغسيل الرطب الذي وجده في الغسالة والذي بدأت تفوح منه رائحة عطن، وساعدته تانزي في تعليق الغسيل في الخارج. مشى معها إلى المتجر واشتريا بعض الخبز والحليب وطعام الكلاب، ورغم أنه لم يبين هذا لتانزي فقد كان سعيدًا لأنه لم يكن هناك أحد يتسكع في الخارج لينعته بـ «الشاذ» أو «غريب الأطوار» أو أيًا كان، وفكر نيكي أنه ربما، ربما، كانت جيس محقة في أن الأمور تتغير. ولربما ستبدأ مرحلة جديدة من حياته أخيرًا.

بعد فترة قصيرة وبينما كان يتفقد البريد، دخلت تانزي المطبخ.

- أيمكننا العودة إلى المتجر؟

لم يرفع عينيه عن البريد، كان يتساءل إذا ما كان ينبغي له فتح الرسالة الرسمية الموجهة إلى مسز جـ. توماس.

- لقد كنا في المتجر للتو.

- إذًا أيمكنني الذهاب بمفردي؟

نظر إليها حينها واندهش قليلًا، فعلت شيئًا غريبًا بشعرها جامعةً إياه في جنب واحد وغطته بالجليتر. لم تشبه تانزي.

- أريد أن أحضر لماما بطاقة، لأبهجها قليلًا.

كان نيكي متأكدًا أن البطاقة لن تؤدي الغرض.

- لمَ لا تصنعين لها واحدة يا تيتش؟ ستوفرين المال.

- دائمًا أصنع لها واحدة، أحيانًا من اللطيف أن تتلقى بطاقة من متجر.

تفحص وجهها.

- هل تضعين المكياج؟

- القليل من أحمر الشفاه فقط.

- لن تسمح لكِ جيس باستخدام أحمر الشفاه، امسحيه.

- سوز تضع أحمر الشفاه.

- لا أعتقد أن هذا سيغير موقف جيس بهذا الشأن يا تيتش، إليك هذا، امسحيه وسأعلمكِ كيف تستخدمين المكياج بالشكل الصحيح عندما تعودين.

أخذت سترتها من على العلاقة وخرجت. تركت ماما تانزي تذهب إلى المتجر وتعود بمفردها منذ أن كانت في التاسعة.

قالت وهي نتظر إليه وهي خارجة: «سأمسحه في الطريق».

صاح: «خذي نورمان معكِ».

بعدها أعد كوبًا من القهوة وأخذه إلى الأعلى، *حان وقت حل* موضوع جيس قول هذه الكلمات لنفسه جعله يشعر بأنه ناضج بشكل غريب، *حان وقت حل* موضوع جيس.

كانت الغرفة مظلمة. الساعة الثالثة والربع ظهرًا، ولكنها لم تكلف نفسها أن تفتح الستائر حتى.

تمتمت: «اتركه على الكومودينو».

كان للغرفة رائحة أجساد لم تستحم وهواء قديم.

- توقف المطر.

- جيد.

- عليكِ النهوض يا جيس.

لم تقل شيئًا.

- حقًّا، عليكِ النهوض، بدأت رائحة المكان تصبح سيئة هنا.

- أنا متعبة يا نيكي، أحتاج فقط... إلى الراحة.

- لا تحتاجين إلى الراحة، أنتِ.. أنتِ أرنبتنا النشيطة.

- من فضلك يا حبيبي.

- لا أفهم يا جيس، ماذا يحدث؟

التفتت إليه ببطء ثم رفعت نفسها لتستند على كوع واحد. بدأ الكلب ينبح غاضبًا ومُصرًّا في الأسفل. فركت جيس عينيها وسألت: «أين تانزي؟».

- في المتجر.

- هل أكلت؟

- نعم، لكن معظم الوقت كانت حبوب الفطور فقط، لا يمكنني طبخ شيء إلا أصابع السمك وسئمت منها جدًّا.

نظرت إلى نيكي ثم نظرت من النافذة كأنها تدرس شيئًا.

- لن يعود.

وانهار وجهها ألمًا نوعًا ما.

كان الكلب ينبح بشدة في الخارج الآن، ذلك الأحمق. حاول أن يُبقي نيكي تركيزه منصبًّا على ما تقوله جيس.

- حقًّا؟ أبدًا؟

نزلت على وجنتها دمعة كبيرة، مسحتها بكف يدها وهزت رأسها.

- أتعرف ما أسوأ ما في الأمر يا نيكي؟ لقد نسيت، حقًّا نسيت أنني فعلتها، كنت سعيدة جدًّا ونحن خارج المدينة، وشعرت أن الوقت الذي مر قبل هذه الرحلة ينتمي إلى شخص آخر. أوه، ذلك الكلب اللعين.

لم تكن منطقية الآن، تساءل إذا ما كانت مريضة حقًّا؟

- يمكنكِ الاتصال به.

- حاولت، لا يرد.

- أتريدينني أن أذهب إليه؟

ندم قليلًا وهو يسأل، لأنه رغم حبه لمستر نيكولز كان يعرف أكثر من غيره أنه لا يمكنك إرغام أحد على البقاء معك. لا جدوى من التعلق بشخص لا يريدك.

يحتمل أنها أخبرته لأنه لم يكن لديها غيره لتخبره.

- أحببته يا نيكي، أعرف أن هذا يبدو غبيًّا بعد فترة قصيرة، لكنني أحببته.

صدمه سماعها تقول هذا. هذه المشاعر كلها تندفع للخارج فجأة، لكن لمرة لم يجعله اعترافها يرغب في الهروب من هنا. جلس نيكي على السرير ومال قليلًا، ورغم عدم ارتياحه للتلامس الجسدي فقد عانقها. شعر بأنها صغيرة جدًّا رغم أنه دائمًا ما فكر فيها كأنها أكبر منه قليلًا. وضعت رأسها عليه، وشعر بحزن عميق لأنه لمرة أراد أن يقول شيئًا ولم يعرف ماذا يقول.

في تلك اللحظة أصبح نباح نورمان هستيريًّا، مثلما كان عندما رأى الأبقار في اسكتلندا، ابتعد نيكي مشتتًا الانتباه.

- صوته وكأنه جن جنونه.

- ذلك الكلب اللعين، لا بد أنه التشيواوا من البيت ستة وخمسين.

مسحت جيس دموعها.

- أقسم إنه يضايقه عن عمد.

نهض نيكي من على السرير ومشى إلى النافذة، كان نورمان في الحديقة ينبح بهستيرية ورأسه خارج من الفجوة في السياج، حيث تعفن الخشب وانكسرت منه اثنتان بالنصف. استغرقه الأمر ثانية ليلاحظ أن نورمان لم يبدُ كنورمان، كان الكلب معتدلًا بغرابة وشعره واقف. فتح نيكي الستارة أكثر وعندها رأى تانزي في الجهة الأخرى من الشارع. كان هناك صبيان من آل فيشر وصبي لا يعرفه، حبسوها بينهم وبين الحائط. بينما شاهد نيكي واحدًا منهم شد سترتها وحاولت هي أن تبعد يده.

صاح نيكي: «هاي! أنتم!»، لكنهم لم يسمعوه.

كان قلبه يدق بسرعة. حاول نيكي فتح الستارة لكنها لم تتحرك. بدأ يضرب الزجاج محاولًا أن يجعلهم يتوقفون.

- هاي! اللعنة! هاي!

- ما الأمر؟

تحركت جيس على السرير.

- آل فيشر.

سمعوا صراخ تانزي. بينما نهضت جيس بسرعة من السرير، توقف نورمان تمامًا لجزء من الثانية ثم اندفع متجهًا إلى أضعف جزء في السياج. مر عبره كأنه مدفع والخشب الذي كسره يتطاير حوله ذاهبًا نحو صوت تانزي. رأى نيكي آل فيشر يلتفان ليريا القذيفة السوداء الهائلة التي تندفع نحوهما وفماهما مفتوحان. وبعدها سمع صوت المكابح وصوت ارتطام، وجيس تقول: «أوه، أوه يا ربي، يا إلهي»، وبعدها صوت صمت بدا كأنه امتد للأبد والأبد.

تانزي

جلست تانزي في غرفتها قرابة ساعة تحاول أن ترسم بطاقة لماما، لم يمكنها أن تحدد ماذا تضع فيها. بدت ماما كأنها مريضة، لكن نيكي قال إنها ليست مريضة حقًّا، ليس كما كان مستر نيكولز مريضًا، لذا لم ترِد أن تكتب لها «سلامتك» على البطاقة. فكرت في أن تكتب «افرحي!» لكنها شعرت أن هذا سيكون قريبًا من التعليمات، أو حتى اتهامًا. وبعدها فكرت في أن تكتب «أحبك» لكنها أرادت أن تكتبها باللون الأحمر، وقد انتهى الحبر في أقلامها الحمراء كلها. لهذا السبب قررت أن تشتري بطاقة، لأن ماما دائمًا ما قالت إن بابا لم يشترِ لها بطاقة واحدة، فيما عدا واحدة سخيفة في عيد الحب الذي كانا يتواعدان فيه. وضحكت على كلمة «يتواعدان».

أرادت تانزي أن تبهجها. يجب على الأم أن تكون في موضع القيادة لتعتني بالأمور وتتحرك في كل مكان في الدور السفلي، لا مستلقية في الأعلى في الظلام كأنها تبعد عنهم مليون ميل. أخاف هذا تانزي، منذ رحل مستر نيكولز والبيت هادئ بشكل مريب، وتشعر تانزي بأن هناك ثقلًا عظيمًا في معدتها كأن شيئًا سيئًا على وشك الحدوث. تسللت إلى غرفة ماما في الصباح عندما استيقظت ونامت معها في السرير، ولفت ماما ذراعيها حولها وقبلت جبهتها. كان شعرها دهنيًّا قليلًا، ولم تكن تضع أي مكياج، ولكن تانزي اقتربت منها أكثر على أي حال.

- هل أنتِ مريضة يا ماما؟

- أنا فقط متعبة يا تانزي.

كان صوت ماما أتعس شيء والأكثر إنهاكًا في العالم.

- سأتحسن قريبًا، أعدكِ.

- هل هذا... بسببي؟

- ماذا؟

- لأنني لا أريد الاهتمام بالرياضيات بعد الآن، أهذا سبب حزنك؟

وعندها امتلأت عينا ماما بالدموع وشعرت تانزي أنها جعلت الوضع أسوأ بشكل ما.

- لا يا تانزي.

ضمتها أقرب.

- لا يا حبيبتي، ليس لهذا أي علاقة بكِ وبالرياضيات، هذا آخر ما يجب أن تفكري فيه.

لكنها لم تنهض.

لذا كانت تانزي تمشي في الطريق ومعها جنيهان وخمسة عشر قرشًا في جيبها، أعطاها إياها نيكي رغم أنها كانت تعرف أنه ظن أن البطاقة فكرة غبية، وتساءلت ما إذا كان من الأفضل أن تشتري بطاقة أرخص أو بعض الشوكولاتة أو ما إذا كان شراء بطاقة رخيصة يفسد اللفتة التي تقوم بها بالبطاقة تمامًا عندما توقفت سيارة بجانبها. ظنت أنه شخص سيسألها عن الطريق إلى بيتشفرونت (دائمًا ما يأتي الناس ويسألون عن الطريق إلى بيتشفرونت) لكنه كان جيسون فيشر.

- أنتِ، أيتها الغريبة.

تابعت المشي، كان شعره مرفوعًا مثل دبابيس بجل الشعر، وعيناه ضيقتان كأنه أمضى حياته يدقق النظر في أشياء لا تعجبه.

- قلت، أيتها الغريبة.

حاولت ألا تنظر إليه، بدأ قلبها يدق أسرع وبدأت تسرع خطاها قليلًا.

تحرك بالسيارة قليلًا وظنت أنه سيرحل، لكنه أوقف السيارة وخرج منها ومشى متعجرفًا إلى أن وقف أمامها فلم يعد بإمكانها التقدم إلا لو دفعته. مال إلى الجانب كأنه يشرح شيئًا لشخص غبي.

- من الوقاحة ألا تردي على أحد وهو يكلمك، ألم تخبركِ أمك بهذا قط؟

كانت تانزي خائفة لدرجة أنها لم تستطع الكلام. هزت رأسها فقط.

- أين شقيقك؟

- لا أعلم.

خرج صوتها همسًا.

- بل تعرفين أيتها الغريبة ذات العيون الأربع. يظن شقيقك أنه ذكي لأنه عبث بحسابي على الفيسبوك.

- لم يفعل.

لكنها كانت كاذبة سيئة وعرفت أنه عرف أنها تكذب بعدما قالت هذا مباشرة.

اقترب منها خطوتين.

- أخبريه أنني سأعبث بوجهه، بروفايله الحقيقي.

فيشر الآخر، قريبهم الذي تنسى اسمه، تمتم له بشيء لم تسمعه تانزي. خرجا من السيارة كلاهما الآن ومشيا ناحيتها ببطء.

قال جيسون فيشر: «نعم، على شقيقكِ أن يفهم شيئًا، هو عبث مع شيء يخصني، ونحن سنعبث مع شيء يخصه».

رفع ذقنه وبصق بصوتٍ عالٍ على الرصيف. كان بصاقه أمامها، كتلة هلامية خضراء كبيرة. ترددت تانزي غير راغبة في أن تخطو فوقها.

- اركبي السيارة.

- ماذا؟

- اركبي السيارة اللعينة.

- لا.

بدأت تبتعد عنهما، نظرت حولها باحثةً عن شخص على الطريق، كان قلبها يدق بين ضلوعها كأنه عصفور محبوس في قفص.

- اركبي السيارة اللعينة يا كونستانزا.

قال اسمها كأنه يقول شيئًا مقرفًا. أرادت أن تهرب حينها، ولكنها كانت سيئة في الجري -دائمًا تتحرك ساقاها إلى الجانب بزوايا خاطئة- وعرفت أنهما سيمسكان بها لو حاولت. أرادت أن تعبر الطريق وتعود إلى المنزل لكنها كانت تعرف أنهما سيمسكان بها في اللحظة التي تحاول فيها أن تبدأ الجري. وبعدها وجدت يدًا على كتفها.

- انظر إلى شعرها.

- أتعرفين شيئًا عن الصبية يا ذات العيون الأربع؟

- بالطبع لا تعرف شيئًا عن الصبية، انظر إلى منظرها.
- تضع أحمر شفاه تلك العاهرة الصغيرة، ما زالت بشعة وبدينة رغم هذا.
- نعم، لكنك لا تحتاج إلى أن تنظر إلى وجهها، صحيح؟

بدآ بالضحك.

خرج صوتها منها كأنه ينتمي إلى شخص آخر عندما قالت: «اتركاني لحالي، لم يفعل نيكي أي شيء، نريد فقط أن تتركانا لحالنا».

- نريد فقط أن تتركانا لحالنا.

كررا كلامها بصوت ساخر. اقترب فيشر خطوة وأخفض صوته.

- اركبي في السيارة اللعينة يا كونستانزا.
- ابتعدا عني.

بدآ يشدانها من ملابسها. شعرت بالهلع يجمدها ويغلق حلقها ويدفع قلبها إلى ضلوعها. حاولت أن تبعدهما عنها. لعلها كانت تصرخ ولكن أحدًا لم يأتِ. كلاهما شدا ذراعيها وكانا يسحبانها إلى السيارة. كان بإمكانها سماعهما يتنفسان متعبَين من الجهد وشم رائحة مزيل العرق الذي يضعانه بينما حاولت قدماها الثبات على الرصيف. وعلمت علم اليقين أنه لا يجب عليها ركوب تلك السيارة. لأنه بينما انفتح باب تلك السيارة أمامها كأنه فك حيوان ضخم تذكرت إحصائية أمريكية للفتيات اللاتي ركبن سيارة رجال غرباء. احتماليات نجاتك تقل بنسبة 72% في اللحظة التي تدخلين فيها السيارة. أصبحت الإحصائية أمامها شيئًا ملموسًا، أمسكتها تانزي وبدأت تركل وتعض، وسمعت أحدًا يسب عندما ضربت قدمها لحمًا طريًا، وبعدها ضرب شيء جانب رأسها ورجعت إلى الوراء ودارت وكان هناك صوت تكسير عندما وقعت على الأرض. سقط كل شيء على جانبه. كان هناك اشتباك وصياح من بعيد. رفعت رأسها وكان نظرها مشوشًا لكنها ظنت أنها رأت نورمان آتيًا إليها عبر الطريق بسرعة لم ترها من قبل وأسنانه بارزة وعيناه داكنتان كأنه ليس نورمان على الإطلاق، ولكن شيطان من نوع ما، وبعدها رأت شيئًا أحمر آتيًا بسرعة، وصوت مكابح، وكل ما رأته تانزي كان شيئًا أسود اللون يطير في الهواء ككرة من الغسيل، وما سمعته كان الصراخ، الصراخ الذي امتد بلا نهاية، صوت العالم وهو ينتهي، أسوأ صوت سمعته، وأدركت أنها كانت هي، كانت هي، وكان هذا الصوت صوتها.

جيس

كان على الأرض، جرت جيس إلى الشارع لاهثة حافية وكان الرجل يقف هناك ويداه الاثنتان على رأسه، قدماه تهتزان ويقول: «لم أره مطلقًا، لم أره مطلقًا، لقد جرى إلى الطريق فجأة».

كان نيكي على الأرض بجانبه شاحبًا كورقة ويتمتم: «هيا يا فتى، هيا».

كانت تانزي مصدومة تمامًا وذراعاها جامدتان بجانبها.

ركعت جيس. كانت عينا نورمان مثل الزجاج، وخرج الدم من فمه وأذنه.

- أوه لا، أيها الكلب العجوز الغبي. أوه يا نورمان، أوه لا.

شعرت بحلقها يختنق بالدموع.

شعرت بيد تانزي على كتفها وقبضتها تمسك به وتشده باستمرار.

- اصلحي الوضع يا ماما. ماما، عالجيه يا ماما.

وقعت تانزي على ركبتيها ودفنت وجهها في فرائه.

- نورمان. نورمان.

وبعدها بدأت بالبكاء.

خلف صراخها كانت كلمات نيكي مشتتة وحائرة.

- كانوا يحاولون إرغام تانزي على ركوب السيارة، حاولت أن أناديكِ لكنني لم أتمكن من فتح النافذة. لم أتمكن من فتحها وكنت أصرخ فيهم، طار هو من سياج الحديقة قبل أن أصل إلى هناك، كان يعرف، عبره مباشرة، كان يحاول أن يساعدها.

أتتهم ناتالي تجري من آخر الشارع وأزرار قميصها غير مقفلة بالشكل الصحيح ونصف شعرها لفافات الشعر. ضمت تانزي بين ذراعيها وقربتها منها تهزها وتحاول إيقاف بكائها.

توقفت عينا نورمان عن الحركة. لعله كان مركزًا على قطعة طعام بعيدة. أحنت جيس رأسها في اتجاهه وشعرت بقلبها ينفطر.

قال أحدهم: «اتصلت بطوارئ الحيوانات».

ملست على أذنه الكبيرة الناعمة وهمست: «شكرًا».

- علينا أن نفعل شيئًا يا جيس، الآن.

كرر هذا مجددًا.

وضعت يدًا مرتجفة على كتف نيكي.

- أعتقد أنه مات يا عزيزي.

- لا. لا تقوليها، أنت من قلتِ إننا لا نقول هذا، لا نستسلم، أنتِ من تقولين إن كل شيء سيكون على ما يرام، أنتِ لا تقولين هذا.

وعندما بدأت تانزي بالنواح من جديد ظهر انكسار القلب على وجه نيكي، وبدأ يبكي دافنًا وجهه في مرفقه. بكاء متألم مقطوع النفس، كأن سدًّا انفجر أخيرًا.

جلست جيس في منتصف الطريق بينما مشت السيارات حولها ببطء، ووقف الجيران الفضوليون على سلالم أبواب بيوتهم، ووضعت رأس كلبها الكبير المدمى على حجرها ورفعت وجهها للسماء وسألت دون أن تتكلم: «ماذا الآن؟ **ماذا الآن؟**».

لم ترَ جيسون فيشر يركب سيارته ويهرب.

لكن كاميرات المراقبة فعلت.

تانزي

أدخلتها أمها إلى المنزل. لم ترد تانزي أن تتركه، لم ترده أن يموت على الأسفلت في الخارج وحده والغرباء يحدقون إليه وأفواههم مفتوحة تتهامس عنه، لكن ماما لم تستمع إليها. خرج نايجل من المنزل المجاور جريًا وقال إنه سيعتني بالأمر، وبعدها كانت ماما تسحبها للداخل وذراعاها تمسكان تانزي بقوة بينما ركلت وصرخت محاولةً الوصول إلى نورمان. كان صوتها في أذن تانزي وذراعاها حول وسطها وهي تقول: «حبيبتي، كل شيء على ما يرام يا عزيزتي، هيا إلى الداخل، لا تنظري، سيكون كل شيء بخير». حتى وهي تغلق الباب تضم تانزي إليها وعيناها مغطاتان بالدموع، كان بإمكانها سماع نيكي يبكي خلفهما في الردهة، بكاءً غريبًا متقطعًا كأنه لا يدري كيف يبكي حتى، وكانت ماما تكذب عليها أخيرًا لأن كل شيء لن يكون على ما يرام، لا يمكنه أبدًا أن يكون على ما يرام، لأن ما حدث كان في الحقيقة نهاية كل شيء.

إد

قالت جيما وهي تنظر خلفها إلى الطفل الذي أصبح لونه بنفسجيًّا من الصراخ وظهره محني في الطاولة المجاورة: «أحيانًا أظن أن أسوأ أشكال التربية لا يشهده الاختصاصيون الاجتماعيون بل يشهده النُّدُل وراء البارات».

قلبت قهوتها بسرعة كأنها تمنع نفسها من رغبتها الطبيعية في قول شيء.

الأم ذات الشعر الأشقر الملفوف في تموجات ضيقة جدًّا تنساب على ظهرها بشكل أنيق استمرت في سؤال الطفل بنبرة صوت ناعمة أن يتوقف ويشرب «البيبي كابيتشينو». تجاهلها الطفل غير قادر على سماعها بفعل الصراخ الذي كان هو مصدره.

- لا أفهم لمَ لم نذهب إلى حانة.

- في الحادية عشرة والربع صباحًا؟ يا إلهي، لماذا لا تخبره بأن يتوقف فحسب؟ أو تأخذه للخارج؟ ألا يعرف أحد كيف يشتت انتباه طفل بعد الآن؟

زاد صوت صراخ الطفل علوًّا. بدأ رأس إد يؤلمه.

- يمكننا الذهاب؟

- إلى أين؟

- إلى الحانة، ستكون أهدأ.

حدق إليه، ومرر إصبعًا متسائلة على ذقنه.

- إد، كم شربتَ بالأمس؟

خرج من قسم الشرطة منهكًا، قابل محاميه بعدها -نسي إد اسمه بالفعل- مع بول ويلكس ومحاميَين اثنين آخرين أحدهما متخصص في قضايا التداول الداخلي. جلسوا حول طاولة الماهوجني وتكلموا كأنهم رتبوا هذا سابقًا، وشرحوا لإد قضية الادعاء حتى يعلم تمامًا ما ينتظره، ما لديهم ضده: مراسلات

إلكترونية، وشهادة ديانا لويس، ومكالمات شقيقها، وإرادة FSA الجديدة في أن تطبق أقصى العقوبات للتداول الداخلي، وشيكه المذيل بتوقيعه.

أقسمت ديانا إنها لم تعلم أن ما فعلته كان جريمة، صرحت أن إد ضغط عليها لقبول المال، قالت إنها لو عرفت أن ما كان يقترحه كان غير قانوني لما فعلته أبدًا، ولا كانت أخبرت شقيقها.

الأدلة في صالحه: أنه لم يكسب سنتًا من هذه التعاملات. قال فريقه القانوني -بسعادة أكثر مما يجب في رأيه- إنهم سيركزون على جهله وعدم كفاءته وكونه محدث ثراء، وعلى تداعيات الإدارة ومسؤولياتها. سيزعمون أن ديانا لويس كانت تعرف تمامًا ما تفعله، أن علاقته القصيرة بديانا كانت دليلًا على أنها تحاول إيقاعه في الجرم مع شقيقها. فتش فريق التحقيق في حسابات إد ولحظهم لم يجدوا أي شيء؛ دفع ضرائبه دائمًا كل عام، لم تكن لديه أي استثمارات، دائمًا ما أحب الأمور بسيطة.

والشيك لم يكن عليه اسمها، كان في حوزتها، لكنها هي من كتبت اسمها، أخبروه أنهم سيؤكدون أنها أخذت شيكًا أبيض من منزله في مرحلة ما في علاقتهما.

- لكنها لم تفعل ذلك.

لم يبدُ أن أحدًا سمعه.

قالوا إنه يمكن أن يحدث أي شيء في موضوع السجن، لكن مهما حدث فبالتأكيد سيُغرم إد غرامة ضخمة. وبديهي نهاية علاقته بماي فلاي. سيكون محظورًا عليه تولي منصب إداري على الأرجح فترةً طويلة. على إد أن يستعد بهذا كله. بدؤوا يتحدثون فيما بينهم.

وبعدها قالها: «أريد أن أعترف بذنبي».

- ماذا؟

خيم الصمت في الغرفة.

- أخبرتها أن تفعلها، لم أفكر في كون الأمر غير قانوني، أردتها أن تبتعد فحسب لذا أخبرتها كيف يمكنها كسب بعض المال.

قالت أخته: «إد...».

- أريد أن أقول الحقيقة.

انحنى أحد المحامين إلى الأمام.

- لدينا دفاع قوي يا مستر نيكولز. أعتقد أنه، بأخذ غياب كتابتك الاسم على الشيك بعين الاعتبار، وهو دليلهم الوحيد، فيمكننا أن نزعم أن مس لويس استخدمت حسابك لمكاسب شخصية بنجاح.

- لكنني أعطيتها الشيك.

انحنى بول ويلكس للأمام.

- إد، عليك أن تكون واضحًا هنا، لو اعترفت بالذنب، ستزيد فرصك في حكم بالسجن.

- لا أهتم.

- ستهتم عندما تقضي ثلاثًا وعشرين ساعة في الحبس المنفرد في وينشستر لأمانك الشخصي.

بالكاد سمعها.

- أريد فقط أن أقول الحقيقة، هذا ما حدث.

أمسكت شقيقته بذراعه.

- إد، الحقيقة لا تنتمي إلى المحكمة، ستزيد الوضع سوءًا.

لكنه هز رأسه وجلس في كرسيه ولم يقل أي شيء آخر.

كان يعرف أنهم يعتقدون أنه غريب، لكنه لم يهتم، لم يكن بإمكانه أن يبدو مهتمًّا بأيٍّ من هذا. جلس هناك شاعرًا بلا شيء، سألت أخته معظم الأسئلة، سمع «قانون الخدمات المالية والأسواق 2000 بلا بلا بلا». سمع «سجن مفتوح وغرامات رادعة وقانون العقوبات 1993 بلا بلا بلا» وجلس هناك ولم يمكنه أن يهتم بما يحدث أقل مما يهتم. سيذهب إلى السجن لفترة؟ وما المشكلة؟ لقد خسر كل شيء على أي حال، مرتين.

- إد، هل سمعت ما قلته؟

- آسف.

«آسف» كانت كل ما يقوله هذه الأيام. «آسف، لم أسمعك». «آسف، لم أكن منصتًا». «آسف أنني دمرت كل شيء». «آسف أنني كنت غبيًّا كفاية لأقع في حب امرأة صدقت أنني أحمق».

وها هو ذا، الانقباض المألوف الآن الذي يشعر به عندما يفكر فيها. كيف أمكنها الكذب عليه؟ كيف أمكنها الجلوس بجانبه في السيارة قرابة الأسبوع دون أن تحاول حتى أن تخبره بما فعلتْ؟

كيف أمكنها أن تحدثه عن مخاوفها المالية؟ كيف أمكنها أن تحدثه عن الثقة وتنهار بين ذراعيه وهي تعرف أنها سرقت المال من جيبه؟

لم تحتج إلى قول أي شيء في النهاية، أخبره صمتها بكل شيء، التأخير البسيط بين إدراكها منظره وهو يحمل بطاقة هويته غير مصدق في يده، وردها المتلعثم التي حاولت أن تشرح به وجودها هنا.

كنت سأخبرك.

ليس الأمر ما تفكر فيه، اليد على الفم.

لم أكن أفكر.

أوه، يا إلهي. ليس...

كانت أسوأ من لارا. على الأقل كانت لارا صريحة بطريقتها عن انجذابها إليه، أحبت المال، أحبت كيف بدا بعد أن شكلته وفقًا لما أرادته، اعتقد أن كليهما عرفا في أعماقهما ما كانت عليه زيجتهما بشكل أو بآخر.

لكن جيس؟ تصرفت جيس كأنه الرجل الوحيد الذي أرادته حقًّا، تركته جيس يعتقد أنها أحبت من هو عليه فعلًا، حتى وهو يتقيأ، أو ووجهه متورم من الضرب، أو وهو خائف من مقابلة والديه. ابتسمت ابتسامتها الجميلة وتركته يصدق أنها تحبه هو.

- إد؟

- آسف؟

رفع رأسه من بين كفيه.

- أعلم أنه صعب، لكنك ستنجو من هذا كله.

مدت أخته يدها وأمسكت يده، في مكان ما خلفها صرخ الطفل، تألم رأسه.

- أكيد.

ذهب إلى الحانة في اللحظة التي غادرت فيها.

مرت الجلسة بسرعة بعد أن غيَّر اعترافه، وقضى إد الأيام الماضية الأخيرة قبلها مع والده. جزء من هذا القرار كان رغبته، والجزء الآخر كان لأنه لم يعد لديه شقة في لندن فيها أي أثاث. كل شيء وُضع في وحدات تخزين استعدادًا لبيع الشقة.

باعها بالسعر المطلوب دون عرضها في السوق. لم يبدُ السمسار متفاجئًا من هذا.

- لدينا قائمة انتظار لهذا المكان.

قال بينما أعطاه إد المفاتيح الاحتياطية: «مستثمرون يريدون مكانًا آمنًا لنقودهم لأكون صريحًا معك، في الغالب ستبقى الشقة فارغة بضعة أعوام إلى أن يقرروا عرضها للبيع».

أدرك أن كل الشقق حوله تقريبًا فرغت ببطء. المساءات التي عاد فيها إلى المنزل وتفاجأ من قلة الأضواء المضاءة في الحي أصبحت منطقية الآن. للحظة قصيرة أراد إد استعادة مفاتيحه، كيف يكون هذا عدلًا؟ ماذا عن الناس الذين يحتاجون إلى مكان ليعيشوا فيه؟ لكنه كتم اعتراضاته. لحظة يُباع العقار سيكون عليه إيجاد مكان أصغر وأرخص عندما يعرف كم تبقى. عندما يعرف أين، وحتى إذا كان من الممكن أن يحصل على وظيفة جديدة. كان من الغريب ألا يعرف أين سيحدث هذا.

لثلاث ليالٍ بقي إد في منزل والديه، ينام في غرفة طفولته ويستيقظ باكرًا ويمرر أصابعه على ورق الحائط الخشبي خلف السرير متذكرًا وقع قدمَي شقيقته المراهقة تصعد السلالم وباب غرفتها ينغلق بعنف بينما تهضم الإهانة التي وجهها لها والدهما تلك المرة. في الصباحات يجلس ويتناول الإفطار مع والدته في المطبخ الصامت أكثر من اللازم، وفهم ببطء أن والده لن يعود أبدًا، أنهم لن يروه هنا من جديد يطوي جريدته منزعجًا إلى خطوط منظمة ويمد يده دون أن ينظر إلى كوب قهوته الداكنة القوية (سادة). أحيانًا تنفجر والدته باكية وتـعتذر وتبعده عنها بينما تضغط عينيها بمنديل: «أنا بخير، أنا بخيـر. حقًّا يا حبيبي. تجاهلني فقط».

في الغرفة الحارة رقم ثلاثة في جناح فيكتوريا تكلم بوب نيكولز أقل وأكل أقل وفعل أقل. لم يحتَج إد إلى التحدث مع طبيب ليفهم ما يحدث. بدا اللحم وكأنه يختفي من على عظامه، يذوب تاركًا جلده شفافًا على جمجمته وعيناه فراغان متورمان كبيران «الموت يخطفه».

لعبا الشطرنج، أتعبه التحدث لكنه لسبب ما تمكن من لعب الشطرنج. غالبًا ما نام في منتصف اللعبة غافيًا في دوره، ويجلس إد في مكانه بجانب السرير بصبر وينتظر إلى أن يفيق. وعندما انفتحت عيناه واستغرق لحظة أو اثنتين ليدرك أين هو وينغلق فمه ويهبط حاجباه بينما يدرس اللعبة على رقعة الشطرنج، يحرك إد قطعة ويتظاهر أن دقيقة مرت وليست ساعة منذ أن ابتعد عن اللعبة.

تحدثا، ليس عن أمور مهمة، لم يكن إد متأكدًا أن أيًّا منهما كان قادرًا على هذا. تكلما عن الكريكيت والطقس والتكاليف الهزلية لأنظمة الترفيه على حافة السرير التي تدفعها بينما تستخدمها. تحدث والد إد عن الممرضة ذات الغمازات التي دائمًا تفكر في أشياء مضحكة لتقولها له. طلب من إد أن يعتني بأمه، إنه قلق من أنها تجهد نفسها، قلق من أن الرجل الذي سينظف مصارف مياه المطر سيرفع أسعاره إذا لم يكن هناك. كان منزعجًا لأنه دفع الكثير من المال هذا الخريف ليزيل الأعشاب الضارة من المرج، وأنه لن يرى نتائج ما دفعه. لم يحاول إد أن يعترض، كان اعتراضه ليكون سخيفًا.

قال والده ذات مساء: «إذًا، أين فتاتنا المنطلقة؟».

كان على بُعد حركتين من كش ملك.

- من؟

- فتاتك.

- لارا؟ بابا، أنت تعرف أننا تطلقـــ...

- ليست هي، الأخرى.

أخذ إد نفسًا.

- جيس؟ إنها.. آه.. إنها في منزلها على ما أعتقد.

- أعجبتني، لديها طريقة في النظر إليك.

حرك الرخ للأمام ببطء إلى المربع الأسود.

- أنا سعيد أنها في حياتك.

أومأ إيماءة بسيطة.

- جلابة مشكلات.

تمتم كأنه يكلم نفسه وابتسم.

انهارت استراتيجية إد، غلبه والده في ثلاث حركات.

جيس

خرج الرجل ذو اللحية من الباب يمسح يديه في معطفه الأبيض، توقف في الرواق كأنه شخص دخل غرفة ونسي لماذا دخلها.

- نورمان توماس؟

لم تفكر قط في أن لكلبهم اسمًا أخيرًا.

- نورمان توماس؟ كلب كبير من نوع غير محدد؟

أخفض ذقنه ونظر إليها مباشرة.

نهضت بسرعة لتقف أمام الكراسي البلاستيكية.

تكلم الطبيب دون مقدمات: «لقد أصيب بإصابات داخلية هائلة. لديه ورك مكسورة، وعدة ضلوع مكسورة، وقائمة أمامية مكسورة. ولن نعرف ماذا يجري داخله إلى أن يهدأ التورم. ويؤسفني أن أقول إنه خسر العين اليسرى بالتأكيد».

لاحظت وجود آثار دماء حمراء فاقعة على حذائه البلاستيكي الأزرق.

شعرت بيد تانزي تقبض على يدها.

- لكنه ما زال حيًّا؟

- لا أريد أن أعطيكِ أملًا كاذبًا.

كان صوته معتدلًا بحذر كشخص شهد رجالًا يحاولون اتقاء شر الغرق بأصغر قطعة خشب.

- الساعات الثماني والأربعون التالية ستكون خطرة.

أطلقت تانزي صوتًا خفيضًا، لعله كان ألمًا أو سعادةً، كان من الصعب التمييز.

- تمشّي معي.

أخذ كوع جيس وأولى ظهره للطفلين وأخفض صوته.

- عليَّ أن أقول إنه بأخذ حجم إصاباته بعين الاعتبار أن الخيار الأرحم سيكون أن نتركه يموت.

- لكن لو نجا في الثماني والأربعين ساعة التالية؟

- عندها قد تكون أمامه فرصة في التعافي، لكن كما قلت يا مسز توماس فأنا لا أريد إعطاءك أملًا كاذبًا؛ ليس كلبًا صحيح البدن.

حولهم كان الزبائن يشاهدون بصمت وقططهم في صناديق الحيوانات الأليفة على حجورهم، وكلابهم الصغيرة تلهث بلطف تحت الكراسي. كان نيكي يحدق إلى الطبيب البيطري وفمه على شكل خط مشدود. كانت الماسكارا التي يضعها مبعثرة تحت عينيه؟

- ولو تابعنا فسيكون الأمر مكلفًا، قد يحتاج إلى أكثر من عملية، ويحتمل أن يحتاج إلى العديد منها. ألديه تأمين؟

هزت جيس رأسها.

أصبح الطبيب البيطري محرجًا.

- عليَّ أن أحذرك أنه من الآن فمن المرجح أن علاجه سيكون مكلفًا بشكل كبير، ولا ضمانات لتعافيه. من المهم جدًّا أن تفهمي هذا قبل أن نستمر.

جارهم نايجل هو من أنقذه، جرى من منزله يحمل بطانيتين، واحدة ليلفها حول تانزي المرتجفة والأخرى ليغطي بها جسد الكلب. طلب من جيس أن تذهب إلى الداخل وتأخذ الطفلين معها. لكن عندما كان يرفع البطانية المنقوشة بنقوش اسكتلندية فوق رأس نورمان توقف وقال لناتالي: «أترين هذا؟».

لم تسمعه في البداية بسبب صوت الحشد وصياح تانزي المكتوم والأطفال الذين يبكون بالقرب لأنهم حتى وإن لم يعرفوه فإنهم يفهمون مقدار الحزن الهائل الذي يصحب استلقاء كلب بلا حراك في الطريق.

- ناتالي؟ لسانه، انظري، أعتقد أنه يلهث... هيا، ارفعيه وضعيه في السيارة، بسرعة!

احتاجوا ثلاثة من جيران جيس ليرفعوه، وضعوه بحذر في الكنبة الخلفية، وقاد بسرعة إلى العيادة البيطرية الكبيرة على أطراف البلدة. لم يكن بسرعة مستر ميلر في التقاطع، لكن كانت لديهم غرفة عمليات وخطوط ساخنة وشتى أنواع المتخصصين. ضمت ناتالي نورمان في الكنبة الخلفية مقرفصة لتحمي رأسه. أحبت جيس نايجل لأنه لم يتكلم ولو مرة عن الدم على تنجيد سيارته. اتصلوا بها من عيادة الطبيب البيطري وأخبروها أن تأتي بأسرع ما يمكن. كانت ما تزال ترتدي بيجامتها تحت الجاكيت.

- إذًا، ماذا تريدين أن تفعلي؟

أخبرت ليزا ريتر جيس ذات مرة عن صفقة هائلة لزوجها باءت بالفشل.

- اقترضي خمسة آلاف من البنك وتكون مشكلتكِ إذا لم تستطيعي التسديد، اقترضي خمسة ملايين وتكون مشكلة البنك إذا لم تستطيعي التسديد.

كان هذا اقتباسًا عن زوجها.

نظرت جيس إلى وجه ابنتها المترجي. نظرت إلى تعبير نيكي العاري: الحزن والحب والخوف التي تمكن أخيرًا من التعبير عنها. كانت هي الشخص الوحيد الذي بإمكانه تصحيح الوضع.

- افعل كل ما يلزم، سأجد النقود، فقط افعل ما يلزم.

الوقفة القصيرة التي تبعت هذا أعلمتها بأنه يظن أنها حمقاء. لكنها حمقاء من النوع الذي اعتاد التعامل معه.

- تعالي معي إذًا، أحتاج منكِ إلى أن توقِّعي بعض الأوراق.

أوصلهم نايجل إلى المنزل، حاولت أن تعطيه بعض المال لكنه رفض وقال: «الجيران لبعضهم».

بكت بليندا عندما خرجت لتحييهم.

قالت جيس متعبة وذراعها حول تانزي التي ما زالت ترتجف بين الحين والآخر: «نحن بخير، نحن بخير، شكرًا».

أخبرها الطبيب البيطري أنهم سيتصلون إذا جد جديد.

لم تطلب جيس من الطفلين الذهاب إلى الفراش، لم تكن متأكدة من أنها تريد لهما البقاء بمفردهما في غرفتيهما. أغلقت الباب مرتين بالفتاح وأوصدته بالقفل القديم. تجولت في المنزل وأغلقت النوافذ والستائر ووضعت كرسيًّا تحت مقبض الباب الخلفي للاحتياط. بعدها حضَّرت ثلاثة أكواب من الكاكاو وأنزلت غطاءها وجلست تحته وعلى كل جانب منها طفل يشاهدون تلفزيونًا لا يرونه، وكل منهم وحيد في أفكاره. يدعون ويصلون ألا يرن الهاتف.

نيكي

هذه قصة عائلة غير منتمية، فتاة صغيرة كانت غريبة ومجتهدة قليلًا وأحبت الرياضيات أكثر من المكياج. وفتى لم ينتمِ إلى أي جماعة. وهذا ما يحدث للعائلات التي لا تنتمي، ينتهي بهم الأمر مكسورين وفقراء وحزانى. لا نهاية سعيدة هنا يا رفاق.

لا تبقى ماما في السرير بعد الآن، لكنني أراها تمسح عينيها وهي تغسل أو وهي تنظر إلى سلة نورمان. إنها مشغولة طوال الوقت: تعمل وتنظف وترتب المنزل، تفعل هذا كله ورأسها محني وفكها منقبض. جمعت ثلاثة صناديق كاملة من كتبها وأخذتها للمحل الخيري لأنها قالت إنه لن تسنح لها الفرصة لقراءتها، كما أن الإيمان بالخيال شيء عديم الفائدة.

أفتقد نورمان، غريب كيف يمكنك أن تفتقد شيئًا قضيت وقتك كله تشتكي منه. بيتنا هادئ بشكل غريب دونه، لكن بما أن الثماني والأربعين ساعة قد مرت وقال مستر آدمسون أن لديه فرصة للنجاة واحتفلنا كلنا على الهاتف، بدأت أقلق بشأن أمور أخرى.

جلسنا على الكنبة مساء أمس بعدما نامت تانزي ولم يرن الهاتف وسألت ماما: «إذًا، ماذا سنفعل؟».

أبعدت نظرها عن التلفزيون.

- يعني، لو نجا نورمان؟

أطلقت نفسًا طويلًا كأن هذا شيء فكرت فيه بالفعل، ثم قالت: «أتعرف يا نيكي؟ لم يكن لدينا خيار آخر، إنه كلب تانزي، وقد أنقذها. لو لم يكن أمامك خيار فإن الأمر يكون بسيطًا».

كان بإمكاني رؤية أنه حتى مع تصديقها لهذا، وقد يكون الأمر بسيطًا فعلًا، فإن الدين الإضافي كان كثقل إضافي استقر فوقها. مع كل مشكلة بدت أكبر وأنحف وأكثر تعبًا.

لم تتحدث عن مستر نيكولز.

لم أصدق كيف بعد أن كانا معًا هكذا أن الأمر سينتهي بهذه الطريقة، كأنه في لحظة يمكنك أن تبدو سعيدًا حقًّا، وبعدها لا شيء. ظننت أنك تحل مثل هذه الأمور كلها عندما تكبر، لكن من الواضح أنك لا تفعل. لذا هذا شيء آخر لأتطلع إليه.

ذهبتُ إليها وعانقتها، وقد لا يكون هذا أمرًا جللًا في عائلتك، لكن دعني أخبرك أنه أمر جلل في عائلتي. إنه الفارق الوحيد التافه الذي يمكنني صنعه.

هذا الشيء الذي لا أفهمه، لا أفهم كيف يمكن لعائلتي أن تفعل الصواب ومع ذلك دائمًا ينتهي بنا

الأمر غارقين في الخراء. لا أفهم كيف يمكن لشقيقتي الصغيرة أن تكون ذكية وطيبة وعبقرية ومع ذلك فكل شيء تحبه تقريبًا اختفى الآن، فقط لأنها مختلفة قليلًا. لا أفهم كيف تستيقظ الآن باكية وتحلم بكوابيس وعليَّ أن أستلقي صاحيًا أستمع إلى ماما تتحرك عبر بسطة السلم في الرابعة صباحًا تحاول أن تهدئها، وكيف تبقى داخل المنزل في النهار مع أن الجو دافئ ومشمس أخيرًا، لأنها خائفة من أن تخرج من جديد ويعود آل فيشر ويأخذونها. وكيف بعد ستة أشهر ستكون في مدرسة رسالتها الأساسية هي أن على الجميع أن يكونوا متماثلين وإلا ستتعرض للتعنيف كما تعرض شقيقها غريب الأطوار للتعنيف. أفكر في تانزي دون الرياضيات، وأشعر أن الكون جن جنونه. الأمر مثل... موركامب دون وايز[1]، أو كعكات جافا دون البرتقال. لا يمكنني تخيل ما ستكون تانز عليه إذا لم تدرس الرياضيات بعد الآن.

لا أفهم لماذا اعتدت لتوي النوم، والآن أستلقي صاحيًا أستمع لأصوات غير موجودة في الدور السفلي، وكيف الآن عندما أريد الذهاب إلى المتجر لشراء صحيفة أو بعض الحلوى أشعر بالغثيان من جديد، ويكون عليَّ مقاومة رغبتي في النظر ورائي.

لا أفهم كيف يتعين على كلب كبير عديم الفائدة سيَّال اللعاب لم يفعل شيئًا أسوأ من أن يلطخ الجميع

(1) موركامب ووايز: شخصيتان كوميديتان اشتهرتا بظهورهما معًا.

باللعاب أن يفقد عينًا ويتعرض لضرر هائل في أحشائه فقط لأنه حاول حماية الشخص الذي يحبه.

أهم من هذا كله، لا أفهم كيف للمتنمرين واللصوص والناس الذين يدمرون كل شيء -الأوغاد- أن يفلتوا بأفعالهم الدنيئة. الفتيان الذين يضربونك في كليتيك ليأخذوا أموال طعامك، والشرطي الذي يظن أنه من المضحك أن يعاملك كأحمق، والأطفال الذين يسخرون من كل شخص لم يكن مثلهم تمامًا، أكانوا أثرياء في مسابقة الرياضيات أو حمقى جهلة أغبياء لا يعرفون الفارق بين اسم الحساب ورقمه السري. أو الآباء الذين يرحلون فقط ويبدؤون حياة جديدة تفوح منها رائحة معطر الجو مع امرأة تقود سيارتها التويوتا وتملك بذلة من ثلاث قطع لا علامات عليها وتضحك على نكاتهم الغبية كأنهم هدية من الرب وليسوا في الحقيقة أوغادًا كذبوا على الذين يحبونهم لعامين كاملين. عامين كاملين.

دائمًا ما قالت لنا ماما إن الأمور الجيدة تحدث للأشخاص الصالحين، خمن ما حدث؟ لا تقول هذا الآن.

آسف لأن هذه المدونة أصبحت كئيبة جدًّا، لكن هذه حياتنا، وهذا ما نعيشه الآن. عائلتي، الخاسرون الأبديون. ليست قصة في الحقيقة، صحيح؟ إنها حكاية للتحذير.

جيس

أتت الشرطة في رابع يوم بعد حادث نورمان. شاهدت جيس الشرطية تأتي من جهة الحديقة من نافذة غرفة المعيشة، ولدقيقة غبية واحدة فكرت أنها أتت لتخبرها أن نورمان مات. امرأة شابة بشعر أحمر مربوط في ذيل حصان. واحدة لم ترَها جيس من قبل.

أخبرتهم أنها أتت لتستجيب لتقارير عن حادثة مرورية.

قالت جيس وهي تمشي في الرواق إلى المطبخ: «لا تخبريني، سيقاضينا السائق للأضرار التي ألحقها الكلب في السيارة».

كان نايجل هو من حذرها أن هذا قد يحدث. بدأت بالضحك عندما قال هذا.

نظرت الشرطية إلى دفترها.

- ليس في الوقت الحالي على الأقل، الضرر الذي لحق بسيارته يبدو بسيطًا. ووصلتنا شهادات متضاربة عن ما إذا كان الرجل قد تخطى السرعة المسموح بها، لكن وصلتنا شهادات عديدة عما حدث ليقود إلى الحادث وكنت أتساءل إذا كان بإمكانكِ توضيح بعض الأشياء؟

- وما الجدوى؟

عادت جيس لغسيلها.

- أنتم لا تهتمون أبدًا.

عرفت كيف يُظهرها هذا الكلام: كنصف سكان المساكن: عدوانية ومستعدة للمواجهة ومظلومة. لم تعد تهتم.

لكن الشرطية كانت جديدة أكثر من المعتاد ومتحمسة أكثر من المعتاد للعب هذه اللعبة.

- حسنًا، أتعتقدين أن بإمكانكِ إخباري بما حدث على أي حال؟ سآخذ فقط خمس دقائق من وقتكِ.

أخبرتها جيس بنبرة غير مهتمة لشخص لم يعد يتوقع أن يُصدَّق. أخبرتها عن آل فيشر وتاريخهم معهم، وحقيقة أن ابنتها كانت الآن خائفة من اللعب في حديقتهم رغم أن جيس أصلحت الفراغ في السياج. أخبرتها عن كلبهم الذي كان بحجم البقرة والذي يكدس مصاريف في عيادة الطبيب البيطري تساوي تكلفة أن تشتري له جناحًا في فندق فخم. أخبرتها كيف أن هدف ابنها الوحيد هو أن يبتعد عن هذه البلدة قدر المستطاع، وكيف أنه بفضل جعل آل فيشر عام امتحاناته في المدرسة بشعًا فإن فرصه في الرحيل غير جيدة.

لم تبدُ الشرطية كأنها تشعر بالملل، وقفت واستندت إلى كابينات المطبخ ودونت الملاحظات. بعدها طلبت من جيس أن تريها السياج. لم تكلف جيس نفسها عناء الخروج.

أشارت من النافذة وقالت: «هناك. يمكنكِ أن تري أين أصلحته مستدلةً بالخشب الأفتح لونًا. والحادث، إذا كان هذا ما ستسمينه، حدث على بعد قرابة خمسين ياردة على اليمين».

شاهدتها تخرج وعادت إلى الحوض. لوَّحت لها آيلين ترينت مبتهجة وهي تجر عربة تسوقها عبر العشب. وبعدها، عندما لاحظت مَن كانت في الحديقة، أخفضت رأسها وذهبت في الاتجاه الآخر بسرعة.

الشرطية كينوورثي ظلت في الخارج قرابة عشر دقائق. كادت جيس تنساها. كانت تفرغ الغسالة عندما عادت الشرطية إلى الداخل.

- هل يمكنني أن أسألكِ سؤالًا يا مسز توماس؟

أغلقت الباب وراءها.

- هذه وظيفتكِ.

- لا بد أنكِ مررت بهذا عدة مرات بالفعل، لكن كاميراتكِ، هل فيها أي شريط؟

شاهدت جيس الشريط ثلاث مرات بعد أن استدعتها الشرطية كينوورثي إلى القسم وجلست إلى جوارها على كرسي بلاستيكي في جناح الاستجواب

رقم ثلاثة. أصابها المشهد برعشة كل مرة: الشخص الصغير والكُمان المطرزان يلمعان في الشمس يمشي ببطء في حافة الشاشة ويتوقف ليعدل نظارته على أنفه. الخطوة الصغيرة للوراء والنظرة القلقة خلفها إلى الطريق. اليدان المرفوعتان. وبعدها يهجمان عليها ولا يمكن لجيس أن تشاهد.

- أعتقد أن هذا دليل قاطع يا مسز توماس. وجودة التسجيل جيدة. ستكون النيابة سعيدة جدًّا بهذا.

استغرق الأمر بضع ثوانٍ قبل أن تدرك جيس أنها جادة بهذا الشأن. أن أحدًا كان يأخذهم على محمل الجد.

في البداية أنكر فيشر الأمر، بالطبع. قال إنهما كانا يمزحان مع تانزي.

- لكن لدينا شهادة تانزي، وشاهدان أتيا إلينا، ولدينا لقطات من حساب فيسبوك الخاص بجيسون فيشر يناقش فيه كيف سيفعل ما فعله.

- يفعل ماذا؟

اختفت ابتسامتها لحظةً.

- شيء غير جيد لابنتكِ.

لم تسأل جيس عن أي شيء آخر.

وصلتهم معلومة من مجهول أنه استخدم اسمه كرمزه السري، قالت الشرطية كينوورثي: «ذلك المتخلف». قالت «المتخلف» حقًّا.

أخبرت جيس وهي تصحبها إلى الخارج: «بيني وبينك، الأدلة المأخوذة من الحساب المخترق قد لا تكون مقبولة بشكل رسمي في المحكمة، لكن دعينا نقل إنها ساعدتها».

تمت تغطية القضية إعلاميًّا بشكل غامض في البداية، قالت الصحف إن مجموعة من الشباب المحليين اعتُقلوا للاعتداء على قاصر ومحاولة اختطافها. لكنهم ذكروهم في صحف الأسبوع التالي بأسمائهم. من الواضح أن آل فيشر تلقوا نصيحة أن يغادروا منزلهم في الإسكان. لم يكن آل توماس وحدهم الذين يتعرضون لمضايقاتهم. وصلهم اقتباس من رابطة الإسكان أن العائلة قد وصلها الإنذار الأخير منذ فترة.

أمسك نيكي الجريدة المحلية على الغداء، وقرأ الخبر بصوتٍ عالٍ. سكتوا كلهم للحظة غير مصدقين لما يسمعونه.

- أحقًّا يقولون إن آل فيشر مجبرون على الانتقال إلى مكان آخر؟

- هذا هو المكتوب.

سألت جيس وشوكتها في منتصف الطريق إلى فمها: «لكن ماذا سيحدث لهم؟».

- يقول الخبر إنهم سينتقلون إلى ساري بالقرب من عديله.

- ساري؟ لكن...

- لم يعودوا مسؤولية رابطة الإسكان بعد الآن، ولا واحد منهم. جيسون فيشر وأبناء عمومته وعائلته، سيذهبون ليعيشوا مع عم لهم. والأفضل من ذلك أن هناك أمر استثناء يمنعهم من العودة إلى هذا الإسكان. انظري، هناك صورتان لأمه وهي تبكي وتقول إنه يساء فهمهم دائمًا وإن جيسون لن يؤذي ذبابة.

مرر إليها الجريدة.

قرأت جيس الخبر مرتين لتتأكد أنها فهمته بشكل صحيح.

- سيُعتقلون حقًّا لو عادوا إلى هنا؟

- أترين يا ماما؟

كانت تأكل قطعة من الخبز.

- كنتِ محقة، يمكن للأمور أن تتغير.

جلست جيس ساكنة تمامًا، نظرت إلى الجريدة ثم نظرت إليه إلى أن أدركت ماذا ناداها، ورأته يحمر خجلًا آملًا ألا تصنع من الأمر موضوعًا كبيرًا. لذا ابتلعت ريقها ومسحت عينيها الاثنتين برسغيها وحدقت إلى طبقها لدقيقة قبل أن تعود للأكل.

قالت بصوت مختنق: «صحيح... حسنًا، هذه أخبار جيدة، أخبار جيدة حقًّا».

- أتعتقدين حقًّا أن الأمور يمكن أن تتغير؟

كانت عينا تانزي كبيرتين وداكنتين ومتعبتين.

وضعت جيس شوكتها وسكينها جانبًا.

- أعتقد أنني أظن هذا يا حبيبتي، يعني، كلنا نمر بلحظاتنا السيئة، لكن، نعم، أظن هذا.

ونظرت تانزي إلى نيكي ثم عاد نظرها إلى جيس، وتابعت أكلها.

استمرت الحياة، دخلت جيس ذا فيذرز وقت الغداء يوم أحد مخفيةً أنها تعرج منذ الياردات العشرين الأخيرة، وتوسلت لتستعيد وظيفتها. أخبرها ديس أنه وظف فتاة من ذا سيتي أوف باريس.

- ليست باريس الحقيقية، لن يكون هذا خيارًا اقتصاديًّا.

- لكن أيمكنها إصلاح الأجهزة عندما تتعطل؟ أيمكنها إصلاح خزانات المراحيض في حمام الرجال؟

مال ديس على البار.

- في الغالب لا يا جيس، لكنني أحتاج إلى أحد يمكن الاعتماد عليه، لا يمكن الاعتماد عليكِ.

مرر يدًا بدينة في شعره.

- بربك يا ديس، أسبوع غياب في عامين، من فضلك، أحتاج إلى هذه الوظيفة، أحتاج إليها حقًّا.

قال إنه سيفكر في الأمر.

عاد الطفلان إلى المدرسة، طلبت تانزي من جيس أن تصطحبها كل ظهر. استيقظ نيكي دون أن تحتاج إلى دخول غرفته ست مرات لإيقاظه. كان يتناول الفطور عندما خرجت جيس من الحمام، لم يطلب منها تجديد روشتته العلاجية لمضادات القلق.

- كنت أفكر في أنني قد أريد أن أقضي الصف السادس في ماك آرثر. وحينها، يعني، سأكون مع تانزي عندما تبدأ مدرسة الكبار.

رمشت جيس وقالت: «هذه فكرة رائعة».

نظفت مع ناتالي واستمعت لها تحكي عن آخر أيام آل فيشر، كيف أخرجوا مفاتيح الكهرباء من الحوائط وكسروا حوائط المطبخ قبل أن يتركوا المنزل في بليزنت فيو. أحدهم -امتعض وجهها- أشعل النار في مرتبة خارج مكتب هيئة الإسكان ليلة الأحد.

- لا بد أنكِ مرتاحة الآن، صحيح؟

- أكيد.

اعتدلت ناتالي وفركت ظهرها.

- أردت أن أسألك كيف كان السفر إلى اسكتلندا مع مستر نيكولز؟ لا بد أنه كان غريبًا.

مالت جيس على الحوض وتوقفت ناظرةً من النافذة إلى البحر الممتد إلى ما لا نهاية.

- كان على ما يرام.

- أوجدتِ ما تقولينه له طوال الوقت وأنتم عالقون في السيارة؟ أعرف أنني لو كنت مكانك لفرغ مني الكلام.

شعرت جيس بالدموع تتجمع في عينيها، وكان عليها التظاهر بأنها تمسح بقعة غير موجودة على الاستانلس ستيل.

- لا، غريبة، ولكنني وجدت ما أقوله.

إليك الأمر: شعرت جيس بغياب إد كبطانية ثقيلة تخنق كل شيء، افتقدت ابتسامته وشفتيه وبشرته، وذلك المكان حيث صعد خط من الشعر الداكن الناعم إلى سرته. افتقدت الشعور بأن كل شيء كان ممكنًا. لم تصدق أن خسارة شخص عرفته فترةً قصيرة كهذه يمكن أن تشعرها بأنها خسرت جزءًا من نفسها. بأنه يمكنها أن تُفقد الطعام طعمه وتجعل الألوان باهتة. في بعض الليالي لم تذهب إلى سريرها الأكبر من اللازم بعد أن يذهب نيكي للنوم، ولكن غفت على الكنبة أمام التلفزيون، وركبتاها مضمومتان إلى صدرها لتحاول كبت الشعور الفارغ بداخلها.

رأت جيس الآن أنه عندما رحل مارتي فإن كل ما شعرت به كان مرتبطًا بأمور عملية، لم تكن تشعر بالأمان وكانت قلقة على الطفلين وما سيعشران به ووالدهما غير موجود، قلقت بشأن المال، وبشأن من سيعتني بالطفلين إذا تعين عليها أن تعمل مناوبة المساء في الحانة، وبشأن من سيُخرج حاويات القمامة أيام الخميس. لكن أكثر من أي شيء فقد شعرت جيس براحة مبهمة لأنها لم تعُد محكومة بتقلباته المزاجية، أنها لم تعد مضطرة لتحكم بينه وبين الطفلين، أنها لن تحتاج إلى إقناع نفسها بأن تلك العلاقة تستحق الحفاظ عليها بعد الآن.

كرهت حقيقة أن رجلًا -كان قد رأى فقط أفضل ما فيها- ظن فيها أسوأ الظنون أكثر من أي شيء. بالنسبة إلى إد فهي الآن مثل أيٍّ من الأشخاص الذين خذلوه أو دمروا حياته. يُحتمل أنها كانت أسوأ في الحقيقة. وما حدث كان خطأها، هذا هو ما لم تستطع الهرب منه... كان الأمر كله خطأها.

فكرت في هذا لثلاث ليالٍ، ثم كتبت له رسالة.

وإذًا، في لحظة من انفلات الضمير، أصبحت الشخص الذي دائمًا ما علمت طفليَّ ألا يكوناه. كلنا نُختبر في مرحلة ما، وأنا فشلت في الاختبار.

آسفة.

أفتقدك.

ملحوظة: أعرف أنك لن تصدقني أبدًا، لكنني كنت دائمًا أنتوي رد النقود إليك.

كتبت رقم هاتفها عليها ووضعت عشرين جنيهًا في مظروف مكتوب عليه «القسط الأول» وأعطته لناتالي وطلبت منها أن تضعه مع بريده في استقبال بيتشفرونت. في اليوم التالي قالت ناتالي إن لافتة للبيع كانت موضوعة أمام المنزل رقم اثنين. وشاهدت تعبير وجهها من كثب أكثر من المعتاد، وبعدها توقفت عن السؤال عن مستر نيكولز.

عندما مرت خمسة أيام وأدركت جيس أنه لن يرد قضت ليلة كاملة مستيقظة، وبعدها أخبرت نفسها بحزن أنه لا يمكن لها الاستلقاء بلا هدف والشعور بالبؤس بعد الآن. حان وقت التخطي، إن قلبًا مفطورًا لهو رفاهية لا يمكن لأم عزباء التمتع بها.

يوم الاثنين حضَّرت لنفسها كوبًا من الشاي وجلست على طاولة المطبخ واتصلت بشركة بطاقات الائتمان. أخبروها أن عليها زيادة القيمة التي تسددها كحد أدنى كل شهر. فتحت رسالة من الشرطة تقول إنها غُرِّمت ألف جنيه

للقيادة دون تأمين وملصق ضريبي، وإنه إذا أرادت الاستئناف والاعتراض على المخالفة فعليها تقديم طلب لجلسة محكمة بالطريقة المدونة أدناه. فتحت الرسالة من جراج الرهن كان مضمونها أنها مدينة بمئة وعشرين جنيهًا منذ يوم الثلاثاء الماضي ثمنًا لحفظ الرولز رويس. فتحت أول فاتورة من الطبيب البيطري ثم دفستها في المظروف. هناك حد لكم الأخبار السيئة التي يمكن هضمها في يوم واحد. أتتها رسالة نصية من مارتي الذي كان يستفسر إذا ما كان بإمكانه المجيء وزيارة الطفلين في إجازة نصف العالم.

سألت الطفلين على الفطور: «ما رأيكما؟».

هزا كتفيهما دون أن يجيبا.

بعد مناوبة يوم ثلاثاء ذهبت إلى محامية زهيدة الأجر ودفعت خمسة وعشرين جنيهًا لترسل إلى مارتي طالبةً الطلاق ونفقات رعاية الأطفال المتأخرة.

سألتها المحامية: «متأخرة إلى أي حد؟».

- سنتين.

لم ترفع عينيها إليها حتى. تساءلت جيس عن نوع القصص التي تسمعها هنا كل يوم. كتبت بعض الأرقام ثم أدارت الشاشة إلى جانب جيس من المكتب.

- هذا ما نتوقعه، مبلغ محترم، سيطلب أن يدفع على أقساط، في العادة يطلبون هذا.

مدت جيس يدها إلى حقيبتها.

- لا بأس، لديه من يساعده.

عملت على المرور على لائحة الأشياء التي يتعين عليها فعلها بشكل مدروس، وحاولت أن ترى أبعد من المدينة الصغيرة، أبعد من عائلة صغيرة لديها مشكلات مادية وقصة حب قصيرة انتهت قبل أن تبدأ حقًّا. قالت لنفسها إنه أحيانًا تكون الحياة سلسلة من العقبات التي يجب تخطيها، أحيانًا بالإرادة فحسب. مشت بطول بلدتها الساحلية وتعهدت أنها ستخفي حجم مشكلاتهم المادية عن الطفلين. من المهم أن يكون مسموحًا لهما بأن يحلما ويأملا، وحتى ولو لم تفعل هي أيًّا من هذا. إذا لم يكن بإمكانها إعطاؤهما شيئًا آخر فيمكنها إعطاؤهما هذا. نظرت إلى المياه الزرقاء الموحلة للبحر الممتد إلى

ما لا نهاية وأخذت نفسًا عميقًا ورفعت ذقنها وقررت أنه بإمكانها النجاة من هذا. يمكنها النجاة من معظم الأشياء في نهاية الأمر. لم تكن السعادة حقًّا لأحد على أي حال.

مشت جيس على الشاطئ بصخوره الصغيرة، تغرق قدماها في الرمال... تمشي حتى اللسان، وبدأت تعد النعم في حياتها على ثلاث أصابع كأنها تعزف البيانو في جيبها: «تانزي بأمان، نيكي بأمان، نورمان يتحسن. هذا ما يهم في النهاية، أليس كذلك؟ الباقي تفاصيل».

لو قالتها أكثر فستبدأ بتصديقها.

بعد مساءين، جلسوا في الحديقة على الأثاث البلاستيكي القديم، غسلت تانزي شعرها وجلست على حجر جيس التي كانت تسرح التشابكات المبللة، أخبرتهما لماذا لن يعود مستر نيكولز.

حدق نيكي إليها وسأل: «من جيبه؟».

- لا. كانت قد سقطت من جيبه، كانت في تاكسي، ولكني كنت أعرف أنها نقوده.

ساد صمت مصدوم. لم تتمكن جيس من رؤية وجه تانزي، ولم تدرِ إذا ما كانت تريد رؤية وجه نيكي. تابعت تسريح شعر تانزي بلطف وملسته، كان صوتها هادئًا وعاقلًا كأن هذا سيجعل ما فعلته منطقيًّا.

- ماذا فعلتِ بالنقود؟

أصبح رأس تانزي ساكنًا بشكل غير معتاد.

بلعت جيس ريقها.

- لا أتذكر.

- هل استخدمتها لإلحاقي بالمدرسة؟

تابعت تسريح الشعر، تنعم جزءًا وتمشطه، تشد وتشد وترخي.

- لا أتذكر بصدق يا تانزي، على أي حال فإن ما فعلته بالنقود لا يهم.

كان بإمكان جيس الشعور بعينَي نيكي عليها طوال الوقت وهي تتحدث.

- إذًا لماذا تخبريننا الآن؟

شد وتمليس ثم إرخاء.

- لأنني... لأنني أريدكما أن تعرفا أنني ارتكبت خطأً كبيرًا وأنني نادمة، لم يكن يفترض أن آخذ النقود حتى لو كنت أنتوي أن أردها، لم يكن هناك مبرر لفعل هذا. وإد... مستر نيكولز كان من حقه أن يرحل عندما عرف لأنه، حسنًا، أهم شيء بينك وبين شخص آخر هو الثقة.

حاولت أن تبقي صوتها معتدلًا وغير عاطفي، كان الأمر يزداد صعوبة.

- لذا أريدكما أن تعرفا أنني آسفة لأنني خذلتكما، أنا أعي أنني دائمًا ما أخبرتكما كيف تتصرفان، وبعدها فعلت عكس ما أقوله. أخبركما هذا لأن عدم إخباركما يجعلني منافقة، لكنني أخبركما أيضًا لأنني أريدكما أن تريا أن التصرفات السيئة لها عواقب. في حالتي فقد خسرت شخصًا عزيزًا عليَّ، جدًّا.

كانا صامتَين.

بعد دقيقة مدت تانزي يدًا إلى جيس تتلمس أصابعها، وأغلقتها عليها لدقيقة.

- لا بأس يا ماما، كلنا نرتكب الأخطاء.

أغمضت جيس عينيها.

عندما فتحتهما رفع نيكي رأسه، بدا حائرًا بصدق.

قال بصوت فيه غضب خفيف لا يمكن إنكاره: «كان ليعطيكِ إياها».

حدقت إليه جيس.

- كان ليعطيكِ إياه لو طلبتِ

- صحيح.

ثبتت يدها على شعر تانزي.

- نعم، هذا أسوأ ما في الأمر، أعتقد أنه على الأرجح كان ليفعل.

نيكي

مر أسبوع. ركبوا الحافلة ليروا نورمان كل يوم، أغلق الطبيب البيطري محجر العين التي فقدها، لم تكن هناك فجوة فعلية، لكنه بدا متألمًا. انفجرت تانزي باكية عندما رأت وجهه لأول مرة. قالوا إنه قد يرتطم بالأشياء لوهلة عندما ينهض ويبدأ بالحركة. قالوا إنه سيقضي وقتًا كثيرًا نائمًا، لم يرغب نيكي في إخبارهم أنه غير واثق بأن أحدًا سيلاحظ الفرق. ملست جيس على رأسه وقالت له إنه ولد شجاع عظيم، وعندما حرك ذيله قليلًا وضرب أرضية وحدته البيطرية بلطف رمشت كثيرًا وأشاحت بنظرها.

في يوم الجمعة الذي طلبت جيس فيه من نيكي أن ينتظر في الاستقبال مع تانزي بينما ذهبت إلى مكتب الاستعلامات لتتحدث مع المرأة هناك عن فواتيره العلاجية. خمن أنها ستتحدث عن فواتيره العلاجية. طبعوا لها ورقة، ثم ورقة أخرى، ثم، صدق أو لا تصدق، ورقة ثالثة، ومررت جيس إصبعها على طول الورقة إلى آخرها مع كل صفحة ثم ازدردت ريقها عندما وصلت إلى النهاية. عادوا إلى بيتهم مشيًا ذلك اليوم، مع أن جيس كانت ما تزال تعرج.

بدأت المدينة تزداد ازدحامًا، وتغير لون البحر من الرمادي العكر إلى الأزرق اللامع. كان غياب آل فيشر غريبًا في البداية. كأنه لم يمكن لأحد تصديق الأمر. قال أحدهم إنهم ذهبوا إلى ساسكس لا ساري، وقال آخر إن والد فيشر اعتُقل بتهمة التعدي بالضرب في نورثهامبتون. لم تُفرَّغ إطارات أحد. عادت مسزووربويز تمشي إلى البينجو في المساء من جديد. اعتاد نيكي المشي من المتجر وإليه، وأدرك أن الإحساس بالتوتر في معدته لم يكن أساسيًّا. أخبرهم هذا أكثر من مرة، لكنهم رفضوا تصديقه. تانزي لا تخرج إلا وجيس معها.

لم يتفقد نيكي مدونته لقرابة عشرة أيام. كتب ذلك المنشور عندما كان نورمان مصابًا وكان محملًا بالغضب، واحتاج إلى إفراغ هذا الغضب في مكان ما. لم يشعر بغضب، غضب حقيقي مع رغبة في كسر الأشياء وضرب الناس، من قبل. لكن لأيام بعد فعلة آل فيشر شعر نيكي به. كان دمه يغلي، جعله هذا يرغب في الصراخ تلك الأيام البشعة، على الأقل ساعدته الكتابة والنشر. شعر كأنه يخبر شخصًا، حتى ولو لم يعرف ذلك الشخص من هو وعلى الأرجح لم يهتم. احتاج إلى أن يعرف أن أحدًا سيسمع ما حدث ويرى الظلم الذي وقع عليهم.

بعدها، عندما سمعوا أن آل فيشر سيدفعون الثمن، شعر نيكي بغرابة أنه أحمق. شعر أن الأمر مثلما تشارك شخصًا بأكثر مما يجب وتشعر كأنك مكشوف، وتقضي الأسابيع التالية متمنيًا أنه سينسى ما أخبرته، وخائفًا من أنه سيستخدم ما قلته ضدك. وما جدوى نشر هذا على أي حال؟ الأشخاص الوحيدون الذين يرغبون في قراءة مدونة هم الأشخاص الذين سيتوقفون ليشاهدوا حادث سيارات.

فتح المدونة ليمسحها، وبعدها فكر في أنه لا، سيكون بعض الناس قد رأوها، وسيبدو الأمر أكثر غباءً لو فعل هذا. قرر أن يكتب منشورًا قصيرًا عن طرد آل فيشر من منزلهم وسيكون هذا نهاية الأمر. لن يشارك أسماءهم ولكنه أراد أن يشارك شيئًا جيدًا بحيث لو رأى أحد ما كتبه فلن يظن أن عائلته كلها كانت مأسوية تمامًا. قرأ ما كتبه الأسبوع الماضي -المشاعر والصدق فيه- وشعر بنفسه ينكمش من الخزي. تساءل من قرأه على الإنترنت. تساءل كم شخصًا في العالم يظنه أحمق وغريبًا في الوقت نفسه.

بعدها وصل إلى نهاية الصفحة ورأى التعليقات.

«تحمَّل أيها الفتى الكئيب، الناس من هذه النوعية يصيبونني بالقرف».

«أرسلت لي حبيبتي مدونتك وجعلتني أبكي، أتمنى أن كلبك بخير. من فضلك انشر شيئًا وأخبرنا عندما تسنح لك الفرصة».

«أهلًا يا نيكي، أنا فيكتور من البرتغال، لا أعرفك، ولكن صديقي شارك رابط مدونتك على فيسبوك وأردت أن أقول إنني شعرت بما تشعر به منذ عام، وتحسنت الأوضاع بعدها. لا تقلق. سلام!».

تابع النزول إلى الأسفل، كانت هناك رسالة تليها رسالة، رسائل طيبة ومفيدة وودودة. وضع اسم مدونته في محرك بحث: تم نسخها ومشاركتها مئات ثم آلاف المرات. نظر نيكي إلى الإحصائيات ثم استرخى في كرسيه وحدق في ذهول. 2876 شخصًا قرؤوها في أسبوع واحد. قرابة ثلاثة آلاف شخص قرؤوا كلماته. أكثر من أربعمئة شخص منهم أخذوا من وقتهم ليتركوا له رسالة عنها. وشخصان فقط وجَّها له السباب.

ولمِ يكن هذا كل ما في الأمر. أرسل الناس نقودًا، نقودًا حقيقية. فتح أحدهم حساب تبرعات ليساعدهم في مصاريف الطبيب البيطري لأنه أراد نورمان أن يكون بخير، وترك له رسالة يشرح له كيف يمكنه دخول الحساب باستخدام حساب باي بال.

«لا يمكنني التبرع بما يكفي من المال لإلحاق شقيقتك بالمدرسة، ولكن يمكنني إرسال بعض المال لجرو جديد في حال لم ينجُ جروك. أنا سعيد بأنك معه».

«أهلًا أيها الفتى الكئيب (أهذا اسمك الحقيقي؟) هل فكرت في تبني كلب؟ بهذه الطريقة يمكنك الحصول على منحة من محنتك. أرسلت لك مساهمة مالية! دائمًا ما تحتاج ملاجئ الإنقاذ إلى التبرعات».

«مبلغ بسيط ليساعدكم في دفع فواتير الطبيب البيطري، أعطِ شقيقتك عناقًا نيابةً عني. أنا غاضب جدًّا لما حدث لك».

«صدمت سيارة كلبي وأنقذه مستوصف الحيوانات الخيري. أعتقد أنه ليس لديكم واحد بالقرب منكم، فكرت أنه سيكون لطيفًا لو ساعدتك قليلًا كما ساعدني أحد من قبل، من فضلك تقبل هذه الجنيهات العشرة لتساهم في تعافي كلبكم».

«من فتاة نيرد رفيقة، من فضلك أخبر أختك أن تستمر، لا تدعوهم يربحون».

أصبحت مدونته مشهورة. كان هناك 459 مشاركة. عد نيكي مئة وثلاثين اسمًا على صفحة التبرعات، كان أصغر تبرع جنيهين وأكبر تبرع مئتين وخمسين جنيهًا. شخص لا يعرفهم على الإطلاق أرسل لهم مئتين وخمسين جنيهًا. المجموع الكلي كان 932.50 جنيهًا، وآخر تبرع مضمون فيها وصل منذ ساعة. ظل يعيد تحميل الصفحة والتحديق إلى الرقم متسائلًا إذا ما كانوا قد وضعوا النقطة في المكان الخطأ.

كان قلبه يفعل شيئًا غريبًا. وضع راحة يده على صدره متسائلًا إذا كان هذا إحساس الإصابة بسكتة قلبية. تساءل إذا ما كان سيموت. اكتشف أن ما أراد فعله هو أن يضحك. أراد أن يضحك على عظمة الغرباء، على لطفهم وطيبتهم وحقيقة أنه كان هناك ناس حقيقيون في العالم يتصرفون بلطف وطيبة ويتبرعون بالمال لناس لم يقابلوهم في حياتهم ولن يقابلوهم أبدًا. والشيء الأكثر جنونًا على الإطلاق أن هذه الطيبة كلها، وهذه العظمة كلها كانت هنا بسبب كلماته.

كانت جيس واقفة أمام الدولاب تمسك طردًا ملفوفًا بورق وردي عندما دخل غرفة المعيشة.

- هنا، انظري.

شد يدها وأجلسها على الكنبة.

- ماذا؟

- ضعي هذا جانبًا.

فتح نيكي حاسوبه ووضعه على حجرها، كادت تجفل كأنه كان من المؤلم أن تكون بالقرب من شيء يخص مستر نيكولز.

- انظري.

أشار إلى صفحة التبرعات.

- انظري إلى هذا، أرسل الناس نقودًا. لنورمان.

- ماذا تعني؟

- انظري وحسب يا جيس.

دققت النظر في الشاشة وحركتها للأعلى والأسفل بينما تقرأ ثم تعيد القراءة.

- لكن.. لا يمكننا أخذ هذه النقود.

- ليست لنا، إنها لتانزي ولنورمان.

- لا أفهم، لماذا يرسل لنا ناس لا نعرفهم النقود؟

- لأنهم مستاؤون مما حدث، لأنهم يرون الظلم الذي وقع، لأنهم يريدون المساعدة، لا أعرف.

- لكن كيف عرفوا؟

- كتبت مدونة عن الأمر.

- ماذا فعلت؟

- شيء قاله لي مستر نيكولز، عن إيجاد ناسي... فقط... شاركت ما حدث مع العالم، ما كان يحدث لنا.

- أرِني.

غيَّر نيكي الصفحة وأراها مدونته، قرأتها ببطء وحاجباها معقودان في تركيز، وشعر بغرابة كأنه يريها أجزاءً من نفسه لم يُرِها لأحد. لسبب ما كان من الأصعب أن تشارك هذه المشاعر كلها مع شخص تعرفه.

سألها عندما رأى أنها انتهت من القراءة: «إذًا، كم يكلف الطبيب البيطري؟».

تكلمت مثل شخص تائه.

- ثمانمئة وثمانية وسبعين جنيهًا، واثنين وأربعين قرشًا حتى الآن.

رفع نيكي يديه في الهواء.

- إذًا نحن على ما يرام، صحيح؟ انظري إلى المجموع، نحن بخير!

نظرت إليه ورأى على وجهها التعبير نفسه الذي لا بد أنه كان على وجهه قبل نصف ساعة من الآن بالضبط.

- طيبة الغرباء.

غطت فمها بيدها.

- لا أصدق أن الناس سيرسلون نقودًا لشخص لا يعرفونه حتى.

- كما قلتِ، الأشياء الجيدة تحدث حقًّا.

أراد نيكي أن تبتسم، أرادها أن تشعر بشعوره، كأن بابًا مؤديًا إلى عالم لم يعرف عنه حتى مملوءًا بالناس الطيبين واحتمالات السعادة قد انفتح.

- إنها أخبار جيدة يا جيس! اسعدي!

ولدقيقة امتلأت عيناها بالدموع، وبعدها بدت محتارة جدًّا لدرجة أنه مال إلى الأمام واحتضنها. كان هذا عناقه الثالث في ثلاث سنوات الذي بدأه طواعيةً.

قالت عندما ابتعدت عنه: «ماسكارا».

- أوه.

مسح تحت عينيه، مسحت هي تحت عينيها.

- تمام؟

- تمام، وأنا؟

مالت إلى الأمام ومررت إبهامًا تحت حافة عينه.

وبعدها أطلقت نفسًا، وفجأة عادت جيس... جيس القديمة من جديد، وقفت ونفضت بنطلونها الجينز.

- سيتعين علينا رد النقود إليهم بالطبع.

- معظمهم قرابة ثلاثة جنيهات أو ما شابه، بالتوفيق في ترتيب هذا.

- ستحسب تانزي الحسابات.

أمسكت جيس الطرد المغطى بالأوراق الوردية، كأنها فكرت في هذا للتو، أعادته لواحدة من الخزائن، أبعدت شعرها عن رأسها.

- وعليك أن تُري تانزي الرسائل عن الرياضيات، من المهم جديًّا أن تراها.

نظر نيكي إلى الأعلى في اتجاه غرفة تانزي.

- سأفعل، لكنني لست متأكدًا أن هذا سيصنع أي فارق.

ولوهلة شعر بمزاجه الجيد يتلاشى قليلًا.

جيس

عاد نورمان إلى المنزل. أعطاهم مستر آدمسون خصمًا لأن الحالة، كما قال، كانت «مذهلة». ظنت جيس أنه يتحدث عن إصابات نورمان، لكن اتضح أن واحدة من الممرضات قرأت مدونة نيكي بعدما ذكرتها تانزي، وما عناه الطبيب البيطري أنه كان منذهلًا من حقيقة أن نورمان، على عكس التوقعات كلها، وعلى عكس طبيعته، نهض ليحاول حماية تانزي.

- وعلينا مساعدة بطل، صحيح يا فتى؟

ربت على جانب نورمان وهو يقول هذا. الطريقة التي كلم نورمان بها، وكيف نام نورمان على الأرض مستعدًّا للتربيت على معدته جعلت جيس تفكر أنها ليست أول مرة يفعل الطبيب البيطري هذا. عندما نزل الطبيب البيطري على الأرض رأت جيس لمحة من الرجل الذي هو عليه خارج حدود شخصيته الاحترافية الحذرة. ابتسامته الواسعة وكيف تجعدت عيناه عندما نظر إلى الكلب. وسمعت عبارة نيكي في رأسها كما دارت فيها لأيام «طيبة الغرباء».

- أنا سعيد لأنكِ اتخذت القرار الذي أخذتِه يا مسز توماس.

وقف على قدميه من جديد وتجاهل صوت ركبتيه الذي كان كطلقة مسدس بشكل دبلوماسي. ظل نورمان نائمًا على ظهره ولسانه يتدلى من فمه آملًا كعادته. أو لعله كان أسمن من أن ينهض.

- يستحق هذه الفرصة، لو كنت أعرف كيف أصيب بتلك الإصابات لكنت أقل ترددًا بخصوص المتابعة.

دفعت جيس ببطاقتها التي وضعت فيها المال سابقًا. وضعت عشرين جنيهًا في صندوق الحيوانات الخيري. أجل، كان يمكنها أن تنفقها في شيء آخر يفيدها، لكنها شعرت أنه الشيء الصحيح لفعله.

ظلت تانزي ملتصقة بجسد نورمان الأسود الهائل بينما عادوا إلى المنزل ممسكين بطوقه كأنه طوق نجاة. مشي الطريق من عيادة الطبيب كان أول مرة تخرج فيها منذ ثلاثة أسابيع دون أن تصر على إمساك يد جيس.

أملت جيس في أن عودة نورمان سترفع من معنويات ابنتها، لكن تانزي كانت ما تزال ظلًّا، تتبع جيس بصمت في المنزل، وتنظر حول الزوايا، وتنتظر وصولها إلى بوابات المدرسة قلقة بجانب معلمة صفها في نهاية اليوم. في المنزل قرأت في غرفتها أو استلقت بصمت على الكنبة تشاهد الكارتون ويد واحدة مسترخية على الكلب بجانبها. لم يكن أستاذ تشانجاري موجودًا منذ بداية الفصل الدراسي -حالة طارئة عائلية أو ما شابه- وشعرت جيس بحزن تلقائي عندما تصورته يكتشف عزم تانزي على إزالة الرياضيات من حياتها، اختفاء الفتاة الصغيرة المتفردة الغريبة التي كانتها. أحيانًا شعرت أنها بدلت طفلًا صامتًا غير سعيد بالآخر.

اتصلوا من مدرسة سانت آن ليتكلموا عن يوم تقديم تانزي للمدرسة وتعين على جيس إخبارهم أنها لن تأتي. شعرت كأن الكلمات ضفدع ضخم جاف عالق في حلقها.

- حسنًا، نحن ننصح به يا مسز توماس، نجد أن الأطفال يستقرون في المدرسة بشكل أفضل بكثير لو ألفوا المدرسة قليلًا، جيد لها لو قابلت مجموعة من زملائها الطلبة أيضًا. أهي مشكلة بسبب حاجتها إلى الحصول على إجازة من مدرستها الحالية؟

- لا، أعني أنها... أنها لن تأتي.

- مطلقًا؟

- لا.

صمت قصير.

- أوه.

سمعت جيس مسؤولة التسجيل تقلب الورق.

- لكنها الفتاة الصغيرة التي حصلت على منحة بنسبة تسعين في المئة، صحيح؟ كونستانزا؟

شعرت بنفسها تحمر خجلًا وقالت: «نعم».

- هل ستلتحق بأكاديمية بيترسفيلد بدلًا من هنا؟ هل عرضوا عليها منحة أيضًا؟

- لا، هذا ليس ما في الأمر.

أغلقت جيس عينيها وتابعت: «انظري، لا أفترض أنه بإمكانكم.. هل هناك أي وسيلة.. لزيادة نسبة المنحة؟».

- زيادة؟

كان صوتها متفاجئًا.

- هذه أكبر منحة عرضناها في تاريخنا يا مسز توماس. أعتذر، لكن هذا مستحيل.

تابعت جيس ممتنة لأنه لم يمكن لأحد رؤية خزيها: «لو تمكنت من جمع المال قبل العام المقبل أيمكنك تأجيل العام وحفظ مكانها؟».

- لست متأكدة من أن هذا سيكون ممكنًا، أو حتى عادلًا للمرشحين الآخرين للمنحة.

ترددت، لعلها لاحظت صمت جيس: «ولكن بالطبع ستكون فرصها جيدة لو قررت أن تقدم من جديد العام المقبل».

حدقت جيس إلى البقعة على السجادة حيث أدخل مارتي دراجته النارية إلى غرفة المعيشة وسربت الزيت. شعرت بشيء في حلقها.

- حسنًا، شكرًا لإعلامي.

قالت المرأة وقد تغير صوتها وأصبح مُراضيًا: «انظري يا مسز توماس، ما زال أمامكم أسبوع قبل أن نحتاج إلى التأكيد على اختيارنا. سنحتفظ بالمكان لكم لأطول وقت ممكن».

- شكرًا، هذا لطف منكِ، لكن حقًّا لا جدوى من فعل هذا.

عرفت جيس أن المرأة عرفت ذلك، لن يمكنهم إلحاق تانزي بالمدرسة، بعض الأشياء كانت عصية على التحقيق.

طلبت من جيس أن توصل أمنياتها الطيبة إلى تانزي لمدرستها الجديدة. عندما كانت جيس تغلق الهاتف كان بإمكانها سماع المرأة تفتش في لوائحها بحثًا عن المرشح المناسب التالي.

لم تخبر تانزي، كانت تعرف بالفعل. منذ ليلتين اكتشفت جيس أن تانزي أزالت كتبها الخاصة بالرياضيات من خزانتها ووضعتها مع كتب جيس المتبقية على بسطة سلالم الدور العلوي بين كتب التشويق والكتب الرومانسية التاريخية حتى لا تلاحظها جيس. أزالتها بحذر ووضعتها في كومة مرتبة في دولابها حيث لن يراها أحد. لم تكن متأكدة إن كان هذا مراعاة لمشاعر تانزي أم لمشاعرها هي.

وصل مارتي خطاب محاميها، واتصل بها يتحجج ويعترض ويخبرها بأسباب عدم قدرته على الدفع. أخبرته أن الموضوع لم يعد بيدها، وقالت إنها تتمنى أن يمكنهم التصرف بحضارية بخصوص هذا الموضوع. أخبرته أن طفليه يحتاجان إلى أحذية. لم يذكر قدومه لزيارتهم في نصف العام.

استعادت وظيفتها في الحانة، ذهبت الفتاة من ذا سيتي أوف باريس إلى ذا تيكساس ريب شاك بعد ثلاث مناوبات؛ الإكراميات أفضل هناك ولا يوجد ستيوارت برينجل الذي يحاول لمس مؤخرتك بشكل عشوائي.

قال ديس: «لا يهم، لم تكن نبيهة بما يكفي حتى لا تتكلم في سولو الجيتار في أغنية لايلا. أي نوع من نادلات البار لا تعرف أنه يجب عليها أن تصمت في سولو الجيتار في لايلا؟».

نظفت مع ناتالي أربعة أيام في الأسبوع، وتجنبت الوحدة رقم اثنين في بيتشفرونت. فضلت مهمات مثل تنظيف الأفران، فقد كان من غير المحتمل أن تنظر من النافذة وتراها بلافتة «للبيع» الملونة بالأزرق والأبيض عليها. لو ظنت ناتالي أنها تتصرف بغرابة قليلًا فإنها لم تقل شيئًا.

وضعت إعلانًا في الصحيفة المحلية تعرض خدماتها في الإصلاح والتركيب وما إلى ذلك. لا وظيفة أقل منها. أول عرض لها وصل بعد أقل من أربع وعشرين ساعة «تركيب كبائن الحمام لسيدة متقاعدة في آدين كريسينت». كانت السيدة العجوز سعيدة جدًّا بالنتيجة لدرجة أنها أعطت جيس خمسة جنيهات إكرامية. قالت إنها لا تحب وجود رجال في منزلها، وإنه على مدار اثنين وأربعين عامًا من زواجها لم يرها إلا وهي ترتدي الفيست المصنوع من الصوف عالي الجودة. رشحت جيس لصديقة لها في منازل المسنين كانت تحتاج إلى تغيير غسالتها، وإضافات لاصقات لتثبيت أطراف سجادها. تبع هذا وظيفتان أخريان لسيدتين متقاعدتين. أرسلت جيس قسطًا آخر إلى

الوحدة رقم اثنين في بيتشفرونت. أوصلته ناتالي. كانت لافتة «للبيع» ما تزال هناك.

كان نيكي الوحيد في العائلة الذي بدا مبتهجًا حقًّا، كأن المدونة أعطته معنى وهدفًا جديدًا لحياته. كتب بها معظم المساءات، ونشر عن تقدم حالة نورمان، ودردش مع أصدقاء جدد. قال إنه قابل واحدًا منهم IRL التي ترجمها لجيس وعرفت أنها تعني «في الحياة الحقيقية». قال إنه كان لطيفًا، ولا، ليس بالمعنى الذي تفكر فيه، أراد أن يذهب إلى اليوم المفتوح في جامعتين مختلفتين. كان يتحدث مع معلم صفه بخصوص التقديم لمنحة كرب. كان قد بحث في الأمر على الإنترنت. ابتسم، غالبًا عدة مرات في اليوم الواحد دون أن تحتاج إلى رشوته، وركع على ركبتيه سعيدًا عندما رأى نورمان يهز ذيله في المطبخ، ولوَّح غير محرج إلى لولا -الفتاة في المنزل رقم سبعة وأربعين التي لاحظت جيس أنها صبغت شعرها بلون شعر نيكي- ولعب الجيتار الهوائي في غرفة المعيشة.

مشى في المدينة كثيرًا وخطوتا ساقيه النحيلتين تتسعان، وكتفاه بينما لم تعتدلا تمامًا فلم تكونا محنيتين ليبدو كأنه مهزوم مثلما كانا منذ بضعة أسابيع. في مرة ارتدى تيشيرتًا لونه أصفر.

سألته جيس عندما دخلت غرفته ذات ظهيرة ووجدته يستخدم حاسوبه القديم: «أين اللابتوب؟».

هز كتفيه.

- أعدتُه، سمحت لي ناتالي بالدخول.

سألته جيس قبل أن تتمكن من إيقاف نفسها: «هل رأيته؟».

تحركت عينا نيكي.

- آسف، أشياؤه هناك لكنها معبأة في صناديق، لست متأكدًا أنه يبقى هناك الآن.

لم يُفترض بالأمر أن يفاجئها، لكن بينما نزلت جيس السلالم وجدت نفسها تضع يديها الاثنتين على معدتها كأنها صُدمت.

إد

صحبته شقيقته إلى المحكمة بعد عدة أسابيع في يوم بدأ ساكنًا وحارًّا، وكانت الحركة المرورية بطيئة كأن الحرارة أبطأت سريان شرايين لندن. طلب إد من والدته ألا تأتي، بحلول ذلك الوقت لم يكونوا متأكدين ما إذا كان من الجيد أن يتركوا بابا بمفرده لأي مدة من الوقت. مالت شقيقته في كرسيها في التاكسي بينما تحركوا ببطء في لندن، وأصابعها تنقر بعجلة على ركبتها، وفكها منقبض بشدة. كانت أكثر توترًا منه بشكل واضح. شعر إد بأنه -بشكل غريب وغير منطقي- مسترخٍ. كان وزن خيباته المستقبلية الأخرى ثقيلًا عليه بشكل جعل ما يحدث اليوم شيئًا تافهًا.

كانت المحكمة شبه فارغة، بفضل قضية قتل بشعة في ذا أولد بايلي[1] وفضيحة رومانسية سياسية، والانهيار العصبي العلني لممثلة بريطانية شابة، فإن محاكمته التي مضت في يومين لم تكن من ضمن العناوين الرئيسية في الأخبار، ما استحقته كان صحفيًّا مسؤولًا عن المحكمة من وكالة أنباء، ومتدربًا من ذا فاينانشيال تايمز. وكان إد قد اعترف بذنبه متجاهلًا نصيحة فريقه القانوني.

ادعاءات ديانا لويس بالبراءة لم تعد لها المصداقية نفسها بفعل الأدلة المقدمة من صديقة تعمل في بنك أخبرتها بوضوح أن ما كانت على وشك فعله هو تداول داخلي بالفعل. كان بإمكان الصديقة أن تشارك إيميلًا أرسلته يُعلِم ديانا بالأمر، وردًّا من ديانا يتهمها بكونها «تنتقي العيوب من كل شيء» و«مزعجة» و«بصراحة تحشرين أنفك في ما يخصني أكثر من اللازم. ألا تريدين أن يكون لي فرصة في المضي قدمًا بحياتي؟».

(1) محكمة الجنايات الرئيسية في لندن وويلز.

وقف إد وشاهد صحفي المحكمة يكتب والمحامين يميلون على بعضهم بعضًا ويشيرون إلى أجزاء معينة في الأوراق، وشعر الأمر برمته بأنه ممل مقارنة بالتشويق المتوقع.

- ألاحظ أنك اعترفت بذنبك وأنه بالنسبة إليك ولِمس لويس فإن ما حدث يبدو كأنه جريمة عرضية لها دوافع أخرى غير المال. لكن لا يمكنني قول هذا عن مايكل لويس.

اتضح أن الــ FSA وصلت إلى تداولات أخرى مثيرة للشبهات من طرف شقيق ديانا، رهانات مرجحة وخيارات.

- لكن من الضروري أن نُري العالم أن هذا النوع من السلوك غير مقبول تمامًا بغض النظر عن دوافعه. يدمر هذا ثقة المستثمرين بالحركة الحقيقية في السوق ويضعف بنيان نظامنا المالي كله. لهذا السبب عليَّ أن أضمن أن مستوى هذا العقاب يأتي كرادع واضح لأي شخص يظن أن هذه جريمة «بلا ضحايا».

وقف إد في المحكمة يحاول أن يقرر كيف على وجهه أن يبدو وقد غُرِّم سبعمئة وخمسين ألف جنيهٍ، وحُكِم عليه بالسجن ستة أشهر مع وقف التنفيذ لعام.

وانتهى الأمر.

تنفست جيمًا نفسًا طويلًا مهزوزًا وخبأت وجهها في يديها. شعر إد بشكل غريب باللاشيء.

قال بهدوء: «هذا كل ما في الأمر؟».

ورفعت جيما عينيها إليه غير مصدقة. فتح حاجب المحكمة الباب وأخرجه. ربت بول ويلكس على ظهره بقوة بينما خرجوا إلى الردهة.

قال إد: «شكرًا».

شعر بأن هذا ما يجب عليه قوله.

رأى ديانا لويس في الردهة تتحدث مع رجل أحمر الشعر بحماس. بدا كأنه يحاول أن يشرح لها شيئًا، وظلت هي تهز رأسها وتقاطعه. وقف يحدق إليها لحظةً، ودون تفكير مشى عبر جماعات الناس واتجه إليها.

- أريد أن أخبركِ أنني آسف. لو ظننت ولو لثانية...

التفتت إليه وعيناها تتسعان، وقالت ووجهها بنفسجي من الغضب: «اغرب عن وجهي أيها الخاسر اللعين!».

لاحظت الوجوه التي التفتت تجاه موضع الصوت إد، ثم أشاحت بأنظارها في إحراج. ضحك شخص ما. بينما وقف إد هناك ويده نصف مرفوعة كأنه كان سيحاول توضيح شيء ما، سمع صوتًا في أذنه.

- ليست غبية كما تعرف، لا بد أنها عرفت أنه لم يكن عليها إخبار شقيقها.

التفت إد ووراءه، وقف رونان. لاحظ قميصه الكاروهات ونظارته السوداء الثقيلة وحقيبة حاسوبه على كتفه، وشعر بشيء فيه ينهار مرتاحًا.

- أنت.. كنت هنا طوال النهار؟

- شعرت بالملل في المكتب لأكون صريحًا معك، فكرت في أن آتي و كيف تبدو محاكمة حقيقية.

لم يستطع إد التوقف عن التحديق إليه.

- لا ترقى للتوقعات.

- نعم، هذا ما ظننته أيضًا.

كانت شقيقته تصافح بول ويلكس. وقفت بجانبه وعدلت سترتها.

- هيا، ما رأيك أن نذهب ونتصل بماما لنزف لها الأخبار السعيدة؟ قالت إنها ستترك هاتفها يعمل، لو حالفنا الحظ فستتذكر أن تشحنه، مرحبًا يا رونان.

انحنى نورمان للأمام وقبل خدها وقال: «سعيد لرؤيتك يا جيما، مر وقت طويل».

- أطول مما يجب، لنذهب إلى منزلي.

التفتت لإد وتابعت: «مر وقت طويل منذ رأيت الأولاد، لدي اسباجيتي بولونيز في البراد يمكننا أن نتناولها اليوم، يمكنك أن تأتي أنت أيضًا يا رونان لو أردت، أنا متأكدة من أنه يمكننا أن نضيف المزيد من المعكرونة في الطنجرة».

ابتعدت عينا رونان كما كانت عادته عندما كان هو وإد في الثامنة عشرة، ركل شيئًا على الأرض.

التفت إد إلى شقيقته وقال: «أمم.. يا جيم.. هل تمانعين لو لم نفعل؟ اليوم فقط؟».

حاول إد ألا يركز على ابتسامتها التي تلاشت.

- سآتي بالتأكيد في وقت آخر، لكن فقط... هناك بعض الأشياء التي أريد حقًّا أن أتحدث مع رونان بشأنها. مضى...

تنقلت عيناها بينهما وقالت ببشاشة: «بالطبع. حسنًا، اتصل بي».

وضعت حقيبتها على كتفها وبدأت تتحرك في اتجاه السلالم.

وصاح هو عبر الرواق المزدحم، فنظر إليه عدة أشخاص من على السلالم: «هاي! جيم!».

التفتت وحقيبتها تحت ذراعها.

- شكرًا على كل شيء.

وقفت هناك تواجهه.

- حقًّا، أنا أقدر مساعدتكِ.

أومأت وعلى وجهها شبح ابتسامة، وبعدها اختفت في الحشود على السلالم.

- إذًا، أتريد أن تشرب شيئًا؟

حاول ألا يبدو صوته مترجيًا. لم يكن متأكدًا أنه نجح تمامًا في هذا.

- سأدفع أنا.

ترك رونان الطلب معلقًا، للحظة فقط، ذلك الوغد.

- حسنًا، إذا كنت أنت من ستدفع...

كانت والدة إد هي من أخبرته في مرة أن الأصدقاء الحقيقيين هم من تستكمل صداقتك معهم حيث تركتها، بغض النظر عن هل مضى أسبوع أم عامان منذ آخر مرة التقيتهم فيها. لم يكن لدى إد ما يكفي من الأصدقاء لاختبار صحة نظريتها. احتسى هو ورونان أكوابًا من الجعة على طاولة خشبية غير مستقرة في حانة مزدحمة محرجين قليلًا في البداية، وبعدها مرتاحين أكثر وأكثر بمرور الوقت، المزحات المعتادة تظهر بينهما فجأة كأنها أهداف عليهما أن يضرباها بسعادة خفية. شعر إد بإحساس كاد يكون ملموسًا بالراحة لقربه منه، كأنه كان غارقًا لشهور وشده أحد لليابسة أخيرًا.

وجد نفسه يختلس النظر إلى صديقه ويلاحظ الأشياء التي تذكرها -ضحكته وقدميه الهائلتين وكيف انحنى للأمام حتى على طاولة الحانة كأنه ينظر إلى شاشة- وكذلك الأشياء التي لم يرها فيه سابقًا: كيف كان يضحك بعفوية أكثر، ونظارته الجديدة ذات الماركة المشهورة، ونوع من الثقة الهادئة فيه. عندما فتح محفظته ليخرج بعض النقود رأى إد صورة لفتاة تبتسم ابتسامة عريضة مواجهةً لبطاقاته الائتمانية.

- إذًا.. ما أخبار فتاة الحساء؟

- كارين؟ إنها على ما يرام.

ابتسم ذلك النوع من الابتسامات الذي يشي بسعادة خاصة من النوع الذي يجعلك تشعر بأنه ليس لديك ما تثبته.

- إنها بخير، في الواقع، نحن بصدد الانتقال للعيش معًا.

- واو، بهذه السرعة؟

نظر إليه كأنه يتحداه.

- مرت ستة أشهر، وبأخذ أسعار الإيجارات في لندن بعين الاعتبار فإن مطابخ الحساء الخيرية في لندن لا تكسب الكثير من المال.

تلعثم إد وهو يجيبه: «رائع، أخبار مدهشة».

- أجل، حسنًا، إنه أمر جيد... هي رائعة وأنا سعيد حقًّا.

جلسا هناك صامتَين للحظة، لاحظ إد أنه قص شعره، وكان يرتدي سترة جديدة.

- أنا حقًّا سعيد من أجلك يا رونان، دائمًا ما ظننت أنكما ستكونان مناسبين جدًّا لبعضكما.

- شكرًا.

ابتسم إليه، ورد له رونان الابتسامة بتعبير وجه غريب، كأن موضوع السعادة هذا محرج قليلًا.

حدق إد إلى كوبه محاولًا ألا يشعر كأنه نُسي، محاولًا ألا يفكر في حقيقة أن حياته كانت فوضوية بينما كان أقدم أصدقائه متجهًا إلى مستقبل أكثر سعادة وإشراقًا. من حولهما كانت الحانة تمتلئ بعاملين مكتبيين أنهوا يوم عملهم، وسكرتيرات يرتدين أحذية بكعوب أعلى من اللازم، وشباب صغار

يحاولون أن يثبتوا أنهم، في الواقع، رجال. شعر فجأة بمحدودية الوقت وبأهمية أن يقول كل شيء بوضوح أمامه.

- أنا آسف.

- ماذا؟

- آسف بخصوص كل شيء، بخصوص ديانا لويس، لا أعرف لمَ فعلت ما فعلته.

خرج صوته مبحوحًا.

- أكره كيف أفسدتُ كل شيء، يعني، صحيح أنني حزين بخصوص الوظيفة، لكنني متألم جدًّا لأنني أفسدت صداقتنا.

لم يكن بإمكانه النظر إليه، لكنه شعر بالراحة لقول هذا.

تجرع رونان بعضًا من شرابه وقال: «لا تقلق. فكرت في الأمر كثيرًا في الشهور السابقة، وبينما لا أريد الاعتراف بالأمر، فهناك احتمال كبير أنها لو أتت إليَّ لكنت فعلت ما فعلتَ تمامًا».

ابتسم ابتسامة نادمة وتابع: «إنها ديانا لويس».

- إنها... ليست ما ظنناه حقًّا.

ابتسم رونان.

- صدق أو لا تصدق، أنا أفهم هذا.

- لكن بجدية، أنا حقًّا آسف على كل شيء، إفساد كل شيء، شركتنا وصداقتنا، لو تعرف كيف كان حالي في...

هز رونان كتفيه كأنه تعين على إد ألا يقول المزيد بهذا الخصوص.

جلسا صامتَين، ومال رونان إلى الوراء في كرسيه. طبق منديلًا للجعة إلى قسمين ثم إلى أربعة ثم تكلم أخيرًا.

- أتعرف.. كان المكان دونك مثيرًا للاهتمام نوعًا ما، جلعني أفهم شيئًا، أنا لا أحب العمل في ماي فلاي، أحببت العمل أكثر عندما كنت أنا وأنت فقط، البذلات ونقاشات الربح والخسارة وأصحاب الحصص، هذا ليس أنا. ليس هذا ما أحببته في هذا المجال، ليس لهذا بدأنا الشركة.

- أنا أيضًا، أفتقدك، لكنني لا أفتقدهم.

- يعني، الاجتماعات الطويلة... احتياجك إلى طرح أفكارك على فريق التسويق قبل أن تبدأ العمل على أبسط الأكواد. احتياجك إلى شرح ما تفعله في كل ساعة. أتعرف أنهم يريدون استخدام سجلات الوقت للجميع؟ سجلات وقت فعلية؟

انتظر إد.

- لم يفُتك الكثير، دعني أخبرك هذا.

هز رونان رأسه كأنه كان لديه المزيد ليقول لكنه شعر بأنه لا يجب عليه قوله.

كان للأمر إحساس مهم. كأنها تلك اللحظة في موعد غرامي وكنت على وشك الاعتراف بمشاعرك للشخص الآخر، لكنك لم تكن متأكدًا من رده.

- رونان؟

- نعم؟

- فكرت في هذه الفكرة في الأسبوع أو الأسبوعين الماضيَين، فكرة لسوفت وير جديد. كنت أعمل هنا وهناك على سوفت وير للتخطيط والتوقعات -شيء شديد البساطة- سيساعد الناس على تنظيم أمورهم المادية. مثل جدول تنظيمي للأشخاص الذين لا يحبون الجداول التنظيمية. للأشخاص الذين لا يعرفون كيف يتعاملون مع المال. سيكون فيه تنبيهات ورسائل كلما أوشك المستخدم على أن تأتيه مصاريف من البنك. سيكون فيه خاصية حسابية تريك كم تزيد الفوائد المختلفة بمرور فترات من الزمن. لن يكون معقدًا. كنت أفكر أنه نوع من الأشياء يمكننا توزيعه في مراكز نُصح المواطنين.

- هذا مثير للاهتمام.

- يجب أن يكون قابلًا للعلن على الحواسيب الرخيصة، حواسيب بأنظمة تشغيل عمرها بضعة أعوام. وموديلات الهواتف الأرخص كذلك. لست متأكدًا من أنه سيدر أرباحًا كبيرة، لكنه شيء كنت أفكر فيه. وضعت خطة مبدئية له، لكن...

رونان كان يفكر. كان إد يستطيع أن يرى عقله يدوِّر الأمر ويفكر فيه من جوانب عدة.

- ولكنه سيحتاج إلى شخص بارع جدًّا في البرمجة ليبنيه.

راقب رونان كوبه بتعبير وجه محايد.

- أنت تعرف أنه لا يمكنك العودة إلى ماي فلاي، صحيح؟

أومأ إد. صديقه المقرب منذ الجامعة.

- نعم، أعرف هذا.

نظر رونان في عينيه وفجأة كانا يبتسمان هما الاثنان ابتسامة عريضة.

إد

خلال هذه الأعوام كلها لم يكن يحفظ رقم شقيقته عن ظهر قلب. هذه الأعوام وهي تعيش في المنزل نفسه، وكان عليه أن يبحث عن عنوانها. هذان الشيئان فقط جعلا إد يشعر بالسوء، بدا أن لديه لائحة متزايدة بالأشياء التي يشعر حيالها بالسوء.

وقف خارج ذا كينجز هيد بينما توجه رونان إلى محطة المترو، وإلى فتاة لطيفة تُحضر الحساء وحضورها في حياته يعطيها عمقًا إضافيًّا، وعرف إد أنه سيعود إلى شقته الفارغة محاطًا بالصناديق والأنفاس الباردة لمالكها المستقبلي تدخل رئتيه.

رن الهاتف ست مرات قبل أن ترد، وبعدها سمع صوت شخص يصرخ في الخلفية قبل أن ترد.

- جيم؟

أجابته لاهثة: «نعم؟»، **ليو، إياك أن ترمي ذلك على السلالم!**

- هل ما زال عرض الاسباجيتي بولونيز قائمًا؟

كانوا سعداء لرؤيته بشكل محرج، انفتح باب المنزل الصغير في فينسبيري بارك ودخل عابرًا الدراجات وكومات الأحذية وعلاقة المعاطف المثقلة أكثر مما تتحمل التي بدت كأنها تمتد إلى نهاية الرواق. في الأعلى كان إيقاع موسيقى البوب يأتيه عبر الحوائط. تنافس مع الأصوات السينمائية للعبة الحرب على جهاز ألعاب من نوع ما.

- أهلًا يا أنت!

شدته أخته إليها وعانقته بشدة، كانت لا ترتدي واحدة من بذلاتها ولكن بنطلونًا جينزًا وبلوفرًا.

- لا يمكنني تذكر آخر مرة أتيت إلى هنا، متى كانت آخر مرة أتى فيها إلى هنا يا فيل؟

أتاهما صوت من نهاية الرواق: «مع لارا».

- منذ عامين؟

- أين فتاحة الزجاجات يا حبيبي؟

سادت الضوضاء والفوضى، كان المطبخ مملوءًا بالبخار ورائحة الثوم. في نهايته كان هناك منشران مثقلان بالغسيل من عدة غسلات. الأسطح كلها، ومعظمها من خشب الصنوبر، مغطاة بالكتب وكومات من رسومات الأطفال. وقف فيل وهز رأسه ثم همَّ بالخروج.

- لدي بعض الإيميلات لأرد عليها قبل العشاء، هل تمانع؟

وضعت شقيقته كأسًا أمامه وقالت: «لا بد أنك مصدوم، اعذر الفوضى، كانت لدي مناوبات متأخرة، وكان فيل نائمًا ولم يعد لدينا عاملة تنظيف منذ رحلتْ روساريو. الأخريات باهظات الثمن نوعًا ما».

كان قد افتقد الفوضى، افتقد شعور أن يكون جزءًا من قلب نابض فوضوي.

قال: «أحبها» وتفحصته عينا شقيقته بحثًا عن السخرية.

- أنا جاد، أحبها، أشعر بأنها...

- فوضوية.

- هذا أيضًا، إنها جيدة.

مال إلى الوراء في كرسيه على طاولة المطبخ وأطلق نفسًا عميقًا.

- هاي، خالو إد.

رمش إد وسأل: «من أنتِ؟».

ابتسمت له فتاة مراهقة بشعر ذهبي مُطفأ وعدة طبقات ثقيلة من الماسكارا على كل عين.

- مضحك.

نظر إلى شقيقته يطلب المساعدة، رفعت يديها وقالت: «مر وقت يا إد. الأطفال يكبرون. يا ليو! تعال وسلم على خالك إد».

أتاها الرد من الغرفة الأخرى: «ظننت أن خالو إد سيذهب إلى السجن».

- اعذرني للحظة.

تركت شقيقته طنجرة الصلصة واختفت داخل الرواق. حاول إد ألا يسمع الصيحة المتفاجئة البعيدة.

قالت جوستين وهي تجلس في مواجهته وتزيل قشرة قطعة خبز فرنسي: «تقول ماما إنك خسرت أموالك كلها».

كان دماغ إد يحاول التوفيق بين الطفلة النحيلة غريبة الأطوار التي رآها منذ عامين وهذه المعجزة القمحية التي كانت تُحدث فيه شيئًا من التسلية كأنها معروضة في متحف الغرائب.

- تقريبًا.

- هل خسرت شقتك الفخمة.

- على وشك.

- خسارة، كنت سأسألك إذا ما كان يمكنني إقامة حفل عيد ميلادي السادس عشر هناك.

- حسنًا، وفرتِ عليَّ عناء الرفض.

- هذا ما قاله بابا تمامًا، إذًا هل أنت سعيد بأنك لم تذهب إلى السجن؟

- أوه، أعتقد أنني سأكون قصة العائلة ذات العبرة التحذيرية لفترة طويلة.

ابتسمتْ.

- لا تكن مثل خالو إد السيئ.

- أهكذا يحكونها؟

- أوه، تعرف ماما. لا تفوت فرصة لمشاركة عبرة في هذا المنزل «أترون كم من السهل أن ينتهي بكم الأمر على طريق سيئ؟ كان لديه كل شيء والآن...».

- ... أتسول الطعام وأقود سيارة عمرها سبع سنوات.

- محاولة جيدة، لكن سيارتنا أقدم من سيارتك بثلاثة أعوام.

نظرت إلى الرواق، حيث كانت أمها تتحدث مع شقيقها بصوت منخفض.

- في الواقع، عليك ألا تسخر من ماما. أتعرف أنها قضت طول اليوم البارحة تعمل على حل لتدخلك سجنًا مفتوحًا؟

- حقًّا؟

- كانت قلقة جدًّا بهذا الخصوص، سمعتها تقول لأحد إنك لن تنجو لخمس دقائق في بينتونفيل.

شعر بشيء صعب عليه وصفه لجهله التام بجهود أخته فيما يتعلق به. كان غارقًا بشدة في رثاء الذات لدرجة أنه لم يفكر في كيف سيتأثر الآخرون لو دخل السجن.

- على الأرجح هي محقة.

وضعت جوستين خصلة من شعرها في فمها. بدت وكأنها تستمتع بوقتها.

- إذًا ماذا ستفعل الآن وقد أصبحتَ عارًا على العائلة بلا وظيفة واحتمالًا بلا بيت؟

- لا أدري، أعليَّ تعاطي المخدرات؟ لأكمل الصورة؟

- يعع، لا، المدمنون مملون.

نهضت بساقيها الطويلتين من على الكرسي وتابعت: «وماما مشغولة بما فيه الكفاية الآن. لكن، في الواقع، عليَّ أن أقول نعم. لأنك أبعدت غضبها عني وعن ليو. الآن نحن نتبع مثالًا سهلًا جدًّا».

- سعيد بالمساعدة.

- حقًّا، من اللطيف رؤيتك رغم هذا.

مالت إلى الأمام وهمست: «أسعدت ماما حقًّا. لن تقول هذا، لكنها مسرورة جدًّا جدًّا لأنك أتيت، يعني، بدرجة محرجة. لقد نظفت الحمام في الدور السفلي في حال أتيت حتى».

- حسنًا، سأتأكد من مجيئي أكثر من الآن.

ضيقت عينيها كأنها كانت تحاول أن تقرر إذا ما كان جادًّا، ثم التفت واختفت أعلى السلالم.

أكلتْ جيما بعض السلطة وقالت: «إذًا ما الأخبار؟ ماذا حدث للفتاة التي كانت معك في المستشفى؟ جوس؟ جيس؟ ظننت أنها ستكون هناك اليوم».

كانت أول وجبة منزلية يأكلها منذ زمن، وكانت شهية. انتهى الآخرون من طعامهم ورحلوا، لكن إد كان يلتهم طبقه الثالث، وقد استعاد شهيته التي اختفت في الأسابيع الماضية فجأة. كانت آخر قضمة له أكبر مما يجب، وجلس يمضغها فترةً قبل أن يتمكن من الرد.

- لا أريد التحدث في الموضوع.
- لا تريد التحدث عن أي شيء أبدًا، هيا، مقابل وجبة مُعدة في المنزل.
- لقد انفصلنا.
- ماذا؟ لماذا؟

جعلتها ثلاث كؤوس من النبيذ تتحدث أكثر وتشارك آراءً أكثر.

- بدوتَ سعيدًا حقًّا، أسعد مما كنت مع لارا على أي حال.
- كنت.
- و؟ يا ربي، أنت أحمق أحيانًا يا إد. هناك امرأة بدت طبيعية حقًّا وبدت كأنها تفهمك، وأنت هربت منها.
- حقًّا لا أريد التحدث عن هذا يا جيم.
- ماذا حدث؟ هل كنت خائفًا من الالتزام؟ هل لم يمضِ وقت كافٍ بعد الطلاق؟ أنت لست ما تزال مفتونًا بلارا، صحيح؟

أخذ بعضًا من الخبز ومسح به الصوص من الطبق. مضغه لدقيقة أكثر مما احتاج.

- لقد سرقت مني.
- فعلت ماذا؟

شعر بأن معه ورقة رابحة ألقاها. في الأعلى كان الطفلان يتشاجران، وجد أنه يفكر في نيكي وتانزي يتراهنان في الكنبة الخلفية. لو لم يخبر أحدًا بما حدث فقد ينفجر، لذا أخبرها.

دفعت شقيقة إد طبقها عبر الطاولة، مالت إلى الأمام وذقنها على يدها وعبوس بسيط يغير حاجبيها بينما تستمع. أخبرها عن كاميرات المراقبة وكيف شد الأدراج ليحركها عبر الغرفة، وكيف كانت هناك موضوعة على جوارب مطوية بعناية «صورته المغطاة بالبلاستيك».

كنت سأخبرك.

ليس الأمر كما يبدو.

أعني، إنه كما يبدو لكن، أوه، أوه يا ربي...

- ظننت أنها مختلفة، ظننتت أنها أعظم امرأة، هذه المرأة الشجاعة الباهرة ذات المبادئ.. لكن، اللعنة، كانت تمامًا مثل لارا، مثل ديانا، مهتمة فقط بما يمكنها أخذه مني. كيف أمكن لها فعل ذلك يا جيم؟ لمَ لا يمكنني رؤية هذا النوع من النساء لما هن عليه؟

لم تتكلم.

- ماذا؟ ألن تقولي أي شيء؟ عن كوني سيئًا في الحكم على الناس؟ عن حقيقة أنني تركت امرأة تسرق مني ما هو ملكي مرة أخرى؟ عن كيف أنني أحمق في أمر آخر كذلك؟
- لم أكن سأقول هذا على الإطلاق؟
- ماذا كنت ستقولين؟
- لا أدري.

جلست تحدق إلى طبقها، لم يبدُ أنها متفاجئة مطلقًا، تساءل لو أن عشر سنوات بصفتها اختصاصية اجتماعية تفعل هذا بالمرء، كأنها تبنت هذا التعبير المحايد بغض النظر عن أي شيء صادم سمعته.

- لعلي كنت سأقول إنني ما هو أسوأ.

حدق إليها.

- أسوأ من السرقة مني؟
- أوه يا إد، ليس لديك أدنى فكرة عن أن تكون يائسًا حقًّا.
- لا يجعل هذا سرقة ما ينتمي إلى شخص آخر أمرًا مقبولًا.
- لا، لكن.. أممم.. أحدنا قضى اليوم في المحكمة يعترف بذنبه في التداول الداخلي. لست متأكدة من أنك أنسب شخص ليقرر الأمور الأخلاقية هنا، الأمور تحدث، يرتكب الناس أخطاء.

نهضت وبدأت تزيل الأطباق.

- قهوة؟

كان ما يزال يحدق إليها.

- سأعتبر هذا ردًّا بالإيجاب، وبينما أنا أزيل الأطباق يمكنك أن تخبرني بالمزيد عنها.

تحركت بخفة وبساطة في المطبخ الصغير بينما تحدث هو دون أن ينظر في عينيها أبدًا. كان وجهها يبدو مكفهرًا. عندما لم يعد بإمكانه التفكير في المزيد لفعله غير الجلوس في مكانه بفم مفتوح، نهض إد وساعدها في وضع الأطباق في الحوض.

ناولته قطعة قماش للتجفيف.

- إذًا هذا ما أراه، إنها يائسة، صحيح؟ يتعرض طفلاها للتنمر، وضُرب ابنها بعنف. هي خائفة من أن هذا سيحدث للفتاة الصغيرة تاليًا، تجد رزمة من النقود في الحانة أو أيًّا كان، تأخذها.

- لكنها كانت تعرف أنها ملكي يا جيم.

- لكنها لم تكن تعرفك.

- وهل يشكل هذا فارقًا؟

هزت شقيقتها كتفيها.

- ستقول لك أمة من الناس الذين يحتالون على التأمينات هذا.

قبل أن يعترض من جديد قالت: «بحق؟ لا يمكنني أن أخبرك بما كانت تفكر. لكن يمكنني أن أخبرك أن الناس في أوضاع صعبة يفعلون أشياء غبية ومتسرعة ودون تفكير، هذا يوميًّا. يفعلون أشياء حمقاء لما يظنونها الأسباب الصحيحة، وبعض الناس يفلتون بفعلتهم بينما لا يفلت البعض الآخر».

عندما لم يرد قالت: «حسنًا، ألم تأخذ قط قلمًا من العمل إلى المنزل؟».

- كانوا خمسمئة جنيه.

- ألا «تنسى» أبدًا دفع حق عداد ركن السيارة وتهلل عندما تفلت؟

- هذا ليس الأمر نفسه.

- ألا تتخطى حد السرعة أبدًا؟ ألا تفعل شيئًا مقابل المال؟ ألا تسرق واي-فاي شخص آخر؟

مالت إلى الأمام وقالت: «ألا تبالغ في تقييم نفقاتك للضرائب؟».

- هذا كله ليس الشيء نفسه يا جيم.

- أنا فقط أوضح أنه كثيرًا ما يعتمد منظورك لجريمة على موقعك منها. وأنت، يا شقيقي الصغير، كنت مثالًا رائعًا على هذا اليوم. لا أقول إنها لم تخطئ، كل ما أقوله إنه ربما لا يجب عليك أن تختزها في سلوك واحد. لا تجعل لحظة واحدة تمثل علاقتك بها.

أنهت غسيل الأطباق وخلعت قفازها المطاطي ورتبته على لوح التجفيف، ثم صبت كوبين من القهوة، ووقفت تميل على الحوض.

- لا أدري، لعلي فقط أومن بالفرص الثانية، ربما لو كنت تقابل كمية مأسويات بشرية في يوم عملك مثل التي لدي، لكنت آمنت أيضًا.

اعتدلت ونظرت إليه.

- ربما لو كنت مكانك، لأردت على الأقل أن أسمع ما لديها لتقوله.

لم يمكنه أن يفكر في رد.

- أتفتقدها؟

أيفتقدها؟ يفتقدها إد كأنما يفتقد طرفًا من أطرافه، يقضي كل يوم محاولًا تجنب التفكير فيها، ومبتعدًا عن الأفكار الدائرة في ذهنه. محاولًا أن يتفادى حقيقة أن كل شيء يراه -الطعام، السيارات، السرير- يذكره بها. كان يتشاجر معها عدة مرات قبل الإفطار ويصالحها بشغف آلاف المرات قبل أن ينام.

في الأعلى سمعا صوت إيقاع قوي يقطع الصمت.

- لا أعرف ما إذا كان بإمكاني أن أثق بها.

نظرت إليه جيما النظرة نفسها التي كانت توجهها إليه دائمًا عندما كان يخبرها أنه لا يمكنه فعل شيء ما وقالت: «أعتقد أنك تعرف يا إد. في مكان ما في داخلك، أعتقد أنك تعرف».

أنهى باقي النبيذ وحده، وبعدها شرب الزجاجة التي أحضرها معه، وقضى الليلة على كنبة شقيقته. استيقظ متعرقًا ومبعثر المظهر في الخامسة والربع صباحًا، وترك لشقيقته ملحوظة يشكرها فيها وخرج بصمت من المنزل. قاد إلى بيتشفرونت ليسوي الأمر مع الغدارة هناك. باع الأودي الأسبوع الماضي

ومعها الـBMW التي كان يُبقيها في لندن، وكان الآن يقود سيارة ميني كوبر عمرها سبعة أعوام مصدومة من الخلف. ظن أنه سيمانع هذا أكثر مما فعل.

كان صباحًا هادئًا والطرقات خالية، وحتى في العاشرة والنصف، عندما وصل، كان بارك العطلات مملوءًا بالزوار والحانات والمطاعم الرئيسية ملأى بأناس يستمتعون بضوء الشمس. البعض الآخر كان يمشي محملًا بحقائب من المناشف والمظلات إلى البحر. أطفال مهندمون ركضوا في المطاعم المفتوحة ذات أفران البيتزا الخارجية، أو شدوا آباءهم غير المتحمسين إلى حمام السباحة المغطى. ملأت الأرصفة أصصُ زهور موسمية موضوعة بشكل منظم مبتذل. قاد عبرها ببطء شاعرًا بغضب غير منطقي لرؤياه -هذا المنظر المزيف لمجتمع حيث كان كل شخص يكسب دخلًا معينًا ولا تقاطع الحياة الحقيقية بفوضاها حدود المكان المعلمة بالزهور المعروضة بشكل مثالي- قاد ببطء إلى القطاع المخصص للمقيمين، وركن سيارته في الموقف المنمق للوحدة رقم اثنين، متوقفًا ليستمع إلى صوت الأمواج بينما يخرج من السيارة.

دخل وأدرك أنه لم يهتم أن هذه آخر مرة سيأتي فيها إلى هنا. بقي أسبوع واحد إلى أن يتمم بيع شقته في لندن. خطته المبهمة كانت أنه سيقضي باقي الوقت مع والده، لم تكن لديه أي مخططات أبعد من هذا.

كان الرواق مملوءًا بالصناديق المعنونة باسم شركة التخزين التي عبأتها في غيابه. أغلق الباب وراءه وسمع صوت خطاه يتردد في المساحة الفارغة. صعد الدرجات للدور العلوي، ببطء يعبر الغرف الفارغة. هنا وهناك رأى أدلة على جهود رجال التخزين: لفة تائهة من شرائط التغليف أو غلافًا بلاستيكيًّا مقطوعًا بشكل خاطئ. لكن في المجمل فقد تمت تعبئة البيت كله، وكان فارغًا اللهم إلا من الصناديق. الثلاثاء المقبل ستأتي الشاحنة وتأخذ الصناديق بعيدًا إلى أن يقرر إد ماذا سيفعل بالأشياء. كانت هذه مشكلة أن تملك أكثر من عقار: ماذا تفعل بالكنب الإضافي والأسِرة الإضافية عندما كنت تكافح لترى كيف يمكنك وضع الأثاث الرئيسي في شقة بغرفة نوم واحدة؟

افترض أنه حتى هذه اللحظة كان قد مر بما كانت أسوأ أسابيع في حياته مستسلمًا. لو نظرتَ إليه من الخارج لكنت رأيت رجلًا عازمًا عزمًا كئيبًا على أن يتحمل عقابه. أحنى رأسه ومضى قدمًا، لعله شرب أكثر مما يجب، لكن بربك، بأخذ خسارته وظيفة وبيتًا وزوجة، وكونه على وشك خسارة أبيه، هذا

كله في أكثر من اثني عشر شهرًا بقليل بعين الاعتبار، ظن أن بإمكانه أن يجادل قائلًا إنه يفعل ما بوسعه.

وبعدها رأى المظروفات الأربعة الضخمة على سطح رخامة مطبخه واسمه مكتوب عليها بقلم جاف. في البداية ظن أنها رسائل من الإدارة متروكة من قِبل المعنيين، لكنه فتح واحدًا ورأى الأوراق البنفسجية المزركشة لورقة الجنيهات العشرين. أخذها ثم شد الملحوظة المرفقة التي كان مكتوبًا عليها فقط: القسط الثالث.

فتح المظاريف الأخرى وقطع المظروف الأول بحرص. عندما قرأ ملحوظته ارتسمت صورتها فجأة في خياله وكان مصدومًا بقربها المفاجئ وبكيف كانت تنتظره هناك دائمًا. تعبير وجهها، متوتر ومحرج وهي تكتب، لعلها تشطب الكلمات وتعيد صياغتها. هنا ستفك ربطة ذيل حصانها وتعيد ربطها.

«آسفة». صوتها في رأسه، «آسفة». وبعدها شعر بشيء يتهشم، أمسك إد النقود في يده ولم يدرِ ماذا يفعل بها، لم يرد اعتذارًا، لم يرد أيًّا من هذا.

خرج من المطبخ وعاد إلى الرواق والنقود مكرمشة في يده. أراد أن يلقيها كلها، أراد ألا يتركها أبدًا. شعر بأن شيئًا داخله كان على وشك الانفجار. مشى عبر البيت ذهابًا وإيابًا محاولًا أن يقرر ما يجب عليه فعله. نظر حوله إلى الجدران التي لم تسنح له الفرصة ليخدشها، وإلى منظر البحر الذي لم يتمتع به ضيف من قبل. لم يشعر قط أنه في بيته، لم يكن يدري إذا ما شعر أنه في بيته أبدًا.

فكرة أنه لن يشعر على راحته في أي مكان، لن ينتمي إلى أي مكان، غمرته فجأة. مشى عبر الرواق من جديد مرهقًا ومتوترًا وما يزال غارقًا في الشعور بأن عليه أن يفعل شيئًا الآن. فتح نافذة آملًا في أن يُهدئه صوت البحر، لكنه شعر بأصوات العائلات السعيدة في الخارج توبخه.

كانت هناك صحيفة مجانية على واحد من الصناديق تخفي شيئًا تحتها. توقف وأزالها متعبًا من الأفكار التي تدور في رأسه. تحتها كان هناك لابتوب وهاتف. كان منظرًا غريبًا لدرجة أنه احتاج إلى التفكير دقيقةً ليدرك سبب وجودهما هنا. تردد إد ثم أمسك الهاتف يتفحصه. كان الهاتف الذي أعطاه إلى نيكي في آبردين مخبأً بحذر بعيدًا عن عيون المارين.

لأسابيع كان غضبه من الخيانة يحركه. عندما اختفت حرارة الغدر تجلد جزء منه وأصبح قطبيًّا. كان يشعر بالأمان في غضبه وإحساسه بالظلم. الآن أمسك إد هاتفًا أحس مراهق كان بالكاد يملك أي شيء أن عليه رده إليه. سمع كلمات شقيقته وانفتح شيء بداخله بصوت كأنه مسموع. ماذا يعرف عن أي شيء على أي حال؟ من هو ليحكم على أحد؟

قال لنفسه: *اللعنة، لا يمكنني الذهاب لرؤيتها، لا يمكنني.*

لماذا أفعل؟

ماذا سأقول حتى؟

مشى من جهة إلى جهة في البيت الفارغ، وأصداء خطواته تتردد على الأرضيات الخشبية ويداه قابضتان على النقود.

أي نوع من الحمقى سيسامح؟

نظر من نافذته إلى البحر وتمنى فجأة لو أنه دخل السجن. تمنى لو كان عقله مملوءًا فجأة بالأفكار الجسدية المرتبطة بالسلامة والترتيب والنجاة.

لم يرد التفكير فيها.

لم يرد أن يرى وجهها كل مرة يغمض فيها عينيه.

سيرحل. سيترك هذا المكان ويذهب إلى مكان جديد، ويحصل على وظيفة جديدة، ويبدأ من جديد، وسيترك هذا كله وراءه، وستكون الأمور أسهل.

صوت مزعج -رنة لم يتعرف عليها- قطع الصمت. كان هاتفه الذي عُدِّل وفقًا لرغبات نيكي. حدق إليه وإلى شاشته المضيئة، رقم غريب، بعد خمس رنات وعندما أصبح الصوت لا يحتمل، رد أخيرًا.

- هل مسز توماس معي؟

أبعد إد الهاتف عنه لوهلة كأنه مشع، وضعه على أذنه من جديد وقال: «أهذه مزحة؟».

صوت مكتوم عطس وقال: «آسف، لدي حساسية قش بشعة، هل معي الرقم الصحيح؟ والدا كونستانزا توماس؟».

- ماذا... من معي؟

- اسمي أندرو برينتس، أنا أتصل بك من الأولمبياد.

احتاج إلى لحظة ليستجمع أفكاره، جلس على السلم.

- الأولمبياد؟ آسف... كيف حصلت على هذا الرقم؟

- كان في سجلاتنا، تركتموه في الامتحان، هل معي الرقم الصحيح؟

تذكر إد أن هاتف جيس لم يكن مشحونًا، لا بد أنها أعطتهم رقم الهاتف الذي أعطاه إلى نيكي، وضع رأسه في يده... العدالة الإلهية كان لديها حس فكاهي.

- نعم.

- أوه، الحمد لله، كنا نحاول الاتصال منذ أيام، ألم تصلك أيٌّ من رسائلي؟ أنا أتصل بخصوص الامتحان.. إليك الأمر، لقد اكتشفنا شيئًا ونحن نصحح. أول سؤال كان فيه خطأ مطبعي جعل الخوارزمية غير قابلة للحل.

- ماذا؟

تكلم كأنه يقرأ تصريحًا قرأه عدة مرات.

- لاحظنا هذا بعد أن جمعنا النتائج النهائية، كانت حقيقة أن أيًّا من الطلاب لم ينجح في حل السؤال الأول دليلنا الأول. لم نلاحظ في البداية لأنه كان لدينا عدة مصححين. على أي حال، نحن آسفون جدًّا، ونريد أن نعرض على ابنتك فرصة لإعادة الامتحان. سنعيد الأولمبياد كلها مرة أخرى.

- تعيدون الأولمبياد؟ متى؟

- حسنًا، هذا ما في الأمر، نعيدها هذه الظهيرة، كان علينا فعلها في نهاية الأسبوع لأننا لا نستطيع أن نطلب من الطلبة تفويت يوم دراسي للمسابقة، في الواقع كنا نحاول الوصول إليكم طول الأسبوع على هذا الرقم ولم يصلنا أي رد. اتصلت الآن كمحاولة أخيرة.

- تتوقع أن نصل إلى اسكتلندا في... أربع ساعات؟

توقف مستر برينتس ليعطس من جديد.

- لا، ليست في اسكتلندا هذه المرة. تعين علينا استخدام المساحة المتوفرة لدينا. لكن بالنظر إلى التفاصيل المدونة لدي أعتقد أن هذا سيكون مناسبًا لكم بما أنكم تعيشون على الساحل الجنوبي، الأولمبياد سيقام في بيسينجستوك، أيمكنك توصيل المعلومة إلى كونستانزا؟

- آآآههه...

- شكرًا جزيلًا، أفترض أن أشياء كهذه متوقعة في عامنا الأول، لكن وصلتُ إلى طالب آخر! لدي طالب واحد إضافي لأكلمه! باقي المعلومات متوفرة على موقعنا في حال احتجتها.

عطسة هائلة، وبعدها أُغلق الخط.

بقي إد في منزله الفارغ يحدق إلى سماعة هاتفه.

جيس

كانت جيس تحاول إقناع تانزي أن تفتح الباب، أخبرها الاختصاصي النفسي في المدرسة أن هذه وسيلة جيدة لإعادة بناء ثقتها بالعالم الخارجي ما دامت ما تزال في المنزل، ستفتح الباب وهي تشعر بالأمان لوجود جيس خلفها، ستمتد الثقة ببطء لأشخاص آخرين، إلى الخروج إلى الحديقة، ستكون خطوة، هذه الأمور تدريجية.

كانت نظرية لطيفة، لو أن تانزي فقط وافقت على تطبيقها.

- الباب، ماما.

سمعت صوتها يعلو فوق صوت الكارتون، كانت تتساءل جيس متى يمكنها أن تكون صارمة معها بخصوص موضوع مشاهدة التلفزيون. حسبت الأسبوع الماضي ووجدت أن تانزي تقضي أكثر من خمس ساعات على الكنبة.

قالت مسز ليفرسيدج: «لقد مرت بصدمة، لكنني أعتقد أنها ستشعر بالتحسن أسرع لو كانت تفعل شيئًا بنَّاءً أكثر».

صاحت: «لا يمكنني فتحه يا تانزي، أنا أقف هنا ويدي في طبق مملوء بالكلور».

كان صوتها متذمرًا، تطور جديد حدث في الأيام القليلة الماضية: «ألا يمكنكِ جعل نيكي يفتحه؟»·

- ذهب نيكي إلى المتجر.

صمت.

سمعت صوت ضحكات مكتومة من على السلالم، شعرت جيس بحضور أي كان من يقف على الباب وإن لم تره، الظل خلف الزجاج. تساءلت إذا

ما كانت آيلين ترينت. أتت بغير دعوة أربع مرات في الأسبوعين الماضيَين بـ «صفقات لا تُفوَّت» للطفلين. تساءلت لو كانت سمعت بنقود نيكي من المدونة. بدا أن الجميع في المساكن سمعوا بها.

صاحت جيس من الأسفل: «انظري، سأقف على السلالم. كل ما عليك فعله هو فتح الباب».

رن الجرس مرة أخرى.. مرتين.

- بربك يا تانزي، لن يكون أي شيء سيئ. انظري، يمكنكِ وضع نورمان في طوقه وأخذه معكِ.

صمت.

بعيدًا عن نظرها تركت رأسها ينحني ومسحت عينيها في كوعها. لم يمكنها تجاهل الأمر: حالة تانزي تزداد سوءًا لا تتحسن؛ آخر أسبوعين كانت بدأت تنام في سرير جيس. لم تعد تستيقظ باكية، ولكنها تسللت عبر الرواق في المساء ونامت بجانبها فأصبحت جيس تستيقظ وهي بجانبها بلا أدنى فكرة عن كم من الوقت مضى وهي هناك. لم تجد في قلبها قوة تسمح لها بمنعها من هذا، لكن الاختصاصية النفسية قالت بشكل حاد إنها كبرت على فعل هذا لأجل ممتد.

- تانز؟

لا شيء. رن الجرس مرة ثالثة بنفاد صبر الآن.

انتظرت جيس وأذناها مركزتان على الصمت، سيتعين عليها النزول وفتح الباب بنفسها.

قالت بتعب: «لحظة»، بدأت تخلع قفازيها المطاطيَّين وبعدها توقفت وهي تسمع الخطوات في الرواق، الخطوات المتعبة اللاهثة لنورمان وهو يتحرك مع أحد.

صوت تانزي اللطيف يحثه على أن يتبعها، صوت استخدمته معه فقط هذه الأيام.

وبعدها صوت الباب الأمامي ينفتح. رضاها بسماع الصوت تعكر عندما أدركت فجأة أنه كان عليها أن تقول لتانزي أن تطلب من آيلين الرحيل. بأقل فرصة متاحة ستقحم حقيبتها السوداء ذات العجلات في المنزل وتجلس على الكنبة وتستعرض «صفقاتها» على أرضية غرفة المعيشة.

لكن ما سمعته لم يكن صوت آيلين.

- أهلًا يا نورمان.

تسمرت جيس.

- يا إلهي، ماذا حدث لوجهه؟

صوت تانزي.

- لديه عين واحدة فقط الآن.

وقفت جيس أعلى السلالم بحذر، كان بإمكانها رؤية قدميه، حذائه الرياضي الكونفيرس، بدأ قلبها يدق.

- هل كان في حادث من نوع ما؟

- لقد أنقذني، من آل فيشر.

- فعل ماذا؟

وبعدها صوت تانزي، فمها ينفتح وتجري منه الكلمات على عجل.

- حاول آل فيشر أخذي في سيارة، واقتحم نورمان السياج لينقذني، لكن سيارة صدمته، ولم يكن معنا أي مال، لكن كل هؤلاء الناس أرسلوا لنا المال بسبب ما كتبه نيكي، وبعدها تركنا الطبيب البيطري ندفع نصف الفواتير لأنه قال إنه لم يقابل قط كلبًا شجاعًا كهذا.

ابنتها، تتكلم كما لو أنها لن تتوقف.

نزلت جيس درجة، ثم درجة أخرى.

- كاد يموت، كان يموت ولم يرد الطبيب البيطري أن يجري العملية حتى لأنه كان مصابًا بإصابات داخلية، وظن أنه علينا أن نتركه يموت. لكن ماما رفضت وقالت إن علينا أن نعطيه فرصة. وبعدها كتب نيكي تلك المدونة عن كل ما حدث وأرسل له بعض الناس النقود. حسنًا، الكثير من الناس أرسل كل منهم الكثير من النقود بلا سبب. وأصبح معنا ما يكفي لإنقاذه، لذا أنقذني نورمان وأناس لا نعرفهم حتى أنقذوه، وهو أمر رائع نوعًا ما. لكن لديه عين واحدة فقط الآن، وأصبح يتعب بسرعة لأنه ما زال في مرحلة التعافي ولا يفعل الكثير.

كان بإمكانها أن تراه الآن، قرفص وكان يربت على رأس نورمان. وحدقت إليه كأنما لا يمكنها إبعاد عينيها عنه: شعره الداكن، وكيف تملأ كتفاه

تيشيرته الرمادي. ذلك التيشيرت الرمادي... اعتمل شيء داخلها، وخرج منها تأوه نصف مكتوم، كان عليها أن تضغط بذراعها على فمها لتكتمه.

نظر إلى ابنتها وكان وجهه جادًّا تمامًا.

- هل أنتِ بخير يا تانزي؟

رفعت يدها ولعبت بخصلة من شعرها كأنها تقرر ما تخبره: «نوعًا ما».

- أوه يا عزيزتي.

ترددت تانزي وإصبع قدمها تدور على الأرض خلفها، وبعدها خطت للأمام ببساطة وذهبت إلى ذراعيه المفتوحتين. ضمها إليه كأنه كان ينتظر هذا تمامًا، وتركها تلقي رأسها على كتفه، وبقيا هناك وهي بين ذراعيه في الرواق. شاهدته جيس يغلق عينيه وكان عليها أن تخطو خطوة للوراء إلى حيث لا يمكنه رؤيتها، لأنها كانت قلقة من أنها لن تستطيع التوقف عن البكاء لو رآها.

كان صوته عازمًا بشكل غريب عندما أنهيا العناق.

- حسنًا، تعرفين، كنت أعرف، كنت أعرف أن هناك أمرًا مميزًا بخصوص هذا الكلب. كان بإمكاني أن أراه.

- حقًّا؟

- أوه، بالتأكيد، أنتِ وهو فريق، أي شخص بقليل من العقل يمكنه رؤية هذا، وتعرفين؟ يبدو نورمان رائعًا بعين واحدة، يبدو قويًّا نوعًا ما، لن يريد أحد العبث مع نورمان.

لم تدرِ جيس ماذا تفعل. لم ترد أن تنزل السلالم لأنها لن تتحمل أن ينظر إليها كما فعل في السابق، لم يمكنها التحرك، لا يمكنها النزول ولا يمكنها التحرك.

- أخبرتنا ماما أنك لن تأتي من جديد.

- أقالت هذا؟

- لأنها أخذت النقود.

صمت طويل بشكل مؤلم.

- قالت إنها ارتكبت خطأً فادحًا ولم ترد لنا أن نفعل شيئًا كهذا.

صمت آخر.

- هل أتيت لاسترداد المال؟

- ليس... ليس هذا سبب مجيئي على الإطلاق.

التفت وراءه بحثًا عنها وقال: «هل هي هنا؟».

لا مفر، نزلت جيس درجة، ثم درجة أخرى، ويدها على درابزين السلم. وقفت على السلالم وهي مرتدية قفازيها المطاطيَّين وانتظرت إلى أن ارتفعت عيناه لتلتقيا بعينيها، وما قاله تاليًا كان آخر ما توقعت سماعه.

- علينا أخذ تانزي إلى بيسينجستوك.

- ماذا؟

- الأولمبياد، كان هناك خطأ في الأسئلة المرة الماضية ويعيدونه الآن. اليوم.

التفتت تانزي ونظرت إليها على السلالم عابسة ومحتارة تمامًا مثل جيس. وبعدها بدت وكأن أحدهم أنار ضوءًا في رأسها.

- أكان السؤال الأول؟

أومأ إد.

ابتسمت، ابتسامة مفاجئة باهرة.

- كنت أعرف! كنت أعرف أن شيئًا غير صحيح فيه!

- يريدون إعادة الامتحان كله؟

- هذه الظهيرة.

- لكن هذا مستحيل.

- ليس في اسكتلندا، بيسينجستوك، هذا ممكن.

لم تدرِ ماذا تقول، فكرت في الطرق التي دمرت بها ثقة ابنتها في نفسها بدفعها للمشاركة في الأولمبياد المرة الماضية. فكرت في خططها المجنونة وفي الألم والضرر الذي سببته تلك الرحلة.

- لا أعرف...

كان ما يزال مقرفصًا، مد يدًا ولمس ذراع تانزي.

- هل تريدين المحاولة؟

كان بإمكان جيس رؤية حيرتها، زادت قوة قبضتها على طوق نورمان. تحركت من ساق إلى الأخرى.

قالت: «لا يتوجب عليكِ فعلها يا تانزي، لا يهم مطلقًا لو لم تريدي فعلها».

كان صوت إد هادئًا وواثقًا.

- لكن عليكِ أن تعرفي ألا أحد حل ذلك السؤال. أخبرني الرجل أنه كان مستحيلًا. ولا شخص في تلك الغرفة حل السؤال الأول بشكل صحيح.

ظهر نيكي خلفه يحمل حقيبة ملأى بالأدوات المكتبية من تسوقه. كان من الصعب تحديد منذ متى كان يقف هناك.

- لذا فنعم، أمك محقة ولا يوجد سبب يجبرك على الذهاب، لكن عليَّ الاعتراف أني أنا شخصيًّا سأحب أن أراكِ تتغلبين على هؤلاء الصبية في الرياضيات. وأعرف أن بإمكانك فعلها.

قال نيكي: «هيا يا تيتش؟ اذهبي وأريهم قوة معدنك».

نظرت إلى جيس، وبعدها دارت ورفعت نظارتها على أنفها. من المحتمل أن أربعتهم حبسوا أنفاسهم.

- حسنًا، لكن فقط لو يمكننا اصطحاب نورمان.

وضعت جيس يدها على فمها.

- أحقًّا تريدين فعل هذا؟

- نعم، كان بإمكاني حل الأسئلة الأخرى كلها يا ماما، لقد خفت عندما لم أتمكن من حل السؤال الأول، وبعدها ساءت الأمور.

نزلت جيس خطوتين إضافيتين على السلالم ودقات قلبها تتسارع، بدأت يدها تتعرق داخل قفازيها المطاطيَّين.

- لكن كيف سنصل إلى هناك؟

نهض إد نيكولز ونظر في عينيها، كان تعبير وجهه عازمًا وصعب التفسير في الآن ذاته.

- سأوصلكم.

توصيل أربعة أشخاص وكلب كبير في سيارة ميني ليس بالأمر الهين، خصوصًا في يوم حار في سيارة دون مكيف. وتحديدًا لو كانت أمعاء الكلب

المذكور متعبة أكثر من السابق، ولو كان ضيق الوقت يحتم أن تقود بسرعة عالية تتخطى الأميال الأربعين في الساعة، والعواقب الحتمية التي تتبع هذا. قادوا طول الطريق والنوافذ مفتوحة في صمت شبه تام. تمتمت تانزي لنفسها محاولةً تذكر الأشياء كلها التي أقنعت نفسها بأنها نسيتها وتتوقف بين الحين والآخر لتضع وجهها في الحقيبة البلاستيكية الموضوعة في مكان استراتيجي.

قرأت جيس الخريطة لأن سيارة إد الجديدة ليس فيها جهاز لتحديد المواقع، وحاولت أن تقودهم بعيدًا عن التكدس المروري والمولات المزدحمة. في خلال ساعة وثلاثة أرباع الساعة مرت في صمت شبه تام غير مريح، كانوا قد وصلوا إلى المكان: مبنى من السبعينيات من الزجاج والأسمنت، وعليه ورقة مكتوب عليها «**الأولمبياد**» تتطاير مع الرياح، موضوعة على لافتة مكتوب عليها «برجاء الابتعاد عن العشب».

كانوا مستعدين هذه المرة، أدخلت جيس تانزي وأعطتها زوجًا احتياطيًّا من النظارات (قال نيكي لإد: «لا تذهب إلى أي مكان دون زوج احتياطي الآن»). وقلمًا وقلم رصاص وممحاة. جميعهم عانقوها وطمأنوها أن كل هذا لا يهم، ولا حتى قليلًا، ووقفوا في صمت بينما دخلت تانزي إلى ساحة المعركة لتقاتل مجموعة من الأرقام وربما الشياطين في رأسها. أُغلق الباب وراءها.

حامت جيس حول المكتب وأنهت توقيع الأوراق واعيةً بنيكي وإد يدردشان على حافة العشب عبر الباب المفتوح. شاهدتهما بنظرات مختلسة من الجانب. كان نيكي يُري مستر نيكولز شيئًا على هاتف مستر نيكولز القديم. بين الحين والآخر كان مستر نيكولز يهز رأسه. تساءلت جيس لو كانت هذه مدونته.

قال نيكي مبتهجًا عندما خرجت جيس: «ستكون على ما يرام يا ماما، لا تقلقي».

كان يمسك بطوق نورمان، كان قد وعد تانزي أنه لن يبتعد أكثر من خمسمئة قدم من المبنى حتى تتمكن من الشعور برابطتهما المميزة حتى عبر جدران قاعة الامتحان.

عقب إد ويداه في جيبه: «نعم. ستؤدي بشكل رائع».

تحركت عينا نيكي بينهما ثم انتقلتا إلى الكلب.

- حسنًا، سنذهب لأخذ استراحة، للكلب، ليس لي، سأعود بعد قليل.

شاهدته جيس يمشي ببطء حول المكان، وقاومت رغبتها في أن تقول إنها ستذهب معه.

وبعدها بقيا هما الاثنان.

- إذًا...

أزالت بعضًا من الطلاء من على بنطلونها الجينز. تمنت لو كانت قد سنحت لها الفرصة لترتدي شيئًا أكثر هندمة.

- إذًا.

- أنقذتنا من جديد.

- يبدو أنكم تمكنتم من إنقاذ نفسكم على نحو جيد.

وقفا صامتَين. عبر موقف السيارات توقفت سيارة بسرعة وخرجت منها أم وابنها الصغير يقفزان من الكنبة الخلفية ويركضان إلى الباب.

- كيف حال ساقك؟

- تتحسن.

- لا شباشب؟

نظرت إلى حذائها الأبيض المخصص للتنس.

- لا.

مرر يده على رأسه وحدق إلى السماء.

- وصلتني مظروفاتك.

لم تستطع أن تتكلم.

- وصلتني كلها هذا الصباح، لم أكن أتجاهلكِ. لو كنت أعرف.. كل شيء.. لما تركتك لتتعاملي مع كل شيء وحدك.

أجابت بسرعة: «لا بأس. فعلت ما فيه الكفاية».

كان هناك قطعة كبيرة من حجر الصوان مزروعة في الأرض أمامها. ركلت التراب بقدمها السليمة محاولةً تحريكها وتابعت: «وكان لطفًا منك أن توصلنا إلى الأولمبياد. أيًّا كان ما سيحدث سأكون دائمًا...».

- هلا توقفتِ؟

- ماذا؟
- توقفي عن ركل الأشياء، وتوقفي عن الحديث كأن...
التفت إليها وقال: «هيا، دعينا نذهب ونجلس في السيارة».
- ماذا؟
- ونتحدث.
- لا... شكرًا.
- ماذا؟
- أنا فقط... ألا يمكننا التحدث هنا؟
- لمَ لا يمكننا الجلوس في السيارة؟
- أفضل ألا نفعل.
- لا أفهم، لمَ لا يمكننا الجلوس في السيارة؟
- لا تتظاهر بأنك لا تعلم.
شعرت بالدموع تتجمع في عينيها، مسحتهما بقوة براحة يدها.
- لا أعلم يا جيس.
- إذًا لا يمكنني إخبارك.
- أوه، هذا سخيف، فقط تعالي واجلسي في السيارة.
- لا.
- لماذا؟ لن أقف هنا إلا لو أعطيتني سببًا منطقيًّا.
- لأنه...
اهتز صوتها.
- لأننا كنا سعداء هناك، كنت سعيدة هناك، أسعد مما كنت عليه لسنوات، ولا يمكنني فعل هذا، لا يمكني أن أجلس هناك أنا وأنت فقط الآن وقد...
فشل صوتها، التفت كي لا تواجهه لأنها لم ترده أن يرى ما تشعر به، أن يرى دموعها. سمعته يأتي ويقف وراءها بالقرب منها. كلما اقترب صعب عليها التنفس. أرادت أن تطلب منه أن يذهب، لكنها لم تكن لتتحمل لو فعل.
كان صوته منخفضًا في أذنها.
- أحاول أن أخبركِ بشيء.

حدقت إلى الأرض.

- أريد أن أكون معكِ، أعرف أننا كنا فوضويين جدًّا في علاقتنا، لكنني أشعر بأنني في المكان الصحيح معك وأنت تخطئين، أكثر مما أشعر وكل شيء كما يجب أن يكون ما دمتِ لست موجودة. اللعنة، أنا لست جيدًا في هذه الأمور، لا أعرف ماذا أحاول أن أقول.

التفت جيس ببطء، كان ينظر إلى قدميه ويداه في جيبه، رفع عينيه إليها فجأة.

- أخبروني بالسؤال الخاطئ في امتحان تانزي.

- ماذا؟

- كان عن نظرية الانبثاق، الانبثاق القوي يقول إن رقمًا قد يكون أكبر من مجموع أجزائه. أتفهمين ما أقول؟

- لا، أنا سيئة في الرياضيات.

- لا أريد أن أتحدث في هذا، ما فعلتِه، ليس وكأنني مثالي، لكن أنا.. أريد أن أحاول. قد يَثبتُ أننا «فشل» كبير، لكنني أريد اقتناص الفرصة.

مد يدًا ببطء وأمسك بواحد من الأجزاء التي يمر فيها الحزام في بنطلونها الجينز برفق. شدها إليه ببطء. لم تتمكن من إبعاد عينيها عن يديه، وعندما رفعت وجهها لتواجه وجهه كان ينظر إليها مباشرة، ووجدت جيس نفسها تبكي وتبتسم، ربما كانت هذه المرة الأولى التي ابتسمت فيها فعلًا منذ قرابة مليون سنة.

- أريد أن ناتج اجتماعنا يا جيسيكا راي توماس، كلنا، ما رأيك؟

تانزي

إذًا فإن الزي الرسمي في سانت آن لونه أزرق سماوي بخطوط صفراء. لا يمكنك الاختباء بسترة زي سانت آن. بعض الفتيات في صفي يخلعن السترة وهن عائدات إلى المنزل، لكنها لا تزعجني. عندما تعمل بجد لتصل إلى مكان ما، فمن اللطيف أن تُري الناس أين تنتمي. المضحك هو أنك عندما تقابل طالبًا آخر من سانت آن خارج المدرسة فمن المفترض أن نلوح لبعضنا بعضًا كأننا شخصان يقودان سيارات فيات 500. أحيانًا يكون تلويحًا كبيرًا مثل صديقتي المقربة سريتي التي تبدو دائمًا كأنها على جزيرة مهجورة تحاول لفت انتباه طائرة عابرة، وأحيانًا ترفع أصابعك قليلًا من على حقيبتك المدرسية كما يفعل ديلان كارتر الذي يشعر بالحرج عندما يتحدث مع أي شخص، حتى مع شقيقه. لكن الجميع يفعلها. ربما لا تعرف الشخص الذي يلوح، لكنك تلوح للشخص في الزي المدرسي. هذا ما تفعله المدرسة دائمًا، يفترض أن يُشعرنا أننا جميعًا عائلة.

دائمًا ما ألوح، خصوصًا إذا كنت في الباص.

يأخذني إد بسيارته أيام الثلاثاء والخميس لأنني أكون في نادي الرياضيات في تلك الأيام، وتعمل ماما لوقت متأخر في إصلاح الأشياء وتركيبها. لديها ثلاثة أشخاص يعملون الآن. تقول إنهم يعملون «معها» لكنها دائمًا تريهم كيف يفعلون الأشياء وتخبرهم أين عليهم الذهاب لمهمتهم التالية، ويقول إد إنها غير مرتاحة بعض الشيء لفكرة كونها مديرة. يقول إنها تعتاد عليها، يغير تعابير وجهه عندما يقول هذا كأن ماما مديرته هو، لكنك تستطيع أن ترى أنه يحب ذلك.

تأخذ ظهيرة كل جمعة إجازة وتقابلني في المدرسة ونخبز البسكويت معًا أنا وهي فقط. كان الأمر لطيفًا، لكن سيتعين عليَّ إخبارها أنني أفضِّل البقاء لوقت متأخر في المدرسة، خصوصًا الآن، لأنني سآخذ المستوى المتقدم هذا الربيع. لم تسنح لبابا الفرصة ليأتي حتى الآن، لكننا نكلمه على سكايب كل أسبوع، يقول إنه سيأتي بالتأكيد. لديه مقابلتان لوظيفتين الأسبوع المقبل، والكثير من الخطط المستقبلية.

نيكي في مدرسة تأهيلية للجامعة في ساوثهامبتون، يريد الالتحاق بجامعة للفنون، لديه حبيبة اسمها ليلا، قالت ماما إنها مفاجأة بأكثر من طريقة. ما يزال يضع الكثير من الآيلاينر، لكنه يترك شعره يطول ويعود إلى لونه الأصلي، وهو بني غامق نوعًا ما. أصبح الآن أطول من ماما بطول رأس كامل، وأحيانًا وهما في المطبخ يعتقد أنه من المضحك أن يستند بكوعه على رأسها

كأنها منضدة أو ما شابه. ما زال يكتب في مدونته أحيانًا، لكنه في الغالب يقول إنه مشغول جدًّا ليكتب، ولا بأس لو توليت أنا الأمر لفترة. الأسبوع المقبل سأشارك أشياء شخصية أقل وأشياء متعلقة بالرياضيات أكثر. أتمنى حقًّا أنكم تحبون الرياضيات.

رددنا 77% من التبرعات التي أرسلها الناس لنورمان. 14% قالوا إنهم يفضلون أن نعطي النقود لجمعية خيرية، ولم نتمكن من الوصول إلى الـ 9% الآخرين. تقول ماما إنه لا بأس، لأن الشيء المهم هو أننا حاولنا، وإنه أحيانًا لا غضاضة في قبول كرم الآخرين ما دمنا سنقول شكرًا. قالت لي أن أقول لكم شكرًا وإنها لن تنسى أبدًا طيبة الغرباء.

إد هنا تقريبًا طوال الوقت، باع منزله في بيتشفرونت، والآن لديه شقة صغيرة جدًّا في لندن، ونيكي وأنا ننام على سرير قابل للطي عندما نذهب إلى هناك، لكن معظم الوقت يبقى إد معنا. يعمل في المطبخ على لابتوب، ويتكلم مع أصدقائه في لندن عبر سماعة رائعة، ويذهب إلى الاجتماعات في سيارته الميني. يحاول أن يشتري سيارة جديدة لأنه من الصعب أن ندخل كلنا فيها عندما نريد الذهاب إلى مكان ما، لكن بطريقة غريبة لا أحد منا يريده أن يشتري سيارة جديدة. الوضع لطيف نوعًا في السيارة الصغيرة وكلنا معًا فيها، وفي تلك السيارة لا أشعر بالذنب بخصوص اللعاب.

نورمان سعيد، يفعل الأشياء كلها التي قال الطبيب إنه سيتمكن من فعلها، وتقول ماما إن هذا كفاية لنا. قانون الاحتمالات مع قانون الأرقام الكبير يقولان إنه لتتغلب على الاحتمالات فعليك أن تكرر فعلًا عددًا كبيرًا من المرات لتصل إلى الناتج الذي تريده. كلما فعلته أكثر، اقتربت أكثر. أو، كما أشرحه لماما ببساطة، أحيانًا عليك أن تستمر فقط.

أخذتُ نورمان إلى الحديقة، ورميت له الكرة ستًّا وثمانين مرة هذا الأسبوع. ما زال لا يحضرها إليَّ أبدًا.

لكنني أعتقد أننا سنصل إلى هذا.

واحد زائد واحد

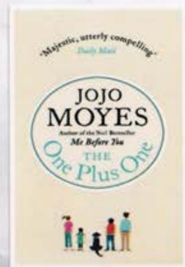
ONE PLUS ONE

عدد واحد امرأة متفائلة..

جيس توماس ذات الوظيفتين والطفلين والمال الذي لا يكفيهم أبدًا، تصدمها الحياة بمفاجأة سيئة فتفعل ما بوسعها لتنهض وتحاول من جديد. لكن هناك بعض التحديات التي حتى هي لا يمكنها مواجهتها بمفردها.

زائد واحد غريب ضائع..

إد نيكولز رجل طيب اتخذ قرارًا سيئًا. كان لديه الكثير، وكلفته غلطة غبية واحدة كل ما لديه. الآن سيفعل أي شيء لتصحيح الوضع.



تساوي مقابلة بالمصادفة.

لا يريد إد إنقاذ أحدٍ ولا تريد جيس أن ينقذها أحدٌ، لكن هل يمكن أن يكون جمع إد وجيس معًا ناتجه شيءٌ مختلف تمامًا؟

غلاف: عبد الرحمن الصواف





aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
AseerAlkotb
AseerAlkotb
AseerAlkotb